بسم الله الرحمن الرحيم

العدد الرابع

أهل البيت عليهم السلام

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام

رئيس التحرير: أ. د. عباس حسين جواد
سكرتير التحرير: د. فاروق محمود الحبوبي

أعضاء هيئة التحرير

أ. م. د. مهدي داخل كاظم العبيدي
أ. م. د. عباس مرزوكَ فليح العبيدي
أ. م. د. حكمت عبيد حسن الخفا جي
أ. م. د. عبود جودي الحلي
أ.م.د. محمد عبد الحسين الخطيب

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ١٠١٩، هاتف: ٣٣٤٩٣٢
Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 334932
karbala@ahlulbaitonline.com ، www.ahlulbaitonline.com

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور
حسين علي محفوظ

الأستاذ الدكتور
ناظم رشيد شيخو

الأستاذ الدكتور
حاكم محسن محمد

الأستاذ الدكتور
حسن عودة زعال

الأستاذ المساعد الدكتور
خديجة الحديثي

الأستاذ الدكتور
صبحي ناصر حسين

الأستاذ الدكتور
عبد الأمير الورد

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥
ISSN ١٨١٩ ٢٠٣٣

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليهم السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لاتكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنتشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ١٠١٩، فاكس: ٣٣٤٩٣٢

الفهرست

كلمة العدد ٥

بداية الكون بين العلم وروايات أهل البيت عليهم السلام ٨
الدكتور محسن باقر القزويني

أثر رأس المال الفكري في الابداع المنظمي ٢٠
دراسة تحليلية في جامعة بابل
الأستاذ الدكتور عباس حسين جواد
المدرس المساعد خولة عبد الحميد محمد

الفكرة الجغرافية لمفهوم الإقليمية ٥٠
ألاستاذ الدكتور ماهر يعقوب موسى
المدرس المساعد هدى خالد شعبان العطية

أراء وملاحظات في تعديل برايمر لقانون الشركات ٦٧
الأستاذ المساعد الدكتور عباس مرزوك العبيدي

مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها ٩٦
الأستاذ المساعد الدكتور فاضل جابر

تكريس حقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق الدولية الأخرى. . . . ١١٨
الدكتور محمد صالح امين

أساليب التعبير في علم المعاني عند الدكتور مهدي المخزومي ١٢٨
الدكتور فاروق محمود الحبوبي

القرآن الكريم والدعاء ١٤٨
الدكتور سيد خليل باستان

الصورة الفنيّة في شعر الكُميت بن زيد الأسديّ ١٧٤
الدكتور عباس عبيد السّاعديّ

تقييم البرامج والمشاريع العامة (إطار نظري) ٢٠٢
الأستاذ الدكتور عباس حسين جواد
الأستاذ المساعد إرزوقي عباس عبد

مِن مَلامِح الدِّلالَة الصّوتِيَّة في القُرآنِ الكَريم ٢٢٢
المدرس المساعد ماجد النجّار

سمير الخواص في أوهام درّة الغّواص للعلوي (١٣٢٦هـ-١٣٥٠هـ)_(١٩٠٨م-١٩٣١م) . . ٢٥٢
المدرس المساعد علي عباس عليوي الاعرجي

بحوث المؤتمر العلمي الثالث لجامعة أهل البيت عليهم السلام
السياحة في كربلاء المقدسة: الواقع والآفاق

دور الاستثمار السياحي العربي والاجنبي في دعم الاقتصاد العراقي ٢٧٤
دراسة تطبيقية في محافظة كربلاء
الأستاذ الدكتور حاكم محسن محمد

آفاق السياحة الدينية في كربلاء وآثارها الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة؛ ٢٨٨
الأستاذ الدكتور لطفي حميد جودة

تقويم جودة الخدمات السياحية الدينية من وجهة نظر الزائرين ٢٩٦
الأستاذ الدكتور علاء فرحان طالب

تحليل دالة الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء ٣١٨
الأستاذ المساعد الدكتور كاظم احمد البطاط
المدرس المساعد محمد حسن علي الزويني

أثر تكنولوجيا المعلومات في جودة الخدمة الفندقية ٣٤٦
دراسة ميدانية على عينة من الفنادق السياحية في محافظة كربلاء
المدرس المساعد بشارعباس الحميري
المدرس المساعد احمد كاظم بريس

اثر المزيج الترويجي للخدمات السياحية في تحقيق رضا الزبون ٣٧٧
دراسة ميدانية على عينة من المنشآت السياحية في محافظة كربلاء
المدرس المساعد احمد كاظم بريس
المدرس المساعد بشار عباس الحميري

كلمة العدد

احتوى العدد الحالي مِن مجلة أهل البيت عليهم السلام بحوث أعمال المؤتمر السنوي الثالث للجامعة والذي انعقد تحت عنوان السياحة في كربلاء المقدسة ؛ الواقع والآفاق، حيث نأمل أن تأخذ طريقها إلى النور في الدوائر والمرافق المعنية بأمر السياحة في هذهِ المدينة المقدسة والتي شهدت اقبالاً متزايداً مِن لدن الزائرين الذين يفدون إليها مِن مختلف محافظات العراق ومِن الدول المجاورة بغية زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام و كان نصيب هذهِ المدينة الاهمال المتعمد طيلة العصور الماضية لأنها تشكل معلماً دينياً مِن معالم عالمنا الإسلامي العريق.

وقد آن الأوان لكي تنهض هذهِ المدينة مِن سبات السنين العجاف وتأخذ طريقها إلى ركب الحضارة وتتحول إلى مدينة عصرية يجد فيها السائح والزائر كل وسائل الراحة والتمتع أثناء جولاته بين الأماكن الدينية والتاريخية التي تضمها هذه المدينة ذات الامتداد التاريخي العريق.

فكربلاء ليست ثروة دينية وحسب بل هي ثروة اقتصادية أيضاً لو استطعنا أن ننهض بها وأن نأخذ بالأفكار التي أنتجتها العقول المتخصصة في علم السياحة لبناء صرح سياحي يتناسب مكانة هذهِ المدينة في الحضارة الإسلامية ويلبي حاجة الملايين مِن الزوار الذين يفدون إليها من كل مكان ولتصبح على نسق المدن السياحية المشهورة في العالم الإسلامي.

أليس بالإمكان تحقق ذلك؟!

بداية الكون

بين العلم وروايات أهل البيت عليهم السلام

الدكتور محسن باقر القزويني

بداية الكون بين العلم وروايات أهل البيت عليهم السلام

الدكتور محسن باقر القزويني

المقدمة:

كنت أمر ببعض الروايات حول خلق السموات والأرض فلم أدرك مضمون الرواية التي تشير إلى أنّ مصدر الوجود هو الماء، وان الماء تحول إلى نار، ثم خمدت النار فخلق السموات من الدخان، وخلق الأرض من الرماد، وكلما حاولت أن أتصور هذه المضامين وأرسم معادلة في ذهني عن كيفية تحول الماء إلى نار، وكيفية تحول الدخان إلى سموات، والرماد إلى ارض، فكنت اعجز عن إدراك تلك المعاني فأستسلم إلى قول المعصوم لأنه نابع من قول النبي، وان النبي صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، واستمرت حيرتي في فهم روايات الخلقة حتى وقع يدي على كتاب العالم البريطاني ((فرنك كلوز، Frank Close)).

End Cosmic Cafastrophe And The Fate Of The Universe.

فقد أجاب هذا الكتاب على الكثير من التساؤلات، وسلط الضوء الكافي على بداية الخلقة، مع ان الكتاب يتعرض لموضوع انتهاء الخلقة لكنه يذكر في طيات دراسته الشيقة والمفيدة أفكاراً حول بداية الخلقة، وكيفية نشوء الكون.

نظريتا النشوء:

يذكر (فرانك كلوز) أفكارا قيمة حول بداية النشوء، وهو يتعرض إلى هذا الموضوع بصورة مستطردة، ويمكن أن نستنبط من أفكاره نظريتين حول بدأ الخلق هما:

أولا: نظرية الانفجار الكبير.

يرى أكثر العلماء ان بداية نشوء الكون وقع نتيجة انفجار كبير في النجوم التي تسمى بـ(سوبرنوفا) وهي نجوم تقلصت في داخلها نتيجة الانفجار الهائل ونتج عن هذا الانفجار قذف كمية هائلة جدا من جسيمات النيوترون التي أخذت بتكوين العناصر بترتيب عدد الالكترونات والبروتونات.

ويرى فرانك كلوز ان المنظومة الشمسية تكونت من حدوث سوبرنوفا منذ خمسة ملايين سنة[1].

نشأ من انفجار السوبرنوفا سحابة غاز أولية، ومن هذه السحابة نشأت المنظومة الشمسية، وقد يدلل على صحة هذه النظرية بوجود تطابق بين كمية الايريديوم من النظير ١٩٣ يوازي تقريبا ضعف كمية الايريديوم من النظير ١٩١ والنسبة نفسها نجدها في المقدار الذي أطلق من السوبرنوفا مما يؤكد ان مصدر العنصر يعود الى السوبرنوفا.

اما عن كيفية تكوين النجوم والكواكب حيث تختلف في المادة المكونة لها، فيذكر ـ كلوز.

((وفي اللحظات الاولى من الانفجار الكبير حيث الكون ساخن بما لا يمكن تصوره، أي اسخن كثيرا من اي نجم الان، فأية جسيمات ساخنة سوف تندفع فيما حولها مثل كل شيء آخر، ولكن الكون بردت حرارته بأسرع مما يبرد قدح القهوة في سيبيريا وبالتالي تجدمت الجسيمات الثقيلة الساكنة خلال ثوان، اما الجسيمات الاخرى الاخف فهي تتجمع لتبني المجرات والنجوم ثم تبني في النهاية المادة المألوفة لنا اليوم، واثناء ذلك تكون أبناء عمومتها من الجسيمات البطيئة قد ترسبت معا بالجاذبية لتشكل تكتلات قد تكون في شكل نجوم كشمسنا أو قد تنحو نحوها الخاص بها.

والحقيقة ان احدى النظريات تقول: ان هذه الكتل الضخمة هي البذور التي اوقعت في شباكها الجسيمات سريعة الحركة خفيفة الوزن، اي الالكترونات والنيوترونات والبروتونات لتشكل تجمعات من كل مقاس، ابتداءً من تجمعات النجوم حتى تجمعات المجرات المنفردة أو مجموعات المجرات، وتنشأ التجمعات الصغيرة منها أولا ثم تندمج فيما بعد في تجمعات اكبر، ويعرف هذا السيناريو باسم (من اسفل لاعلى) ويبدو ان هذا هو مايشبهه الكون الحقيقي))[2].

وعلى اساس هذه النظرية فان جسيمات البروتون والنيترون مرت بمرحلتين مرحلة الانصهار ثم مرحلة التبريد، فعلى اثر الانفجار الكبير انصهر كل شيء حتى البروتونات والنيترونات، وادى هذا الانصهار الى تحرر جسيمات (الكواركات) وهي المكونات الاساسية للبروتون والنيترون، وفي حالة البرودة الفائقة نشأت الجسيمات النووية، وتتكهن هذه النظرية ان الجسيمات سائرة نحو التجمد الحقيقي في يوم من الايام عندما سيتغير الكون، الى شكل آخر كما يتجمد الماء الى ثلج، وقد م حساب كمية هذه الجسيمات والوقت الذي استغرقه هذا التحول، فكمية البروتون (موجب الشحنة) هي(10^{75}) وهي التي تندمج مع الالكترونات ذات الشحنة السالبة، محيدة شحنتها الكهربائية فتتكون نيوترونات، وهذه الاخيرة لها كتلة ثقيلة وتظل باقية لتكوين نجم النيوترون وجسيمات النيوترينو التي تنطلق بعيدا، ويحدث هذا كله في اقل من الملي من الثانية (واحد من ١٠٠٠ من الثانية)

---

١ – End Cosmic.page ٢١٤.

٢ – p.٢٣٧

ثانيا نظرية الانتفاخ

ترى هذه النظرية ان الكون كله ابتدء بمقدار محدود من المادة لايتجاوز (١٠) كيلو غرامات في حجم هو جزء من البليون من النواة الذرية مركزة بشكل كثيف حيث لاتوجد بين الجسيمات، وتقول هذه النظرية: أن كوننا انتفخ في اول جزء من الثانية انتفاخا هائلا قبل ان يستقر على تمدده ببطء في العشرين بليون سنة الاخيرة.

تقول النظرية (ان في داخل المادة الاصلية للكون تسود حالة ما وراء الاستقرار، واذا اخذت الحالة في الداخل تمر في تغير طوري لتصل الى حالة الاستقرار التي نحن عليها الان فإن الداخل يكتسبه طاقة وذلك بفضل صفة مميزة لنظرية الكم.

ويشبه التأثير هنا ما يضاد الجاذبية، تنافر ضخم ونمو للطاقة الخالصة حتى تستقر في الطور الحالي، ويكون ما يتبقى من تمددها هو الحفرية المتخلفة عن هذه الصدمة، وهكذا فقد تولد قدر من الطاقة يكفي لان يضخم هذه الكيلو غرامات العشرة الابتدائية الى كل ذلك الكون الذي نراه الان)[٣].

واساس هذه النظرية تقوم عل فكرة: ان المسافة بين البروتونات والنيترونات الموجودة في النواة وبين الالكترونات هي كالمسافة بين الكواكب نسبة الى حجم هذه الكواكب، فالمسافات الشاسعة بين جسيمات الذرة هي التي تعطيها هذا الحجم الكبير، فلو افترضنا اضمحلال هذه المسافات فأن المادة المركزة ستكون بحجم صغير جدا يثير الاستغراب والتعجب.

وهذه النظرية لاتنكر حدوث الانفجار فهي تقول بأن المادة الاساسية ذات الحجم المحدود انفجرت وتسبب الانفجار في تباعد المسافات داخل الذرة.

وعلى ضوء هذه النظرية قدم فرانك كلوز نظرية صنع كون جديد فيقول: (وعلى ذلك فإذا كان الكون يمكن ان ينبثق مما لايزيد على حقيبة سفر، فهل يمكننا ان نصنع مرجلا في منطقة محددة من المكان وان نرتب له بحيث يكون في حالة ما وراء الاستقرار ثم بعدها يندفع انفجار، وتنفجر هذه المنطقة الصغيرة لتصبح كونا له تطور في المستقبل يشابه تطورنا نحن، لقد بدأ الامر كله من وسط طاولة فحص المتاع الداخل للطائرة)[٤].

ماهو رأي الروايات والاحاديث؟

بعد الاستعراض السابق الذي بينا فيه اهم الاراء التي جاء بها العلماء حول بداية الخلقة نستطيع الان ان نمر على الروايات التي وردت في هذا المجال:

اولا: رواية الامام الباقر عليه السلام.

روى في الكافي: (كان كل شيء ماء، وكان عرشه على الماء، فامر الله تعالى الماء فاضطرم نارا، ثم امر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السموات من ذلك الدخان، وخلق الارض من الرماد)[٥].

٣- Endp.٢٨٧

٤- Endp. ٢٨٨

٥- الكافي: ٢/٦٥ح٨٦.

ثانيا: رواية الصادق عليه السلام :

في خبر اخرجه علي بن ابراهيم في تفسيره، (كان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لايحد ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلما اراد ان يخلق الارض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا، ثم ازبد فصار زبدا واحدا فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلا من زبد، ثم دحا الارض من تحته، فقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[6].

ثم مكث الرب تبارك وتعالى ماشاء، فلما اراد ان يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى ازبدت بها فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء، وجعل فيها البروج والنجوم، ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك وكانت السماء خضراء على لون الماء الاخضر، وكانت الارض غبراء على لون الماء العذب، وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب)[7].

ثالثا: هناك رواية للباقر عليه السلام :

(وخلق الشيء الذي جميع الاشياء منه، وهو الماء الذي خلق الاشياء منه فجعل نسب كل شيء الى الماء، ولم يجعل للماء نسبا يضاف اليه، وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشققت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ماشاء ان يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضا بيضاء نقية ليس فيها صدع ولاثقب ولاهبوط ولاشجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار من الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ماشاء الله ان يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولاثقب)[8].

تدرجنا في هذهِ الأحاديث بصورة تفسر بعضها البعض الاخر.

ويمكننا ان نستنتج من الروايات السابقة:

١ـ المادة الاولى التي استمد منها الكون وجوده هي الماء، فلم يكن قبل الماء شيء آخر اذ لم يجعل الله للماء نسبا يضاف اليه، وكل شيئ خلق من الماء.

٢ـ هناك اشارة في رواية الصادق الى وجود الماء فوق الهواء، فما هو المقصود بالهواء ؟

اكتفت الرواية بذكر صفتين للهواء، الصفة الاولى انه يحد الماء من تحته والصفة الثانية انه لايحد أي حد.

وهذين الوصفين لاينطبقان الا على شيء ليس بمادة فالماء هو المادة الاساسية والوحيدة الموجودة، ولما لاتحد فهي لاتمتلك الابعاد التي تتصف بها المادة من طول وعرض وما شابه ذلك.

فإذا لم يكن الهواء شيء مادي. فما هو اذن ؟

ربما كان المقصود بالهواء الفضاء الواسع الذي نشأ فيه التفاعل الاول للنشأة الاولى.

٣ـ تشير الروايات الى نشأة الكون من تحول الماء الى دخان ورماد والسؤال كيف تم ذلك ؟

تشير الروايتان (٢و٣) ان هذا التحول قد تم بتدخل الريح التي شققت متن الماء، أي حولته الى اجزائه من اوكسيجين وهيدروجين، ثم نفخت الريح التركيب الجديد حتى صار كبيرا جدا، فإذا بالزبد

---

٦ – آل عمران/٩٦.

٧ – تفسير القمي ٢/٦٩.

٨ – الكليني: الكافي ٨/٤٩ح٧٦.

الذي نتج عن اصطدام الريح بالماء يتحول الى ارض بيضاء نقية ليس فيها صدع ولاثقب ولاصعود ولاهبوط ولاشجرة، اي ليس فيها حياة اي المادة الاولى للكون قد تكونت، إلا ان الحياة بحاجة الى عناصر كثيرة فهي بحاجة الى الحديد واليورانيوم والنحاس والمنغنيز..الى آخره وهذه العناصر لاتتكون الا بوجود طاقة هائلة، فصنع الله تلك الطاقة من الماء، ثم خلق الله النار من الماء وهذه هي المرحلة الثانية من التكوين حيث كانت هناك كمية من الماء تحولت الى نار (طاقة) وهذه الطاقة استخدمت في احداث الاندماج النووي حيث اخذت في صنع العناصر الرئيسية للكون المادي، وهذا التحول لم يتم الا باحداث انفجار هائل، وهذا ماتشير اليه عبارة الرواية (حتى ثار من الماء دخان على قدر ماشاء الله ان يثور) هكذا تم هذا التحول.

٤ ـ تشير الروايتان (١و٣) ان الانفجار الذي أحدثته النار في الماء نتج عنه الدخان والرماد. والدخان هو اشارة الى الغازات التي انبعثت من الانفجار والتي كونت الشموس التي لازالت حتى يومنا هذا تمنحنا الدفء وربما كان منطوق السموات في الرواية الاولى اشارة الى الشمس او النجوم التي تضيء من خلال سلسلة العمليات النووية التي تجري في قلبها.

أما الرماد ففيه اشارة الى العناصر التي كونت المادة الاساسية للارض وهي العناصر الكيمياوية والمعروفة لدينا، وهي الكاربون والحديد والمنغنيز والالمنيوم وماشابه ذلك.

٥ ـ في الرواية رقم (٢) يظهر في الوهلة الاولى شيء من الاختلاف بينها وبين الرواية (١)و(٣) لكن بشيء من التأمل ينتهي هذا الاختلاف فالرواية تشير الى ان الزبد الذي نشا من الريح كان في البداية متعددا ثم اصبح واحدا فتكونت منه أرض مكة المكرمة التي كانت أول أرض نشأت في كرتنا الارضية.

ثم بعد ذلك نشأت السموات والنجوم واستقرت في البروج فالرواية لاتختلف في كيفية الأرض والسماء عن الروايتين الاخريتين إلا أنها تركز على فكرة تكوين الأرض قبل السماء.

وهذا لايتناقض مع ماتوصل إليه العلم الحديث إذ أن برودة العناصر المادية التي تتكون منها الأرض أسرع من برودة العناصر الغازية التي تتكون منها النجوم والشموس.

٦ـ جاء في الروايات لفظ الريح كعامل لشق الماء، فما هو المقصود بالريح هنا، هل هو الهواء المعروف لدينا الآن وقد تبين ان الكون في بداية أمره كان خاليا من كل شيء سوى الماء، ام انه نوع من انواع القوة التي أوكل لها مهمة احداث التغيرات في جسيمات الذرة والتي نتج عنها الطاقة الهائلة. عندما نبدا بوصف الروايات علميا سنعرف ماهو المقصود بالريح في هذه الرواية وأن اللفظ لايعني الريح المعروفة لدينا وإنما استخدم الإمام اللفظ من باب تسهيل الفكرة لايصالها بصورة واضحة الى ا ذهان الناس في ذلك الوقت الذي لم يكن يسوده العلم والثقافة.

رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

ذكر امير المؤمنين عليه السلام وصفا دقيقا لعملية خلق السموات والارض وقد أ ورد الشريف الرضي هذا الوصف في نهج البلاغة في الخطبة الاولى، وقد جئنا على ذكر هذه الخطبة في نهاية الحديث عن الروايات الثلاثة السابقة التي بينت بشيء من الوضوح فكرة بداية الخلق، وكانت تمهيدا لفهم الخطبة التي فيها شيئا من التفصيل والتبيين.

قال امير المؤمنين عليه السلام (ثم أنشا سبحانه فتق الاجواء، وشق الارجاء وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطما تياره متراكما زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده،

وسلطها على شدِه، وقرنها الى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم انشا سبحانه ريحا اعتقم مهبها، وادام مُربَّها واعصف مجراها، وابعد منشأها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد اوله الى آخره، وساجيه الى مائره حتى عبَّ عبابه ورمى بالزبد رُاكامه، فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفا، ، وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها ولادسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب، وضياءالثواقب وأجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر) [٩].

ورد في الخطبة عدد من الالفاظ والعبارات التي تحمل معاني محورية في علم الفلك والفيزياء وهي:

فَتَقَ: بمعنى شَقَّ، واذ ذهبنا بعيدا في الكيمياء يصبح المعنى شطر انشطارا وهو مصطلح يدل على عملية تجرى داخل الذرة تتسبب في هروب الاكترونات وتسمى بالانشطار الذري الذي يرافقه طاقة هائلة.

الاجواء: جمع جو وفسر الجو بشيئين مابين السماء والارض، والفضاء الواسع لكن الصواب الثاني حيث ان كلامه عليه السلام عن الجو قبل خلق الارض والسماء [١٠].

سكائك الهواء: يقول ابن ابي الحديد في تفسيرذلك: (ان الفضاء الذي هو الفراغ الذي يحصل فيه الاجسام خلقه الله تعالى، ولم يكن من قبل وهذا يقتضي كون الفضاء شيئا لان المخلوق لايكون عدما محضا، وليس ذلك ببعيد فقد ذهب اليه قوم من اهل النظر، وجعلوه جسما لطيفا خارجا عن مشابه هذه الاجسام ومنهم من جعله مجردا) [١١].

ولما كانت المادة الاولى غير متكونة فلا بد ان يكون المقصود من الهواء هو الفضاء الخارجي كما ورد في حديث الامام الباقر السابق، فيصبح معنى سكائك هو قوى الجذب التي تحاول ان تمسك الاشياء في خطوط ثابتة.

الزعزع: شديدة تزعزع الاشياء، اي لها قابلية محركة للاشياء تنقلها من حالة السكون الى حالة الحركة.

فأمر بردها: أي ان الله أمر الرياح ان تحفظ الماء وترده عن الجري الذي سبقت الاشارة اليه بقوله (فأجرى فيها ماء) ثم حمله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق.

اي الهواء الذي هو محل الريح مفتوق اي مفتوح منبسط من تحت الريح الكاملة للماء، والماء دفيق من فوقها أي مصبوب مندفق والفرق انه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط، وهو موضع العجبى [١٢].

وليس هناك عجب اذا عرفنا ان المقصود بالريح والهواء ليس المعنى المتعارف، بل شيء آخر سنتعرف عليه بعد قليل.

٩- الخطبة الاولى من نهج البلاغة.

١٠- بهج الصباغة ١/٤١٨.

١١- ابن ابي الحديد ١/٢٧.

١٢- المجلسي: بحار الانوار ٥٧/١٨٤

ريحا اعتقم مهبها: أي ريح عقيمة اي ليس فيها صفات الريح العادية.
وأدام مُربَّها: أي اقامتها في محلها من قولهم مرب الابل لمكان لزمته.
فأمرها بتصفيق: الصفق الضرب الذي يسمع له صوت[١٣].
والتصفيق هو ضرب الكفين ببعض، فيتولد منها صوت عال.
مخض السقاء: اي الحركة التي تدخل داخل السقاء عندما يراد خض اللبن لاستخراج الزبد.
(ورمى بالزبد) الفقاعة التي تتكون في الماء.
هواء منفتق: اي منشق يفسح المجال لتكون الزبد.
وجو منفهق: اي متسع يصبح بمقدور الزبد أن يأخذ أي حجم يريده.
(موجا مكفوفا) أي: ممنوعاً من السقوط وكان مهمة الموج وهو الامساك بالكواكب والنجوم حتى لاتسقط.
سقفا محفوظا اي: مانعا يمنع خروج الكواكب الى فوق.
زينة الكواكب: فالكواكب تبعث الزينة فهي تزين السماء بما تعكسه من نور.
فهي ليست مصدر للضوء بل هي عاكسة له
وضياء الثواقب: والثواقب التي تثقب السماء بضيائها وهي الشمس التي هي مصدر للضوء.
فلك دائر: الافلاك التي تتكون من الكواكب والنجوم.
وسقف سائر: وهناك نطاق من الجاذبية يمسك بالاجرام يمنعها من الانفلات لكنها في ذات الوقت تسير ايضا فتسير معها الكواكب والنجوم.
رقيم: بمعنى كتاب وهنا يأتي بمعنى الخريطة، اي الخريطة والمعادلة الفلكية التي تسير وفقها الكواكب والنجوم وهذه الخريطة من صفاتها أنها متحركة وغير ثابتة.

المعنى الإجمالي للخطبة

أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الى قدرته سبحانه وتعالى في شق الفضاء والإمساك بالأشياء من جانب، وتحريك الأشياء ومنها الماء من جانب آخر، فهذا هو الأساس الذي قام على أساسه الخلق الأول، فقبل ان يخلق سبحانه الخلق صنع الظروف الكفيلة اللازمة للإيجاد من: فتق الاجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء ولم يكن في الفضاء في تلك اللحظة الكونية سوى الماء وكانت الرياح هي التي تمسك بالماء من تحت ومن الاطراف، فكلما أراد الماء ان يجتاز حده منعته الرياح.
فالرياح هنا قوة نجدها من ناحية تمسك بالماء، ومن ناحية نجدها أنها تتسبب في خروج الماء أي قوة موجبة وقوة سالبة تعمل باتجاهين متعاكسين وهذه هي الجاذبية التي تمسك بالاجسام، اوتدفع بالأجسام الى الخروج من االدائرة.
وفي اللحظة التي شاءت ارادة الله خلق الكون امر هذه الرياح التي كانت قد خرجت هذه المرة عن القاعدة لم يكن لها مهب، ولم يكن لها مسار بل استقرت في المكان الذي انطلقت منه.
انها قوة ضاغطة هائلة مركزة موجهة نحو جزئيات الماء، حول الماء الى كفين نجم عن ذلك صوت كبير، وأخذت تفعل بالماء كما يفعل صانع الزبد بالسقاء المملوء باللبن.

١٣ – صحاح اللغة: الجوهري ١٥٠٧/٤

ونتج عن هذه الحركة العنيفة الزبد، والزبد هو جزئيات متباعدة أخذت حيزا كبيرا في الفضاء حيث كانت الظرووف مواتية لذلك.

ومن هذا الزبد تكونت السموات السبع وانتظمت النجوم والكواكب التي اخذت تسير في مدارات منتظمة وفي حركة دائرية فكانت هناك حركتان: الاولى حركتها في مدار منظومة صغيرة وحركتها في منظومة اكبر وهذه اشارة الى حركة الكواكب في منظومة نجومية محدودة كالمنظومة الشمسية وحركة المنظومات النجومية في منظومة المجرة وهذا هو المعنى المستفاد من فلك دائر وسقف سائر.

تحليل للروايات على ضوء المفاهيم العلمية:

بعد ذلك التفصيل الذي أوردناه في المنظورين السابقين: منظور الاراء والنظريات العلمية ومنظور الاحاديث والروايات: حان الوقت لتحليل تلك الروايات على ضوء ماتوصل اليه العلم الحديث، لكن قبل كل شيء كان لابد من الاشارة الى نقطتين الاولى:

كل ماورد من معلومات حول بداية الخليقة لايخرج عن كونه مجرد فرضية، والفرضية قابلة للنقض سيما وان العلم البشري في تطور مستمر، وكلما زادت البشرية في علومها ازداد جهلها بالحقائق التي لم يكتشفها بعد وليس أدل على ذلك من قول العالم البريطاني فرانك كلوز حيث ذكر قائلا: (فنحن من ناحية نفهم الكون بأعمق ما فهمناه قط في تاريخ، ولدينا نظريات يمكن اختبارها تبين كيف انبثق الكون وكيف سيموت؟

الا اننا اصبحنا ايضا نعي اننا كلما زاد فهمنا زادت الاحتمالات الغريبة لجهلنا.

فالكون قد يكون في الحقيقة اغرب بكثير مما يمكننا ان ندركه) [١٤].

ثانيا: ان ماورد في الروايات والاحاديث بعد التدقيق في مصادرها تبين لنا حقائق الامور، الاحاديث فهي مطابقة للحقيقة التي ننشدها لانها صادرة عن رسول الله التي لايقول الا الحق (لاينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى) وهذا يجب ان نعتقد به بعد التيقن من وروده عن الامام ذلك لان ماورد على لسان الامام عليه السلام هو ماورد على لسان النبي صلى الله عليه وآله و هو ماورد في كتاب الله عز وجل.

لكن مشكلة هذه الروايات تكمن في مجال اللغة فلان الامام كان يتحدث في ذلك الوقت قبل اربعة عشر قرنا مع اناس لم يكتشفوا الذرة ولم يعرفوا المكرسكوب الالكتروني ولاشيء من هذا القبيل فكان حديثه بلغة بسيطة تتكون في ألفاظ وتعابير تتناسب عقولهم.

فاستعمل لفظ الريح بمعنى القوة القاصفة التي تقصف اجزاء الذرة و الجو بمعنى الفضاء لان هذه المفاهيم لم تكن معروفة في السابق فكان على اي باحث يريد التوصل الى الحقائق ان ينشد معاني تقرب مفاهيم تلك الالفاظ الى ماقصد منها. وهو امر ليس بالهين على الباحثين والدارسين في علم النص.

بعد ذكر هاتين النقطتين المهمتين ناتي على ذكر هذه الحقائق المستمدة من خطبة الامام امير المؤمنين عليه السلام ومن الروايات والاحاديث السابقة التي ذكرناها.

---

١٤ – ص٢٤٤.

أولا :الدمج بين نظريتي الانفجار الكبير و الانتفاخ:

يبدو من خطبة الامام امير المؤمنين عليه السلام والروايات التي ذكرناها ان البداية قد حدثت بشكل آخر يختلف عن نظرية علماء الفيزياء الفلكية الذين قالوا باحد الاحتمالين: اما الانفجار الكبير او الانتفاخ بينما ورد في الروايات الجمع بين الزبد ثم انفجر الزبد كما ينفجر البالون وهذا الانفجار حوّل الماء الى دخان ورماد.

يقول الامام الباقر عليه السلام : (خلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبداً ثم ارضا بيضاء نقية ليس فيها صدع ولاثقب ولاصعود ولاهبوط ولاشجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ماشاء الله ان يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولاثقب)[١٥].

ثانيا :نظرية النفخ، هي حقيقة مستمدة في القرآن الكريم ففي خلق الانسان جاء في كلام الله العزيز (فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين).

فإذا كان خلق الانسان نشأ من نفخة الهية حوّلت حفنة الطين الى بشر بالمليارات، فلربما نشا الكون ايضا من هذه النفخة الالهية التي حدثت قبل الانفجار.

وفي الاحاديث اشارات الى ان الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر الرياح بأن تنفخ في الماء فتصنع لنا الزبد الذي تكونت منه الاجرام والسموات فإذن: نشوء الكون من النفخ يؤيده القرآن الكريم.

ثالثا :ينتج الماء من تكون غازين هما الاوكسجين والهيدروجين فإذا سلطنا على مقدار من الماء طاقة عالية فهذه الطاقة تستطيع تجزئته الى هذين العنصرين ثمّ دخل الهيدروجين في سلسلة تفاعلات أدت الى نشوء النجوم، وايضا مصدر الطاقة في الكون كما يشكل التركيب الرئيسي لمادة الشمس ف ٩٢٪ من الشمس يتكون من الهيدروجين و ٧٪ من الهليوم والباقي يتكون من نوى عناصر ثقيلة هي الناتج العادم من التفاعلات الشمسية.

والذي يحدث في الشمس هو اصطدام ذرات الهيدروجين مع بعضها لتؤلف اربعة بروتونات فتنتج نواة واحدة من ذرة الهليوم، ولما كانت هذه الذرة اخف من البروتونات الاربعة فينطلق فارق الكتلة كطاقة نحس بها ونحن على سطح الكرة الارضية.

رابعا :تحت اي تأثير يتم الاندماج؟

اصبح من المعلوم لدى العلماء ان الانفجار الكبير الذي حدث هو نتيجة اندماج البروتونات، ولما كانت البروتونات جسيمات متنافرة فإن اندماجها لايتم بسهولة، فعندما يراد ان تلامس بروتون مع بروتون آخر كأنك لامست قطبين متشابهين للمغناطيس، وحتى يمكن التغلب على التنافر الكهربائي يتعين علينا ايجاد قوة داخل الذرة تستطيع ان تزيد من سرعة البروتونات بصورة كبيرة بحيث تتمكن هذه السرعة من التغلب على الشحنات المتشابهة فتصطدم البروتونات المتماثلة بعضها مع البعض الاخر في مقدار لايتجاوز جزء من البليون من جزء من الالف من الملميتر.

وسيتولد من هذا الاندماج الاحتراق.

---

١٥ – الكليني: الكافي ٩٤/٨.

والسؤال هو ماهي تلك القوة التي حملت بروتون من ذرة الهيدروجين أو بالاحرى من جزيئة الماء كما في الروايات ليصدم بروتونا آخر؟..فهل لفظ الريح الذي جاء في الرواية يستطيع ان يوضح لنا مايجري في الذرة من صدام بين البروتونات المتشابهة في الشحنة.

خامسا :بقي ان نعرف مصير الاوكسجين الذي انفصل عن ذرتين من الهيدروجين.

تشير معلومات العلماء: ان عملية الاصطدام حولت ذرة الاوكسجين الى نواة واحدة للهليوم ونواة للكربون، وهذا يفسر لنا وجود عناصر أخرى غير الهيدروجين في الشمس.

اما عن مصير الكربون فهو ايضا سيصبح هدفا للبروتونات الموجودة في كل مكان، فيمتص واحد منها ويتحول الى نيوتروجين، وبأصطدامين آخرين بالبروتونات ينبعث نشاط اشعاعي ينتج عنه الاوكسجين واشعة جاما وجسيمات اطياف ساخنة تسمى جسيمات النيوتريون تتدفق مع الشمس الى داخل الفضاء.

ويتم استهلاك البروتونات بمعدل ٥ ملايين في الثانية على مدى يوم وسنة وقرن طيلة الدهر.

هذا هو بالضبط مايحدث في النجوم وما حدث في السوبرنوفا التي تركزت فيها الكتلة في حيز صغير مسببة ذلك الانفجار الذي يقول العلماء عنه انه اوجد الكون ونجم عن الانفجار طاقة هائلة وجسيمات النيوترينو.

سادسا :كيفية تكوّن الكواكب والنجوم؟

يشير العلماء الى ان الكواكب والنجوم وجدت بعد الانفجار الكبير الذي وقع منذ مايقرب من ١٠- ٢٠ بليون سنة وظل الكون شفافا بسبب هذا الاشعاع لنحو ٧٠٠ الف سنة بعد الانفجار الكبير ومنذ ذلك الوقت اخذت المادة تتكتل معا في نجوم ومجرات.

واثناء ذلك استمر الاشعاع يتمدد ويبرد وهو الان عند درجة حرارة ٢٧٠ درجة مئوية ويهب هذا الاشعاع على جسمات المادة التي تشكل البنيات ذات المقياس الكبير في السموات . ويهبّ هذا الاشعاع على جسيمات مكونة في النهاية من الالكترونات والكواركات (بذور النوى الذرية) واشياء اخرى قليلة، تندمج كلها معا في الحرارة الاولية للانفجار الكبير عندما تكون درجة الحرارة بلايين عديدة من الدرجات.

وتتخثر الطاقات الى جسيمات وضديد الجسيمات:

اي كيانات من الكتلة نفسها، ولكن فيها شحنة كهربائية مضادة للجسيم المناظر.

وهكذا فإن الالكترون ذا الشحنة السالبة يتشكل ومعه نظيره ذو الشحنة الموجبة اي البوزيترون، وبالمثل فإن الكواركات التي تتجمع معا فيما بعد لتشكل البروتونات والنيوترونات، يتم تشكيلها ومعها ضديدات الكواركات (التي يصنع منها ضديدات البروتونات وضديدات النيوترونات والالكترونات إذ تحبط بالبروتونات تصنع ذرات المادة والبوزيترونات اذ تحيط بضديدات البروتونات وضديدات النيوترونات تصنع ذرات ضديد المادة)[١٦].

هذا مايقوله العلماء اما ماتقوله الروايات فإن جزئيات الماء عندما فرقتها النار تحولت الى دخان ورماد.

١٦- p.٢٥٠.

والدخان هنا اشارة الى الغازات التي تولدت من الماء منها غاز الهيدروجين غاز الاوكسجين ومن الهيدروجين تكون غاز الهليوم وهكذا ظلت عمليات الاندماج بين البروتونات قائمة حتى نتج منها بقية العناصر الثقيلة التي اصطلحت عليها الروايات بـ(الرماد) وهي مادة الارض.

وقد اشار (كلوز) الى هذه الحقيقة قائلا: (وفي هذه اللحظات الاولى من الانفجار الكبير حيث الكون ساخن بما لايمكن تصوره، اي اسخن كثيرا من اي نجم الان، فإن اي جسيمات ساخنة سوف تندفع فيما حولها مثل كل شيء آخر.

ولكن الكون بردت حرارته كما يبرد قدح القهوة في سيبيريا، وبالتالي تجمدت الجسيمات الثقيلة ساكنة خلال ثوان.

اما الجسيمات الأخرى الأخف فهي تتجمع لتبني المجرات والنجوم ثم تبني في النهاية المادة المألوفة اليوم)[١٧].

فالجسيمات الخفيفة واصلت اندماجها واحتراقها بينما الجسيمات الثقيلة استقرت على شكل كواكب وكويكبات.

النتيجة:

نجد بعد هذا الاستعراض كم تتطابق روايات واحاديث اهل البيت عليهم السلام مع معطيات العلم الحديث لانقول ذلك ضعفا، ولانريد من ذلك ان نستدل على صحة الروايات فهي صحيحة ومتينة حتى لو اخطأ العلم الحديث.

لكن مانريد ان نقوله هنا هو ضرورة العودة الى هذه الاحاديث والروايات لانها تشكل منظومة حقائق لايمكن ان نعيش بدونها حتى مع اقصى مايصل العلم من تقدم وتطور.

المصادر:

١. End Cosmic catastrophe And the fate of the Universe, frak Close, First published ١٩٨٨, simon schuster, England.

٢. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب: الفروع من الكافي، دار الكتب الاسلامية، إيران، ١٣٥٠ هـ.ش.

٣. القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، ط١، دار الحجة إيران قم.

٤. علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت لبنان.

٥. التستري: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، دار أمير كبير، ط. طهران، ١٤١٨ هـ.ق.

٦. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مؤسسة اسماعيليان، قم، إيران.

٧. المجلسي (محمد باقر) بحار الأنوار: المكتبة الإسلامية، ط٢، طهران، ١٣٩٤ هـ.ق.

٨. الجوهري اسماعيل بن حماد: الصحاح، ط ع، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٧ – ص٣٧.

أثر رأس المال الفكري
في
الابداع المنظمي

دراسة تحليلية في جامعة بابل

الأستاذ الدكتور عباس حسين جواد
المدرس المساعد خولة عبد الحميد محمد

أثر رأس المال الفكري في الابداع المنظمي

دراسة تحليلية في جامعة بابل

الأستاذ الدكتور عباس حسين جواد
المدرس المساعد خولة عبد الحميد محمد

المقدمة

تعود بدايات المعرفة إلى بداية خلق الإنسان, حيث خلقه الله سبحانه وتعالى على الفطرة,ثم علمه وهداه السبيل, كقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم(وعلم ادم الأسماء كلها)[1] ،(خلق الإنسان، علمه البيان) ومن السهوله تمييز الطابع التراكمي للمعرفة الإنسانية، إذ بين التاريخ لنا ما حققته الحضارات القديمة من تراكم معرفي مكن الإنسان من تحقيق إنجازات كبرى• ومن جانب أخرفان زيادة التقدم وتعقد واتساع مطالب الحياة أدى الى زيادة حاجة الإنسان الى استخدام قدراته العقلية بهدف التاثيرفي هذا التقدم وقيادته والسيطرة على مسارات تغيرات الحياة ومتطلباتها المتسارعه•

لذا نلاحظ ان المجتمعات المتقدمة لم تحرز تقدمها الا بفضل اعتمادها على المفكرين والمبدعين وأصحاب العقول المنتجة، وأصبحت قوة الدول تعتمد على مدى امتلاكها ناصية العلم والمعرفة فحققت بعض المجتمعات تقدما كبيرا اذ انها استفادت من طاقات وقدرات أبنائها الخلاقة وهذا ما دفع المختصين والباحثين قياس تقدم المجتمعات بعدد علماءها ومفكريها ودرجة التراكم العلمي والمعرفي الناتج لديها مما كان نقطة لانطلاق أو ظهور مفهوم جديد هو رأس المال الفكري (Intellectual Capital) في العقد الأخير من القرن العشرين, اذ أصبح رأس المال الفكري أو ما يسمى بالموجودات الغير ملموسة(Intangible Assets) في عصرنا الحالي من أهم عوامل نجاح المنظمات على اختلاف أنواعها وطبيعة أعمالها, فمنظمات اليوم تحتاج لاستغلال كل ما متاح لديها من موارد مالية ومادية وفكرية لتحقيق ما تصبوا اليه من أهداف, وعليها ان تبدع لتستمر في عالم المنافسة المتزايد.

وبفعل التقدم السريع الذي حصل في تقانة المعلومات والاتصالات, وضمن هذا التغيير الكبير أصبحت الخبرة البشرية رأس مال والمعلومات سلعة والإبداع والابتكار سمة النجاح والتطور, وتحول اهتمام المنظمات من الموارد الطبيعية إلى الموارد الفكرية , لذا فهي بحاجة إلى عقل معرفي وتنويع الرؤى للوصول إلى حلول إبداعية قادرة على تجاوز العقبات, فالإنسان أضحى أهم موجودات هذه المنظمات لكونه أساس بناءها وهو محور الإبداع, وهذا يدلل على أهمية دور العنصر البشري في التطوير وان الأتمتة هي عنصر مساعد, فلم تعد المسالة أعدادا بشرية ضخمة , ولا مساحات شاسعة,وإنما أصبحت القوة لمن يمتلك ناصية العلم والمعرفة.

سورة البقرة: الآية(٣١)

سورة الرحمن: الآيات(٤,٣)

وتأسيسا على ما تقدم, فان اهتمام منظماتنا المعاصرة بشكل عام والمنظمات المعرفية على وجه الخصوص برأس المال الفكري بات ضرورة ملحة لمواكبة ما يشهده العالم من تطورات علمية وتقنية في مختلف المجالات. وانطلاقا من ذلك, فقد اتجه البحث إلى دراسة مدى اهتمام المعنيين في جامعة بابل موضوع البحث برأس المال الفكري بهدف التعرف على طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة ومدى تأثيرها في الإبداع المنظمي للجامعة المذكورة ولتحقيق الأهداف المتوخاة من البحث فقد جاء على أربعة مباحث وهي :-

المبحث الأول: الاطار النظري للبحث.

المبحث الثاني: منهجية البحث.

المبحث الثالث: نتائج التحليل الميداني.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: الاطار النظري للبحث

يتناول هذا المبحث الجانب النظري لمتغيري البحث وكالآتي :

أولا:ـ مفهوم راس المال الفكري وعناصره.

١- مفهوم رأس المال الفكري(Intellectual Capital)

أدركت الكثير من المنظمات حقيقة مهمة وهي ان القيمة الحقيقية لها تستند على شيء قد يكون أكثر أهمية من رأس مالها المادي وهو ما يطلق عليه اليوم برأس المال الفكري , الذي يتمثل بمعرفة كيف, وإبداع العاملين , ومعرفة ومهارة الموظفين , وثقافة المنظمة, وعملياتها التنظيمية, وبراءات الاختراع , وكذلك علاقاتها مع الزبائن , واتسع نطاق مفهوم رأس المال الفكري على مستوى الدول المتقدمة , وعلى رأسها اليابان, ليمتد ويشمل كل الإمكانيات الفنية والمعنوية والثقافية والعقلية المتاحة للمنظمات التي تعمل على مستوى المجتمع ككل, (العنزي,٢٠٠١,١١٢) , ومن الجدير بالذكر انه في الوقت الحاضر أضحى رأس المال الفكري يمكن رؤيته بوضوح في المنظمات المالية والتعليمية والاستشارية .

وقد تناول مفهوم رأس المال الفكري العديد من الباحثين والكتاب, منهم (Yandt,et.al,١٩٩٦) عرفه بأنه قدرات منجزة يتمتع بها عدد محدود من الأفراد العاملين في المنظمة تمكنهم من تقديم إسهامات

فكرية تمكن المنظمة من زيادة إنتاجيتها, وتحقيق مستويات أداء عالية موازنة بالمنظمات المماثلة. في حين يرى(Stewart,١٩٩٩,٥٧) بأنه المعرفة الخارجة إلى حيز التطبيق ومستثمرة لصالح المنظمة لأن المعرفة تعد بمثابة أسلحة تنافسية في عصرنا هذا. اما(Seviby,١٩٩٧,١) فقد اشارة بانه إستراتيجية شاملة ومهمة للمنظمات ويتمثل بمعرفة ومهارة العاملين , وثقافة وقيمة المنظمات وهي املاك غير مادية للمنظمة. وقد عرف (Bowen,١٩٩٨) رأس المال الفكري بانه الذكاء الخام المملوك من قبل مجموعة اشخاص يعملون في المنظمة والذي يسهم في تقليل والغاء النتائج غير المقبولة وضمان نجاح المنظمات .

ووفقا لرأي (Kelley,١٩٩٨) فان رأس المال الفكري هو العاملون الذين يمثلون النجوم اللامعة والعقول المدبرة الذين يصعب ايجاد بديلا عنهم. وحسب رأي (Hansen,١٩٩٩) فان رأس المال الفكري هو الموجودات التنافسية التي تقوم بعملية التطوير الخلاق والإستراتيجي المعتمد على الابتكار والتجديد الذي يعد المفتاح المؤدي إلى البقاء في بيئة العمل المتغيرة بسرعة. وعرف (العنزي ,٢٠٠١, ١١٧) رأس المال الفكري بانه المعرفة المفيدة التي يمكن توظيفها واستثمارها بشكل صحيح لصالح المنظمة.

وبالنسبة لرأي(صالح,٢٠٠١,٦١) فقد بين ان رأس المال الفكري هو جزء من رأس المال البشري للمنظمة يتمثل بنخبة من العاملين الذين يمتلكون مجموعة من القدرات المعرفية والتنظيمية دون غيرهم, تمكنهم هذه القدرات من انتاج الافكار الجديدة وتطوير الافكار القديمة التي تمكن المنظمة من توسيع حصتها السوقية وتعظيم نقاط قوتها وتجعلها في موقع قادر على اختيار الفرصة المناسبة.

وتأسيسا على المفاهيم السابقة يمكن القول أن رأس المال الفكري :-

(هو مورد رئيسي يساعد على نجاح المنظمة ويمثل العاملين الذين يمتلكون الخبرات والمهارات والمعارف التي تمنح المنظمة ميزة تنافسية, وهو شيء ثمين وغير مرئي، يمكن المنظمة من تكوين ثروة كبيرة دون أن تظهر في قوائم الميزانية).

٢- عناصر رأس المال الفكري

اختلف الكتاب والباحثون حول عدد عناصر رأس المال الفكري فهناك من حددها بأربعة في حين آخرون حددها بأكثر من ذلك,فبالنسبة ل(Miller,١٩٩٨) فان عناصر رأس المال الفكري هي(صناعة رأس المال الفكري,والمحافظة على رأس المال الفكري,وتنشيط رأس المال الفكري,والاهتمام بالزبائن), ووفقا لرأي(Dzinkawski,١٩٩٩) هي(صناعة رأس المال الفكري,وبراءات الاختراع,وتقليد الشركات,والاهتمام بالزبائن), أما بالنسبة ل (عبيد,٢٠٠٠) فان عناصر رأس المال الفكري تتمثل بـ(استقطاب رأس المال الفكري,وصناعة رأس المال الفكري,وبراءات الاختراع,والمحافظة على رأس المال الفكري,وتنشيط رأس المال الفكري,والاهتمام بالزبائن).

وقد اتفق كل من(العنزي,٢٠٠١ , وبني حمدان,٢٠٠٢)على تحديد عناصر رأس المال الفكري ب(استقطاب رأس المال الفكري,وصناعة رأس المال الفكري,وتنشيط رأس المال الفكري,والمحافظة على رأس المال الفكري,والاهتمام بالزبائن).

وفي البحث الحالي سوف يعتمد على العناصر الأساسية لرأس المال الفكري والمتمثلة بـ(الاستقطاب, والصناعة, والتنشيط , والمحافظة, والاهتمام بالزبائن).

ثانيا: مفهوم الإبداع المنظمي والعوامل المؤثرة فيه

١- مفهوم الإبداع المنظمي (Organization Innovation)

يمثل الإبداع أداة أساسية لنمو المنظمات المعاصرة وبقاءها وقدرتها على التكيف مع الظروف البيئية , فالإبداع يشير الى شيء جديد يقدم لأول مرة بشرط ان يكون الشيء المقدم جديدا لم يتطرق اليه أحد من قبل أو سبق لأحد ان قدمه. وتستخدم مفاهيم الإبداع , الاختراع , والايجاد كمترادفات وتعني جميعا ولادة شيء جديد غير مألوف أو النظر الى الأشياء بطرق جديدة(القريوتي,١٩٩٣, ٢٥٧) , ففي مجال التمييز بين الإبداع (Innovation) والخلق(Creativity) فقد عرف (Ivancevich,١٩٩٧,٥٤٥) الخلق بوصفه القابلية على جلب شيء جديد الى أرض الوجود , أما الإبداع فعرفه بوصفه توليد فكرة جديدة وتنفيذها بتحويلها من حالتها المثالية الى الواقع . ويرى (Davies,١٩٨٨) ان الإبداع يمثل العمليات التي تستخدم في تطوير الاختراع (Invention) , بينما ذهبت (الدهان,١٩٩٢, ١٧٩) الى ان الإبداع يعد اختراعا في مرحلة التطبيق أي ان الاختراع يسبق الإبداع ويتوقف عند مستوى الفكرة أما الإبداع فيشمل تطبيق الفكرة. ويرى (Traill&Grunert,١٩٩٧,٤) ان هناك علاقة بين الإبداع والاختراع حيث حالما يتم إدخال الاختراع تجاريا فانه يشير إلى انه إبداع .

والى جانب الإشكالية القائمة بين المصطلحات السابقة هناك مصطلحات أخرى تدخل أحيانا في الالتباس القائم, فهناك مصطلح الاكتشاف(Discovery) والذي يقصد به كشف الرؤية عن شيء موجود أصلا(Marinus,٢٠٠٠,٤٩٨) , ومصطلح التغيير(Change) الذي يعني تبني فكرة أو اسلوب جديد من قبل المنظمة(Daft,٢٠٠١,).

وقد حاول الكثير من الباحثين وضع تعاريف اختلفت في شموليتها فقد عرفه (Schermerhorn,١٩٩٧,٤٠) بانه عملية خلق أفكار جديدة ووضعها قيد التطبيق العملي. وبالنسبة (Amabile,١٩٩٨,٧٨) هو التعبير عن أفكار أصيلة تماما, لكن الأصالة وحدها لا تكفي من أجل ان تكون مبدعا فالفكرة يجب ان تكون مناسبة وممكنة التطبيق ويجب ان تؤثر على الكيفية التي تنفذ بها الأعمال لتطوير منتوج أو تحسين العملية. في حين عرف(Robbins,١٩٩٩,٤٠٤) الابداع بانه العمليات التي تؤدي إلى خلق فكرة وإخراجها من خلال منتوج أو خدمة مفيدة أو طرائق من العمليات. ويرى(Kotler,٢٠٠٠,٣٥٥) ان الإبداع يشير إلى أية سلعة أو خدمة أو فكرة التي يتم إدراكها وفهمها من أي شخص على انها مفيدة وجديدة.

ووفقا لرأي(Marinus,٢٠٠٠,٢٥) فان الإبداع هو العملية التي تعطي شيئا لم يكن موجودا سابقا. وبالنسبة ل(Daft,٢٠٠١,٣٥٧) فانه تبني فكرة أو سلوك جديد لصناعة المنظمة أو سوقها أو بيئتها العامة. ويرى (العاني,٢٠٠٢, ٢٤) ان الابداع هو إيجاد حلول متعددة للمشكلة نفسها أو النظر للحالة نفسها بأوجه مختلفة.

واستنادا إلى ما تقدم فانه يمكن القول أن الإبداع هو :ـ

ابتكار أشياء جديدة ,سلعة ,خدمة, فكرة, تتميز بالندرة وتحقق منفعة اقتصادية أو اجتماعية.

٢ـ العوامل المؤثرة في الإبداع المنظمي

تناول العديد من الباحثين العوامل المؤثرة في تبني الإبداع المنظمي واختلفوا في عددها فبالنسبة لـ(Thompson,١٩٦٥,١٠)تتمثل بـ(التحصيل العلمي, والهيكل التنظيمي, والدعم المنظمي), وبالنسبة لـ(Daft,١٩٧٨,٢٠٩) تمثلت بـ(التحصيل العلمي, وحجم المنظمة, والمشاركة في اتخاذ القرار).

في حين يرى (Hage&Anthony,١٩٩١,٥٩٧) بان العوامل المؤثرة في الإبداع المنظمي هي(خبرة ومهارة العاملين, والتحصيل العلمي, والمنصب الوظيفي, والدعم المنظمي, والثقافة المنظمية, واسلوب القيادة) , ويرى (Ibarra,١٩٩٣,٤٧١) ان هذه العوامل هي (نمط التفكير, والتحصيل العلمي, والمنصب الوظيفي, والثقافة المنظمية, والمركزية واللامركزية, ونمط القيادة). وبالنسبة لـ(Amabile,١٩٩٨,٨٠) فان العوامل المؤثرة في الإبداع المنظمي تتمثل ب(نمط التفكير, والرسمية والمركزية, ونمط القيادة, والثقافة المنظمية, والدعم المنظمي), في حين ترى (العزاوي,٢٠٠٠,٨١) ان العوامل المؤثرة في الابداع هي (الثقافة المنظمية, والرسمية والمركزية, ونمط القيادة, والخبرة والمهارة).

وبناءا على ما تقدم فان البحث الحالي سوف يعتمد على العوامل الأساسية المؤثرة في تبني الإبداع المنظمي وهي : ثقافة الإبداع , ونمط القيادة, والدعم المنظمي للإبداع.

المبحث الثاني: منهجية البحث

يتضمن هذا المبحث المحاور الآتية :

أولا: مشكلة البحث

أصبح رأس المال الفكري في الاقتصاد العالمي الجديد(اقتصاد المعرفة) يمثل المورد الرئيس لأية منظمة وهو أساس إبداعها وسر نجاحها لذا فقد أدركت اغلب المنظمات وبخاصة المعرفية منها حقيقة مهمة هي ان العاملين مورد ثمين يتفوق في أهميته على باقي الموارد المنظمية, وان رأس المال الفكري هو الموجود الغير ملموس الأكثر أهمية لذا يجب ادارته كما تدار الموجودات المادية الأخرى,إذ ان التحولات السريعة التي تجري في المجتمعات المعاصرة تلقي على عاتق المنظمات المعرفية مسؤولية كبيرة لتجاوز العقبات وتحقيق ما تصبوا إليه من أهداف, لذا فالأمر يستلزم منها ان تكون أنموذجا للمنظمات الأخرى.

وعلى الرغم من أهميه هذه الحقيقة, فان الاهتمام برأس المال الفكري على مستوى المنظمات العاملة في المجتمع العراقي وبخاصة المنظمات العلمية والخدمية مازال دون المستوى المطلوب, فغالبا ما تتجاهل القيادات الإدارية في هذه المنظمات أهمية الموجودات الفكرية, إذ ينحصر اهتمام هذه القيادات حول كيفية تطبيق الأنظمة والتعليمات ذات العلاقة بالموجودات المادية دون سواها وتغفل الثروة الحقيقية المتمثلة بالموجودات الفكرية.

ومما تجدر الاشار اليه, فان المنظمات العلمية ومنها المنظمة المبحوثة تظهر اهتماما محدودا في استخدام ما متوفر لديها من قدرات إبداعية للعاملين فيها إسوة بالموجودات الاخرى, مما ادى الى عدم امكانية هذه المنظمات من استغلال مهارات وخبرات الكوادر العاملة فيها بالشكل الذي يمكنها من النهوض بالمسؤوليات الملقاة على عاتقها والمتمثلة باعداد كوادر علمية وفنية مؤهلة وقادرة على المساهمة في تنفيذ خطط التنمية الشاملة التي يصبوا اليها المجتمع.

ثانيا: أهمـية البحث

يمكن تجسيد أهمية البحث الحالي بالآتي :ـ

١- يعد رأس المال الفكري والإبداع المنظمي اهم مصادر الثروة ودعائم القوة في جميع المنظمات وبخاصة العلمية منها,إذ ان هذه الأهمية تفرضها طبيعة التحدي العلمي والتكنولوجي المعاصر.

٢- يتميز متغيري البحث بأهمية خاصة كونهما من المتغيرات الحديثة في ادب الادارة المعاصرة,وان دراستهما تسهم في تعريف الجامعات العراقية بصورة عامة وجامعة بابل بصورة خاصة باهمية هذين المتغيرين ودورهما في نجاح المنظمات.

٣- تحتل عملية تحديد العاملين من اصحاب الخبرات والقدرات الإبداعية واستقطابهم ورعايتهم والمحافظة عليهم أهمية خاصة بالنسبة للمنظمات لما لذلك من أثر بالغ في ديمومتها ونجاحها.

٤- ان نتائج العلاقات الارتباطية والتأثيرية بين المتغيرين (رأس المال الفكري والإبداع المنظمي) والتي سيتم التوصل إليها من خلال الدراسة الميدانية تساعد القيادات الإدارية في المنظمة المبحوثة بالتعرف على العناصر الأقوى ارتباطا والأكثر تأثيرا لغرض زيادة الاهتمام بها وإعطاءها الأولوية اللازمة للارتقاء بمستوى خبرات ومهارات العاملين وتعزيز الممارسات الإبداعية لديهم.

ثالثا: أهداف البحث

تتجسد أهداف البحث الحالية بالآتي :ـ

١ـ تحديد طبيعة رأس المال الفكري في الجامعة المبحوثة.

٢ـ التعرف على الأساليب المعتمدة من قبل هذه المؤسسة العلمية في تطوير القدرات والامكانات ذات العلاقة برأس المال الفكري المتواجد فيها.

٣- يهدف البحث الى بناء قاعدة معلوماتية لمتغيري البحث من خلال تحديد مفهوم كل منهما مع تحديد العلاقة والأثر بين المتغيرين المذكورين.

٤- تزويد الادارة العليا في الجامعة المبحوثة بتصور علمي يمكن من خلاله تطوير الأساليب الإدارية المعتمدة من قبلها لتطوير خبرات ومهارات وامكانات العاملين فيها وتعزيز الإبداع المنظمي وبما يحقق ما تصبوا اليه في المجالات العلمية والتربوية.

رابعا: أنموذج البحث

يفترض أنموذج البحث وجود علاقة ارتباطية بين عناصر رأس المال الفكري (استقطاب, وصناعة, وتنشيط,, والمحافظة, والاهتمام بالزبائن) وأبعاد الإبداع المنظمي(ثقافة الإبداع ,ونمط القيادة,والدعم المنظمي للإبداع) فعند الاهتمام برأس المال الفكري سوف يزداد الإبداع المنظمي والعكس صحيح, والشكل(١) يبين الأنموذج المفاهيمي للبحث.

شكل(١) أنموذج البحث

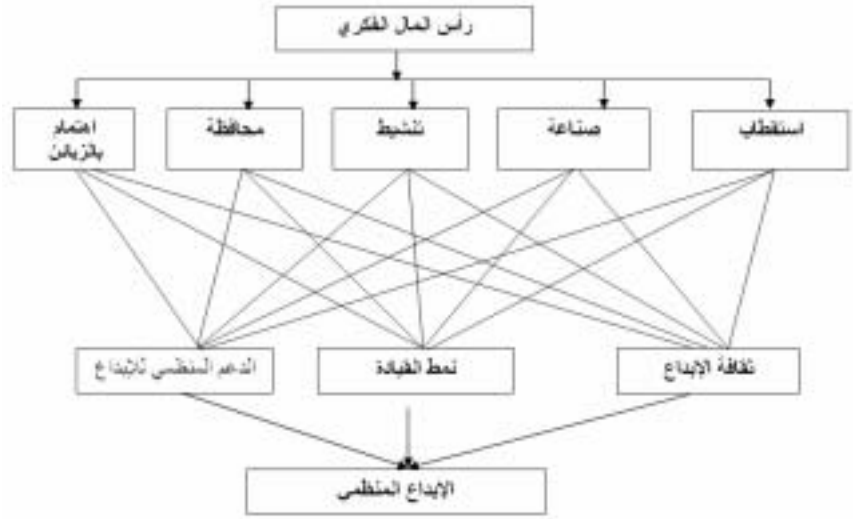

في ضوء الأنموذج السابق تم صياغة الفرضيتين الآتيتين :

أولا :ـ الفرضية الرئيسية الأولى ((لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين رأس المال الفكري والإبداع المنظمي)) ومنها تنبثق الفرضيات الفرعية التالية :ـ

أ. لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين استقطاب رأس المال الفكري والإبداع المنظمي.

ب- لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين صناعة رأس المال الفكري والإبداع المنظمي.

ج- لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين تنشيط رأس المال الفكري والإبداع المنظمي.

د- لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين المحافظة على رأس المال الفكري والإبداع المنظمي.

و- لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الاهتمام بالزبائن والإبداع المنظمي.

ثانيا :ـ الفرضية الرئيسة الثانية ((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لرأس المال الفكري في الإبداع المنظمي)) ومنها تنبثق الفرضيات الفرعية التالية :ـ

أ- لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لاستقطاب رأس المال الفكري في الإبداع المنظمي.

ب- لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لصناعة رأس المال الفكري في الإبداع المنظمي.

ج- لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لتنشيط رأس المال الفكري في الإبداع المنظمي.

د- لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية للمحافظة على رأس المال الفكري في الإبداع المنظمي.

و- لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية للاهتمام بالزبائن في الإبداع المنظمي.

ولأجل فهم متغيرات البحث واستيعاب مفهوم كل منهما ,ارتأى الباحثان أن يتم تعريفها اجرائيا وكما يأتي :ـ

١- رأس المال الفكري: يقصد به العاملين الذين يمثلون النجوم اللامعة والعقول المدبرة التي تقوم بعملية التطوير الخلاق والاستراتيجي المعتمد على الابتكار والتجديد تمنح المنظمة ميزة تنافسية.

٢- استقطاب رأس المال الفكري: قدرة المنظمة في البحث عن العاملين من أصحاب المعارف والمهارات والخبرات المميزة والنادرة وجذبها للعمل فيها من خلال استخدام نظام معلومات واضح يسهل مهمة البحث والاختيار. والمنظمات تبقى بحاجة ماسة إلى الأفراد من أصحاب العقول المبدعة والكفاءات المميزة لذا فهي تعمل بصورة دائمة من أجل استقطاب مثل هؤلاء العاملين.

٣- صناعة رأس المال الفكري: إمكانية المنظمة على تنمية قدرات العاملين,وخلق روح التعاون الجماعي في حل المشكلات من خلال التعليم والتدريب والممارسة والمشاركة في اتخاذ القرارات وزيادة التفاعل بين العاملين,مع تشجيع العلاقات الانسانية في محيط العمل.

٤- تنشيط رأس المال الفكري: مجموعة الأساليب المستخدمة من قبل المنظمة لانعاش عملية الإبداع والابتكار لدى العاملين فيها باستمرار إذ ان أغلب المنظمات تسعى إلى العمل بمبدأ التنشيط المكثف للتشيع بالمعرفة منذ البداية وذلك من خلال توفير الجو المناسب للمشاركة في حل المشكلات وتوليد الأفكار المبدعة وكذلك العمل بفكرة الجماعات الحماسية والإدارة على الكشوف وغيرها كأساس للتعلم والتطوير.

٥- المحافظة على رأس المال الفكري: محافظة المنظمة على العاملين أصحاب العقول المبدعة القادرين على توليد افكار جديدة أو تطوير افكار موجودة تخدم المنظمة.

٦- الاهتمام بالزبائن: يعني الاهتمام بآراء ومقترحات الزبائن واخذها بنظر الاعتبار عند تصميم منتجات أو خدمات جديدة أو تطوير الموجودة منها، وذلك من خلال فهم البيئة الأساسية والتعرف على احتياجات ورغبات الزبائن والاحتفاظ بعلاقات حقيقية وراسخة مع الزبائن الرئيسين وكسب زبائن جدد.

٧- الإبداع المنظمي: يقصد به ابتكار اشياء جديدة سواء كانت سلعة أو خدمة أو فكرة تتميزة بالندرة وتحقق منفعة اقتصادية واجتماعية. أو بعبارة أخرى، عملية خلق أفكار جديدة ووضعها قيد التطبيق العملي..

٨- ثقافة الإبداع: ايجاد قيم واهداف مشتركة بين ادارة المنظمة والعاملين فيها ترتكز على تلبية احتياجات العاملين,ومعاملتهم كموارد بشرية معرفية ورعايتهم والاهتمام بهم وتدريبهم وترسيخ معايير الأداء المتميز فيهم.

٩- نمط القيادة: مدى ايمان القيادة بالإبداع كنشاط لا يمكن الاستغناء عنه.

١٠- الدعم المنظمي للإبداع: يتمثل بالتسهيلات المنظمية من تخصيصات مالية وموارد بشرية قادرة على تفعيل الإبداع فيها.

خامسا: عينة البحث والأدوات

اعترافا بالأهمية التي تشكلها المنظمات المعرفية في عصرنا الحالي لكونها تمثل أساس رأس المال الفكري لأية دولة,والرافد الذي يرفد باقي المنظمات العاملة في المجتمع على اختلاف انواعها بالكوادر العلمية المتخصصة والمؤهلة,مع تقديم الاستشارات لها. لذا تم اختيار جامعة بابل مجتمعا للدراسة لأنها تمثل احدى المنظمات المعرفية ويمكن ان تحقق هدف البحث.

تأسست جامعة بابل في ١٩٩١/٤/٢٥في ظل الظروف الصعبة التي كان يمر بها القطر,وقد سعت الجامعة منذ تأسيسها الى الاهتمام بالجوانب العلمية,فقد هيأت الملاكات التدريسية والفنية لتحقيق رسالتها ووفرت الأجواء المناسبة والمستلزمات الضرورية للدراسة واجراء البحوث مثل قاعات المحاضرات والمختبرات والأجهزة والمعدات والكتب المنهجية والمساعدة.

وقد شهدت الجامعة تطورا كبيرا فكانت تضم في بداية تأسيسها اربع كليات هي(التربية الفنية, القانون, الهندسة, العلوم) ثم أصبحت تضم إحدى عشرة كلية لغاية عام ٢٠٠١,اذ تم استحداث سبع كليات هي(الطب,والتربية,والتربية الرياضية,والمعلمين,وتربية/كربلاء, والادارة والاقتصاد/كربلاء, والقانون/كربلاء), وقد دخلت الجامعة ميدان الدراسات العليا بدراسة الماجستير والدكتوراه, كما تم استحداث اربعة مراكز بحثية وخدمية تشمل الحاسبة الالكترونية, ومركز وثائق ودراسات الحلة, ومركز الدراسات البابلية, ومركز البيئة المحلية, ووحدة اعادة الاعمار.

اما بخصوص عينة البحث, فقد تم تحديدها بعينة من اساتذة الجامعة وكذلك العاملين في المناصب الادارية المتقدمة لامتلاكهم خبرات ومهارات علمية وادارية وتمتعهم بالصلاحيات اللازمة لتطوير الاداء الجامعي.

وعلى هذا الأساس فقد بلغ حجم العينة(١٢٢) فردا, بلغت نسبة الذكور فيها(٨٤٪) والاناث(١٦٪) ,المتزوجون منهم (٨٤٪) وغير المتزوجون(١٦٪) وكان المؤهل العلمي لأفراد العينة دكتوراه بنسبة(٥٩٪), ماجستير(٢٨٪), بكالوريوس(٧٪), ودبلوم فني(٦٪), وبألقاب علمية, أستاذ بنسبة(١٢٪) , أستاذ مساعد(٤٢٪) , مدرس(١٤٪), مدرس مساعد(١٨٪), ومدرب فني(١٤٪).

ان حدود البحث الحالي تحددت باعداد مختارة من العاملين في جامعة بابل من شاغلي المناصب الوظيفية(رئيس جامعة,مساعد رئيس جامعة,عمداء كليات,معاونو عمداء,رؤساء الاقسام العلمية,مسؤولي الوحدات,بالاضافة الى عدد من اساتذة الجامعة), اما الحدود الزمانية فهي محددة بفترة اجراء البحث للمدة من ٢٠٠٦/١/١٥ولغاية ٢٠٠٦/٤/١٥.

لقد استخدم الباحثان عدد من الاساليب في جمع البيانات والمعلومات منها :ـ

١- المصادر التاريخية.

٢- مصادر تقنية(الاستعانة بشبكة الانترنيت).

٣- المقابلات الشخصية.

٤- استمارة الاستبيان : تم تصميم استمارة الاستبيان بالاعتماد على مراجعة الادبيات المتعلقة بالموضوع, وتكونت من قسمين, الاول يتمثل ببيانات عامة متعلقة بالسمات الشخصية والوظيفية, اما القسم الثاني فقد تضمن (٥٦) عبارة تركزت على عناصر رأس المال الفكري والإبداع المنظمي. وقد اعتمد على بعض المقاييس في قياس متغيراتها, فبالنسبة لقياس رأس المال الفكري تم الاعتماد على مقياس(العنزي,٢٠٠٢ , Stewart,١٩٩, وبني حمدان٢٠٠٢).اما الإبداع المنظمي فقد اعتمد على(السامرائي,١٩٩٩ , والملوك,٢٠٠٢).

وتم عرض الصيغة الأولية للفقرات على مجموعة من الخبراء والمحكمين من ذوي الاختصاص وقد حصلت فقرات الاستمارة على نسبة تأييد(٨٥٪) مما اعتبرت صادقة من الناحية الظاهرية, اضف الى ذلك فقد استخدم معامل (الفا كرونباخ,ومعامل ارتباط التجزئة النصفية) للتحقق من صدق وثبات البحث,

وقد بلغت معاملات الصدق والثبات لعناصر رأس المال الفكري وأبعاد الإبداع المنظمي (٠,٨٢٤ ,٠,٧٣٥) على الترتيب وهي تعد مقبولة من الناحيتين الإحصائية والادارية.

المبحث الثالث: نتائج التحليل الميداني

أولا: عرض نتائج استجابات أفراد العينة

لقياس مستوى الاستجابة لأفراد العينة تم تحويل الاجابات على مقياس ليكرت الخماسي الذي يتوزع من أعلى وزن له والذي أعطي(٥) درجات لتمثل حقل الإجابة(أتفق تماما) الى أوطأ وزن له والذي أعطي (١) درجة واحدة لتمثل حقل الإجابة(لا أتفق إطلاقا) وبينهما ثلاثة اوزان أخرى هي (٢,٣,٤) لتمثل حقول الإجابة (أتفق, محايد,لا أتفق)على الترتيب.

من جانب آخر, اعتمد الوسط الفرضي البالغ(٣) كمعيار لقياس وتقييم الدرجة المتحصل عليها من خلال استجابات افراد العينة, وذلك ضمن التقدير اللفظي لأوزان استمارة الاستبيان الخمس, علما بأن الوسط الفرضي (٣) هو عبارة عن الوسط الحسابي لأوزان المقياس, أي ان

$$\frac{١+٢+٣+٤+٥}{٥} = ٣$$

وتأسيسا على ما تقدم, سيتم اعطاء الوصف التفصيلي لاستجابات افراد العينة.

١- عرض نتائج استجابات أفراد العينة حول عناصر رأس المال الفكري : يشير الجدول(١) الى الوصف العام لاستجابات أفراد العينة.

جدول(١) التوزيع التكراري لعناصر رأس المال الفكري

تسلسل العنصر	تسلسل الفقرات	المؤشرات الإحصائية		
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
استقطاب رأس المال الفكري	١- تبحث ادارة المنظمة عن اصحاب الشهادات والخبرات وجذبهم للعمل فيها.	٣,٩٥	١,١٤	٪٧٤,٥٩
	٢- تعتمد ادارة المنظمة سياسة واضحة في استقطاب المتميزين من الكوادر العلمية.	٣,٦٨	١,٢٨	٪٦١,٤٨
	٣- تقدم ادارة المنظمة التسهيلات المطلوبة لتعيين المبدعين فيها.	٣,٤٩	١,٢٥	٪٥٣,٢٨
	٤- يسهل نظام المعلومات المعتمد عملية جذب واستقطاب المتميزين من المتقدمين للعمل فيها.	٣,٣٠	١,١٤	٪٤٦,٧٢
	٥- تعين ادارة المنظمة الطلبة المتميزين بعد تخرجهم.	٣,٣٦	١,٢١	٪٥٠,٥٠

	٦- تقدم ادارة المنظمة رواتب ومحفزات جيدة لأصحاب الشهادات والخبرات مقارنة بالمنظمات الاخرى.	٣,٠٤	١,٤٣	٪٤٣,٤٤
	٧- تعتمد ادارة المنظمة على العاملين من ذوي الخبرة وأصحاب الخدمة الطويلة لشغل الوظائف المهمة.	٣,٤٧	١,٢٦	٪٥٦,٥٦
أولا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٤٧	١,٢٤	٪٥٥,٢٢
صناعة رأس المال الفكري	٨- تسعى ادارة المنظمة الى تعزيز القدرات الذهنية للعاملين.	٣,٥٧	١,١٤	٪٥٦,٥٦
	٩- توفر ادارة المنظمة فرص كافية للعاملين لمناقشة المشاكل الخاصة بامور العمل.	٣,٤٤	١,١٧	٪٥٢,٤٦
	١٠- تسعى ادارة المنظمة الى ايفاد منتسبيها خارج القطر للاطلاع على المستجدات العلمية في حقل الاختصاص.	٣,٣٩	١,٣٥	٪٥٠,٨٢
	١١- تسعى ادارة المنظمة الى تنمية العلاقات الانسانية بين العاملين.	٣,٦٨	١,١٠	٪٦٠,٦٦
	١٢- تناقش ادارة المنظمة آراء ومقترحات العاملين الخاصة بتطوير العمل.	٣,٦٧	١,٠٩	٪٥٩,٨٤
	١٣- تشجع ادارة المنظمة باستمرار المنافسة بين العاملين من ذوي القدرات الإبداعية	٣,٤٠	١,٢٢	٪٤٩,١٨
	١٤- تشجع ادارة المنظمة الحوار المباشر مع العاملين بغية انضاج الافكار الإبداعية.	٣,٥٦	١,٢١	٪٥٦,٥٦
ثانيا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٥٣	١,١٨	٪٥٥,١٥
تنشيط رأس المال الفكري	١٥- تستخدم ادارة المنظمة طريقة عصف الافكار لاثارة القدرات الإبداعية وتوليد اكبر عدد من الافكار لحل المشكلات.	٣,١٢	١,١٣	٪٤٠,٩٨
	١٦- تحاول ادارة المنظمة اشراك جميع العاملين في دورات تخصصية تتلاءم وطبيعة الاعمال التي يقومون بها.	٣,٢٦	١,٣٠	٪٤٩,١٨
	١٧- تشجع ادارة المنظمة مشاركة العاملين في المؤتمرات العلمية ومتابعة الدورات المتخصصة.	٣,٧١	١,٠٧	٪٦٤,٧٥

	١٨- تتبنى ادارة المنظمة مبدأ تكوين الجماعات الحماسية التي تتسم بالتحدي والانجازات العالية في العمل.	٣,٠٦	١,١٣	٤٠,١٦٪
	١٩- تحث ادارة المنظمة على العمل والبحث الدءوب عن كل ما هو جديد.	٣,٧٧	١,١٠	٦٦,٣٩٪
	٢٠- تكلف ادارة المنظمة العاملين بمهام صعبة وجديدة.	٣,٣٠	١,٠٧	٤٣,٤٤٪
	٢١- توفر ادارة المنظمة التقنيات الحديثة (كالحاسوب,الانترنيت,وغير ذلك)للعاملين.	٣,٠٢	١,٠٣	٧٥,٤١٪
ثالثا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٤٦	١,١٢	٥٤,٣٣٪
المحافظة على رأس المال الفكري	٢٢- تسعى ادارة المنظمة الى تكوين علاقات طيبة وايجابية مع العاملين.	٣,٠٣	١,٠١	٧٧,٠٥٪
	٢٣- تمنح ادارة المنظمة محفزات مادية ومعنوية لأصحاب الابتكارات والإبداعات.	٣,٣٧	١,٢٨	٥٢,٤٦٪
	٢٤- تهتم ادارة المنظمة باشراك العاملين في دورات تدريبية لغرض تطوير وتنمية مهاراتهم وخبراتهم.	٣,٤٨	١,١٥	٥٦,٥٦٪
	٢٥- تتعامل ادارة المنظمة مع العاملين ذوي القدرات المتميزة على أساس الثقة.	٣,٣٠	١,٢١	٥٠,٠٠٪
	٢٦- تبذل ادارة المنظمة قصارى جهدها من اجل المحافظة على العاملين ذوي الخبرة والاختصاص.	٣,٦٩	١,١٢	٦٢,٣٠٪
	٢٧- تحافظ ادارة المنظمة على المكانة الاجتماعية والوظيفية للعاملين اصحاب القدرات الإبداعية.	٣,٤٨	١,١٨	٥٧,٣٨٪
	٢٨- يتم تقييم العاملين في المنظمة على أساس ما يبذلونه من جهد علمي وعملي.	٣,٥٧	١,٢٥	٥٦,٥٦٪
رابعا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٥٦	١,١٧	٥٩,٠٢٪
الاهتمام بالزبائن	٢٩- تهتم ادارة المنظمة بتعزيز وتطوير العلاقات والتعامل مع المنظمات المختلفة.	٣,٧٥	٠,٩٣	٦٤,٧٥٪
	٣٠- تجهز ادارة المنظمة المختبرات والورش بالأجهزة الحديثة والمتطورة.	٣,٦٣	١,١٥	٦٢,٣٠٪
	٣١- تتوفر لدى ادارة المنظمة رؤية واضحة عن البيئة التي تعمل فيها المؤسسة التعليمية.	٣,٣٨	١,٢٣	٥٠,٠٠٪

	٣٢- يوجد في المنظمة مكتب استشاري يساهم في تقديم خدمات متعددة ومتنوعة للمجتمع.	٣,٤٢	١,٢٣	٥٧,٣٨٪
	٣٣- تتكيف المنظمة بسرعة مع المتغيرات البيئية.	٣,٤١	١,١٤	٥٣,٢٨٪
	٣٤- تحرص ادارة المنظمة على استحداث تخصصات علمية جديدة تنسجم مع متطلبات المجتمع.	٣,٦٧	١,٠٨	٦٣,١٢٪
	٣٥- تحرص ادارة المنظمة على تهيئة مستلزمات العملية العلمية والتربوية.	٣,٧٦	٠,٩٩	٦٥,٥٧٪
خامسا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٥٨	١,١١	٥٩,٤٩٪

ويتضح من خلال النتائج النهائية الواردة بالجدول اعلاه ما يلي :

١- بالنسبة لعنصر استقطاب رأس المال الفكري فقد حصل هذا المؤشر على وسط حسابي موزون مقداره (٣,٤٧)وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ(٣) ,وبانحراف معياري (١,٢٤) ووزن مئوي(٥٥,٢٢٪).وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة (تبحث ادارة المنظمة عن أصحاب الشهادات العليا والخبرات للعمل فيها), احتلت المرتبة الأولى حيث انها جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٩٥), وبانحراف معياري(١,١٤)وبوزن مئوي(٧٤,٥٩٪), في حين احتلت فقرة (اعتماد سياسة واضحة في استقطاب المتميزين من الكوادر العلمية) المرتبة الثانية ,حيث حصلت على متوسط موزون مقداره(٣,٦٨),وبانحرف معياري(١,٢٨) وبوزن مئوي(٦١,٤٨٪), اما فقرة(اعتماد ادارة المنظمة على العاملين من ذوي الخبرة واصحاب الخدمة الطويلة لشغل الوظائف المهمة) ,فقد احتلت المرتبة الثالثة حيث جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٤٧),وبانحرف معياري(١,٢٦)وبوزن مئوي(٥٦,٥٦٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي : تقدم ادارة المنظمة التسهيلات المطلوبة, وتعين ادارة المنظمة الطلبة المتميزين, ويسهل نظام المعلومات المعتمد عملية جذب واستقطاب المتميزين, وتقدم ادارة المنظمة رواتب ومحفزات جيدة لاصحاب الشهادات والخبرات, حيث جاءت بمتوسطات موزونة(٣,٠٤, ٣,٣٠, ٣,٣٦, ٣,٤٩) , وباوزان مئوية (٤٣,٤٤% ,٤٦,٧٢٪ ,٥٠,٥٠٪ ,٥٣,٢٨٪) على الترتيب.

مما تقدم يتضح ان ادارة المنظمة تهتم باستقطاب رأس المال الفكري بدرجة اعلى من المتوسط بقليل, مما يستوجب زيادة الاهتمام بعملية الاستقطاب من خلال البحث عن اصحاب الشهادات والخبرات وجذبهم للعمل فيها, مع وضع سياسة واضحة ومفهومة وبحسب معايير مناسبة لاستقطاب المتميزين من الكوادر العلمية وضرورة تعيين واحتضان الطلبة المتميزين واتاحة الفرص المناسبة لهم لاستكمال دراستهم العليا.

٢- وفيما يتعلق بعنصر صناعة رأس المال الفكري, فقد جاء هذا المؤشر بوسط حسابي موزون مقداره(٣,٥٣) اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣), وبانحراف معياري(١,١٨) ووزن مئوي(٥٥,١٥٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة(تسعى ادارة المنظمة الى تنمية العلاقات الانسانية بين العاملين) ,احتلت المرتبة الاولى اذ انها جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٦٨) , وبانحراف معياري ١,١٠)) وبوزن مئوي(٦٠,٦٦٪), اما فقرة (تناقش ادارة المنظمة آراء ومقترحات العاملين الخاصة بامور العمل),

فقد جاءت بالمرتبة الثانية حيث حصلت على متوسط موزون مقداره(٣,٦٧) وبانحراف معياري(١,٠٩), وبوزن مئوي(٥٩,٨٤٪), وجاءت فقرة (تسعى ادارة المنظمة الى تعزيز القدرات الذهنية) بالمرتبة الثالثة حيث حصلت على متوسط موزون مقداره(٣,٥٧), وبانحراف معياري(١,١٤), وبوزن مئوي(٥٦,٥٦٪).

اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينةهي : تشجع ادارة المنظمة الحوار المباشر مع العاملين, وتوفر ادارة المنظمة فرص كافية للعاملين لمناقشة المشاكل الخاصة بالعمل, وتسعى ادارة المنظمة لايفاد منتسبيها خارج القطر, وتشجع باستمرار المنافسة بين العاملين ,اذ حصلت على اوساط موزونة مقدارها(٣,٤٠ ,٣,٣٩ ,٣,٤٤ ,٣,٣٦) , وباوزان مئوية(٤٩,١٨٪ ,٥٠,٨٢٪ ,٥٢,٤٦٪ ,٥٦,٥٦٪) على الترتيب.

هذا يؤكد ان ادارة المنظمة المبحوثة تولي عنصر صناعة رأس المال الفكري اهتماما ملحوظا حيث جاء بدرجة اعلى من المتوسط بقليل مما يستلزم زيادة الاهتمام بتنمية القدرات الذهنية للعاملين وانضاج افكارهم من خلال تنمية العلاقات الانسانية بين العاملين, واعطاءهم فرص كافية لمناقشة آراءهم ومقترحاتهم الخاصة بتطوير العمل وزيادة بعثات العاملين الى خارج القطر للاطلاع على المستجدات العلمية في حقل الاختصاص.

٣- وبالنسبة لعنصر تنشيط رأس المال الفكري فقد حصل هذا المؤشر على وسط حسابي موزون مقداره(٣,٤٦) اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣), وانحراف معياري(١,١٢)وبوزن مئوي(٥٤,٣٣٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة(توفر ادارة المنظمة التقنيات الحديثة للعاملين) قد احتلت المرتبة الاولى, حيث جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٠٢) وبانحراف معياري(١,٠٣), وبوزن مئوي(٧٥,٤١٪). في حين احتلت فقرة (تحث ادارة المنظمة العاملين على العمل والبحث عن كل ما هو جديد وملائم) المرتبة الثانية ,حيث جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٧٧), وبانحراف معياري(١,١٠), وبوزن مئوي(٦٦,٣٩٪), اما فقرة(تشجع ادارة المنظمة المشاركة في المؤتمرات العلمية) فقد احتلت المرتبة الثالثة , وجاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٧١), وبانحراف معياري(١,٠٧), وبوزن مئوي(٦٤,٧٥٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي : تحاول ادارة المنظمة اشراك جميع العاملين في دورات تخصصية, وتكلف ادارة المنظمة العاملين بمهام صعبة وجديدة, وتستخدم ادارة المنظمة طريقة عصف الافكار لاثارة القدرات الابداعية, وتتبنى الادارة مبدأ تكوين الجماعات الحماسية التي تتسم بالتحدي, جاءت بمتوسطات موزونة (٣,٠٦ ,٣,١٢ ,٣,٣٠ ,٣,٢٦), وباوزان مئوية(٤٠,٩٨٪ ,٤٣,٤٤٪ ,٤٩,١٨٪ ,٤٠,١٦٪) على الترتيب.

يتضح مما تقدم ان ادارة الجامعة المبحوثة تولي عنصر تنشيط رأس المال الفكري اهتماما ملحوظا حيث جاء بدرجة اعلى من المتوسط بقليل مما يستلزم الامر زيادة اهتمام ادارة الجامعة المبحوثة بتنشيط رأس المال الفكري من خلال توفير التقنيات الحديثة وبرامجيات الحاسوب للعاملين والعمل بفكرة الجماعات الحماسية التي تتسم بالانجازات العالية في العمل.

٤- بالنسبة لعنصر المحافظة على رأس المال الفكري فقد حصل هذا المؤشر على وسط حسابي موزون مقداره(٣,٥٦) اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) , وبانحراف معياري(١,١٧) ووزن مئوي(٥٩,٠٢٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة(تسعى ادارة المنظمة الى تكوين علاقات طيبة وايجابية مع العاملين) قد احتلت المرتبة الأولى, حيث انها جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٠٣), وبانحراف معياري(١,٠١) ووزن مئوي(٧٧,٠٥٪), في حين احتلت فقرة(تبذل ادارة المنظمة

قصارى جهدها للمحافظة على العاملين من ذوي الخبرة والاختصاص) جاءت بالمرتبة الثانية حيث حصلت على متوسط موزون مقداره(٣,٦٩) وانحراف معياري(١,١٢) ووزن مئوي(٦٢,٣٠٪), اما فقرة(تحافظ ادارة المنظمة على المكانة الاجتماعية والوظيفية لأصحاب القدرات المتميزة) فقد جاءت بالمرتبة الثالثة, حيث حصلت على متوسط موزون مقداره(٣,٤٨) وبانحراف معياري(١,١٨)وبوزن مئوي(٥٧,٣٨٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي: تهتم ادارة المنظمة باشراك العاملين بدورات تدريبية, ويتم تقييم العاملين على اساس ما يقدمه من جهد علمي وعملي, وتمنح ادارة المنظمة محفزات مادية ومعنوية للعاملين, ويتم التعامل مع العاملين على اساس الثقة, جاءت بمتوسطات موزونة مقدارها(٣,٣٠, ٣,٣٧, ٣,٥٧, ٣,٤٨) , وباوزان مئوية (٥٠,٠٠٪, ٥٢,٤٦٪, ٥٦,٥٦٪, ٥٦,٥٦٪) على الترتيب.

مما تقدم, يتضح ان ادارة الجامعة تهتم بعنصر المحافظة على رأس المال الفكري بدرجة اعلى من المتوسط بقليل, مما يستوجب زيادة الاهتمام بالقدرات الابداعية من خلال منح محفزات مادية ومعنوية لأصحاب الابتكارات وتقييم العاملين فيها على اساس ما يقدمه من جهد علمي وعملي والتعامل معهم على اساس الثقة.

٥- وفيما يتعلق بعنصر الاهتمام بالزبائن, فقد جاء هذا المؤشر بوسط حسابي موزون مقداره(٣,٥٨) اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣), وبانحراف معياري(١,١١),وبوزن مئوي(٥٩,٤٩٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية , نجد ان فقرة(تحرص ادارة المنظمة على تهيئة مستلزمات العملية العلمية والتربوية) جاءت بالمرتبة الأولى, بمتوسط موزون مقداره(٣,٥٨), وبانحراف معياري(٠,٩٩) وبوزن مئوي(٦٥,٥٧٪), اما فقرة(تهتم ادارة المنظمة بتعزيز وتطوير العلاقات مع المنظمات المختلفة) حيث جاءت بالمرتبة الثانية بمتوسط موزون مقداره(٣,٧٥) وانحراف معياري(٠,٩٣) وبوزن مئوي(٦٤,٧٥٪), وجاءت فقرة(تحرص ادارة المنظمة على استحداث تخصصات علمية جديدة) بالمرتبة الثالثة بمتوسط موزون مقداره(٣,٦٧), وبانحراف معياري(١,٠٨) وبوزن مئوي(٦٣,١٢٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي: تجهز ادارة المنظمة مختبراتها وورشها بالاجهزة الحديثة, ويوجد في المنظمة مكتب استشاري, وتتكيف المنظمة بسرعة مع المتغيرات البيئية, وتتوافر لدى المنظمة رؤية واضحة عن البيئة التي تعمل بها. حيث جاءت بمتوسطات موزونة مقدارها(٣,٣٨, ٣,٤١, ٣,٤٢, ٣,٦٣), وباوزان مئوية مقدارها

(٦٢,٣٠٪, ٥٧,٣٨٪, ٥٣,٢٨٪, ٥٠,٠٠٪) على الترتيب.

مما يؤكد ان ادارة المنظمة تهتم بعنصر الاهتمام بالزبائن بدرجة اعلى من الوسط الفرضي بقليل, مما يستوجب زيادة الاهتمام بعنصر الاهتمام بالزبائن من خلال ادراك ادارة المنظمة المبحوثة لأهمية البيئة التي تعمل فيها وضرورة احداث التغيرات السريعة والفاعلة التي تعزز علاقات وتعاملات المنظمة مع المنظمات المختلفة ويتحقق ذلك من خلال الخدمات التي يمكن ان تقدم الى المجتمع من قبل المكاتب الاستشارية واستخدام تخصصات علمية جديدة تلبي متطلبات المجتمع المتزايدة.

ولغرض تحديد الأهمية النسبية لكل عنصر من العناصر المذكورة, وبهدف الوقوف على اولويات اهتمام ادارة المنظمة وتحديد العناصر الأكثر تأثيرا وأهمية بالنسبة لأفراد العينة فأن الجدول(٢) يوضح نتائج الترتيب.

جدول(٢) نتائج ترتيب الأهمية النسبية لعناصر رأس المال الفكري

ت	عناصر رأس المال الفكري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الوزن المئوي	الترتيب النسبي
١	الاستقطاب	٣,٤٧	١,٢٤	٣٥,٧٣٪	٥٥,٢٢	الخامس
٢	الصناعة	٣,٥٣	١,١٨	٣٣,٤٣٪	٥٥,١٥	الرابع
٣	التنشيط	٣,٤٦	١,١٢	٣٢,٣٧٪	٥٤,٣٣	الثاني
٤	المحافظة	٣,٥٦	١,١٧	٣٢,٨٧٪	٥٩,٠٢	الثالث
٥	الاهتمام بالزبائن	٣,٥٨	١,١١	٣١,٠١٪	٥٩,٤٩	الأول
	رأس المال الفكري	٣,٥٢	١,١٦	٣٢,٩٥٪	٥٦,٦٤	

يتضح من الجدول اعلاه ان رأس المال الفكري في ادارة المنظمة المبحوثة جاء بمتوسط موزون مقداره(٣,٥٢) وهو اعلى من الوسط الفرضي بقليل , وبانحراف معياري(١,١٦), ووزن مئوي(٥٦,٦٤٪) , وعلى العموم يمكن القول ان رأس المال الفكري في جامعة بابل لا زال دون المستوى المطلوب ويحتاج الى اهتمام أكثر من قبل عمادات الكليات ورئاسة الجامعة.

٢- عرض نتائج استجابات أفراد العينة حول أبعاد الإبداع المنظمي , يشير الجدول(٣) لاستجابات أفراد العينة.

جدول(٣) التوزيع التكراري لأبعاد الإبداع المنظمي

تسلسل الأبعاد	تسلسل الفقرات	المؤشرات الإحصائية		
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
ثقافة الإبداع	١- القيم والأعراف السائدة في المنظمة تتماثل مع القيم والأعراف التي أومن بها.	٣,٥١	١,١٠	٥٤,١٠٪
	٢- تهتم ادارة المنظمة باطلاع العاملين لديها على جميع الأنظمة والتعليمات المعتمدة في سير المنظمة.	٣,٤٣	١,١٦	٥٩,٠٢٪
	٣- تشعر ادارة المنظمة العاملين لديها بوجود قيم ايجابية مشتركة بينها وبينهم.	٣,٥٢	١,١٣	٥٦,٥٦٪
	٤- تواظب ادارة المنظمة باستمرار على اقامة احتفالا سنويا لرعاية الإبداع والمبدعين.	٣,٠٣	١,٢٦	٣٧,٧١٪
	٥- تتمسك ادارة المنظمة بتقاليد المهنة وأعرافها.	٣,٤٤	١,٠٨	٥٣,٢٨٪

	٦- تعد النزاهة ونكران الذات إحدى الركائز الأساسية في عمل المنظمة.	٣,٤٥	١,٣١	٪٥١,٦٤
	٧- تتبنى ادارة المنظمة مبدأ الجدارة في ترقية العاملين للمناصب القيادية.	٣,٤٠	١,٣٣	٪٤٩,١٨
أولا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٣٩	١,٢٠	٪٥١,٦٤
نمط القيادة	٨- تهتم ادارة المنظمة بتبني التوجه الاستراتيجي وتوضيحه للعاملين فيها.	٣,٣٧	١,١٥	٪٤٥,٠٨
	٩- تدعم ادارة المنظمة التفكير الإبداعي للعاملين فيها.	٣,٦٠	١,١٢	٪٥٨,٢٠
	١٠- تسعى ادارة المنظمة لحل الخلافات الناشئة بين العاملين على الدوام.	٣,٧٠	١,٩٦	٪٥٧,٣٨
	١١- تركز ادارة المنظمة على المهمات وكيفية انجازها.	٣,٥٢	١,٩٣	٪٥١,٦٤
	١٢- تشرك ادارة المنظمة العاملين فيها في عمليات اتخاذ القرار.	٣,١٢	١,٢٠	٪٤١,٨٠
	١٣- تثير ادارة المنظمة الحماس باستمرار في نفوس العاملين.	٣,٣٤	١,١٨	٪٥٠,٨٢
	١٤- تسعى ادارة المنظمة الى توفير المناخ الملائم للتعبير عن مشاعر العاملين وآرائهم بصدق.	٣,٢٨	١,١٣	٪٤٥,٩٠
ثانيا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٤٢	١,١٠	٪٥٠,٠٠
الدعم المنظمي للإبداع	١٥- الموارد البشرية الموجودة في المنظمة مؤهلة لتفعيل العملية الإبداعية.	٣,٤٣	١,١٢	٪٥٤,١٠
	١٦- توفر الموارد المالية اللازمة لتبني الافكار الإبداعية.	٣,٠٤	١,٣٠	٪٤١,٨٠
	١٧- يعد نقص الملاك من الأسباب الأساسية في عدم امكانية المنظمة على تنفيذ الافكار الإبداعية.	٣,٢٤	١,١٩	٪٤٥,٠٨
	١٨- تحتضن المنظمة المبدعين بصورة مستمرة.	٣,١٨	١,٢٠	٪٣٩,٣٤
	١٩- هناك جهة متخصصة في المنظمة ترعى العمل الإبداعي.	٣,٠١	١,٢١	٪٣٥,٢٥
	٢٠- قدرات العاملين الإبداعية تنال احترام	٣,٣٧	١,٢٢	٪٥٣,٢٨

	القيادات الإدارية.			
	٢١- يتمتع المبدعون بالحرية والاستقلالية اللازمة للبحث والتطوير في مجال تخصصهم.	٣,٣٩	١,١٧	٤٩,١٨٪
ثالثا	الوسط الحسابي الموزون والانحراف المعياري	٣,٢٤	١,٢٠	٤٥,٠٨٪

يتضح من النتائج الواردة بالجدول اعلاه ما يلي :

١- بالنسبة لبعد ثقافة الإبداع فقد حصل هذا المؤشر على وسط حسابي موزون مقداره(٣,٣٩) وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ(٣), وبانحراف معياري(١,٢٠) وبوزن مئوي(٥١,٦٤٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة(تهتم ادارة المنظمة باطلاع العاملين لديها على جميع الأنظمة والتعليمات المعتمدة في سير عملها) جاءت بالمرتبة الأولى بمتوسط موزون مقداره(٣,٤٣)وانحراف معياري(١,١٦) وبوزن مئوي(٥٩,٠٢٪) , في حين احتلت فقرة(تشعر ادارة المنظمة العاملين فيها بوجود قيم ايجابية مشتركة بينها وبينهم) المرتبة الثانية حيث جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٥٢) وبانحراف معياري(١,١٣)وبوزن مئوي(٥٦,٥٦٪) , وبالمرتبة الثالثة جاءت فقرة(القيم والأعراف السائدة في المنظمة تتماثل مع قيم وأعراف العاملين لديها) بمتوسط موزون مقداره(٣,٥١)وبانحراف معياري(١,١٠)بوزن مئوي(٥٤,١٠٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي : تتمسك ادارة المنظمة بتقاليد المهنة, وتعد النزاهة ونكران الذات احدى الركائز الاساسية في عمل المنظمة, وتتبنى ادارة المنظمة مبدأ الجدارة في الترقية, وتواظب ادارة المنظمة على اقامة احتفالا سنويا لرعاية الإبداع والمبدعين, حيث جاءت باوساط موزونة(٣,٠٣ ,٣,٤٠ ,٣,٤٥ ,٣,٤٤) وباوزان مئوية(٥٥,٢٨٪ ,٥١,٦٤٪ ,٤٩,١٨٪ ,٣٧,٧١٪) على الترتيب.

مما تقدم يتضح ان ادارة المنظمة تهتم ببعد ثقافة الإبداع بدرجة اعلى من الوسط الفرضي بقليل, مما يستوجب على ادارة المنظمة ان تشعر العاملين فيها بوجود قيم ايجابية مشتركة وان تتبنى اسس علمية في ترقية العاملين الى المناصب الادارية المهمة وان تظهر اهتماما اكثر برعاية الإبداع والمبدعين.

٢- وفيما يتعلق ببعد نمط القيادة, فقد جاء هذا المؤشر بوسط حسابي موزون مقداره(٣,٤٢) اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ,وبانحراف معياري(١,١٠) وبوزن مئوي(٥٠,٠٠٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة(تدعم ادارة المنظمة التفكير الإبداعي للعاملين فيها) جاءت بالمرتبة الأولى بمتوسط موزون مقداره(٣,٦٠) وبانحراف معياري(١,١٢) وبوزن مئوي(٥٨,٢٠٪), ثم احتلت فقرة(تسعى ادارة المنظمة لحل الخلافات الناشئة بين العاملين) المرتبة الثانية بمتوسط موزون مقداره(٣,٧٠) وبانحراف معياري(١,٩٦) وبوزن مئوي(٥٧,٣٨٪), وجاءت فقرة(تركز ادارة المنظمة على المهمات وكيفية انجازها) بالمرتبة الثالثة بمتوسط موزون مقداره(٣,٥٢) وبانحراف معياري(١,٩٣) وبوزن مئوي(٥١,٦٤٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي : تثير ادارة المنظمة الحماس في نفوس العاملين, وتسعى ادارة المنظمة لتوفير المناخ الملائم للعاملين, وتتبنى ادارة المنظمة التوجه الاستراتيجي وتوضيحه للعاملين, وتشرك ادارة المنظمة العاملين في اتخاذ القرارات , حيث جاءت باوساط موزونة(٣,١٢ ,٣,٣٧ ,٣,٢٨ ,٣,٣٤), وباوزان مئوية مقدارها(٥٠,٨٢٪ ,٤٥,٩٠٪ ,٤٥,٠٨٪ ,٤١,٨٠٪) على الترتيب.

مما تقدم يتضح ان ادارة المنظمة المبحوثة تهتم ببعد نمط القيادة بدرجة اعلى من الوسط الفرضي بقليل, مما يستوجب من ادارة المنظمة الدعم الاكثر للمبدعين وللعمل الابداعي من خلال اشراك العاملين بعمليات اتخاذ القرار مع توفير المناخ الملائم للتعبير عن آراءهم بصدق وسعيها دوما لإزالة الصراعات الناشئة بين العاملين.

٣- اما بالنسبة لبعد الدعم المنظمي للإبداع فقد حصل هذا المؤشر على وسط حسابي موزون مقداره(٣,٢٤) وهو اعلى من الوسط الفرضي,وبانحراف معياري(١,٢٠) وبوزن مئوي(٤٥,٠٨٪). وعند ارجاع هذا المؤشر الى فقراته الاساسية نجد ان فقرة(الموارد البشرية الموجودة في المنظمة مؤهلة لتفعيل العملية الإبداعية) قد احتلت المرتبة الاولى ,حيث جاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٤٣)وبانحراف معياري(١,١٢) وبوزن مئوي(٥٤,١٠٪), في حين احتلت فقرة(قدرات العاملين تنال احترام القيادات الادارية) المرتبة الثانية وجاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٣٧) وبانحراف معياري(١,٢٢) وبوزن مئوي(٥٣,٢٨٪), اما فقرة (يتمتع العاملون بالحرية والاستقلالية للبحث والتطوير في مجال اختصاصهم) احتلت المرتبة الثالثة وجاءت بمتوسط موزون مقداره(٣,٣٩) وبانحراف معياري(١,١٧) وبوزن مئوي(٤٩,١٨٪). اما الفقرات المتبقية بحسب التسلسل لاجابات افراد العينة هي : يعد نقص الملاك من الاسباب الاساسية في عدم امكانية المنظمة على تنفيذ الافكار الإبداعية, وتوفر ادارة المنظمة الموارد المالية الازمة لتبني الافكار الابداعية, وتحتضن ادارة المنظمة المبدعين بصورة مستمرة, وهناك جهة متخصصة ترعى العمل الابداعي والمبدعين, حيث جاءت بمتوسطات موزونة مقدارها(٣,٠١, ٣,١٨, ٣,٠٤, ٣,٢٤), وباوزان مئوية

(٤٥,٠٨٪, ٤١,٨٠٪, ٣٩,٣٤٪, ٣٥,٢٥٪)على الترتيب.

مما تقدم يتضح ان ادارة المنظمة تهتم ببعد الدعم المنظمي بدرجة اعلى من المتوسط بقليل, مما يستوجب زيادة الاهتمام بتوفير الموارد المالية والبشرية الازمة لتفعيل العملية الابداعية مع منح حرية واستقلالية اكثر للمبدعين للبحث والتطوير في مجال تخصصهم وتوفير جهة متخصصة لرعاية العمل الابداعي في المنظمة.

ولغرض تحديد الأهمية النسبية لكل بعد من الأبعاد المذكورة ,وبهدف الوقوف على أولويات اهتمام ادارة المنظمة, وتحديد أي الأبعاد أكثر أهمية بالنسبة لأفراد العينة, فأن الجدول(٤) يوضح نتائج الترتيب.

جدول(٤) نتائج ترتيب الأهمية النسبية لأبعاد الإبداع المنظمي

ت	أبعاد الإبداع المنظمي	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الوزن المئوي	الترتيب
١	ثقافة الإبداع	٣,٣٩	١,٢	٣٥,٤٠٪	٥١,٦٤	الثاني
٢	نمط القيادة	٣,٤٢	١,١	٣٢,١٦٪	٥٠,٠٠	الأول
٣	الدعم المنظمي	٣,٢٤	١,٢	٣٧,٠٤٪	٤٥,٠٨	الثالث
	الإبداع المنظمي	٣,٣٥	١,٢	٣٥,٨٢٪	٤٨,٩٠	

يتضح من النتائج الواردة بالجدول اعلاه, ان الابداع المنظمي في ادارة الجامعة المبحوثة جاء بمتوسط موزون مقداره(٣,٣٥) وهو اعلى من الوسط الفرضي بقليل, وبانحراف معياري (١,٢) ووزن مئوي(٤٨,٩٠٪), وعلى العموم يمكن القول هناك اهتمام محدود من قبل ادارة المنظمة بالإبداع المنظمي مما يستلزم من الادارات المعنية في الجامعة تغيير اسلوبها القيادي نحو تشجيع وتنمية ثقافة الإبداع فيها وتوفير الدعم المنظمي للمبدعين والعمل الابداعي.

ثانيا: تحليل واختبار علاقات الارتباط بين متغيري البحث

تختص هذه الفقرة بقياس علاقات الارتباط بين متغيري البحث التي تضمنتها الفرضية الرئيسية الأولى,مفادها(**لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين رأس المال الفكري والابداع المنظمي**) وقد تم استخدام معامل الارتبط البسيط من اجل اكتشاف طبيعة العلاقة الواردة في هذه الفرضية, والجدول(٥) يوضح نتائج علاقات الارتباط بين عناصر رأس المال الفكري والابداع المنظمي.

جدول(٥) نتائج علاقات الارتباط بين رأس المال الفكري والابداع المنظمي

المتغير المعتمد / المتغير المستقل	الابداع المنظمي				
	r	t المحسوبة	t الجدولية	مستوى المعنوية	درجة الثقة
استقطاب رأس المال الفكري	,٩٠٣	٣,٦٤٠	٢,٣٥٣	٪٥	٪٩٥
صناعة رأس المال الفكري	,٩٦١	٦,٠١٩	٤,٥٤١	٪١	٪٩٩
تنشيط رأس المال الفكري	,٩٨٤	٩,٥٦٦	٤,٥٤١	٪١	٪٩٩
المحافظة على رأس المال	,٩٥٤	٥,٥١٢	٤,٥٤١	٪١	٪٩٩
الاهتمام بالزبائن	,٩٧٥	٧,٥٩٩	٤,٥٤١	٪١	٪٩٩
المؤشر الكلي	,٩٥٥	٦,٤٦٧	٤,٦٠٤	٪١	٪٩٩

ومن أجل إعطاء قرار علمي سليم بشان قبول الفرضية الرئيسية الاولى ,وبالاعتماد على النتائج الواردة في الجدول(٥), فان الامر يستلزم اختبار الفرضيات الفرعية المنبثقة منها وكالآتي :-

١- **اختبار الفرضية الفرعية الأولى** (لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين استقطاب رأس المال الفكري والابداع المنظمي).

يشير الجدول(٥) الى ان هناك علاقة ارتباط معنوية بين استقطاب رأس المال الفكري والابداع المنظمي, اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما(٠,٩٠٣) ,وهي قيمة تعكس وجود علاقة ايجابية ذات دلالة احصائية بمستوى ثقة(٩٥٪), اذ يعزز هذا الارتباط اهمية استقطاب رأس المال الفكري في الابداع المنظمي في الجامعة المبحوثة, وهي علاقة ذات دلالة معنوية, مما يؤكد ذلك ان قيمة t المحسوبة بلغت(٣,٦٤٠) وهي اكبر من قيمة t الجدولية(٢,٣٥٣) عند مستوى معنوية(٥٪) , وبناءا على ذلك ترفض الفرضية الفرعية الأولى.

٢- **اختبار الفرضية الفرعية الثانية** ((لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين عنصر صناعة رأس المال الفكري والابداع المنظمي)).

يتضح من الجدول(٥) ان هناك علاقة ارتباط معنوية بين صناعة رأس المال الفكري والابداع المنظمي, اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما(٠,٩٦١) ,وهي قيمة عالية تعني وجود علاقة ايجابية ذات دلالة احصائية بمستوى ثقة(٩٩٪) , وتدلل هذه العلاقة على انه كلما زاد اهتمام ادارة الجامعة المبحوثة بصناعة رأس المال الفكري ادى ذلك الى الارتقاء بمستوى الابداع المنظمي, وهي علاقة ذات دلالة معنوية, اذ بلغت قيمة t المحسوبة(٦,٠١٩) وهي اكبر من قيمة t الجدولية(٤,٥٤١) عند مستوى معنوية(١٪), وبناءا على ذلك ترفض الفرضية الفرعية الثانية.

٣- **اختبار الفرضية الفرعية الثالثة** ((لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين عنصر تنشيط رأس المال الفكري والابداع المنظمي)).

يظهر الجدول (٥) ان هناك علاقة ارتباط معنوية بين تنشيط رأس المال الفكري والابداع المنظمي, اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما(٠,٩٨٤), وهي قيمة تعكس وجود علاقة ايجابية قوية ذات دلالة احصائية بمستوى ثقة(٩٩٪) ,وتفسر هذه العلاقة انه كلما نشطت ادارة الجامعة رأس المال الفكري كلما ادى ذلك الى زيادة قدرتها على تحقيق الابداع المنظمي, وهي علاقة ذات دلالة معنوية, اذ بلغت قيمة t المحسوبة(٩,٥٦٦) وهي اكبر من قيمة t الجدولية(٤,٥٤١) عند مستوى معنوية(١٪), وبناءا على ذلك ترفض الفرضية الفرعية الثالثة.

٤- **اختبار الفرضية الفرعية الرابعة** ((لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين عنصر المحافظة على رأس المال الفكري والابداع المنظمي)).

يشير الجدول(٥) الى وجود علاقة ارتباط معنوية بين المحافظة على رأس المال الفكري والابداع المنظمي, اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما(٠,٩٥٤),وهي قيمة تعكس وجود علاقة ايجابية قوية ذات دلالة احصائية بنسبة ثقة (٩٩٪),ويمكن تفسير هذه العلاقة انه كلما حافظت ادارة الجامعة المبحوثة على رأس المال الفكري سيسهم ذلك في تحقيق الابداع المنظمي المنشود, وهي علاقة ذات دلالة معنوية,اذ بلغت قيمة t المحسوبة(٥,٥١٢) وهي اكبر من قيمة t الجدولية(٤,٥٤١) عند مستوى معنوية(١٪), وبناءا على ذلك ترفض الفرضية الفرعية الرابعة.

٥- **اختبار الفرضية الفرعية الخامسة** ((لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين عنصر الاهتمام بالزبائن والابداع المنظمي)).

يوضح نفس الجدول اعلاه ان هناك علاقة ارتباط معنوية بين الاهتمام بالزبائن والابداع المنظمي, اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما(٠,٩٧٥), وهي قيمة تشير الى وجود علاقة ايجابية قوية ذات دلالة احصائية بنسبة ثقة(٩٩٪),ويعني ذلك انه كلما زاد الاهتمام بالزبائن من قبل ادارة الجامعة المبحوثة سيسهم ذلك في تعزيز الابداع المنظمي فيها, وهي علاقة ذات دلالة معنوية, اذ بلغت قيمة t المحسوبة(٧,٥٩٩) وهي اكبر من قيمة t الجدولية(٤,٥٤١) عند مستوىمعنوية(١٪), وبناءا على ذلك ترفض الفرضية الفرعية الخامسة.

وبما انه تم رفض الفرضيات الفرعية الخمس المنبثقة من الفرضية الرئيسية الأولى لذا ترفض الفرضية الرئيسية الاولى((لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين رأس المال الفكري والابداع المنظمي).

ثالثا: قياس أثر رأس المال الفكري في الإبداع المنظمي

تتناول هذه الفقرة تحليل علاقات التأثير بين عناصر رأس المال الفكري والعوامل المؤثرة في الإبداع المنظمي من اجل اختبار الفرضية الرئيسية الثانية ومفادها((**لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لرأس المال الفكري في الابداع المنظمي**)). والجدول(٦) يوضح نتائج العلاقات التأثيرية بين عناصر رأس المال الفكري والابداع المنظمي.

جدول(٦) نتائج العلاقات التأثيرية بين رأس المال الفكري والابداع المنظمي

المتغير المعتمد / المتغير المستقل	الابداع المنظمي					
	الثابت	X^2	F المحسوبة	F الجدولية	معامل التفسير	المعامل المعياري للانحدار
استقطاب رأس المال الفكري	١٤،٨٠١	٠،٧٩٠	١٣،١٨١	١٠،١	٠،٨١٥	٠،٩٠٣
صناعة رأس المال الفكري	١٠،٤٧٤	٠،٨٢٧	٣٦،٠٠٣	٣٤،١	٠،٩٢٣	٠،٩٦١
تنشيط رأس المال الفكري	٦،٩٦٤	٠،٨٨٢	٩٠،٠٥٥	٣٤،١	٠،٩٦٨	٠،٩٨٤
المحافظة على رأس المال الفكري	١٥،٧٠٣	٠،٧٥٩	٣٠،٤٦٢	١٠،١	٠،٩١	٠،٩٥٤
الاهتمام بالزبائن	١٦،٣٣٧	٠،٧٤٧	٥٨،٣١٣	٣٤،١	٠،٩٥١	٠،٩٧٥
المؤشر الكلي	١٢،٨٥٥	٠،٨٠١	٤٥،٦٠٢	٣٤،١	٠،٩١٣	٠،٩٥٥

من اجل اتخاذ قرار سليم بشأن قبول الفرضية الرئيسية الثانية, وبالاعتماد على النتائج الواردة بالجدول اعلاه, فان الامر يستلزم اختبار الفرضيات الفرعية المنبثقة منها وكالآتي :

١- **اختبار الفرضية الفرعية الأولى** ((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لعنصر استقطاب رأس المال الفكري في الابداع المنظمي)).

يتضح من الجدول(٦) وجود تأثير ذي دلالة احصائية موجبة لعنصر استقطاب رأس المال الفكري في الابداع المنظمي,اذ يؤشر معامل التحديد (R^2) ان نسبة الاختلاف المفسر في الابداع المنظمي بسبب تأثير استقطاب رأس المال الفكري لا تقل عن(٨١،٥٪),وان النسبة الباقية وهي(١٨،٥٪) تعود لمتغيرات اخرى غير داخلة في الانموذج الحالي أو متغيرات عشوائية لا يمكن السيطرة عليها. ويدعم ذلك اختبارF ,اذ بلغت قيمةF المحسوبة (١٣،١٨١),وهي اكبر من قيمتها الجدولية البالغة(١٠،١),عند مستوى معنوية(٥٪) أي بدرجة

ثقة(٩٥٪). وبناءا على ذلك يمكن القول ان هناك علاقة تأثير معنوية بين استقطاب رأس المال الفكري والابداع المنظمي,وبذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الاولى.

٢- **اختبار الفرضية الفرعية الثانية :** ((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لعنصر صناعة رأس المال الفكري في الابداع المنظمي)).

يظهر الجدول(٦) ان هناك تأثير ذي دلالة احصائية موجبة لعنصر صناعة رأس المال الفكري في الابداع المنظمي. حيث بلغ معامل التفسير بين المتغيرين(٠,٩٢٣),مما يدل على قدرة المتغير المستقل في تفسير التغير الذي يطرأ على متغير الابداع المنظمي بنحو (٩٢,٣٪) وان النسبة الباقية وهي(٧,٧٪) تعود لمتغيرات اخرى غير داخلة في الانموذج الحالي أو متغيرات عشوائية لا يمكن السيطرة عليها.ويدعم ذلك اختبارF اذ بلغت قيمة F المحسوبة (٣٦,٠٠٣) وهي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة(٣٤,١),عند مستوى معنوية(١٪),أي بدرجة ثقة(٩٩٪),مما يدل على ان هناك علاقة تأثير معنوية بين صناعة رأس المال الفكري والابداع المنظمي, وبناءا علي ذلك ترفض الفرضية الفرعية الثانية.

٣- **اختبار الفرضية الفرعية الثالثة :** ((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لعنصر تنشيط رأس المال الفكري في الابداع المنظمي)).

يشير نفس الجدول اعلاه ان هناك علاقة تأثير ذي دلالة احصائية موجبة لعنصر تنشيط رأس المال الفكري في الابداع المنظمي, اذ بلغ معامل التحديد بين المتغيرين (٠,٩٦٨) , وهذا يؤشر على قدرة المتغير المستقل في تفسير التغير الذي يطرأ على متغير الابداع المنظمي بنحو(٩٦,٨٪) وان النسبة الباقية وهي(٣,٢٪) تعود لمتغيرات اخرى لم تدخل في الانموذج الحالي أو متغيرات عشوائية لا يمكن السيطرة عليها,يدعم ذلك اختبار F,حيث بلغت قيمة F المحسوبة (٩٠,٠٥٥) وهي اكبر من قيمة Fالجدولية البالغة(٣٤,١) عند مستوى معنوية(١٪) ,أي بدرجة ثقة(٩٩٪), وبناءا على ذلك يمكن القول ان هناك علاقة تأثير معنوية بين تنشيط رأس المال الفكري والابداع المنظمي,واستنادا الى ذلك ترفض الفرضية الفرعية الثالثة.

٤- **اختبار الفرضية الفرعية الرابعة :** ((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لعنصر المحافظة على رأس المال الفكري في الابداع المنظمي)).

يتضح من الجدول المذكور ان هناك علاقة تأثير ذي دلالة احصائية موجبة لعنصر المحافظة على رأس المال الفكري في الابداع المنظمي, فقد بلغ معامل التحديد بين المتغيرين (٠,٩١),اذ يؤشر ذلك على ان نسبة الاختلاف المفسر في الابداع المنظمي بسبب عنصر المحافظة على رأس المال الفكري لا تقل عن (٩١٪)وان حوالي (٩٪) من التغيرات الحالية تعود لمتغيرات اخرى لم تدخل في الانموذج الحالي أو متغيرات عشوائية لا يمكن السيطرة عليها. يدعم ذلك اختبار F ,حيث ان قيمة F المحسوبة البالغة(٣٠,٤٦٢) هي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة(١٠,١) عند مستوى معنوية(٥٪),أي بدرجة ثقة(٩٥٪). وبناءا على ذلك يمكن القول ان هناك علاقة تأثير معنوية بين المحافظة على رأس المال الفكري والابداع المنظمي, واستنادا لذلك ترفض الفرضية الفرعية الرابعة.

٥- **اختبار الفرضية الفرعية الخامسة :** ((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لعنصر الاهتمام بالزبائن في الابداع المنظمي)).

يظهر الجدول(٦) ان هناك علاقة تأثير ذي دلالة احصائية موجبة لعنصر الاهتمام بالزبائن في الابداع المنظمي, اذ يؤشر معامل التحديد بين المتغيرين (٠,٩٥١),مما يعني ان نسبة الاختلاف المفسر في الابداع

المنظمي بسبب الاهتمام بالزبائن لا تقل عن (٩٥,١٪),وان النسبة الباقية وهي(٤,٩٪) تعود لمتغيرات اخرى لم تدخل في الانموذج الحالي أو متغيرات عشوائية لايمكن السيطرة عليها. يدعم ذلك اختبارF ,اذ بلغت قيمة F المحسوبة (٥٨,٣١٣) وهي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة(٣٤,١) عند مستوى معنوية(١٪),أي بدرجة ثقة (٩٩٪). وبناءا على ذلك يمكن القول ان هناك علاقة تأثير معنوية بين الاهتمام بالزبائن والابداع المنظمي, وعليه ترفض الفرضية الفرعية الخامسة.

وبما انه تم رفض الفرضيات الفرعية الخمس المنبثقة من الفرضية الفرعية الرئيسية الثانية لذا ترفض الفرضية الرئيسية الثانية((لا يوجد تأثير ذي دلالة احصائية لرأس المال الفكري في الابداع المنظمي)).

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

يتضمن هذا المبحث الآتي :

أولا- الاستنتاجات:

١ـ بما أن تقدم أي مجتمع يقاس بعدد علمائه ومفكريه لذا فأن بيئة الجامعة ذات مستوى علمي جيد بسبب إناطة مسؤوليات المناصب الإدارية المهمة بحاملي المؤهلات العالية(دكتوراه, ماجستير) سعيا منها للارتقاء بعملية التعليم.

٢ـ أظهرت نتائج البحث ضعف اهتمام إدارة الجامعة بجذب الأفراد المتميزين واستقطابهم للعمل فيها, حيث احتل هذا العنصر المرتبة الأخيرة مما يعني أن إدارة الجامعة تميل كثيرا لصناعة رأس مالها الفكري من داخل المنظمة وتنشيطه والمحافظة علية ليأتي بعد ذلك إثراء رصيدها من خلال تغذيتها بعناصر من خارج المنظمة,وفيما يتعلق بذلك نود أن نؤكد أن المنظمات دائما بحاجة إلى استقطاب مستمر للأفراد الموهوبين الذين يمتلكون المهارة العالية.

٣ـ أظهرت نتائج البحث اهتمام إدارة الجامعة بعنصر تنشيط رأس المال الفكري فقد احتل هذا العنصر المرتبة الثانية من حيث أهميته النسبية لباقي العناصر الأخرى,مما يعني أن إدارة الجامعة تسعى جاهدة إلى توفير التقنيات الحديثة وبرامجيات الحاسوب بما يضمن صناعة رأس المال الفكري لأن إدامة الصناعة لا يأتي إلا عن طريق التنشيط المستمر الذي يضمن التجديد والحداثة ويطور الأفراد بسرعة مذهلة من حيث تنمية أساليب التعامل مع مشكلات واقعية ومعقدة.

٤ـ كانت جميع العلاقات الارتباطية لعناصر رأس المال الفكري بالإبداع المنظمي قوية جدا وموجبة وذا دلالة إحصائية وتحمل هذه العلاقة مدلولات منطقية تشير إلى دور وأهمية رأس المال الفكري في تعزيز الإبداع المنظمي.

٥ـ سجلت النتائج الإحصائية تفاوت في ترتيب قوة العلاقة الارتباطية بين عناصر رأس المال الفكري والإبداع المنظمي وفقا إلى قيمة معامل الارتباط البسيط ,حيث جاء عنصر التنشيط بالمرتبة الأولى بمعامل ارتباط(٩٨,٤٪) وعنصر الاهتمام بالزبائن بالمرتبة الثانية بمعامل ارتباط (٩٧,٥٪) والمرتبة الأخيرة لعنصر الاستقطاب بمعامل ارتباط (٩٠,٣٪) مما يدلل على أن لعنصر تنشيط رأس المال الفكري دور مهم في خلق الأفكار الإبداعية لدى العاملين.

٦ـ كشفت النتائج الإحصائية أن لرأس المال الفكري أثر ذو دلالة إحصائية في الإبداع المنظمي, أي عند زيادة اهتمام إدارة الجامعة باستقطاب المتميزين وصناعتهم وتنشيطهم والمحافظة عليهم سيؤدي بالنتيجة إلى زيادة الإبداع والمبدعين في الجامعة.

٧ـ تفاوت ترتيب القوة التأثيرية لعناصر رأس المال الفكري في الإبداع المنظمي وفقا لقيمة معامل التفسير(R^2) وقيم المعامل المعياري للانحدار وأن أكثر العناصر تأثيرا في الإبداع المنظمي هما عنصر(التنشيط , والاهتمام بالزبائن).

ثانيا- التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة نورد مجموعة من التوصيات التي نأمل أن تكون محط عناية الجامعة المذكورة ومنها الآتي :ـ

١ـ نظرا للتغيرات السريعة التي تواجه الجامعة يتطلب منها وجود معارف إدراكية عالية المستوى وزيادة في المهارات المتقدمة للأفراد, لذا فهي بحاجة إلى بناء قاعدة فكرية متينة من خلال إتباع الخطوات الآتية :

أ ـ وضع معايير عالية لأداء العاملين والعمل على تطويرها من خلال مقارنة الوضع الحالي للجامعة مع الهدف الذي تسعى للوصول إليه.

ب ـ القيام بتطوير كفاءة العاملين من خلال تكليفهم بمهام جديدة تتسم بالصعوبة.

ج – تزويد رئاسة الجامعة وعمادات الكليات بأفراد يمتلكون مواهب جديدة ومتنوعة يمكن استقطابهم من داخل أو خارج الجامعة.

د- مشاركة جميع العاملين في عملية التغيير والأخذ بآراءهم حول هذا التغيير.

٢- زيادة الاهتمام برأس المال الفكري وإدارته كما يدار الموجود النقدي, لكونه مصدرا مهما للتوجه الاستراتيجي للمنظمات المعاصرة وهذا يدعو الجامعة للتفتيش عن القدرات المعطلة فيها وتحريكها لتكون فاعلة وإنشاء إدارة تعمل جاهدة من أجل ضمان استثمار رأس المال الفكري ويمكن الاستفادة من المبادئ الآتية :

أ- الاستفادة قدر الإمكان من أفكار وأعمال رأس المال الفكري لصالح المنظمة لإقامة علاقات ودية مع الجامعات والمنظمات الأخرى على مستوى المجتمع العراقي والمجتمعات الأخرى.

ب- توفير الموارد الضرورية التي تساعد على بناء شبكة معلومات داخلية والسماح للعاملين باستخدام كل ما يمنحهم المزيد من المعارف والمعلومات.

ج- السماح للعاملين بطرح ما يشاءون من أفكار ودون تردد وهذا سر نجاح الإدارة في استثمار والمحافظة على رأس المال الفكري في الجامعة وإتاحة الفرص لبث روح المبادرة الابتكارية من خلال الممارسة الإدارية التي ترعى الأفكار الإبداعية.

٣- ضرورة الاهتمام بعملية الاستقطاب والتعيين من داخل أو خارج الجامعة بما يسهم في تقديم الأفكار الإبداعية المتميزة ويمكن تحقيق ذلك من خلال الآتي :

أ- انتقاء الأفراد الذين تتوافر لديهم المؤهلات العلمية الضرورية والمناسبة لشغل المناصب المهمة في الجامعة.

ب- تعيين المتميزين من طلبتها بعد التخرج.

ج- إتاحة فرص متساوية وعلى أسس موضوعية لجميع الأفراد المتميزين الراغبين للعمل فيها.

د - استقطاب رأس المال الفكري من الجامعات والمعاهد الأخرى من خلال تقديم عروض جيدة تناسب مهاراتهم وخبراتهم.

و- القيام باختبارات (الميول, المعرفة, الخبرة, الاستعداد) التي تعد الأساس في إمداد الجامعة بالأفراد المتميزين.

٤- ضرورة الاهتمام بصناعة رأس المال الفكري من خلال فسح المجال أمام العاملين لإبداء آراءهم ومقترحاتهم حول تطوير العمل مع تشجيع الحوار المباشر بين إدارة الجامعة والعاملين لغرض إنضاج الأفكار المبدعة ويتم ذلك من خلال اجتماعات ولقاءات ودية تمكن العاملين من إطلاق أفكارهم.

٥- لوحظ أن المناصب الإدارية المهمة في الجامعة وبخاصة المستوى الأول والثاني فيها مشغولة من قبل عاملين يحملون اختصاصات في علم البيئة والاجتماع والفطريات وهي بعيدة عن الاختصاصات الإدارية التي تكون مؤهلة لتفعيل العملية الإدارية من تخطيط وتنظيم وتحفيز ورقابة, لذا نوصي بضرورة وضع الشخص المناسب في المكان المناسب أو إدخالهم في دورات تخصصية إدارية لزيادة معرفتهم بالأساليب القيادية والإدارية.

٦- من الظواهر العديدة التي برزت في العراق منذ التسعينات ولغاية الوقت الحاضر تسرب نسبة غير قليلة من ذوي الكفاءات العلمية وأصحاب الشهادات العليا إلى الخارج بدافع المتطلبات المعيشية لهم ولأسرهم ولأسباب أخرى سياسية وتمثل هذه الظاهرة هدرا اقتصاديا واجتماعيا بسبب فقدان الكوادر الأعلى مستوى علمي والأكثر قدرة على الإيجاد والإبداع والأعمق أثر في بناء وتطوير المجتمع وعليه يمكن تقديم بعض التوصيات تطبق على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتي من شأنها الحد من هذه الظاهرة وتستقطب ما يمكن استقطابه من الكوادر العلمية المهاجرة وهي:

أ- ضمان المستوى المعيشي للكفاءات العلمية من خلال تقديم مرتبات عالية تتناسب مع مؤهلاتهم العلمية ومقاربة للمرتبات التي تقدمها الدول الأخرى وبما يضمن الإشباع الكامل للحاجات ويوفر حياة مستقرة لهم لغرض ترغيبهم للعودة للوطن.

ب- منح فرص للتدريسيين الجامعيين بالتعاقد مع الجامعات العربية والأجنبية وكذلك المساهمة في المؤتمرات والندوات العلمية خارج القطر وتقديم التسهيلات اللازمة لهم بما يضمن عدم التفكير بالهجرة للخارج.

ج- تشكيل لجنة متخصصة برعاية شؤون الكفاءات العلمية المهاجرة تكون مسؤولة عن متابعة العقول المهاجرة والاتصال بهم لغرض توثيق علاقتهم بالوطن والتأثير بعد ذلك بقرار العودة إليه.

٧- اشار اغلب أفراد العينة بعدم وجود جهة متخصصة ترعى العمل الإبداعي والمبدعين, لذا يوصي البحث الحالي بانشاء وحدة يطلق عليها (وحدة الأعمال الإبداعية والابتكارية) ترتبط مباشرة برئاسة الجامعة وكذلك الحال بالنسبة لعمادات الكليات وتكون مسؤولة عن جميع الأعمال الإبداعية وغربلتها مع تعضيد الصالح منها والحفاظ على حقوق المبدعين وأعمالهم الإبداعية.

المصادر

أولا: المصادر العربية

أ: الكتب

١- القرآن الكريم.

٢- الدهان,أميمة,(١٩٩٢), نظريات نظمات الأعمال الطبعة الأولى مطبعة الصفدي عمان الأردن.

٣- السيد,عبد الحليم محمود,(١٩٧١),الإبداع والشخصية,دار المعارف,القاهرة.

٤- القريوتي,محمد قاسم,(٢٠٠٠),السلوك التنظيمي,دراسة للسلوك الانساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة,ط١,دار وائل للنشر,عمان,الأردن.

ب- الأطاريح والدوريات

١- السامرائي,سلوى هاني عبد الجبار,(١٩٩٩),الإبداع التقني وبعض العوامل المؤثرة فيه,دراسة ميدانية لآراء عينة من مدراء القطاع الصناعي,اطروحة دكتوراه كلية الادارة والاقتصاد,جامعة بغداد.

٢- العاني,أريج سعيد خليل,(٢٠٠٢),المحددات التنظيمية وتأثيرها في الإبداع المنظمي والأداء المنظمي,دراسة ميدانية في شركة الغاز(شركة عامة),رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد,جامعة بغداد.

٣- العزاوي، بشرى هاشم، (٢٠٠٠)، سياسة تحفيز الموارد البشرية العامة وعلاقتها بالإبداع التنظيمي، دراسة استطلاعية لآراء عينة من العاملين في الشركتين العاميتين لصناعة البطاريات والصناعات الكهربائية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد.

٤- العنزي، سعد علي حمود، (٢٠٠١)، راس المال الفكري: الثروة الحقيقية لمنظمات أعمال القرن الحادي والعشرين، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد الثامن، العدد(٢٥)، بغداد.

٥- العنزي، سعد علي حمود ونعمة، نغم حسين، (٢٠٠٢)، قياس راس المال الفكري بين النظرية والتطبيق، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد(٩)، العدد(٣١)، بغداد

٦- الملوك، جلال سعد، (٢٠٠٢)، أثر استراتيجية التمكين في تعزيز الإبداع التنظيمي، دراسة تحليلية في جامعة الموصل، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل.

٧- بني حمدان، خالد محمد طلال، (٢٠٠٢)، تحليل علاقة نظم معلومات الموارد البشرية وراس المال الفكري وأثرها في تحقيق الميزة التنافسية، دراسة ميدانية في شركات صناعة التأمين الوطنية الأردنية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، بغداد.

٨- عبيد، نغم حسين نعمة، (٢٠٠٠)، أثر استثمار راس المال الفكري في الأداء ألمنظمي، دراسة ميدانية في عينة من شركات القطاع المختلط، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، بغداد.

ثانيا:- المصادر الأجنبية

١- Amabile,Treesam.,(١٩٩٨); Assessing the work Environment for creativity, Academy of management Journal,Vol,(٣٩),No(٥).

٢- Bowen,Bi;(١٩٩٨);A hands-on look At Intellectual capital, management Review.

٣- Daft,R.L.(٢٠٠١);Organization Theory design ,٧thEd ,south western, Ohio.

٤- Davies,S.(١٩٨٨);Technical change ,Productivity and market structure-Ins. Davies and B.Lyons(eds) ,Economics of Industrial organization ,London: Longman.

٥- Dzinkowski,R.,(١٩٩٩(; Managing the brain trust, CMA management ,Vol(٣٣),N(١٠),October.

٦- Hansen,M.T,Nohria,N&Tierney,T.,(١٩٩٩); What's Your strategy for managing knowledge Harvard business review,Vol(٧٧).

٧- Ibarra,Herminia.,(١٩٩٣); Network centrality, power &Innovation: Involvement: Determinates of technical & Administrative roles, Academy of management Journal , Vol(٣٦),N(٣),June.

٨- Ivancevich,John,M.,&Skinner,(١٩٩٧);Management Quality and competitveness,Mc Graw-Hill companies,Inc;chicage.

٩- Kelly,R.E.,(١٩٩٨);How to be Astar At work a Break through strategic you need to success, times business, New Yourk.

١٠- Kotler,P.,(٢٠٠٠);Marketing management,Prentice-Hall,New Jersey.

١١- Marinos,Los.,(٢٠٠٠); Creativity and Technology and technological Innovation in the united states , Research technology management , Nov/Dec, Vol(٤٣),Issue ٦.

١٢- Miller,W.C.,(١٩٩٨); Fostering Intellectual capital, H.R.Focus, January.

١٣- Stewart,T,A.,(١٩٩٩); Intellectual capital: The new wealth of organizations, business quarterly.

١٤- Sveiby,K.E.,(١٩٩٧); The new organizational wealth: Managing &Measuring knowledge-Based Assets,Berrett-koehler publishers,Inc,Sanfrancisco.

١٥- Traill&Gruenrt.,(١٩٩٧); Product and process Innovation in the food Industry, London.

١٦- Roos,G&L.Fernstrom.,(٢٠٠٣); Differences in value creating logic and their managerial consequences: The case of Authors, publishers& printer's paper presented at the Australian International conference on the future of the book , ٢٣rd April ٢٠٠٣, Cairns, Australia.

مقالات الانترنيت

١- Cohn,L.&Robert.,(٢٠٠٢); Innovation Infrastructure.http:// www.olc.com.

٢- Donnac,L٧Paula.,(١٩٩٧); Innovation: Applying Innovation to the business of Peru. www. Glacial vantage.

الفكرة الجغرافية لمفهوم الإقليمية

ألاستاذ الدكتور ماهر يعقوب موسى
المدرس المساعد هدى خالد شعبان العطية

الفكرة الجغرافية لمفهوم الإقليمية

ألاستاذ الدكتور ماهر يعقوب موسى
المدرس المساعد هدى خالد شعبان العطية

المقدمة:

تهدف الدراسة إلى قراءة جديدة للفكرة الجغرافية ذات العلاقة بالإقليمية[1]، بغية تشخيص معالم الحيز المكاني الذي لا تنبع أهميته من ذاته كمكان، بل من فلسفته المكانية ذات العلاقة بالجغرافيات الأخرى التي تمنح كل منطقة خصوصيتها في التعامل مع الأخرى على وفق ديمقراطية مكانية تعبر عن خصائصها الذاتية، بامتدادات تكافلية مع المحيط الموضوعي بما يتفق مع مسار الهدف الواحد، وليس مع مسار التجزئة.

تنتمي الإقليمية إلى المستقبل، وستكون عمل الأجيال المقبلة، وقد أصبحت من الكلمات المثيرة (catch words). فهي تحمي الأقليات وتسند مشروعية الأكثرية، وتحافظ على أخلاقيات المكان دون التفريط بوحدة المكان الوطني. كما أنها تساعد على إبراز الممارسات الايجابية لجميع مكونات المجتمع الذي يبرز أفضل ما لديه مما يخلق منافسة مشروعة لتقويم الذات من خلال الآخر، وبهذا يستفيد أجمالي المكان من كل ما هو ايجابي لتطوير آليات العمل المشترك لصالح الدولة بشكل عام.

وينبغي إن تساعد الإقليمية على بلورة بيئة حضرية تدخل مكونا أساسياً في خلق المجتمع المنتج، لاسيما إذا كانت السلطات المحلية تتمتع بالكفاءة والنزاهة، وتقدم الموضوع على الذات لتطوير كل مدن الإقليم بكفاءة عالية تحترم الوقت وتختزل الكلف بحيث تكون دافعا للانجازات الفكرية الإبداعية.

لقد ظهرت فكرة البحث من قراءة التراث الجغرافي، وعلاقته بالإقليم والإقليمية. وقد أوحت تلك القراءة بان العلاقة السابقة قد اختلفت الآن. وعليه برزت إشكالية، حاول البحث إلى بلورة

---

١ – تدخل الاقليمية في البنية الفكرية للانسان الذي يمتلك وعيا وحضارة في تطبيقها وان اختلفا تبعا للمكان والزمان، فالاقليمية تجعل منه نسيجا يتماهى مع اختلافات الاخرين في بناء مشتركات ينتمي اليها الجميع ضمن حدود مساحية معلومة.

مشكلتها وهي ((لماذا اختلفت العلاقة التقليدية بين فكرة الجغرافيا كعلم والإقليمية كاديولوجية[٢] في ضوء المتغيرات الدولية المستجدة؟)).

ولإيجاد رؤية يمكن من خلالها الإجابة عن المشكلة التي طرحها البحث، تم صياغة الفرضية القائلة ((إن التغيّرات التقانية والاقتصادية لحساب الدول القوية أدت إلى اختلال في مستوى العلاقة من المكان الأصغر باتجاه المنطقة الأكبر، حتى أضحت الأيديولوجية المكانية تمارس دورا في خلق وعي سياسي جديد للهيمنة على الأرض بتقليص خصوصيات المكان ودمجه بالمنطقة الأوسع)).

الوضع الاقتصادي وتشكيل الإقليم:

يشير المبدأ الجغرافي إلى أن العنصر الإقليمي[٣] للمدينة يصنف مكانياً إلى وظيفتين: محلية وإقليمية[٤] وان التمييز بينهما له أهمية في عملية التخطيط الإقليمي. ويبدو أن العنصر الإقليمي هو أصل وظيفة المدينة وبهذا فان جوهر فكرة المدينة هي أن تخدم منطقة تابعة لها. حيث يبرز التأثير المكاني المتبادل بين المدينة والريف بعلاقة وثيقة جدا ناجمة عن حركة الناس والطريقة التي يكسبون بها عيشهم ونوع الحياة التي يحيونها[٥]، وهذا يتولد منه علاقة تتمثل بردود أفعال تخلف مركباً إقليمياً متفرداً[٦]، يمزج بين خصائص البيئة الحضرية والبيئة الريفية بمعطياتهما الطبيعية والبشرية، مما يولد تخصصا لكل قرية تخدم المدينة بحيث تصبح أحد إشكال التنظيم السياسي التي تستمد بريقها من خيرات الريف الذي يقوم بتمويلها غذائيا مقابل تقديم المدينة خدماتها الحضرية ومصنوعاتها إلى ريفها المجاور.

إن العلاقة تحت ظروف الاقتصاد ذي الاكتفاء الذاتي الذي يظهر فيه نمط معين من الحياة، قد يضمن المحافظة على الخصوصيات المحلية لزمن غير قصير[٧]، كانت تمثل الهيمنة الحضرية المكانية ويمكن أن تكون حسب التعبير السياسي الحديث حالة استعمارية تسلطية على الريف الذي يتسع أو يتقلص تبعاً لحجم وهيمنة المدينة وطبيعة توجهاتها. ألا أن هذه العلاقة قد تعدلت جزئياً بين المدينة والريف في ظل نظام اقتصادي هدفه زيادة التبادل التجاري من جراء تطوير القطاع الزراعي والقطاع الصناعي. فالدور التجاري للمدينة مهم في العلاقة بين المدينة والإقليم وان أداء المدينة لهذا الدور تكافلياً يجعلها أداة تكامل مفضية إلى بروز إقليم وظيفي[٨]. هذا الأمر أدى إلى اعتماد آليات اقتصادية جديدة بلورت بروز المدينة الأوربية في العصر الوسيط بحيث بدأت تشكل ظاهرة سكانية وسياسية واقتصادية، لم نجدها تبرز بذات الوقت في المدينة العربية إلا بشكل نسبي في بداية الستينيات. إذ لا تزال المدينة عندنا عاجزة عن توفير مستلزمات ديمومتها ذاتياً. فهي مدن تقتصر على تقديم الخدمات فحسب، بينما جوهر العلاقة بين

---

٢ – الاديولوجيا :ـ هي كيف ترى الأمور أو الأشياء.

٣ – يشمل العنصر الإقليمي على قطاعين : ـ أولي (أساسي) وثانوي (غير أساسي)، فالأولي مبرر لقيام المدينة ويتوقف عليه نمو القطاع الثانوي.

٤ – R. Dickinson , city and Region , London. ١٩٦٤. p.٢٤.

٥ – شاكر خصباك، علي محمد المياح. الفكر الجغرافي في تطوره وطرق بحثه، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٨٧.

٦ – جمال حمدان، جغرافية المدن، بلا تاريخ، ص ٤٧٢.

٧ – فيدال دي لابلاش، أصول الجغرافية البشرية، ترجمة شاكر خصباك، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٤٨.

٨ – D.K. Forbes , the geography of under development , A critical survey , Croom. HELM, London and Sydney , ١٩٨٤. p. ١٢١.

المدينة الأوربية وريفها المجاور قد تغير مع الابتكارات والاختراعات وتطور النقل والاتصالات حتى كادت تختفي الفرو قات الحضارية بينهما إلى حد ما، أي إن المدينة سحبت ريفها إليها، بينما مدننا تريّفت (Ruralization) وهذا يؤشر الميل النفسي للثقافات المتباينة ضمن المدن المختلفة في تكوين عالمها المستقبلي.

دور النقل في تطور العلاقات الإقليمية:

تستمر التغذية الاسترجاعية Feed back)) بين الأجيال في المكان بمكوناته الحضارية والثقافية لزمن طويل في حالة وجوده معزولا، ويكون تطوره بطيئا جدا عبر صيرورة الزمن، فالقصور الجغرافي geographical Inertia)) للمكان المعزول، أو المجتمع المغلق يكون واضحا حيث تختفي فيه العلاقات الرابطة بين ألاماكن من جراء عزلتها، ما لم يكن ثمة وسيلة تشد الكيانات المختلفة إلى بعضها وتسهل الاتصال فيما بينها وتغيّر القناعات الذاتية لتلك المجتمعات بضرورة الاتصال والحاجة إليه للتعامل مع الأخرى. مما يفضي التلاقح بين الموروثات في بداية الأمر إلى تغيير طفيف للبنية الفكرية الذي من شأنه أن يجعل منظور الجماعة إلى العالم مختلفا عما كان عليه، وان ما يشجع على أبراز العلاقات ونموها هو عنصر النقل والاتصال الذي يمنح اتجاهات متعددة ويقتحم الثوابت الموروثة بما ينقله من أفكار وأشياء يجددان من طبيعة المكان. وقد ساعد النقل والاتصال على لملمة الأجزاء المكانية المتباعدة على وفق آلية الامتداد نحو التكامل حيناً والانكماش نحو مراجعة تشكيل الذات المتجددة أحياناً أخرى. فالإقليم يحمل طابعه المحلي في لهجته وفنونه وألعابه الشعبيه وطريقة تفكيره وتُكون عناصره هذه كياناً سياسياً ذي استقلالية وتفرد (unique). لمّا كان النقل لم يزل دون تأثيره الحالي مما سمح إلى تقوقع الأنماط المحلية القائمة في المكان آنذاك[٩]. وان التغير البطيء أدى إلى تأخر تطور تكنولوجيا النقل والاتصالات بحيث جعل المدينة تعتمد على الريف المجاور الذي يمثل إقليمها لضعف أمكانية قيام علاقات أكثر بعداً.

اخذ الاتصال يحل محل العزلة مع تطور النقل والاتصال، فازدادت مديات الحركة البشرية والسلعية وتقاربت الأقاليم من بعضها حد الاندماج نتج عنه ظهور الدولة الوطنية بعد ذوبان جزء من الخصوصية المحلية تحت غطاء التجانس النسبي لتدعيم الوحدة الجديدة، فالإقليمية هي الأساس في توحيد الدولة وظهورها ولا يمكن أن تكون غير ذلك فقد أصبحت أساس الحياة الحديثة، وعليه ستبقى الرافد الرئيس لاستمراريتها على وفق خصوصيتها التي ترتبط بقاسمها المشترك ضمن سيادة الدولة التي همشت جزءاً من الفرو قات الإقليمية لصالح المجتمع ككل وتنظيمه وظيفياً.

يبقى نمو شبكة النقل والاتصال وتطورها مفيداً لتأسيس علاقات بين الأقاليم المختلفة سواء داخل الدولة أو مع مناطق تقع خارج حدود الدولة، وقد عمل هذا التطور على إذابة الكثير من الخصائص الإقليمية القديمة وإيجاد مركباً جديداً دفع بالعاصمة لاستغلاله لصالحها عن طريق تحويل المدن في الأقاليم إلى ضواحي تمتص ثرواتهم العاصمة التي تمثل ثقباً ابيضاً يبتلع معظم خيرات المدن والأقاليم الأخرى. لدرجة انخفض أداؤها وتدنت مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والخدمية، وفقدت طابعها الحضاري إلى حد فقدان هويتها.

---

٩ – جمال حمدان. مصدر سابق.ص ٥٣٠.

إلا أن أهمية النقل تكمن في ربط الأجزاء ببعضها على أساس التكافل الوظيفي وتنمية المكان قدر الإمكان وبشكل عادل لجميع أقاليم الدولة أو الوحدة السياسية وليس توظيفه في سبيل سرعة امتصاص ثروات المكان الآخر باعتماد علاقات سالبة بين الأقاليم بحيث ينجم عن ذلك توترات نفسية واجتماعية واقتصادية يصعب السيطرة عليها أو الحد منها لمستوى معقول لدرجة إنها يمكن أن تقوض استقرار النظام الحاكم لضعف قدرته على إيجاد تنمية شاملة[١٠].

تغير مفهوم الإقليمية:

يطرأ على المفاهيم التي يطرحها المهتمون بموضوع معين تغيرات مع الزمن بحيث يتخذ المفهوم دلالات مختلفة من وقت لأخر، وان كل مفهوم جديد لابد أن ينسجم مع طبيعة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتقانية. إن ما تعنيه الإقليمية وفق المنظور العام ((إدارة المكان المتفاعل[١١])، أي تنظيم الدولة أفقيا بإنهاء صراعها الاجتماعي عن طريق تأسيس أقاليم متكافئة إلى حد ما بتوجيه مركزي لا يقفز على عناصر التنظيم الذي تشكله، فالإقليمية إدارة، واللااقليمية (Irregionalism) تمثل الدكتاتورية المكانية التي تنسجم مع الدكتاتورية السياسية، حيث الامتداد العمودي يبلور صراعاً اجتماعياً لحساب مكان بذاته يجتزأ من الأمكنة الأخرى كامل تطلعاتها. وعليه يمكن الوقوف على بعض تغيرات[١٢] هذا المفهوم مع الوقت وهي :-

١ـ الإقليمية الثقافية (Cultural Regionalism), حيث أكد الكتاب والقصاصون والشعراء والرسامون على استلهام مفردات البيئة المحلية وتجسيدها في نصوصهم، مما يؤدي إلى بروز حالات مكرسة في هذا المكان ولم نجدها في مكان آخر ـ وهذا قد يضيف " فيما لو كان إبداعاً " بعداً جديداً لما هو سائد عالمياً ـ وبهذا يمتد الخاص إلى العام ويندمج معه، ويتسع المكان رغم محدوديته الإقليمية إلى حدود الكرة الأرضية، إن هذه البيئة الجغرافية الطبيعية والبشرية قد تتعدى مرحلتها الوجدانية في حالة استلهام الطاقة الفكرية والبشرية في المرحلة الثانية.

٢ـ الإقليمية الاقتصادية (Economic Regionalism)، وهذه الإقليمية تنمو باتجاه استغلال الموارد الاقتصادية وكل إمكانات الطاقة المحلية لتجنب التبعية السياسية والاقتصادية للعاصمة التي طالما استلبت حقوق الأقاليم الأخرى التابعة لها, وهنا التأكيد على أن لا ينحو هذا النوع من الإقليمية باتجاه يفقد الإقليم استقلاليته ويستلب خصوصيته وانتمائه الوطني تحت أي مبرر، وأن يبقى ملازماً للوطن الأم، ويؤكد وجوده بشتى السبل ضمن السيادة وليس خارجها.

وقد ظهر أعادة التنظيم المكاني (Spatial reorganization) بما ينسجم مع احتياجات الطبقة الحاكمة الجديدة[١٣].

---

١٠ – ماهر يعقوب موسى, المدينة العربية والتنمية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة العشرون, العدد ٢٢٨, شباط ١٩٩٨, ص ٦٥.

١١ – استثمار المكان كما ينبغي كي تعمل علاقاته الايجابية في تقوية المكان الآخر في الدولة.

١٢ – جمال حمدان، المصدر السابق، ص ٥٣٠, فيما يخص الفقرات الثلاثة الأولى.

١٣ – D.K.Forbes., op.cit, p. ١٢١.

٣ـ الإقليمية السياسية (Political Regionalism)، وهذا المفهوم يدخل ضمن الفدرالية التي تستمد حركتها الداخلية فقط من السلطة المحلية بحدود الالتزام بقواعد وسلوك الدولة عموماً. وعليه فان عملية التفويض (devolution) تتفق فيها عملية الميول الحضارية للحكم المحلي مع الواقع الاقتصادي والبيئة الجغرافية للمنطقة بشكل خاص وعموم البلد بشكل عام, فالإقليمية هنا لا تنحو باتجاه الأفكار السياسية المؤدلجة، وإنما هي الضمير السياسي للأفكار البناءة[١٤].

٤ـ اقليمية الاقتصاد السياسي المناطقي (Regionalism of the zonation political economy), بدأ هذا المفهوم بالظهور منذ القرن السادس عشر لاسيما بعد أن حلّت بريطانيا محل اسبانيا ذات الاقتصاد التجاري (Mercantilists)، وسيطرت على أنها قوة خارجية على الاقتصاد البيروفي[١٥] (Peruvian), وانتقلت إلى أنماط التجارة الخارجية مع نمو صادرات الأسمدة الطبيعية (guano) والنترات، ثم دخلت الولايات المتحدة (U.S.A) محل بريطانيا بقوة في السيطرة على الاقتصاد والسياسة العالمية حيث وسعت الرأس المال الاحتكاري وفقا لمستجدات النصف الثاني من القرن العشرين، مقابل ما أكده الجغرافيون الماركسيون على وجود نوعين من العلاقات البيئية وهما العلاقات الطبيعية والعلاقات المكانية، حيث أبرزت أسلوباً للإنتاج يعبر عن نفسه بشكل مختلف تحت ظروف طبيعية متنوعة في أراضٍ ذات نسيج حضاري متنوع الأساليب المتداعية للإنتاج الذي احدث تنوعا بين الطبقات الاجتماعية أو ضمنها الذي مهد فيما بعد انتهاء الحرب الباردة لصالح الولايات المتحدة إلى بروز إقليمية جديدة.

٥ـ الإقليمية العولمية (the Regionalism of the globalism)، تبلور هذا المفهوم بعد التسعينيات من القرن العشرين حيث تحولت الرؤية السياسية ذات البعد الاقتصادي من المناطقية عن طريق دمج مجموعة دول بمشروع واحد تتداخل فيه الرؤى السياسية بالاقتصاد إلى اعتماد صراع الحضارات كاستراتيجيه لتبرير الهيمنة على دول الجنوب واستغلال مواردها، وهذا ناجم عن الهيمنة وليس على وفق منظور المصالح المشتركة لدول المنطقة (أي منطقة). حيث يكون المعطى الاقتصادي فعالاً في ربط مجموعة من الدول بخيوط من النسيج السياسي والثقافي المشترك كما هو المشروع الشرق أوسطي الذي يعد مشروعاً مفتوحاً لانضمام دول إضافية كلما دعت الإستراتيجية السياسية العولمية إلى ذلك, بحيث أضحت العلاقة أوسع من ذلك باعتماد نصفي الكرة الأرضية كطرفي للمعادلة إذ تهيمن دول الشمال ذات الإمكانات الاقتصادية والتكنولوجية على دول الجنوب ذات التبعية الاقتصادية والثقافية.

جدلية العلاقة بين الجغرافيا والإقليم:

تأتي المقاربة الشديدة بين جغرافية المدن والجغرافية الإقليمية من الدراسات الجغرافية التي كشفت عن أهمية إقليم المدينة في حياتها رغم وجود اختلاف بين إقليم المدينة كمفهومٍ مع طبيعة الإقليم الشكلي (المطلق) حيث يمثل إقليم المدينة الجانب الوظيفي الذي يحمل مضموناً اقتصادياً قد يدرس العلاقة بين الإنتاج والتوزيع والحركة فهو إقليم منظم (Organized region)، بينما الإقليم الشكلي

١٤ – جمال حمدان، المصدر السابق، ص ٥٣٧.

١٥ – الاقتصاد البيروفي (Peruvian economy): يمثل بداية الطور الجديد لتراكم رأس المال, إذ كان الطلب الأوربي يرتبط بالسلع الكمالية.

يحمل الصفة التركيبية (Formal Region) ويكون متجانساً نوعا ما سواء طبيعياً أم بشرياً. وبهذه المقاربة فان إقليم المدينة يعطي للحيز المكاني عضوية متماسكة كونه يمثل عقدة (Nodal)، لكنه لا يغني عن بقية الأقاليم الجغرافية الطبيعي منها والبشري، التي تمنح إقليم المدينة بعداً مرئياً ومحسوساً تعبر عنه تكوينات جيولوجية وتضاريسية ومناخية ونباتية يساهم كل عنصر منها في توجيه الإقليم نحو المدينة وضمه إليها. فالإقليم لا يشترط تجانس واتفاق دوره مع حدود الحقائق البشرية لأنه إقليم ذو صفة وظيفية يضعف تأثير ألحتم البيئي عليه الذي يكون ممكناً لو كان تركيبيا، وهذا يحفز إلى استقراء الأسس التركيبية للإقليم من ظاهرات[١٦] متعددة تهتم بالتجانس الوظيفي[١٧]، وان أبرز تلك التي تحدد العلاقات الوظيفية هي العناصر الحضارية التي تعمل على انقسام اوالالتئام السياسي ضمن الوحدة السياسية. وهذا يجعل من الإقليم حيزاً ذا نظام من خلال تطور الإنسان والمكان[١٨] في العلاقة التبادلية القائمة بينهما.

يجمع اغلب المختصين الجغرافيين[١٩] إن الدراسات الإقليمية تمثل قلب الجغرافيا، كونها ترتقي إلى مستوى يمكن أن تبنى عليه مبادئ علمية[٢٠]. وقد اخذ الاهتمام يتنامى في الدراسات الإقليمية في كل من ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فالجغرافيا معنية بتكامل الظواهر,وان كل جغرافي لا بد أن يقوم بدراسات إقليمية، ولا ينصب اهتمامه على الظواهر ذاتها (أصلها وعملياتها) بل بالعلاقات التي تهتم بالتباين المكاني[٢١]. فالمناطق تختلف عن بعضها البعض في ضوء المركبات المتغايرة الملامح والمترابطة بقوة.

فالسمة النباتية (vegetative character) مثلا لمنطقة معينة ومظاهرها الجيمورفولوجية تعكس الملامح الحضارية لتلك المنطقة، هنا ينبغي دراسة هذه المناطق على أساس كيفية اختلافها وكيفية ارتباطها، فان دراسة أية ملامح خاصة بشخصية المنطقة ينبغي قياسها في ضوء علاقاتها بالعوامل الأخرى في تلك الشخصية الكلية التي تعتمد على وفق قياسات نسبية لا مطلقة[٢٢]. فالعلاقة[٢٣] بين عاملين جغرافيين أو أكثر ضمن الإقليم تمثل معادلة ((دالية))[٢٤] تنطوي على متغيرات متعددة. فأي عنصر جغرافي يدرس قد يكون متأثراً بأكثر من عنصرين أو بعدد غير قابل للقياس من العوامل البشرية. فالجغرافية الإقليمية معنية بدالات لا يمكن أن يعبّر عنها بدالة لأي عنصر بمفرده بل هي (الجغرافية الإقليمية) متمثلة بالعديد من المركبات العنصرية التي تقدم أشكالاً بنائية مختلفة الأهمية[٢٥].

---

١٦ – مثل المناطق الزراعية والصناعية والحرفية.

١٧ – جمال حمدان مصدر سابق، ص٥٤٤. انظر أيضا : روجر منشل، تطور الجغرافيا الحديثة، ترجمة محمد السيد غلاب ودولت احمد صادق, ط.الأولى, مكتبة الانجلو المصرية, ١٩٧٣، ص٥٦.

١٨- Emrys Jones, Towns and cities, oxford, ١٩٧٠.p. ٩٧.

١٩ – مثل ساور sourc وبومان Bowman.

٢٠ – ريتشارد هارتشون، طبيعة الجغرافيا، ترجمة شاكر خصباك، الجزء الثاني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٥، ص ٥٩٨.

٢١ – ريتشارد هارتشون, المصدر السابق, ص ٢٨١.

٢٢ – ريتشارد هارتشون, المصدر السابق, ص ٢٨٣.

٢٣ – علاقة ناتج المحصول بالأمطار ومحتوى الدبال في التربة مثلا.

٢٤ – تتمثل بجانب طبيعي أو اقتصادي أو سياسي أو قومي، وعلى هذا الأساس قد تبرز دالة بعينها في تحديد أهمية الإقليم دون إخفاء أهمية الدوال الأخرى.

٢٥ – ريتشارد هارتشون, المصدر السابق, ص ٣٠٣.

فالجغرافية الإقليمية هي ربط الوحدات المكانية ببعضها بغية كشف التكوين البنيوي والوظيفي والحضاري للإقليم الأكبر من خلال فسيفساء يستطيع الفرد أن يفهم الوظيفة المتغيرة بحدود معينة للكثير من العوامل المتغيرة شبه المستقلة حيث التجانس الإقليمي، الذي يمثل فكرة نسبية، فالجغرافية الإقليمية تدرس الطريقة التي تجمع بها المناطق الصغيرة (Districts) بمناطق اكبر(Areas).

وقد يتمحور الإقليم سواء كان صغيرا أم كبيرا حول مسالة سياسية تمثل الدالة الرئيسة في تشكيله على أساس مناطقي وليس على أساس محلي، وهذا يرتبط بما يسمى بالإقليم المركب[٢٦]، ويبدو أن ألأقاليم تختلف في النوع ودرجة التعميم، إلا أنها تشترك بصفة التراتبية إذ أن لكل وحدة إقليمية تماسكا داخليا، وان تميز أجزائها يساعد على فهم المنطقة المكونة للإقليم بشكل أوضح[٢٧].

المجتمع الحديث والإقليمية:

تتألف معظم الدول من أقاليم[٢٨](محليات) مختلفة طبيعيا وبشريا وحضاريا واقتصاديا. ويفعّل الجانب السياسي للمعرفة الجغرافية توزيع تلك الاختلافات والقيم البشرية ضمن الأجزاء المختلفة للدولة الواحدة، بحيث تتبلور أخلاقيات المكان (الحيز) (Ethics of space) في تكوين المبادئ السياسية التي تتعامل مع الحيز الجغرافي كمكون لنسيج الدولة[٢٩].

لدرجة تطمح المجتمعات إلى الاستفادة من الأقلمة ضمن السيادة العامة دون أحداث خلل في الرابط النسغي بينها، لخلق أبعاد أمكانية تكاملية على مختلف المستويات، وتنمية شعور نفسي قوي توحي به تلك النوايا السياسية على أساس اشتراكية المكان وتوزيع المنافع والدخل باتجاه تنمية الثقة بين قمة الهرم وقاعدته ليعمل الجميع من اجل الجميع. هذا يعكس طبيعة الوظيفة السياسية للدولة في التنسيق وحفظ التوازن بين تلك المحليات ضمانا للعدالة السياسية والمادية، ولتحقيق فلسفة مكانية سياسية يكون هدفها الأخير الانتماء إلى الدولة الأم.

فالإقليم هو الحيز الذي عليه تدور فلسفة المكان حسب معالم ومعطيات كل إقليم لخدمة قوة الدولة التي تزداد مع تنوع الأقاليم وتعددها على أن يحدث توازن بينها لتحقيق التنمية المكانية التي تستهدف التنظيم المكاني[٣٠]. يضفي هذا المنظور أثراً على كيان الدولة في تباينها وتنوعها مما يبرز تماسكها ووحدتها عبر آلية تنافس وتفاعل المواهب والخبرات والثقافات المحلية، مما يحفز النزعة الوطنية بالانتماء أليها رغم أن الأرض تُقسم وتستعمل عليها النشاطات الاقتصادية التي تتأثر بعوامل حضارية أكثر من تأثرها بعوامل اقتصادية[٣١]، فالإقليم الحضاري هو في الأغلب توافقات(combinations) بين أجزاء من

---

٢٦ – حسن سيد احمد أبو العينين، جغرافية العالم الإقليمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤، ص ١٨.

٢٧- A.Gites, J. Gites and J.D. Fell man, Introduction to Geography, university of Illinois , urban chompaign.١٩٩٦. p.٤٧.

٢٨ – من النادر أن تتألف الدولة من إقليم واحد متجانس ألا أذا كانت صغيرة المساحة جداً.

٢٩ – جمال حمدان، مصدر سابق، ص ٥٣٥.

٣٠ – خالص حسني الاشعب، إقليم المدينة بين التخطيط الإقليمي والتنمية الشاملة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، بغداد، ٩٨٩، ص ٢٠.

٣١ – ريتشارد هارتشون، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ١٣٨.

أقاليم طبيعية مختلفة[٣٢]، فالكثير من مظاهر الحضارة تعود إلى التباين الإقليمي[٣٣]. وهذا يشجع على الاندماج وخلق روح المنافسة والإبداع والابتكارات ويخفض بشكل كبير التوترات بين تلك الأقاليم مادامت حرية الأقاليم بكل أبعادها ترتبط بحرية الدولة ذات المنظور ألتعددي الموحد في سيادته الداخلية وسياسته الخارجية وعدالة توزيع الثروة بين الأقاليم المتنوعة.

إن هذا المنظور الذي نضجته العوامل الجغرافية لا يدعو إلى بلورة نظام سياسي إقليمي مستقل عن كيان الدولة الأم, لأن المحلية ذات الشعور بالانتماء إلى الوطن ليست حركة انفصالية، بل هي عملية أعادة التنظيم (Reorganization) الإقليمي ضمن السيادة العامة للدولة، وغير ذلك لا مبرر له[٣٤]. إن الحكومة المركزية رغم إمكاناتها بإدارة الأوضاع الداخلية، فهي لم تكن بالكفاءة ذاتها من أبناء الإقليم، لأنهم أكثر معرفة باحتياجاتهم ومعالجة مشاكل إقليمهم، وان تدخل الدولة بالتفاصيل الصغيرة يكون مدعاة لبروز وتشجيع حكم شمولي Totalitarian)) (دكتاتوري)، وان فصل بعض آليات الترابط بين المركز والأطراف يجعل من حركتيهما ذات مرونة عالية بحيث يكون المركز قادرا على أداء وظائفه العامة دون التفاصيل الإقليمية المحلية.

وإن أي اهتزاز لهذه العلاقة أيا كانت لصالح المركز سيخلق اضطراباً في الترابط العضوي يصدر عنه إيقاعات مشوشة تنحصر ترددداتها بين المرسل والمستقبل تترتب عليها ردود أفعال من المجتمعات الإقليمية المختلفة ضمن الدولة تعبر عنها ممارسات مضمونها هادئ إلا أن دلالاتها تتناقض مع المنظور العام للمرسل (المركز) بحيث تشكل استفزازاً للمركز لدرجة يجعل ممارساته أكثر عدوانية على مجتمعات الأقاليم سواء على الجانب الخدمي أو الإنساني من جراء التجاهل المقصود الذي يوسع الهوة بين السلطة والرعية، مما ينبثق عنه إن صح التعبير(بالإبادة النفسية) للآخر، فتمسي الدولة بموجبها سلطة مخابراتية بدلاً من أن تكون حكومة ترعى مصالح مجتمعها بمكوناته المختلفة على أساس العدالة الممكنة. وإن هذه الرعاية تمنح الدولة رؤية مفيدة في الحالات الاعتيادية وغير الاعتيادية، لأن السلامة الوطنية لا تضمنها سوى العدالة الإقليمية التي تتفق مع حالة الدفاع الوطني بالانتشار دون التركيز[٣٥]. وعليه فان أساس الحياة وتنظيم الدولة سوف يكون إقليمياً ولم يكن نهجا قسرياً (Procrusteanbed) بفضل ديناميته، لإغراض تنظيم المجتمع الحديث على أساس المواطنة لا على أساس الذاتية الضيقة أو الانحياز لمصلحة من ليس له علاقة بالوطن[٣٦].

المركز والأطراف:

لم تبرز عواصم الدول لاسيما في دول العالم الثالث إلى حد ما حتى منتصف القرن العشرين على أنها مراكز استقطابية، لأن الاقتصاد العالمي بشكل عام لم يزل ذا رؤية تقليدية في طبيعة الإنتاج ونوعيته مما جعله ينمو ببطء، ولا يلبي الإنتاج ألا احتياجات فئة معينة من المستهلكين مما لم يتح للدول أن تركز

٣٢- المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٢٧٨.
٣٣- المصدر نفسه. الجزء الثاني، ص ٢٤٩.
٣٤- جمال حمدان، مصدر سابق، ص ٥٣٤ – ٥٣٥.
٣٥- جمال حمدان، مصدر سابق، ص ٥٣٩.
٣٦- المصدر السابق، ص ٥٤١.

اقتصادياتها في مراكز القرار السياسي. إذ كان الاقتصاد الزراعي هو الأكثر فعالية في توزيع السكان على مساحة الإقليم، حتى أن معظم العواصم كان سكانها دون بقية المدن لانخفاض سكان الحضر[٣٧]، كما أنها لم تكن مكاناً يشد السكان إليها وهذا ينسجم مع قول فنمان (Fenmann) بأن الأجزاء المختلفة للجغرافيا تنطبق على أجزاء المنطقة بالدرجة ذاتها، إذ ليس ثمة قيمة نجدها في القلب هي أكثر مما عليه في الأطراف[٣٨] شكل (١).

شكل رقم (١)
علاقة إقليمية متكافئة في ظل الاقتصاد التقليدي.

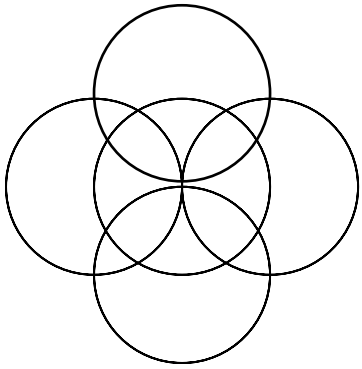

شكل رقم (٢)
علاقة إقليمية مهيمنة في ظل الإنتاج الواسع

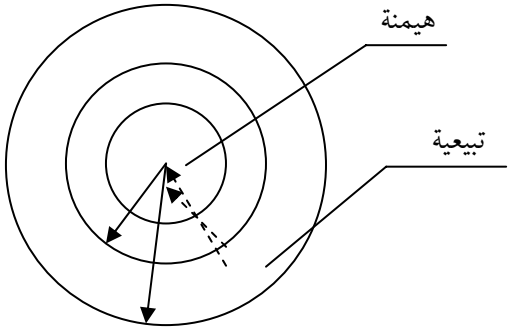

٣٧- طه حمادي الحديثي، جغرافية السكان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل. الموصل، ١٩٨٨. ص ٦٤٨ وما بعدها.
٣٨- ريتشارد هارتشون، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ٣٠٨.

شكل رقم (٣).

تداخل العوالم الإقليمية المناطقية وصراع المثلثات الاقتصادي.

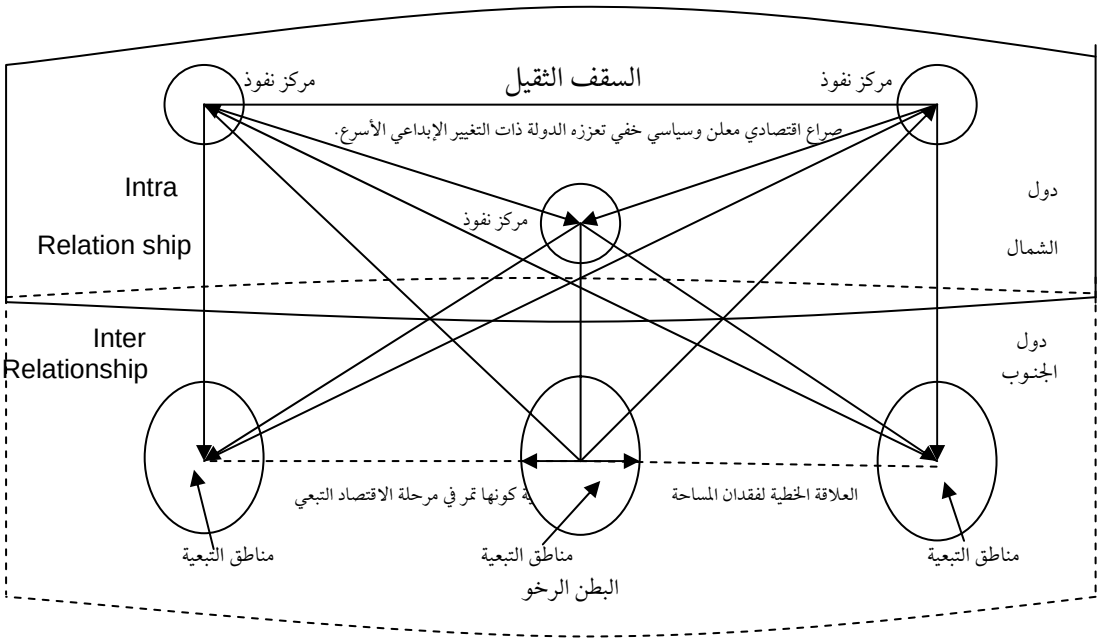

المصدر: فكرة الباحث.

فالنمو كان يشمل كل من النواة والأطراف ضمن حقل قوى الفعل الاقتصادي وسيطرته التكاملية، وقد أدت فيما بعد الكثير من التبدلات السياسية والاقتصادية والثقافية إلى اعتماد خطوط أنتاج واسع (Mass production) دعا إلى البحث عن أسواق لتصريف الفائض من الإنتاج، حيث السلوك الاقتصادي والإنتاجي قد تغير في الربع الأخير من القرن العشرين، مما اضطر المنتجين إلى تركيز مقرات مؤسساتهم العامة الصناعية والتجارية والخدمية في العواصم لتقوم بدور المنافسة من حيث الإدارة، والتصميم، والإبداع الفكري، والدراسات والتطوير، والتسويق، دفع ذلك إلى استقطاب أفراد ذوي مهارات مختلفة، ولما كان هذا التركز يفضل العواصم التي تحرك نشاطها وأصبحت بؤر سياسية واقتصادية وتجارية كونها صانعة القرار فكان لابد من وجود هذه المقرات حيث المنافسة على أشدها، أدى ذلك إلى الحاجة للمهارات المختلفة لان تأتي إلى المركز لاسيما بعد زوال الإقطاع كمرحلة سياسية – اجتماعية في الدولة، مما فسح المجال للاندفاع نحو المدن لاسيما العواصم، وكان معظم المهاجرين من المناطق الريفية بحاجة لتغيير نمط حياتهم والاندماج بالحياة الحضرية بغية نسيان آلام الماضي الزراعي، وهذا قد اضعف كيانات ريفية كانت ذا حجم سكاني كبير ربما استمر وجوده لمدة أطول لولا التحول السياسي والاقتصادي الذي نجم عنه إزالة الإقطاع.

إن هذا الوضع دفع العواصم بترتيب تنمية أماكنها بما يليق بقطبيتها التي تدور حوله بقية المدن الأخرى ضمن حدود الإقليم والدولة، فالهجرة من الريف إلى المدينة ابرز العواصم الوطنية في الحجم

والإمكانات بحيث أصبحت في نهايات القرن العشرين حالات تنموية شاذة في معظم دول العالم بوجود جسم نحيل ينوء تحت رأس ثقيل، مما خلق توتراً بين المركز والإطراف. حيث جميع الخدمات والثقافات والنشاطات والتطورات تتمحور في العاصمة دون بقية مدن الدولة شكل (٢)، ولّد هذا هوة بين العاصمة التي أخذت بريقها من خيرات المدن الأخرى واستنزافها إلى أقصاها. وبين المدن والريف المجاور والبعيد الذي لم يُدرْ بالشكل التنموي المطلوب وهذا ما يظهر طبيعة عدم التوازن ألحجمي لأقاليم دول العالم الثالث.

يبدو هنا أن عواصم معظم الدول لا تنتمي تمظهراتها الحياتية مع باقي المدن، فالنظم الدكتاتورية (Totalitarian) الشمولية لا تجد انجازاتها إلا في العاصمة التي أخذت توحد وتجانس النمط الحضاري والثقافي ضمن محيطها وتتجاهل المحليات بأنواعها، مما دفع بالعاصمة أو دول الشمال المتقدم من تشجيع المواهب من العلماء والفنانين والكتاب والمفكرين من التوجه إليها والسكن فيها، مما أدى إلى تهميش وتحييد المدن الأخرى أو الدول الأخرى على مستوى أعلى من التحليل ضمن النظام الدولي وهذا ينعكس على حصر الانجازات في مكان محدد وبكلف اقل وتوزيع الثروة على عدد اقل من السكان، فالمطلوب هنا التخطيط المحلي لا التنميط العاصمي على مستوى الدولة والعلاقات التكافلية بين دول الشمال ودول الجنوب على مستوى النظام الدولي كما يؤشره.

وان عكس ذلك يمثل أكثر حالات عدم العدالة شيوعاً، فالعدالة بين المحليات وما بين الدول هو هدف الجغرافية التطبيقية، وأن تنظيم الدول ينبغي أن يكون إقليمياً لا عاصمياً[٣٩] شكل (٣) حيث يذكر " فريدمان " أن نموذج المركز- الأطراف يميل فيه النمو الاقتصادي إلى أن يحدث في الأقاليم، ومنها يتم تنظيم الاقتصاد والتطور مكانياً وان تحديد مواقع معظم المنشآت يتفق وارتباطها بالمدن والأقاليم الحضرية[٤٠].

إن التنوع يجمع لما فيه من مضامين غير متكاملة في محتوى الجزء يجدها في الأخر، وهذا يولد لُحمه عضوية تسهم في اكتمالية (perfectibility) العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، واندماجها حيث يعمل المجتمع وكأنه منفصل عن بعضه في الظروف الاعتيادية، ما يلبث أن يُكون تروساً يحرك بعضها البعض في الأوضاع السلبية التي تواجهه.

فتضخيم الجزء على حساب الكل سواء على المستوى المحلي أو الدولي يولد ردات فعل عنيفة اتجاه الجزء المستغل لتأكيد الذات أمام من يمارس الدور لمحو شخصية هذا الإقليم أو تلك الدولة، وهذا يؤدي إلى بروز وعي إقليمي (Regional consciousness) ذو نزعة عدائية إلى القطب المتطور.

وقد انبثق عن آلية الصراع المكاني بين نزعة القهر ونزعة التحرر سلوكا جماعيا يتمحور حول مسألة تعتمد على ثقافة المجتمع ومستوى العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ذلك المكان، وتمثل هذه العلاقة احد النقاط الأكثر أهمية عند ممارستها ضرراً في توجهات السلطة ووجودها عندما يكون الصراع هادئا وسلميا وغير منظور، إلا أن تمظهراته التي تطفو على السطح وتتسع بين الفئات الشبابية تخلق تداعياتها

٣٩- جمال حمدان. المصدر السابق، ص ٥٣٧.

٤٠- John Friedmann. The Role of cities in National Development. New York: n.pb ١٩٧٨.p.٧١.

قلقاً للسلطة التي تحاول ظاهرياً أن تبدو أكثر مرونة كون الحكم الدكتاتوري لا يواجه المعارضة بقدر ما يعمد إلى ابتلاعها[٤١]، مثلما تدرك المعارضة في الداخل أن الحائط لا يمكن إسقاطه بالجبين[٤٢]. ومن هذه المعادلة تأخذ السلطة على عاتقها منح بعض الامتيازات الترقيعية للأقاليم بغية التخفيف عن تلك الممارسات واثبات النية الحسنة اتجاه أبناء المجتمع ككل، إلا أن هذا لا يقنع البعض لفقدان الثقة وهم يدركون أن الإستراتيجية السياسية الثابتة للحكم الشمولي ما لم تتغير على الأرض اتجاه ممارساتهم الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية، فالتكتيك لا يجدي نفعا. لهذا يمكن ملاحظة فشل محاولات العاصمة إزاء العمل المرحلي الذي تقوم به. وهذا هو انعكاس لنرجسية السلطة التي تقوم بالمراقبة والمتابعة على مستوى الفرد, لان النظم الشمولية هشة بطبيعتها كونها لا تستند على قاعدة واسعة.

الاقليمية والعولمة (Regionalism and Globalisation):

يبدو أن ثمة اختلاف بين الإقليمية من جهة والعولمة وآلياتها من جهة أخرى. فبينما الإقليمية تحاول أن تجسد الخصوصيات إلى الحد الذي تكون نتائجها العملية تنتهي بالقواسم المشتركة لرؤية الدولة المركزية التي تنتمي أليها الأقاليم المختلفة نسبيا، بحيث يلاحظ على المستوى الدقيق (Micro) وجود تمايز يتماهى مع المستوى الأكبر(Macro) الذي تمثله الدولة. فالاعتماد على الكيانات الاقاليمية (Regionalization) التي تنبثق تلقائيا من النسيج الجغرافي تعد أمرا ضروريا لمصالح المجتمع الاقتصادية والاجتماعية وتنظيم حياته اليومية, وهذا أمر لا يمكن تجاوزه مادام ثمة أماكن لها خصائص جغرافية معينة استدرجت سكانا بعينهم أليها، مما استدعى إلى رسم صورة تختلف عن غيرها في المكان الآخر.

أما العولمة نجدها تعمل على احتواء العالم لدرجة تداخل فيها الزمان بالمكان بحيث أضحت الجغرافيا حدثاً تاريخياً والتاريخ موقعاً جغرافياً[٤٣], وكلاهما يمثلان محاولات في التوحيد الوصفي[٤٤]، مما برر للعولمة أن تسوق الزمن باتجاه المكان المختلف، أي ليست ثمة مكان يختلف عن الأخر بزمنه ألموقعي أو بموقعه الزمني، وهذا أضفى مشروعية توجهاتها التي تمخض عنها حتمية تشرّب ألكل بنضوحات الجزء. هذه الإشكالية (Problematic) بين الإقليمية والعولمة أخذت تتعمق بعد أن سارت العولمة بالاتجاه المعاكس بتبنيها معادلة الكل يرتبط بالجزء! بينما الإقليمية تعد حاجة إنسانية، نجد أن العولمة هي مخطط النخبة للهيمنة بأفكارها الهلامية، فهي مقاربة, جد قوية لرياضيات الفوضى، التي تستند إلى حقيقة عدم القدرة على التكهن بأهدافها المتحركة، وأين تتوقف ؟ وماذا يراد من تحقيقها ؟ فهي في ظاهرها تتصف بالتبسيط الذي يخفي تعقيداً ليس من السهولة كشفه والتعامل معه.

تقمصت العولمة الحالة الأميبية, في تغيير الخارطة السياسية والدينية والثقافية للعالم، لاسيما بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية. وقد برزت كيانات صغيرة تماشى ظاهرها مع الإقليمية بانفصالها السياسي والإيديولوجي، إلا أنها جميعا تعاني من أوضاع اقتصادية وسياسية ونفسية وثقافية

٤١ – اندريه آمالريك، هل يسقط الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٢، بلا، ١٩٦٦، ص ١٠.

٤٢ – المصدر نفسه، ص ١٩.

٤٣ – محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية : عشر أطروحات، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (٢٢٨)، بيروت, ١٩٩٨, ص ١٦.

٤٤ – ريتشارد هارتشون، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ٥٨.

وروحية مرتبكة. بمعنى أن اغلب هذه الدول لم تزل تبحث عن هويتها المستلبة، لان حكوماتها الجديدة ليس لها القدرة على أحداث تغيرات جوهرية في الهيكل السياسي والاجتماعي والاقتصادي لدولهم التي رضخت لأكثر من سبعة عقود تحت إيديولوجيا ظاهرها أنساني، بينما آلياتها الخفية دمرت الإنسان الباطن وحالت دون تجدده، ثم استلبته حتى سقطت مجتمعات هذه الدول المستقلة ثمرة ناضجة بين فكي[٤٥] العولمة الساحق.

وفي الوقت ذاته اتجه ذراع من العولمة نحو دول أمريكا اللاتينية بحجة محاربة أنظمتها الشمولية ذات الاديولوجية اليسارية بطريقة دراماتيكية تُضفي الكارزمية للرئيس وتفعيلها نحو وجدان الشعب على أساس التحديات التي تواجهه كي تكون مدعاة لالتفاف الشعب حول قائدهم، مما يمنحه فرصة لممارسة دوره باستلاب وعي المجتمع الديني والثقافي، مقابل بعض الترقيعات لترسيخ الثقافة الأفقية على حساب الثقافة العمودية، ويتم هذا بإتباع أساليب توجهها (اليد الخفية[٤٦]) التي تحرك اللعبة الكونية في إفقار المجتمع نفسياً وتعليمياً وصحياً دون اعتراض عليها . لان التحدي يتطلب مثل هذه الاستجابة، وإلا بماذا تُفسر عدم ابتلاع الولايات المتحدة الأمريكية لكوبا ؟ !.

وهنا يُمكن أن نستشف من وجود الوتد الدامي في خاصرة الوطن العربي (المشروع الشرق أوسطي) التحول من السيطرة على دولة بعينها إلى السيطرة على منطقة بكاملها ودمجها بمشروع واحد ذو ارتباط اقتصادي وثقافي واحد بعد تفكيك آليات تماسكه الدينية والاجتماعية، والتشكيك بالذات، وبخلط الأوراق وتغيير الدساتير والمحافظة على أدواتهم الصانعة للقرار في المكان.

إن الإقليمية نجدها في البنية الفكرية للإنسان العادي (Layman) كونها ضرورة ماسة في تركيب وتنظيم المجتمع الحديث[٤٧]، والحفاظ على خصوصيته. أما العولمة فهي فكرة تركيبية تمثل أيدلوجيات، الشركات المتعددة الجنسية (Transenation Corporation) التي تفرض رؤيتها على الواقع، وعلى الأخر أن يقبلها ويعمل بها، وهذا يفسر لنا الاضطراب الحاصل في كل دول العالم وعدم استقراره، لان الإنسان يرفض تفكيك بنيته الفكرية وتسطيحها وإعادة تشكيلها مثلما يراد له لا مثل ما يريده هو. وهذا يستفز الخصوصية الجغرافية والفطرية للإنسان، وذلك يكون مدعاة لدخول العامل البشري العضوي (Human – Organic Factor) في الصراع بين التسطيح الذي تريده العولمة، والتكريس الذي تريده الأقلمة، وهنا يجد الإنسان أن أبعاده المادية هي دون الأبعاد الموضوعية لعجزه عن خلق التفاعل مع الأخر دون الانطلاق من خصوصيته. إلا أن الأدوات المعاصرة التي تغلغلت إلى تفكيره وزيفت رؤيته، ستجعله يمتد ليطول كل شيء وهو في مكانه وعندما يبحث عن ذاته يجدها مسلوبة. ينجم عن ذلك مركب نفسي يتوزع بين أن يطول الإنسان كل الأشياء في المكان الواسع وبين ما يفقده اجتماعياً ووجدانياً في المكان الضيق وهذا يؤدي إلى إحباط على المستوى الفردي والجماعي، وان التحولات ومسايرتها لها ضريبة لا بد أن تُدفع. يستدعي ذلك فكراً جماعياً خلاقاً وليس أناساً يعملون بعواطفهم واحتياجاتهم الذاتية على حساب كيانهم ووجودهم وجغرافيتهم و تاريخهم.

٤٥ – فكي العولمة هما : الاقتصاد الحر و إلغاء الهوية.

٤٦ – راجع المادة (١٧) من برتوكولات حكماء صهيون.

٤٧ –ريتشارد هارتشون، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٥٩.

وعليه يفضل أن تكون ثمة قوانين تراعي تطلعات المجتمع دون مصادرة ثقافة الأقلية بغية خلق روح الانسجام والتماسك، لان التباينات الإقليمية المكانية تحمل في مغزاها مقاربة لمفهوم التكامل[٤٨] (Concept of integration). حيث تتفق الأقلمة مع حقائق الحياة الحديثة، فهي تتجاوز التقسيمات الإدارية بغية تنظيم وحدات كاملة من الشعور الاجتماعي لإبراز مناطق الحياة المشتركة (Areas of common life)، بأبعادها التاريخية والحضارية والثقافية التي تعد أمراً ضرورياً للسيادة الذي يمثل الإقليم احد عناصرها الفعالة بوحدته الاقتصادية والمالية وبولائه المحلي المشترك.

فالإقليم يعد بمثابة اتحاد جغرافي للعلاقات المكانية والبشرية ويبرز وحدة المصالح المشتركة والشعور المشترك في الحياة العامة للدولة التي تبدو أكثر تجانساً من خلال وعي الجماعة[٤٩]. فالانصهار في الإقليم، والاندماج في الدولة جاء ضمن منطق تلاشي العامل المحدد (Limited Factor) الناجم عن قصور فعالية وسائط النقل والاتصال الذي تم تحييده في الوقت الحالي.

الاستنتاجات:

جاءت في حيثيات البحث مجموعة من النتائج، وقد وجد الباحثان انه لابد من تفسير لهذه النتائج, بحيث برزت الاستنتاجات الآتية:

تتشكل العلاقة بين المدينة والريف المجاور تبعا لمستوى العلاقة الاقتصادية القائمة بينهما حسب المرحلة الزمنية. و يرتبط تأثير احدهما بالآخر في المتغير الثقافي وما تحمل عناصره من قيم روحية واجتماعية، فضلاً عن نظرة الإنسان في المكان إلى الحياة والعالم اجمع. وهذا يمنح فرصاً أوسع تتباين بين مكان وآخر من العالم في شدة تأثير المدينة على إقليمها اقتصادياً وثقافياً وحضارياً، أو العكس قد تخضع المدينة إلى ثقافة الإقليم التابع لها لّما يتراجع البرنامج السياسي ويضعف دور المدينة في إدارة الإقليم. وهنا يبرز مستويان من المدن إحداهما: المدن المؤثرة وهي المنتجة، والمدن المتأثرة وهي التي يهبط فيها إيقاع التنمية.

كما غيرت التطورات التكنولوجية كثيرا في طبيعة ومستوى الاتصالات بين الأمكنة، لربط المجتمعات ببعضها وأحداث التلاقح الفكري والثقافي والحضاري. وان ما ينبغي الاستفادة منه هو ايجابيات هذا التطور الحاصل في اختزال الوقت وسرعة انتقال الأموال والسلع والأفكار والناس بين أماكن العرض والطلب، لا إلى استنزاف الآخر باستغلال موارده عن طريق تطور تقنيات النقل إلى حد إفقاره لحساب المكان المركزي، مما يخلق خللا في التوازن الإقليمي وضعف في التنمية التي تفضي إلى توترات تضر الإقليم ككل.

مرت التغيرات التي طرأت على مفهوم الإقليمية بمراحل خمس، كانت تلك التغيرات ضمن المراحل الثلاث الأولى تقليدية التوصيف إلى حد ما. إلا أنها أخذت اتجاها مخالفاً في المرحلتين الأخيرتين لتصبح الإقليمية أيدلوجية تعتمد صدام الحضارات لا سيما تلك التي لم يزل التقليد الثقافي المتوارث فيها قوياً، لأنه يشكل تماسكها، ولغرض السيطرة عليها لا بد من ترهيل

٤٨ – جمال حمدان، المصدر السابق، ص ٥٣٧.

٤٩ – ريتشارد هارتشون، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٥٩.

نسيجها الثقافي والروحي للسيطرة عليها والانقضاض على مواردها الطبيعية والبشرية وزعزعة ثوابتها القيمية.

قد يتسع الإقليم أو يتقلص لاعتبارات جغرافية، فهو يمثل قلب الجغرافيا حيث يتحرك عليه الزمان ليكون جزءاً من المكان، مثلما يستوعب المكان الاحداث الواقعة عليه. فالتغيرات الحاصلة على المكان وفي الزمان ترتبط حاليا بالاديولوجية النابعة من مصادر القوة الاقتصادية والتقانية التي تحاول جاهدة للبقاء على ترتيبها المتقدم، مما يدفعها إلى تكييف الظروف السياسية لصالحها بغض النظر عن مشروعيتها وهذه العلاقة المؤدلجة بين المفهوم الجغرافي والإقليمي قد تفقد قوتها من جراء البقاء للأصلح.

يصعب متابعة أهداف العولمة المؤدلجة لتعدد أقنعتها ونمو أجزاءها تلقائياً في أي مكان اعتمادا على خلايا الأعلام والاقتصاد التي تنشط أدائها في المكان لذا فقد تغلغلت في المجتمعات البسيطة فأثرت على هياكلها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فغيرت الكثير من الرؤى والمعالم حتى أضحت الدول والمدن تتسارع فيها إيقاعات التغيير والتشكيل بما يتلاءم وأهدافها. لذلك برزت تشكيلات مناطقية واسعة ترتبط بقاسم مشترك بدلاً من المكان الصغير، وأخذت القوى المهيمنة تتداخل في طبيعة النظم السياسية والاقتصادية في المناطق بدلاً من التدخل مما افرز وضعاً جديداً يتمثل في العلاقة بين المركز والأطراف حتى بات النصف الجنوبي من الكرة الأرضية إقليماً واحداً يكاد يُدار بإستراتيجية واحدة بحيث أعطت الدول المتقدمة الحق لها بان توجه الأخر بما يخدم مصالحها لأنها دول أكثر سرعة وإبداعا في التطور.

المصادر

١. أبو العينين، حسن سيد احمد، جغرافية العالم الإقليمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤.
٢. الاشعب، خالص حسني، إقليم المدينة بين التخطيط الإقليمي والتنمية الشاملة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٩.
٣. أمالريك، اندريه، هل يسقط الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٢، ١٩٦٠.
٤. الحديثي، طه حمادي، جغرافية السكان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٨.
٥. الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٨، بيروت ١٩٩٨.
٦. حمدان جمال، جغرافية المدن.
٧. خصباك، شاكر، علي محمد المياح، الفكر الجغرافي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٣.
٨. لابلاش، فيدال دي، أصول الجغرافيا البشرية، ترجمة شاكر خصباك، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٤.
٩. منشل، روجر، تطور الجغرافيا الحديثة، ترجمة محمد السيد غلاب، دولت احمد صادق، طبعة أولى، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣.

١٠. موسى، ماهر يعقوب، المدينة العربية والتنمية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٨, بيروت، ١٩٩٨.
١١. هارتشون، ريتشارد، طبيعة الجغرافيا، ترجمة شاكر خصباك، الجزء الأول والثاني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد, ١٩٨٥.
١٢. Dickinson. R., city and region , London. ١٩٦٤.
١٣. Emryes.John, Towns and cities, Oxford.١٩٧٠.
١٤. Gites.A, J.Gites and J.D Fellman., Introduction to Geography, University of Illinais, urban champaign.١٩٩٦.
١٥. Forbes.D.K.,The Geogrophy of under development , Acritical survey croom HEIM , London and Sydney.١٩٨٤.
١٦. Freidmann John., The Role of cities in national Development, New york n.pb.١٩٧٨.

أراء وملاحظات في تعديل برايمر لقانون الشركات

الأستاذ المساعد الدكتور عباس مرزوك العبيدي

أراء وملاحظات في تعديل برايمر لقانون الشركات

الأستاذ المساعد الدكتور عباس مرزوك العبيدي

المقدمة

يعيد التاريخ نفسه ويصبح العراق محتلاً من قبل الأجنبي ويخضع لسيطرة المحتل.وسمي من يمثله هذه المرة بالحاكم المدني وقد كلف بهذه المهمة السفير (برايمر) الذي كان أمينا بحق على تنفيذ سياسة المحتل, مستخدماً ما فوض له من صلاحيات.وأحد أوجه هذه السياسة نقل العراق من نمط الاقتصاد الموجه إلى نمط اقتصاد السوق (المفتوح) ولربما يبدو هذا التوجه واضحاً من خلال ما أصدره السفير برايمر من أوامر منها مثلاً قانون الاستثمار الاحنبي لعام ٢٠٠٣ والأمر رقم (٦٤) لسنة ٢٠٠٤ الخاص بإجراء مجموعة تعديلات على قانون الشركات رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ ولقد صيغت هذه التعديلات بما يتفق والسياسة الاقتصادية الجديدة وما يؤسف له إن هذه التعديلات جاءت متسرعة, بل الكثير منها تمت ترجمتها حرفياً من لغة أجنبية لم تأخذ بنظر الاعتبار مستوى النمو الاقتصادي في العراق والبناء القانوني فيه.والبعض منها جاءت بلغة قانونية ركيكة, وصياغة قانونية ضعيفة.

وسوف نعمل من خلال هذا البحث على تسليط الضوء على هذه التعديلات على أن نبين رأينا وما لدينا من ملاحظات في كل تعديل منها يدفعنا لذلك الأمانة العلمية وواجبنا الوطني المقدس ولأغراض البحث العلمي. سوف نسير في خطة البحث على وفق التقسيم الوارد في قانون الشركات رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧, على أن نبحث جميع التعديلات الواردة على أبواب وفصول ومواد القانون بالتسلسل يحدونا في ذلك الأمل في الكشف عن هذه التعديلات ومدى فائدتها وبما يخدم الحقيقة على أن نختم بحثنا هذا بالخاتمة التي سوف تبين فيها أهم آرائنا في هذه التعديلات والله من وراء القصد.

الباب الأول: أحكام رئيسة

الفصل الأول: أهداف القانون وأسسه ونطاق سريانه

المادة(١)

تم تعديل هذه المادة من خلال تحديد أهداف القانون بما يتفق والسياسة الاقتصادية الجديدة التي أريد لها أن تسود في العراق وذلك من خلال النص على:

١. تنظيم الشركات.

٢. حماية الدائنين من الاحتيال.

٣. حماية حاملي الأسهم من تضارب المصالح ومن سوء تصرف مسؤولي الشركة ومالكي أغلبية الأسهم والمسيطرين على شؤونها فعلياً.

٤. تعزيز توفير المعلومات الكاملة المتعلقة بقرارات تؤثر على استثماراتهم وشركتهم.

إذا ما أردنا مقارنة هذه المادة بعد التعديل مع المادة (١) الأصلية. نلاحظ إن هذه المادة تهدف إلى حماية المستثمرين والشركاء دون مراعاة لخطة التنمية وبناء العراق اقتصادياً حتى إن الفقرة الرابعة منها صيغت بعبارة غير مألوفة في التشريع العراقي وكأنها مستعارة من خارج العراق.

لذا فقد أكد التعديل على تحقيق مصلحة الشركاء والدائنين وبذلك اخرج الشركة من كونها وحدة اقتصادية من المفروض أن تساهم في تطوير البلد وجعل منها وسيلة استثمار فقط. ويهدف القانون إلى حماية المستثمرين والشركاء في الشركة ودائنيها.

المادة (٢) من قانون الشركات

علق العمل بها دون أي بديل وذلك حكم نفهمه من خلال سعي القائمون بتعليقها إلى إنهاء دور الشركة كوحدة اقتصادية تساهم في تطوير اقتصاد البلد. الذي كانت تؤكد عليه المادة (٢) المعلقة حالياً.

المادة (٣)

حددت هذه المادة بعد التعديل نطاق سريان القانون من خلال تأكيدها على سريان القانون على الشركات المختلطة والخاصة وجميع المستثمرين وتنطبق نصوصه على البنوك مادامت لا تتعارض مع الأوامر الصادرة من سلطة الإتلاف المؤقت بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر الأمر رقم (٤٠) الذي تم بموجبه إصدار قانون البنوك والأمر رقم (١٨) الصادر من سلطة الإتلاف المؤقتة الذي يحدد الإجراءات التي تضمن استقلالية البنك المركزي العراقي واللوائح التنظيمية الصادرة بموجب تلك الأوامر عن سلطة الإتلاف المؤقتة يطبق هذا القانون على صفقات الأسهم وشركات الاستثمار المالي وشركات التامين وإعادة التامين بقدر عدم تعارضه مع التشريعات المطبقة على تلك الصفقات والكيانات أو مع اختصاص سلطات الدولة المعنية بتلك القطاعات وتستند قرارات مسجل الشركات (المسجل) فيما بعد إلى هذا القانون ولا تتخذ على أساس الخطط الاقتصادية أو سياسة التنمية. وبصفة عامة, لن تمنع القرارات المتخذة من قبل المسجل طرفاً ثالثاً من مطالبة المسؤولين عن خرق هذا القانون بدفع تعويض عن ما تعرض له من ضرر ينجم عن خرق هؤلاء المسؤولين لهذا القانون.

يلاحظ على عموم هذا التعديل ضعف صياغته من الناحية اللغوية وكأنه مترجم حرفياً من نص أجنبي.وزد عليه إن هذا التعديل أكد على إن قرارات المسجل لا تتخذ على أساس التنمية بل تتخذ بما

يؤدي إلى مراعاة مصلحة المستثمرين دون مراعاة بما يجب أن تؤديه الشركة من دور في تطوير الاقتصاد الوطني.كما أعطى النص الطرف الثالث الحق في مطالبة المسؤولين عن خرق هذا القانون بدفع التعويض, بعبارة مطلقة دون أن يحدد من هي جهة النظر في الدعوى ودون أن يحدد مدى مسؤولية المسجل عن الموضوع.

الفصل الثاني: عقد الشركة والتزامات ملاك الشركة

تم تغيير عنوان الفصل وبما يتفق والأسس الجديدة التي يقوم عليها التعديل وذلك بإضافة عبارة ((التزامات الملاك الشركة)) إلى عنوان الفرع الأول.

عقد الشركة

المادة (٤)

أولا : حافظ التعديل على نص البند أولا من القانون دون إضافة أو حذف, لان هذا النص يضع تعريفاً محدداً للشركة باعتبارها عقد.

ثانياً : حافظ التعديل على البند ثانياً من المادة الرابعة من خلال التأكيد على تأسيس المشروع الفردي.استثناء من أحكام البند أولا وهذا أمر بديهي ينسجم مع فلسفة واضعي التعديل.

إلا إن الإضافة الجديدة على المادة (٤) تبدو في إضافة استثناء جديد على البند أولا من خلال جواز تأسيس شركة محدودة المسؤولية من مالك واحد وفقاً لنصوص القانون.

وبهذه الإضافة وسع التعديل من قاعدة الاستثناء في تأسيس الشركات, بإجازة تأسيسها من قبل شخص واحد بينما كنا نأمل من واضعي التعديل إلغاء الاستثناء بالكامل.

وكان حرياً بمن وضع التعديل أن يشير إلى تحديد مسؤولية المؤسس وليس الشركة, لان الشركة أيا كان نوعها تعد مسؤولة عن جميع التزاماتها وتحديد المسؤولية المفروض أن ينصرف إلى المؤسس. ونعتقد إن هذا الاستثناء الجديد اقترب كثيراً من مفهوم شركة الرجل الواحد المعروفة في بعض القوانين المقارنة التي تذهب إلى فكرة تحديد مسؤولية مؤسس الشركة بحدود رأس مالها دون أن تمتد مسؤوليته إلى باقي أمواله غير المستثمرة أو غير ألداخله في راس مال الشركة.

ثالثاً : أضاف التعديل البند ثالثاً ومنع بموجبه الشركاء في الشركة من ممارسة سلطاتهم للتصويت بما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالشركة أو إلحاق الضرر بباقي الشركاء وكذلك مما يؤدي إلى الحاق الضرر بحقوق الدائنين من خلال سحب راس مال الشركة أو نقل أصولها.بما يؤدي إلى إعسار الشركة.

وهذا اتجاه جيد يوفر حماية لحقوق الأقلية من تجاوز أو تعسف الأغلبية وكذلك يوفر حماية معقولة للدائنين من تعريض مصالحهم للخطر من قبل بعض الشركاء.

المادة (٥) لم يتناولها التعديل وبقيت كما هي.

المادة (٦)

البند أولا : - لم يتناوله التعديل وبقي كما هو.

البند ثانيا : - بصدد تعريف الشركة المحدودة.تمت صياغته بعبارات جديدة حافظت على المعنى العام لشركة المحدودة.ولم تحدث تغييراً جوهرياً في اصل فكرة الشركة. والأمر الجديد في التعريف هو عدم الإشارة للحد الأدنى لعدد المساهمين في الشركة وجاء هذا الحكم لينسجم مع الاستثناء الجديد

الواردة في المادة (٤) بند ثانيا حيث أجيز بموجبه تأسيس الشركة المحدودة من شخص واحد طبيعي أو معنوي.

البند ثالثاً: وضح هذا البند الحد الأدنى لعدد الأشخاص الطبيعيين في الشركة التضامنية وهو(٢) شخصين. وهذا الأمر ليس بالجديد وهو أمر مفروغ منه. والجديد في الأمر تحديد الحد الأعلى لعدد الشركاء في الشركة التضامنية بخمسة وعشرين شخصاً طبيعياً، كما حافظ التعديل على الفكرة العامة في الشركة التضامنية حيث أكد على المسؤولية التضامنية غير المحدودة للشركاء فيها.

البند رابعاً: أبقى التعديل على البند رابعاً كما هو دون إضافة أو حذف وهذا بتناقض مع التعديل الوارد في البند ثانياً من المادة (٤) وكان من المفروض أن يعرف المشروع الفردي وفقاً للتعديل الجديد.بالإشارة إلى كون المشروع الفردي يتكون من شخص طبيعي واحد مسؤول مسؤولية شخصية مطلقة عن جميع التزامات الشركة أو من شخص واحد مالكاً لرأس المال ذو مسؤولية محدودة عن التزامات الشركة.وعليه ندعو إلى ملاحظة هذا التناقض وإزالته. لتنسجم أحكام مواد القانون فيما بينها. وعلبه نقترح أن يعرف المشروع الفردي.

بـ((انه شركة تتألف من شخص طبيعي واحد مالكاً للحصة الواحدة فيها ومسؤولاً مسؤولية شخصية وغير محدودة عن جميع التزامات الشركة أو يتكون من مالك واحد أو لراس المال ذو مسؤولية محدودة عن التزامات الشركة)).

المادة (٧)

الفقرة أولا: أشارت هذه الفقرة إلى كيفية تكوين الشركة المختلطة من خلال التأكيد على تكوين الشركة من خلال اتفاق شخص أو أكثر من قطاع الدولة مع شخص أو أكثر من غير القطاع المذكور.

يلاحظ من التعديل إلغاء مصطلح القطاع الاشتراكي ليحل محله قطاع الدولة. وهذا أمر متوقع بالنظر للتوجه الاقتصادي الجديد في العراق الذي يتعارض مع فلسفة الاقتصاد الموجه.كما يلاحظ على هذا التعديل إجازته مساهمة قطاع الدولة بنسبة تقل عن (٢٥٪) من رأس المال. وتعامل في هذه الحالة معاملة الشركة الخاصة. وذلك بهدف تشجيع القطاع الخاص على أداء دوره في الحياة الاقتصادية.

الفقرة الثانية لم تعدل.

المادة (٨)

الفقرة أولا: رفع التعديل عبارة القطاع الاشتراكي ووضع بدلاً منها عبارة قطاع الدولة ليؤكد على إلغاء دور القطاع الاشتراكي في بناء الاقتصاد الوطني.

الفقرة ثانياً البند (١)

أكد التعديل على إن المشروع الفردي يتكون من شخص طبيعي واحد قد يكون شركة محدودة المسؤولية وذلك لينسجم مع المبدأ الجديد الذي إضافته المادة الرابعة البند ثانياً من الفقرة الثانية.

الفقرة ثانياً البند (٢)

أكد البند (٢) على جواز انخفاض مساهمة قطاع الدولة عن (٢٥٪) وذلك بهدف إتاحة الفرصة للقطاع الخاص ليمارس دوره في تأسيس الشركات مع استثناء شركات التأمين وإعادة التأمين الحكومية ودائرة العمل والضمان الاجتماعي من هذا الجواز وأية جهة استثمارية أخرى يقرر مجلس الوزراء

إضافتها إلى هذه الفقرة وذلك بالنظر لخطورة الأنشطة التي تمارسها تلك الشركات والتي تكون الصورة المناسبة لنجاحها هي الشركة المساهمة المختلطة.

الفقرة ثالثاً: لم تعدل.

المادة (٩)

الفقرة أولا: عرفت شركة الاستثمار المالي باستخدام صياغة جديدة دون أن تؤثر على جوهر التعريف الوارد في اصل الفقرة من قانون الشركات قبل التعديل.

الفقرة ثانياً: لم تعدل وبقيت كما هي.

المادة (١٠)

كانت تتكون من فقرتين حيث تم إلغاؤها وإعادة صياغتها بشكل جديد مع التأكيد على وجوب اتخاذ الشركات التي تمارس التامين وإعادة التامين, والاستثمار المالي شكل الشركة المساهمة.

أما الشركات التي تمارس النشاط المصرفي لم تلزم بان تتخذ شكل شركة مساهمة وهذا بهدف إتاحة الفرصة للمستثمر الاحنبي أن يؤسس شركة تمارس النشاط المصرفي دون إلزامه بشكل الشركة المساهمة. وتعتقد إن هذا التوجه لا ينسجم مع ضرورة نجاح النشاط المصرفي لان هذا النشاط لكي ينجح لابد أن يمارس من خلال الشركة المساهمة.

المادة (١١): لم تعدل.

الفصل الثالث: العضوية في الشركة

المادة (١٢)

معدلة بشكل كامل وجوهري وبما يتفق مع التوجهات الجديدة التي تتيح المجال للأجنبي في أن يستثمر أمواله في العراق حيث نصت على أن ((للشخص الطبيعي أو المعنوي أجنبيا كان أم عراقياً حق اكتساب العضوية في الشركات المنصوص عليها في هذا القانون كمؤسس لها أو حامل أسهم أو شريك ما لم يكن ممنوعاً من مثل هذه العضوية بموجب القانون أو نتيجة قرار صادر من محكمة مختصة أو جهة حكومية مخولة)).

يلاحظ على هذا التعديل إتيانه بمبدأ جديد لم يكن معروفاً في التشريع العراقي وذلك حينما أطلق حرية الاشتراك في الشركات لكل الأشخاص الأجانب وبذلك ساوى بينهم وبين العراقي وبهذا المبدأ الجديد فتح الباب على مصراعيه للأجنبي لكي يستثمر أمواله في العراق دون أي محددات وليأتي منسجماً مع أمر برايمر للاستثمار المالي الأجنبي الذي اتاح حرية الاستثمار الأجنبي في العراق.

الباب الثاني: تأسيس الشركة

الفصل الأول: مستلزمات التأسيس

المادة (١٣)

تم تعديل هذه المادة بإلغاء الفقرة رابعاً منها. حيث أصبح بموجب هذا التعديل تأسيس الشركة في أي نشاط دون تحديد ودون مراعاة لمدى حاجة البلد اقتصادياً للنشاط المنوي القيام به وان هذا الإطلاق

سلاح ذو حدين قد يكون نافعاً وقد يكون مضراً. أما باقي فقرات المادة (١٣) فليس فيها أي تعديلات جوهرية وان تمت اعادة صياغة البعض منها بعبارات جديدة.

والملاحظ على التعديل للمادة (١٣) انه لم يشر إلى وجوب احتواء عقد الشركة على هدفها في انماء جانب من جوانب الاقتصاد الوطني وكذلك لم يشر إلى نشاط الشركة المستمد من هدفها.

وهذا أمر نفهمه من خلال رؤية واضعي التعديل على إبعاد الشركة من أداء دورها باعتبارها وحدة اقتصادية تعمل لخدمة الاقتصاد الوطني الأمر الذي ينعكس سلبياً على دورها في تطوير هذا الاقتصاد وهذا حكم جديد بحاجة إلى تأني وتدقيق ويستدعي منا التعامل معه بانتباه وحذر.

المادة (١٤)

تم تعديلها بإعادة صياغتها من خلال التأكيد على إعداد بيان المشروع الفردي من قبل الشخص الطبيعي أو أي مالك للشركة وذلك انسجاماً مع الاستثناء الجديد الذي تبنته المادة (٤) ألمعدله بجواز تأسيس شركة محدودة من قبل شخص واحد.

المادة (١٥)

نصت على ما يأتي

((يكتتب مؤسسو الشركة في راس مال الشركة طبقاً للمبالغ التي وافقوا على المساهمة بها)).

وضعت هذه المادة قاعدة جديدة تشير إلى اكتتاب المؤسسين في الشركة وفقاً للمبالغ التي اتفقوا على المساهمة فيها.

المادة (١٦) معدلة

الفقرة أولا : عدلت من خلال إشارتها إلى وجوب إيداع رأس مال الشركة في احد المصارف المخولة بالعمل في العراق مع مراعاة حكم المادة (٢٨) فقرة أولا التي حددت الحد الأدنى لرأس مال الشركة.

ويلاحظ على النص الجديد جوازه إيداع رأس مال لدى مصرف واحد أو عدة مصارف سواء كانت من قطاع الدولة أو القطاع المختلط أو القطاع الخاص وبذلك وفر هذا التعديل مرونة عالية للشركة أثناء تأسيسها والاكتتاب بأسهمها.

الفقرة ثانياً : معلقة بموجب التعديل وذلك انطلاقاً من توجه واضعو التعديل في إلغاء دور الجهة القطاعية الاقتصادية في تأسيس الشركات لأبعاد العراق عن نمط الاقتصاد الموجه وإدخاله في نمط اقتصاد السوق المفتوح.

الفقرة ثالثاً : لم تعدل

الفصل الثاني: إجراءات التأسيس

المادة (١٧)

الفقرتان أولاً وثانياً لم تعدلا

الفقرة ثالثاً : معدلة

أكدت على تقديم شهادة من المصرف أو من المصارف تثبت رأس المال المطلوب في المادة (٢٨) قد أودع.

صياغة هذه الفقرة أكدت على وجوب إيداع راس المال لدى مصرف أو عدة مصارف مع مراعاة حكم المادة (٢٨) التي حددت الحد الأدنى لراس المال وذلك للتأكد من جدية مشروع الشركة.ويلاحظ

على التعديلين الواردين في المادة (١٦) والمادة (١٧) جواز إيداع راس المال لدى أكثر من مصرف وذلك لاحتمال إعلان الاكتتاب في أكثر من مصرف بهدف إيصال الأسهم لأكبر عدد من الجمهور بعدٍ الشركة المساهمة هي شركة القاعدة العريضة التي تتكون من عموم الجمهور.

المادة (١٨): معلقة.

يلاحظ إن التعليق يهدف إلى إبعاد دور الجهة القطاعية المختصة في الإشراف على الشركات رغم ما كان لها من دور في التأكد من سلامة توجهات الشركات. ويأتي إبعاد الجهة القطاعية متناغماً مع توجه واضعو التعديل في جعل الشركة وحدة استثمارية دون التأكيد على دورها باعتبارها وحدة اقتصادية ولربما يبرّر هذا الأمر بتيسير أو تبسيط إجراءات تأسيس الشركة.

المادة (١٩)

أورد التعديل مبدأ جديداً يشير إلى إجراءات تأسيس الشركة من خلال إلزام المسجل بوجوب بيان رأيه بالموافقة أو الرفض خلال عشرة أيام من تاريخ تسلمه للطلب وأكد التعديل على تعليق صدور شهادة التأسيس على وجوب دفع الرسوم.

يلاحظ أن هذا التعديل مع جديته جاء مضطرباً من حيث الصياغة اللغوية وكان من المفروض مراعاة الصياغة القانونية الصحيحة.

وعليه نقترح أن يصاغ النص على النحو التالي:

((يوافق المسجل على طلب تأسيس الشركة ما لم يجده مخالفاً لنص محدد ورد في هذا القانون ويعلن المسجل موافقته على الطلب أو رفضه له خلال عشرة أيام من تاريخ تسلمه فيما عدا الشركات المساهمة تصدر شهادة تأسيسها بعد إتمام إجراءات الاكتتاب بالأسهم مع مراعاة إصدار المسجل لقراره بالموافقة على تأسيس الشركة المساهمة تمهيداً لإجراء الاكتتاب، وللمسجل رفض الطلب باشعار خطي مبرر على أن لا تصدر شهادة تأسيس الشركة إلا بعد دفع الرسوم القانونية)).

المادة (٢٠) معلقة

وذلك لم يعد هنالك حاجة لتوثيق عقد الشركة من قبل المسجل ويأتي هذا التعليق انسجاماً مع التوجهات الجديدة التي تميل إلى تبسيط إجراءات تأسيس الشركة.

المادة (٢١) معدله.

١. ينشر المسجل قرار الموافقة على تأسيس الشركة في النشرة الخاصة التي تنشر بموجب أحكام المادة (٢٠٦) من هذا القانون ويشار لها فيما بعد ب(النشرة). المفروض أن تستخدم كلمة (تصدر) بدلاً كلمة ((تنشر) لتكون أكثر دلالة ودقة.
٢. في الشركة المساهمة تصدر شهادة التأسيس بعد اكتتاب الجمهور بأسهمها وخلال (١٥) خمسة عشر يوماً من تاريخ تقديم المؤسسين للمعلومات ألمبينه في المادة (٤٦) من هذا القانون. أما الفقرة ثانياً من المادة (٢١) فإنها معلقة حالياً

المادة (٢٢) معدلة.

تكتسب الشركة الشخصية المعنوية من تاريخ صدورها شهادة تأسيسها وتعتبر هذه الشهادة إثباتا على شخصيتها المعنوية.

يلاحظ على إن التعديل تبنى حكماً جديداً باعتبار إن صدور الشهادة دليل إثبات على شخصية الشركة. ولم تعد دليلاً على أنّ إجراءات التسجيل قد تمت وفق القانون. وذلك يعني إمكانية الطعن في إجراءات التسجيل حتى ولو بعد صدور الشهادة.

المادة (٢٣) لم تعدل.

المادة (٢٤) معدلة.

عدلت هذه المادة بما يلزم المسجل لبيان سبب الرفض مكتوباً وان يبين في هذا البيان النصوص القانونية التي انتهكت والوقائع المتعلقة بكل انتهاك كما حافظ التعديل على حق طالبي التأسيس في الاعتراض على قرار الرفض لدى وزير التجارة وأمام المحكمة المختصة.

المادة (٢٥) لم تعدل.

الباب الثالث: أموال الشركة

الفصل الأول: رأس المال

المادة (٢٦) لم تعدل.

المادة (٢٧) لم تعدل.

المادة (٢٨) معدله.

تم تعديل الفقرة الأولى من هذه المادة بتحديد الحدود الدنيا لراس مال الشركة.

أولا : لا يقل الحد الأدنى لراس مال الشركة المساهمة عن مليوني دينار ولا يقل الحد الأدنى لراس مال الشركة المحدودة عن مليون دينار ولا يقل الحد الأدنى لراس مال بقية الشركات عن خمسمائة ألف دينار. وبهذا التعديل انسجم القانون مع الاتجاه العام في القانون المقارن إلا انه كان حرياً بواضعي التعديل إعطاء الصلاحية للمسجل في الطلب من المؤسسين زيادة الحد الأدنى لراس المال بما يتفق وتحقيق أغراض الشركة.

ثانياً : أشارت بعد تعديلها إلى انه لا يجوز أن تتجاوز التزامات الشركة المساهمة ٣٠٠٪ من إجمالي راس مالها وحقوق الملكية الأخرى الخاصة بها. وحقاً حينما تتجاوز التزامات الشركة ثلاث أضعاف رأسمالها. فإنها لم تعد تمتلك عناصر ديمومتها ونجاحها. والحال هذا لابد من تصفيتها.

المادة (٢٩)

الفقرة أولا : لم تعدل.

الفقرة ثانياً : أجازت هذه الفقرة وبأسلوب لغوي ضعيف أن يتكون راس مال الشركة المساهمة والشركة المحدودة من أسهم تعرض مقابل ممتلكات ملموسة أو غير ملموسة ويساهم بها احد مؤسسي الشركة أو عدداً منهم.

يلاحظ إن هذا الأسلوب في الصياغة غير معروف في التشريع العراقي ولربما جاء بناء على ترجمة حرفية لنصوص أجنبية.

والبنود ١, ٢, ٣, ٤ في الفقرة تم أعادت صياغتها بعبارات جديدة وهي لا تخرج بعيداً عن مضمون البنود الأصلية.

مع ملاحظة مهمة هي إن البند(١) الجديد أشار إلى وجوب تقييم الممتلكات من قبل لجنة يعينها المسجل تتكون من خبراء في القانون والمحاسبة..الخ دون أن يشير إلى وجوب تولي رئاسة اللجنة من قبل قاض. وهذا الحكم يضعف من الحماية التي يجب توفيرها لباقي المساهمين.

المادة (٣٠) معدله

أكدت المادة ألمعدله إلى إن قيمة السهم الاسمية هي دينار واحد ولا يجوز إصداره بقيمة اقل أو أعلى باستثناء ما تنص عليه المواد من ٥٤- ٥٦.المتعلقة بكيفية إصدار أسهم جديدة لزيادة راس المال.حيث تعتبر القيمة الاسمية الجديدة الأعلى من دينار بمثابة علاوة إصدار.

المادة (٣١) معلقة حالياً.

إلا إن مضمونها قد تم إضافته إلى مضمون المادة (٥٥) فقرة ثالثاً.

المادة (٣٢): معدلة

يلاحظ في التعديل إلغائه للفقرتين أولا وثانياً من هذه المادة والتي كانت تحدد نسبة مساهمة الشخص الطبيعي أو المعنوي في الشركة المساهمة الخاصة بما لا يزيد على ٢٠٪ وعلى أن لا تزيد على ١٠٪ من راس مال الشركة المساهمة المختلطة. ويأتي هذا الإلغاء متناسباً مع التوجه الجديد لواضعي التعديل في تشجيع القطاع الخاص على استثمار أمواله بحرية عالية, وهذا الحكم قد يؤدي إلى سيطرة عدد محدود من الأشخاص على الشركة بامتلاكها نسبة عالية أو كبيرة من أسهم راس المال. إذ نحن **نميل** إلى وجوب الإبقاء على الحكم السابق الذي يمنع سيطرة الميسورين مالياً على الشركة.

أما الفقرة ثالثاً فلم يجر عليها أي تعديل وبقيت تحتل صدر المادة (٣٢)

المادة (٣٣): لم تعدل.

الفرع الثاني:تقسيم راس المال في الشركة التضامنية والمشروع الفردي

المواد٣٤- ٣٦: لم تعدل.

المادة (٣٧): معدلة.

الفقرة أولاً من هذه المادة لم تعدل.

الفقرة ثانياً معدله: أكدت هذه المادة على إن لدائني المشروع الفردي مقاضاة مالك المشروع أو مالك الحصة فيه وتعتبر أمواله ضماناً لديون المشروع, ويسمح لهم بحجز أمواله دون إنذار المشروع وفقاً للإجراءات القانونية المعمول بها والمطبقة.

ويلاحظ على هذه الصياغة الجديدة أنها غير منسجمة مع الاستثناء الجديد الذي أضيف للمادة (٤) بجواز تأسيس شركة محدودة من شخص واحد. وكان من ألحري التمييز من حيث المسؤولية بين المشروع الفردي المعروف في القانون العراقي وبين المشروع الفردي (محدودة المسؤولية) المستحدث الجديد في القانون العراقي. وإذا أراد واضعوا التعديل اعتبار مسؤولية مالك المشروع الفردي مطلقة وفي جميع الأحوال فإن ذلك يعني إن الاستثناء الجديد المضاف إلى المادة (٤) لا مبرر له لأنه ليس فيه جديداً وعليه ندعوا الانتباه إلى ذلك.

الفصل الثالث: الاكتتاب العام برأس المال

المادة (٣٨) لم تعدل

المادة (٣٩) معدله

الفقرة أولا : استحدثت هذه الفقرة مصطلح قطاع الدولة بدلاً من القطاع الاشتراكي بعد أن حافظت على نسبة اكتتاب المؤسسين في الشركة المختلطة.

الفقرة ثانياً : حددت الحد الأدنى لنسبة اكتتاب المؤسسين في الشركة المساهمة الخاصة بما لا يقل عن ٢٠٪ ولم تحدد الحد الأعلى.وهذا حكم قد يكون مدعاة لإثارة المشاكل وقد يسمح للمؤسسين الاكتتاب بجميع رأس المال لان ليس هناك ما يمنعهم من ذلك.وهذا يتناقض مع فكرة الشركة المساهمة. لذا نعتقد أن التعديل جاء متسرعاً ولم يضف جديداً للقانون, وقد يكون الحكم الجديد مصدراً للاختلاف وإثارة المشاكل. وكان من المفروض الأخذ بالحكم الأصلي وعدم إلغائه لتحديده الحدين الأدنى والأعلى لاكتتاب المؤسسين

الفقرة ثالثاً : معدله

حددت الفقرة كيفية طرح الأسهم للاكتتاب العام على الجمهور.

والأمر الملفت للنظر إعطاء صلاحية رفض طرح الأسهم على الجمهور لمسجل الشركات إذا احتوى بيان الاكتتاب ما يضلل المستثمرين وفي حال رفض المسجل لطلب طرح الأسهم للاكتتاب, عليه انه يحيل الموضوع إلى سلطة الدولة ذات الاختصاص في أسواق الأسهم والأوراق المالية. ولم يحدد التعديل من هي السلطة ذات الاختصاص وما هي صلاحيتها وهل هي وزارة المالية أم وزارة التجارة, أم سوق الأوراق المالية؟ وكان المفروض أن يحال الموضوع إلى القضاء الذي يجب أن يكون له القول الفصل في حسم كافة المنازعات.

الفقرة رابعاً : معدلة.

أعيدت صياغتها بعبارات جديدة دون أن يتأثر جوهر الفقرة بالتعديل, حيث إنها أجازت للمؤسسين الاكتتاب بالأسهم بعد مضي (٣٠) يوم من بدء الاكتتاب أو خلال فترة التمديد.

المادة (٤٠) لم تعدل.

المادة (٤١) معدلة.

الفقرة أولا : أشارت إلى وجوب الاكتتاب في احد المصارف العراقية المخولة بممارسة العمليات المصرفية في العراق وذلك يعني ببساطة إمكانية إجراء الاكتتاب في أي من مصارف قطاع الدولة والمختلط والخاص ولا يمكن إجراءه في المصارف الأجنبية المتوقع افتتاحها في العراق.

ثانياً : معدله بإعادة صياغتها لغوياً دون أي تغيير جوهري في مضمونها.

ثالثاً : إلزام المصرف بتسليم المكتتب نسخة من عقد الشركة ودراسة الجدوى الاقتصادية والفنية وذلك بهدف حماية المكتتب وإطلاعه على مستقبل الشركة, الاقتصادي, ويلاحظ أن هناك خطأ مطبعياً ينبغي تلافيه بجعل الفقرة ثالثاً من المادة (١٧) وليس الفقرة ثالثاً من المادة (٤٧) من هذا القانون.

المادة (٤٢) معدلة.

وجه التعديل الأساس في هذه المادة يبدو من خلال جواز تمديد مدة الاكتتاب لمدة لا تزيد على (٦٠) يوما في حالة عدم بلوغ الاكتتاب نسبة ٧٥٪ من راس المال بعد انتهاء مدة (٦٠) يوماً. بينما كان النص السابق يوجب التمديد. ويلاحظ على النص الجديد إلزامه المؤسسين إعادة نشر بيان الاكتتاب مع التمديد على خلاف النص الأصلي الذي كان يلزم المسجل بالنشر والتمديد وبذا فان التعديل قد أكد على دور المؤسسين في التأسيس ومتابعة شؤونه وفق حكم المادة (١٦) شركات.

المادة (٤٣) معدلة.

أولا : أعيدت صياغة الفقرة أولا من خلال إعطاء المؤسسين صلاحية تخفيض راس المال بما يجعل نسبة الاكتتاب تبلغ ٧٥٪ منه وذلك على خلاف النص الأصلي حيث حصر صلاحية التخفيض بمسجل الشركات.

أن إناطة مهمة التخفيض بالمؤسسين أمر معقول لتحملهم المسؤولية لمتابعة إجراءات التأسيس وبذلك انسجم التعديل مع حكم المادة (١٦) شركات. هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار حق المؤسسين في الرجوع عن التأسيس في حالة فشل الاكتتاب وعليهم إخبار المسجل بهذا الرجوع.

ثانياً : معلقة. ويأتي هذا التعليق منسجماً مع فلسفة واضعو التعديل في إبعاد الجهة القطاعية عن متابعة شؤون الشركات وذلك تحت تبرير التخفيف عن الشركات لتحقيق أهدافها.

ثالثاً : والتي أصبحت الفقرة ثانياً من المادة (٤٣)

في حالة الرجوع عن تأسيس الشركة وفقاً لاحكام الفقرة من هذه المادة يبلغ المؤسسون البنك بقرار الرجوع ويتحملون بالتضامن النفقات التي صرفت على تأسيس الشركة ويقوم المصرف الذي يتولى إدارة عملية الاكتتاب برد المبالغ التي تسلمها إلى جميع المكتتبين خلال فترة زمنية لا تتجاوز ثلاثين يوماً من تاريخ إشعاره بقرار الرجوع.

يلاحظ على النص الجديد تأكيده على دور المؤسسين في إشعار المصرف بقرار الرجوع على خلاف النص السابق الملغي الذي كان يعطي مثل هذه الصلاحية إلى مسجل الشركات. وبذا أكد التعديل على دور المؤسسين في متابعة شؤون الشركة وهذا توجهاً مقبول، ولكن يلاحظ على النص الجديد استخدامه لتعبير البنك تارة وتعبير المصرف تارة أخرى ومن المفروض أن توحد المصطلحات باستخدام تعبير المصرف.

المادة (٤٤) : معدلة

تم إلغاء البند (٢) من الفقرة أولا حيث كان يلزم المصرف بالاحتفاظ بمبالغ الاكتتاب وعدم تسليمها للمؤسسين. ونعتقد أن هذا الإلغاء يؤسس على التزام المصرف بالاحتفاظ بمبالغ الاكتتاب أمر بديهي لا حاجة للنص عليه. ولسنا مع هذا التوجه ونحن نميل إلى إبقاء النص السابق لما فيه من ضمانة جيدة للحفاظ على أموال الشركة والمكتتبين من التلاعب والاحتيال.

أما الفقرة ثانياً : فقد أكدت على وجوب إعادة المبالغ الفائضة إلى المكتتبين في حالة وجود أسهم فائضة وذلك باستخدام معدل التوزيع السلبي من خلال انقاص عدد أسهم كل مكتتب بنسبة موحدة تشمل جميع المكتتبين. ويلاحظ على التعديل الغاء صلاحية المسجل في استثناء أي عدد معين من الأسهم من معدل التوزيع السلبي في حالة الضرورة. وبذا فان التعديل الجديد أكد على شمولية التخفيض لجميع المكتتبين دون استثناء.

المادة (٤٥) معدلة

أولا : أشارت هذه الفقرة إلى جواز الطعن في صحة الاكتتاب من قبل المسجل, والسلطة المختصة في الدولة بأسواق الأسهم والأوراق المالية, وذلك في حالة المساس بالحقوق المشروعة لأي شخص نتيجة مخالفة قواعد الاكتتاب, من خلال الطلب من المحكمة إبطال الاكتتاب, ويجوز تمييز قرار المحكمة أمام محكمة النقض التي يعتبر قرارها نهائياً بها الصدد.

ويلاحظ أن التعديل الجديد اختلف عن النص الأصلي حيث أن ذلك النص كان يعطي حق الطعن لكل ذي مصلحة والذي كان يفهم منه إعطاء حق الطعن للمكتتبين بعدهم أصحاب المصلحة وكان من المفروض في التعديل أن يؤكد على حقهم في الطعن. كما يلاحظ على النص إشارته إلى جواز الطعن في قرار محكمة البداءة أمام محكمة النقض وهذا المصطلح غير معروف في العراق والمفروض أن يسميها محكمة التمييز.

المادة (٤٦): لم تعدل.

المادة (٤٧): معدله.

أولا : أعطت هذه الفقرة الصلاحية لمجلس إدارة الشركة المساهمة الإعلان عن بيع الأسهم غير المكتتب بها في سوق بغداد للأوراق المالية أو إعادة طرحها للاكتتاب العام وفق إجراءات الاكتتاب التأسيسي. ويلاحظ

أن المدة التي مارس المجلس بعدها هذه الصلاحية هي (٦ أشهر) بينما كان في النص الأصلي هي (٤) سنوات. و لربما تبدو الحكمة من تقليص المدة هو للتأكد من استقرار أحوال الشركة.

ثانياً: في حالة عدم بيع الأسهم أو فشل الاكتتاب بها, يجب تخفيض رأس المال بمقدار قيمة الأسهم غير المباعة أو الغير مكتتب بها. مع التأكيد على مسؤولية أعضاء مجلس الإدارة و الموظفين عن جميع البيانات المضللة في مواجهة الجمهور و المساهمين.

أن الحكم يأتي ليحقق مصلحة المساهمين و الجمهور من خلال حمايتهم من التجاوز أو أخطاء مجلس الإدارة في الشركة.

الفصل الرابع: تسديد رأس المال

المادة (٤٨) معدلة.

أوجب صدر هذه المادة دفع كامل قيمة الأسهم عند الاكتتاب بها و بذلك خالف هذا التعديل الاتجاه العام في القانون العراقي الذي يجيز تسديد جزء من قيمة الأسهم عند الاكتتاب و يقسط الباقي خلال مدة معقولة من تاريخ الاكتتاب أو صدور شهادة التأسيس لأن رأس مال الشركة غالباً ما يكون كبيراً و قد لا تحتاجه الشركة بالكامل مع بداية حياتها العملية.

يبدو أن التعديل يهدف إلى ضمان حقوق الشركة و إبعادها عن المشاكل و الاختلاف بينها و بين المكتتبين , فيما يتعلق بتسديد الأقساط لاحقاً بل أن التعديل ذهب إلى مدى أبعد حيثما أمر بمعالجة الحالات السابقة التي أجيز فيها تسديد جزء من قيمة الأسهم المكتتب بها.

كما يلاحظ على التعديل انه لم يحدد أرقام الفقرات أولاً و ثانياً و هو أمر يجب الانتباه له و إعادة ترقيم الفقرات. أما الفقرات ثالثاً و رابعاً فأن مضمونها لا يختلف كثيراً عن النص السابق و نرى أن من المفروض الغائهما لأن الحاجة لم تعد قائمة لها و ذلك بسبب إلزام المكتتبين بدفع كامل قيمة الأسهم عند الاكتتاب بها.

المادة (٤٩) لم تُعدل.

بقيت كما هي حيث حُددت إجراءات مطالبة المساهم بقيمة القسط المستحق.

و المفروض أن تعلق أو تُلغى و ذلك لينسجم الأمر مع حكم المادة (٤٨) التي أوجبت دفع كامل قيمة الأسهم عند الاكتتاب بها. حيث لم يُعد من المتصور بعد صدور التعديل وجود أسهم لم تدفع قيمتها بالكامل.

و إذا أريد الإبقاء عليها لفترة مؤقتة و لحين قيام المساهمين بتسديد التزاماتهم المالية للشركة. فيجب و الحال هذه تحديد فترة زمنية لتطبيق حكمها على أن يلتزم خلالها جميع المساهمين بتسديد الأقساط المستحقة بذمتهم و بعدها يتم تعليق حُكم هذه المادة.

المادة (٥٠)

حددت هذه المادة حق المساهم في الحصول على شهادة أسهم وقتية بعد تسديده النسبة المطلوبة من قيمة الأسهم.

و يُنتقد هذا الحكم مرة أخرى لتناقضة مع الحكم الجديد للمادة (٤٨) التي لم تعد تسمح بوجود شهادة وقتية و عليه نعتقد من الضروري تعليق حُكم هذه المادة لتنسجم الأحكام في القانون لا أن تأتي متناقضة.

المادة (٥١)

استخدمت هذه المادة تعبيراً جديداً غير مألوف في القانون العراقي حيثما أطلقت مصطلح الشركة (محدودة المسؤولية) و هذا مصطلح غير صحيح لأن الشركة أياً كان وصفها فأن مسؤوليتها غير محدودة. بل أن التحديد في المسؤولية ينصرف إلى المساهمين فيها و ليس لها. لذلك يجب إزالة هذا اللبس من خلال استخدام مصطلح الشركة المحدودة ليكون أكثر دلالة من المصطلح الحالي.

المادة (٥٢) لم تُعدل

و هي تعالج حالة قيام المُساهم بتسديد قسط أو أكثر من قيمة أسهمه قبل موعد الاستحقاق. و المفروض أن تُعلق أو تُلغى لتناقض حكمها مع حكم المادة (٤٨) المشار إليها سابقاً حيث لم يُعد من المتصور وجود أقساط من قيمة الأسهم مستحقة الدفع بسبب إلزام المساهم بدفع كامل قيمة أسهمه عند الاكتتاب التأسيسي.

المادة (٥٣) لم تعدل

الفصل الخامس: زيادة رأس المال و تخفيضه

الفرع الأول: زيادة رأس المال

المادة (٥٤) المعدلة

الفقرة أولاً: لم تُعدل

الفقرة الثانية: أوردت هذه الفقرة مصطلحاً جديداً هو الجمعية العمومية التي أنيطت بها صلاحية اتخاذ قرار زيادة رأس مال الشركة.

و يُلاحظ على التعديل استخدامه مصطلح الجمعية العمومية, بينما يُستخدم مصطلح الهيئة العامة في أماكن أخرى و المفروض أن يُصار إلى توحيد المصطلحات بدلاً من الوقوع في هذا التناقض غير المقبول تشريعياً.

الفقرة الثالثة: معلقة

الفقـرة الرابعـة: انـسجاماً مـع الرؤيـة الـتي يحملـها واضـعو التعـديل بأبعـاد دون الجهـة القطاعيـة الاقتصادية عن الإشراف على أعمـال الـشركة, فقـد حـصرت هـذه الفقـرة الموافقـة أو الـرفض علـى قـرار الزيادة بالمسجل فقط خلال (١٥) يوماً من تاريخ مفاتحة و على أن يكون رفضه لقرار الزيادة مسبباً.

المادة (٥٥) معدلة

الفقرات أولاً و ثانياً و ثالثاً لم ينلها أي تعديل جوهري سوى تعديل طفيف تناول الفقرة ثانياً حيث أجاز إضافة علاوات الإصدار إلى الفائض المتراكم و جواز تحويل الزيادة منها من خلال تحويلها إلى أسهم توزع مجاناً على المساهمين بنسبة مساهمة كل منهم. و التعديل الجوهري يمكن تأشيره من خلال الفقرة رابعاً حيث أجازت عرض الأسهم الجديدة للبيع في السوق المالية للحصول على قيمتها نقداً على أن يحدد العرض عدد الأسهم المطروحة و سعر عرضها للبيع, مع أجازة عرض الأسهم بقيمتها الاسمية أو بقيمة أعلى بناء على قرار (الجمعية العمومية) و يجوز تسعير تلك الأسهم بناءً على مستوى أداء الشركة و مكانتها الاقتصادية, أو على أساس أسعار الأسهم في سوق بغداد للأوراق المالية.

و يلاحظ على النص الجديد تأكيده على اعتبار الزيادة في سعر الأسهم علاوة إصدار لتغطية تكاليف إصدار الأسهم و الفائض من العلاوة يدخل في حساب الاحتياطي و لا يجوز توزيعه كأرباح.

كما يلاحظ على التعديل استخدامه لأسلوب جديد من أساليب تمويل الزيادة حيث أجاز عرض الأسهم للبيع في السوق المالية. و بذلك قد وفر للشركة أكثر من خيار في تمويل زيادة رأس مال الشركة.

المادة (٥٦) معدلة

أولاً أعيدت صياغتها بعبارات جديدة للتأكيد على كيفية الاكتتاب بأسهم الزيادة مع مراعاة تطبيق أحكام الاكتتاب الأصلية على الأسهم الجديدة.

ثالثاً: لم تعدل

منحت حق الأفضلية للمساهمين القدامى في الاكتتاب بالأسهم الجديدة و أسمت بذلك بـ(شراء الأسهم) و الفرق كبير بين عقد بيع الأسهم و عقد الاكتتاب و كان من المفروض أن يستخدم واضعو التعديل تعبير (الاكتتاب) لضمان حق المساهم في ممارسة حق الأفضلية. و قد يبدو أن التعديل يفضل مصلحة الشركة على مصلحة المساهم. و على وجه الخصوص حينما تحدد الشركة سعر البيع وفق الأسعار السائدة في سوق الأوراق المالية على وفق حكم المادة (٥٥) ثالثاً معدلة.

رابعاً: تضمنت هذه الفقرة حكماً جديداً يتعلق بزيادة رأس مال الشركة إذا كانت (مصرفاً) من خلال إصدار الأسهم الجديدة دون الاكتتاب العام و بدون عرضها على المساهمين في الشركة و ذلك بشرط استيفاء الشروط التالية.

١. موافقة أغلبية أصحاب الأسهم المكتتب بها.
٢. موافقة البنك المركزي العراقي على البيع على ضوء كافة ظروف البيع, على أن البيع كان بقيمة عادلة وانه كان منصفاً لحاملي الأسهم الذين لم يدعوا للمشاركة بناءً على مصلحة الشركة عموما.

أن هذا الحكم الجديد لا يحقق حماية وافرة و جيدة للمساهمين و لربما يعطي للشركة أفضلية على مساهميها و ليس هناك ما يبرره و هو حكم غريب عن المألوف في العمل الشركوي العراقي.

المادة: (٥٧) لم تُعدل

الفرع الثاني: تخفيض رأس المال

المادة (٥٨) معدلة

أشارت إلى جواز تخفيض رأس ما ل الشركة إذا زاد عن حاجتها أو لحقتها خسارة مع ملاحظة تأكيد النص الجديد على إن التخفيض إذا كان المقصود منه ترتيب صافي إضافي في رأس المال فإنه لا يخضع للأحكام المنصوص عليها في المواد (٥٩) ثالثاً و المواد (٦٠) إلى (٦٣).

المادة (٥٩) معدلة

الوجه الأساسي في تعديل هذه المادة هو استبعاد موافقة الجهة القطاعية الاقتصادية على قرار التخفيض.

المواد (٦٠, ٦١, ٦٢) لم تُعدل.

المادة (٦٣) معدلة

تمت صياغتها بأسلوب جديد يؤكد على أن قرار تخفيض رأس المال الشركة التضامنية و المشروع الفردي يتخذ من قِبل الجمعية العمومية بتعديل العقد.

و نؤكد ملاحظتنا السابقة باستخدام النص الجديد لمصلحة الجمعية العمومية و هو مصطلح يتناقض مع المصطلح المعروف في العراق و هو (الهيئة العامة) كما أبعد التعديل استحصال موافقة الجهة القطاعية الاقتصادية المختصة على قرار التخفيض.

الفصل السادس: التصرف بالأسهم و الحصص

الفرع الأول: انتقال الملكية

المادة (٦٤) معدلة

الفقرة أولاً: تضمنت حكماً جديداً فيما يتعلق بالتصرف بأسهم المؤسس و ذلك من خلال تخفيض المدة سنة واحدة بعد أن كانت سنتين على تأسيس الشركة و لربما أن هذا التعديل يهدف إلى التيسير على المؤسس على إعتبار أن هذه المدة كافية للتأكد من استقرار أحوال الشركة و ثبوت حُسن نية المؤسس.

الفقرة ثانياً: مُلغاة و ذلك انسجاماً مع توجه الاقتصادي الجديد الذي يؤكد على اقتصاد السوق.

الفقرة ثالثاً: لم تُعدل

المادة (٦٥), (٦٦) لم تُعدل

المادة (٦٧) معدلة

صدر المادة (٦٧) تم تعديله من خلال التأكيد على أنه إذا توفى مساهم عراقي في شركة مُساهمة أو محدودة تنتقل ملكية أسهمه إلى ورثته (ورثتها) بحسب أنصبتهم المحددة في الشريعة, أما إذا كان المساهم مواطن لدولة أخرى تنتقل ملكية أسهمه بموجب القانون المرعي في تلك الدولة. يلاحظ على التعديل انه وضع ليشمل المساهم العراقي و المساهم الأجنبي.

و يأتي التعديل كما نعتقد لتشجيع الأجنبي على استثمار أمواله في الشركات العراقية.

أما باقي فقرات المادة فإنها لم تعدل. سوى ملاحظة من ناحية الصياغة اللغوية المفروض استخدام حرف الجر (على) بدلاً من حرف الجر (عن) ليكون أكثر دلالةً.

المادة (٦٨) لم تعدل

يلاحظ إن كلمة (غير) قد سقطت سهواً من أصل النص بسبب خطأ مطبعي.

المادة (٦٩) لم تعدل

المادة (٧٠) لم تعدل

يلاحظ عليها خطأ مطبعي باستخدام عبارة (حجز عليه و المحجوز عليه) و الصحيح (حُجر عليه و المحجور عليه).

الفرع الثاني: رهن و حجز الأسهم و الحصص

المادة (٧١), (٧٢) لم تعدل

الفصل السابع: الأرباح و الخسائر

المادة (٧٣) لم تعدل

المادة (٧٤) معدلة

الفقرة أولاً: أنصب التعديل على إلغاء دور الجهة القطاعية الاقتصادية المختصة في توجيه الشركة نحو الاستخدام الامثل للاحتياطي.

الفقرة ثانياً: حصر التعديل الموافقة على إطفاء خسائر الشركة من الاحتياطي بنسبة تتجاوز (٥٠ ٪) بموافقة المسجل فقط دون الحاجة إلى موافقة الجهة القطاعية.

المادة (٧٥) لم تعدل

المادة (٧٦) معدلة

الفقرة أولاً: قضت هذه الفقرة بأنه إذا بلغت خسارة الشركة ما يعادل أو يتجاوز (٥٠ ٪) من رأس المال أو أكثر وجب عليها إشعار المسجل خلال (٦٠) يوماً من تاريخ ثبوت تحققها بموجب ميزانيتها العمومية. بينما كان النص السابق أكثر شمولية و أكثر حماية للشركة حيث كان يُلزم الشركة مفاتحة المسجل بالخسارة ليتولى مفاتحة الجهة القطاعية المختصة لتتولى دراسة حال الشركة و تقديم التوجيهات الملزمة للشركة بهذا الشأن. عليه أراد واضعو النص التخفيف من سلطة رقابة المسجل و الجهة القطاعية على الشركة. ولنا هنا أن نتساءل بمشروعية ما هي الحكمة من إعلام المسجل بالخسارة وهل بالإمكان أن يوجه الشركة و هل أن توجيهاته لها ملزمة و عليها اعتمادها.

الفقرة ثانياً: عدلت هذه الفقرة بإلغاء دور الجهة القطاعية المختصة من التدخل في حالة خسارة الشركة لأكثر من (٧٥ ٪).

الفصل الثامن: سندات القرض

المادة (٧٧) , (٧٨) لم تعدل

المادة (٧٩) معدلة

تمت صياغة هذه المادة بمفهوم جديد يلزم الشركة بتقديم قرار إصدار سندات القرض معززا بدراسة اقتصادية يبين فيها أسباب إصدار السندات, على أن تقدم هذه الدراسة للمكتتبين (المقرضين).

مع عدم الإخلال بالمسؤولية المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة (٤٧) من هذا القانون ما لم يستنتج المسجل إنها مضللة و في هذه الحالة يحيل المسجل الأمر إلى السلطة المختصة في الدولة بأسواق الأسهم و الأوراق المالية.

يلاحظ على النص الجديد انه قد تمت صياغته بأسلوب جديد وضع لحماية المكتتبين بالسندات في صدر اهتمامه لذا ألزم الشركة بإعداد دراسة تقدم للجمهور لغرض الإطلاع على وضع الشركة الاقتصادي و هذا أمر محمود مع تأكيد التعديل على مسؤولية أعضاء مجلس الإدارة عن البيانات المضللة

وفق الفقرة ثانياً من المادة (٤٧) و تأكيداً على حماية جمهور المكتتبين بالسندات نرى من المحبذ أن تحال المعلومات المضللة الواردة في الدراسة من قبل المسجل إلى المحكمة المختصة لأنها الأكثر قدرة على تحقيق هذه الحماية بدلاً من إحالتها إلى السلطة المختصة في أسواق الأسهم و الأوراق المالية كما يقضي النص المعدل.

المواد (٨٠ – ٨٤) لم تعدل

الباب الرابع: إدارة الشركة

الفصل الأول:الهيئة العامة

الفرع الأول: تكوين الهيئة العامة و اجتماعاتها

المادة (٨٥) لم تعدل

المادة (٨٦) معدله

عدلت باستخدام مصطلح الجمعية العمومية للشركة بدلاً من الهيئة العامة. و لا نرى أهمية أو فائدة تذكر لاستخدام المصطلح الجديد (الجمعية العمومية) إضافة إلى إن مصطلح الهيئة العامة لم يهمل بل بقي إضافة إلى مصطلح الجمعية العمومية, الأمر الذي جعل من القانون غير منسجم من حيث استخدام المصطلحات و المفروض أن يستخدم مصطلحاً واحداً للدلالة على انسجام القانون.

المادة (٨٧)

عدلت فيها الفقرة (ثالثاً) بإعطاء صلاحية دعوة الهيئة العامة للشركة للانعقاد إلى المسجل بمبادرة منه أو بناء على طلب مراقبي الحسابات دون أن يشير إلى طلب الجهة القطاعية المختصة.

المادة (٨٨)

الفقرة ثانياً (المعدلة)

عُدلت هذه الفقرة بإعطاء صلاحية توجيه الدعوة لعقد اجتماع الهيئة العامة إلى المسجل في عموم الشركات إذا تخلفت الجهات المختصة عن توجيه الدعوة خلال المواعيد المقررة قانوناً و بذا فأن توجيه الدعوة يدخل ضمن السلطة التقديرية للمسجل بينما كان النص السابق يُلزم المسجل بتوجيه الدعوة لعقد اجتماع الهيئة العامة في الشركة المساهمة أما باقي الشركات فكانت للمسجل الحرية في توجيه الدعوة من عدمها. و بذا فإن النص الجديد ساوى بين جميع الشركات بصدد توجيه الدعوى لعقد اجتماع الهيئة العامة.

الفقرة ثالثاً مضافة:

تضمنت هذه الإضافة حكماً جديداً يشير إلى أن التلاعب في إعلان الاجتماع أو نشر معلومات تتعلق به بغية التأثير على قرارات الأعضاء , يُعتبر عملاً مخالفاً للقانون. و نرى أن هذه الإضافة تمثل حماية جيدة لأعضاء الشركة من تلاعب أو احتيال هيئات الإدارة عليهم..

المادة (٨٩) لم تعدل

المادة (٩٠) معدلة

حدد التعديل مكان انعقاد اجتماع الهيئة العامة في مقر الشركة أو في أي مكان آخر في العراق إذا اقتضت الظروف ذلك مع ملاحظة تأكيد التعديل على أن تغيير مكان انعقاد الاجتماع لإبعاد أدنى قدر من الإزعاج للمالكين.

المادة (٩١)

الفقرة ثالثاً البند (١) منة هذه المادة ألغيت لأنها كانت تتضمن حكماً يتعلق بعضو الشركة المساهمة من غير القطاع الاشتراكي بأن لا تزيد نسبة تمثيله في اجتماع الهيئة العامة أصالة أو وكالة أو إنابة على (١٠ ٪) من رأس مال الشركة المساهمة المختلطة و على (٢٠ ٪) من رأس مال الشركة المساهمة الخاصة.

والغرض من رفع حكم هذا البند كما نعتقد هذا لفسح المجال أمام الاستثمار الخاص في إدارة الشركة المساهمة دون تحديد حد أعلى لنسبة المشاركة.

المادة (٩٢)

الفقرة أولا معدلة

تم تعديل الفقرة أولاً من المادة (٩٢) بما يؤمن تسهيل انعقاد اجتماع الهيئة العامة من خلال التأكيد على انه في حالة عدم تحقق النصاب القانوني لعقد الاجتماع الأول يؤجل الاجتماع لمدة أسبوع و يعتبر النصاب القانوني مكتملاً في الاجتماع الثاني إذا حضره من يمثلون (٢٥٪) من عدد الأسهم أو الحصص , بل ذهب التعديل إلى إجازة عقد الاجتماع حتى مع عدم حضوره نسبة (٢٥٪) من خلال طلب الشركة من المسجل التغاضي عن تطبيق نسبة ال (٢٥٪) إذا رأت الشركة بناءاً على جدول أعمال الاجتماع و ظروف أخرى أن الحد الأدنى المطلوب لن يفيد مصالح المالكين عموماً.

ثانياً : معدلة بإضافة حالة جديدة يتطلب مناقشتها حضور النصاب المطلوب للاجتماع الأول و هي إذا أريد مناقشة بيع نصف أو أكثر من موجوداتها في صفقة تعقد خارج أعمال الهيئة العامة الاعتيادية.

المادة (٩٣) معدله

تم تعديلها بما يؤمن حضور مندوب على المسجل في اجتماع الهيئة العامة و يكون حضوره للتأكد من النصاب القانوني, و له أن ينسحب بعد ذلك, إلا إذا استمر حضوره في الاجتماع بناءً على طلب أحد المساهمين و الحالة هذه سوف يتأكد من سلامة الإجراءات المتخذة أثناء الاجتماع.

المواد (٩٤), (٩٥), (٩٦), (٩٧) لم تعدل

المادة (٩٨)

الفقرة أولاً لم تعدل

الفقرة ثانياً عُدلت

تناول التعديل مسألة التصويت على القضايا المهمة في اجتماع الهيئة العامة للشركة و هي تعديل عقد الشركة المساهمة, زيادة أو تخفيض رأسمالها أو بيع أكثر من نصف مجوداتها في صفقة تخرج عن إطار أعمالها الاعتيادية, أو أقر للموافقة على صفقة ما بموجب الفقرة رابعاً من المادة (٥٦) أو قرار دمج الشركة أو تحويلها أو تصفيتها. حيث يتخذ القرار بالأغلبية من مالكي الأسهم المكتتب بها. إلا إذا تطلب عقد الشركة نسبة أعلى و بنفس الاتجاه و فيما يتعلق باجتماع الهيئة العامة للشركة المحدودة التي تتخذ فيها القرارات بالأغلبية ما لم يتطلب عقد الشركة نسبة أعلى و في الشركة التضامنية تتخذ

القرارات بالإجماع. و وجه التعديل في جواز احتواء عقد الشركة على تحديد أي نسبة أغلبية لغرض التصويت على قرارات الهيئة العامة و بما يحقق مصلحة الشركة و أعضائها.

المادتان (٩٩), (١٠٠) لم تعدل

المادة (١٠١) عُـدلت

تم إعادة صياغتها ليشمل حكمها المشروع الفردي و الشركة محدودة المسؤولية المملوكة لشخص واحد باعتباره يمثل الهيئة العامة في الشركة عدا ما تعلق منها بعقد اجتماعات الهيئة العامة.

المادة (١٠٢) لم تعدل

الفصل الثاني: مجلس الإدارة في الشركة المساهمة

الفرع الأول: تكوين مجلس الإدارة

المادة (١٠٣) معدلة

أولاً: تم تخفيض عدد أعضاء مجلس إدارة الشركة المساهمة المختلطة من (٩) إلى (٧) أعضاء أصليين يتم اختيارهم على النحو التالي:

١. عضوان يمثلان قطاع الدولة يتم تعيينهم بموجب قرار من الوزير أو وكيل الوزير المختص إلا إذا تجاوزت حصة الدولة في رأس المال بنسبة (٥٠٪) حيث يكون عددهم ثلاث أعضاء يمثلون الدولة.

٢. خمسة أعضاء من خارج قطاع الدولة يمثلون حاملي الأسهم و ينتخبون من قبل الهيئة العامة , ما لم تكن حصة قطاع الدولة وقت التعيين قد تجاوزت (٥٠٪) من رأس مال الشركة و في هذه الحالة تنتخب الجمعية العمومية أربة أشخاص من خارج قطاع الدولة يمثلون المساهمين في الشركة

المادة (١٠٤) معدلة

عدلت هذه المادة بإلغاء عضوية الأعضاء الذين يمثلون العمال في الشركة و الذين كان يتم اختيارهم من قبل الاتحاد العام لنقابات العمال. و أكدت هذه المادة على أن عدد أعضاء مجلس إدارة الشركة المساهمة الخاصة لا يقل عن (٥) و لا يزيد على (٩) يتم انتخابهم من قبل أعضاء الجمعية العمومية للشركة.

و يلاحظ على تعديل المادة (١٠٣) و المادة (١٠٤) تركيزه على إبعاد العاملين عن عضوية مجلس إدارة الشركة المساهمة الخاصة و المختلطة.

و نحن لسنا مع هذا التوجه لأن العاملين و إن كانوا لا يساهموا في رأس مال الشركة إلا أنهم يخدمون رأس المال و من الضروري أن يكون لهم حضور في مجلس إدارة الشركة. لما لهذا الحضور من آثار ايجابية على وضع الشركة.

المادة (١٠٥) معلقة لأن نصوص المادتين (١٠٣) و (١٠٤) تنسجم مع حكمها السابق فلم تعد الحاجة إليها قائمة الآن.

المواد (١٠٦) و (١٠٧) و (١٠٨) و (١٠٩) لم تعدل

المادة (١١٠) معدلة

الفقرة أولاً معدلة

عدلت من خلال السماح لعضو مجلس إدارة الشركة المساهمة أن يكون عضو في مجال إدارة (٦) شركات بالحد الأعلى. و يبدو أن الحكمة من هذا التعديل هي لتشجيع أصحاب رؤوس الأموال على تأسيس شركات مساهمة و الاشتراك في عضوية مجالس ادارتها للمحافظة على أموالهم فيها.

الفرع الثاني: اجتماع مجلس الإدارة

المادة (١١١) , (١١٢) لم تعدل

المادة (١١٣) معدلة

عدلت من خلال إجازة عقد اجتماع مجلس إدارة الشركة المساهمة المختلطة بحضور أغلبية أعضائه دون التأكيد على وجوب حضور ممثلو قطاع الدولة فيه, بينما كان النص السابق يجعل من حضورهم شرطاً لصحة انعقاد الاجتماع.

المادة (١١٤) معدلة

صياغتها الجديدة أكدت على وجوب اتخاذ قرارات المجلس بالأكثرية دون اشتراط موافقة الأعضاء ممثلي الدولة على القرارات لنفاذها, بل يمكن اتخاذ القرارات حتى بدون حضورهما و تأتي هذه الصياغة انسجاماً مع توجيهات واضعي التعديل بتقليل دور الدولة في الشركات و توسيع المجال أمام القطاع الخاص فيها.

المادتان (١١٥) و(١١٦) لم تعدلا.

الفرع الثالث: اختصاصات و صلاحيات مجلس الإدارة

المادة (١١٧)

تم تعديلها من خلال توسيع صلاحيات مجلس الإدارة بالإضافة إليها من خلال إضافة الفقرة ثامناً إلى المادة التي قضت بصلاحية مجلس الإدارة في إنشاء لجنتين من أعضائه لتقديم التوصيات بخصوص:

أ - اختيار مدققين ماليين مستقلين من غير العاملين في الشركة (لجنة الرقابة و التدقيق المالي).

ب - تحديد طبيعة و كمية الأتعاب المدفوعة لأعضاء مجلس الإدارة و المدير المفوض (لجنة الأجور).

وقد حدد التعديل شروط العضوية في هاتين اللجنتين و هي:

١. أن لا يكون موظفاً رسمياً.

٢. أن لا تزيد نسبة مساهمته في الشركة على (١٠٪) إذا كان عضواً فيها.

٣. أن لا تربط بين أعضاء اللجنتين أو بينهم و أعضاء مجلس الإدارة صلة القرابة المباشرة أو عن طريق الزواج أو من خلال مصلحة شخصية أو اقتصادية لدرج قد تؤدي إلى التأثير على حياد قراراته.

كما أشار التعديل إلى مناقشة توصيات اللجنتين و مخالفتها في اجتماع الهيئة العامة و يسجل هذا في محضر الاجتماع. كما تتحمل لجنة المراقبة و التدقيق المالي مسؤولية ضمانة دقة عمليات التدقيق المالي و إمكانية الاعتماد عليها و لها أن تعقد اجتماعات مغلقة مع المدققين الماليين المستقلين , و تضمن الاحتفاظ خلال العام بسجل عن جميع المعاملات المالية ذات الصلة بما يتماشى مع المعايير الدولية المتعارف عليها للمحاسبة من أجل مناقشتها مع المدققين الماليين المستقلين.

يلاحظ أن هذا التعديل غير مألوف مع أحكام التشريع العراقي من حيث الصياغة و من حيث المفاهيم الواردة فيه و نعتقد انه جاء انسجاما مع تصور أو رؤية واضعو التعديل بتأكيدهم على فلسفة اقتصاد السوق المفتوح.

المادة (١١٨) لم تعدل

المادة (١١٩) معدلة

أولاً: تم تعديلها بما يؤكد المحافظة على مصلحة الشركة من خلال وضع ضوابط أكثر صرامة لمنع استغلال رئيس و أعضاء مجلس الإدارة لصلاحياتهم بما يؤثر سلباً على مصلحة الشركة.

و بذات التوجيه صارت الفقرة ثانياً المضافة من خلال عدم السماح لرئيس مجلس الإدارة أو لأي عضو فيه الإدلاء بصوته أو المشاركة في أمر ما تكون له مصلحة مباشرة فيه.

المادة (١٢٠) لم تعدل

الفصل الثالث: المدير المفوض

الفرع الأول: تعيين المدير المفوض و أعفائه

المواد (١٢١) و (١٢٢) لم تعدل

الفرع الثاني: اختصاصات و صلاحيات المدير المفوض

المادة (١٢٣) لم تعدل

المادة (١٢٤) معدلة

تم التأكيد على مضمون المادة السابقة و إضافة حكم جديد لها من خلال إلزام المدير المفوض بتقديم كشف كتابي بأعلى خمس رواتب تدفعها الشركة لموظفيها إلى الهيئة العامة للشركة بهدف إطلاعها على رواتب العاملين و مناقشتها في الاجتماع لتجاوز المبالغة في تحديدها.

الباب الخامس: الرقابة على الشركات

الفصل الأول: هدف الرقابة و مستلزماتها

المادة (١٢٥) معدلة

أكد التعديل الجديد على أن هدف الرقابة هو ضمان قيام الشركة بتطبيق أحكام عقدها باعتباره دليل عمل لها و من ثم أحكام القانون.

و وفق التعديل الجديد لم تعد الشركة ملزمة بتنفيذ قرارات التخطيط المركزي. و لم تمنح الجهة القطاعية المختصة أي دور في متابعة الشركة.

المادة (١٢٦) لم تعدل

المادة (١٢٧) معدلة

أولاً و ثانياً: تم تعديلها بإلزام الشركة بإرسال نسخة من الدعوة لعقد الجمعية العمومية للمساهمين إلى المسجل فقط دون أن تلزم الشركة بإرسال نسخة من الدعوة إلى الجهة القطاعية المختصة.

المادة (١٢٨) معدلة

أكد التعديل على أن للمسجل فقط دون الجهة القطاعية المختصة حق طلب بيانات أو إيضاحات أو مستندات من الشركة.

المواد (١٢٩), (١٣٠), (١٣١), (١٣٢) لم تعدل

الفصل الثاني:الرقابة المالية

المادة (١٣٣) لم تعدل

المادة (١٣٤) معدلة

الفقرة أولاً معدلة من خلال تأكيدها على وجوب تضمين تقرير مجلس الإدارة و تقرير المدير المفوض كل العقود الهامة التي أبرمتها الشركة خلال السنة السابقة, و الأعمال التي حققت مصالح من يملكون (١٠٪) أو أكثر من أسهم الشركة و أعضاء مجلس الإدارة و مديرها المفوض. و كذلك مصالح عوائلهم و مصالح الكيانات التي تخضع لسيطرتهم و أي مصالح أخرى تجعل من أي معاملة صفقة مع طرف صاحب علاقة و ذلك بموجب معايير المحاسبة الدولية و بالقدر المسموح به لتطبيقها في العراق.

المواد (١٣٥), (١٣٦), (١٣٧), (١٣٨), (١٣٩) لم تعدل

الفصل الثالث:التفتيش

المادة (١٤٠) معدلة

ألغيت الفقرة أولاً منها التي كانت تسمح للجهة القطاعية المختصة أن تطلب من المسجل إجراء التفتيش على الشركة.

المادة (١٤١) معدلة

أكدت هذه المادة بعد التعديل على صلاحية المسجل في تعيين مفتش عند الضرورة دون طلب من أي جهة, إلا أنها أعطت للشركة الحق في أن تطلب من المحكمة المختصة بمنع المسجل من التفتيش إذا رأت أن طلب التفتيش الصادر من المسجل جاء لأغراض غير مشروعة.

المادة (١٤٢) معدلة

الفقرة أولاً لم تعدل.

الفقرة ثانياً: من خلال إلزام المفتش المعين من قبل المسجل بإرسال نسخة من تقريره إلى المسجل فقط دون إرسال التقرير إلى الجهة القطاعية المختصة. و المسجل بدوره يرسل نسخة من التقرير إلى الشركة و إلى الشخص المسؤول من الادعاء المشار اليه في المادة (١٤٠).

المواد (١٤٣) , (١٤٤) , (١٤٥) , (١٤٦) لم تعدل

الباب السادس: انقضاء الشركة

الفصل الأول: أسباب الانقضاء

يتكون هذا الفصل من مادة واحدة فقط و لم تعدل لأنها قد غطت جميع فروض أسباب انقضاء الشركات

الفصل الثاني: دمج الشركات

المادة (١٤٨) لم تعدل

المادة (١٤٩) معدلة

فيما يتعلق بشروط الاندماج فان التعديل لم يشترط لجواز الدمج بين الشركات أن يكون نشاطها متماثل أو متكامل. و نعتقد أن هذا التعديل لربما تكون له آثار سلبية لأنه سوف يسمح بالاندماج لشركات قد لا تكون منسجمة اقتصادياً الأمر الذي يعني أن الاندماج سوف لا يؤدي إلى تطوير الشركة.

و كذلك ألغي التعديل الشرط رابعاً الذي كان يشترط في الاندماج انه لا يؤدي إلى ترتيب آثار اقتصادية مخالفة لخطة التنمية و القرارات التخطيطية.

المادة (١٥٠) معدلة

عدلت منها الفقرة ثالثاً حيث حصرت الموافقة على الدمج بمسجل الشركات فإذا وجد أن قرارات الدمج موافقة للقانون فانه يقوم بدون تأخير بإصدار أذن بنشرها و يبلغ الشركات ذات العلاقة بقراره لتتولى نشر القرارات في النشر و في إحدى الصحف اليومية و الغي التعديل الفقرتين رابعاً و خامساً لأنهما يتعلقان بدور الجهة القطاعية المختصة بالاندماج. و أصبح عدد الفقرات العاملة بها هي أربعة فقط.

المادتان (١٥١) , (١٥٢) لم تعدل

الفصل الثالث: تحول الشركة

المادتان (١٥٣) و (١٥٤) لم تعدل

المادة (١٥٥) معدلة

تم تعديلها من خلال التأكيد على حصر موافقة التحول بمسجل الشركات فقط دون حاجة إلى استحصال موافقة الجهة القطاعية المختصة, و على المسجل و خلال (١٥) يوم من تاريخ استلامه لقرار التحول و العقد المعدل, فأن وجد أنهما متماشيان مع القانون يصادق عليهما بدون تأخير, و يبلغ للشركة بقرار الموافقة بنشر الأذن في النشرة و في إحدى الصحف اليومية.

المادتان (١٥٦), (١٥٧) لم تعدل

الفصل الرابع: تصفية الشركة

المادة (١٥٨) معدلة

الغي التعديل الفقرة ثانياً من هذه المادة التي كانت تلزم المسجل بإصدار قرار التصفية مباشرة إذا تحقق أحد الأسباب التي تؤدي للتصفية ما لم تتخذ الهيئة العامة في الشركة قرار التصفية.

يلاحظ على توجه التعديل في تخفيف سلطة المسجل على الشركات و تبقى رقابته عليها رقابة توجيهية أكثر مما هي تدخليه في أعمال الشركات.

المادة (١٥٩) معدلة

تمت إعادة صياغتها بأسلوب يلزم الشركة بإرسال قرار تصفيتها المسبب خلال (١٤) يوماً إلى المسجل ليتحقق من وجود أسباب التصفية.

المادة (١٦٠)

تمت صياغتها بأسلوب جديد ليؤكد على دور المسجل في التحقق من أسباب التصفية و إنها لا تنطوي على غش أو عمل غير قانوني. ثم يصادق على قرار التصفية و يتولى تعيين المصفي خلال (١٠)

عشرة أيام من تاريخ ثبوت التصفية ليقوم بعدها بإبلاغ الشركة بتلك المعلومات لتتولى الشركة مهمة نشر المعلومات في النشرة و في صحيفة يومية واحدة.

المادتان (١٦١) , (١٦٢) معلقتان

لأنها كنت تعطي دوراً واضحاً للجهة القطاعية المختصة في التصفية.

المواد (١٦٣) , (١٦٤) , (١٦٥) , (١٦٦) , (١٦٧) , (١٦٨) لم تعدل

المادة (١٦٩) معلقة

المواد (١٧٠) , (١٧١) , (١٧٢) , (١٧٣) , (١٧٤) , (١٧٥) , (١٧٦) , (١٧٧) لم تعدل

المادة (١٧٨) معدلة

بإضافة الفقرة ثانياً إليها فيما يتعلق بتوزيع أموال الشركة على المستثمرين الأجانب فيها على وفق الفقرة (٢) من القسم (١٢) من الأمر رقم (٣٩) الصادر من سلطة الائتلاف المؤقتة.

المادتان (١٧٩) , (١٨٠) لم تعدل

الباب السابع: الشركة البسيطة

المواد (١٨١) , (١٨٢) , (١٨٣) , (١٨٤) , (١٨٥) لم تعدل

المادة (١٨٦)

الفقرة أولاً جاءت صياغتها ناقصة و لربما يكون السبب هو خطأ مطبعي من المفروض تلافيه. حيث يجب أن يأتي النص

((إذا اتفق على أن أحد الشركاء لا يساهم في الربح أو في الخسارة كان عقد الشركة باطلاً))

المواد (١٨٧) , (١٩٩) لم تعدل

الباب الثامن: أحكام متفرقة

الفصل الأول: أحكام عامة

المواد (٢٠٠) و (٢٠١) , (٢٠٢) لم تعدل

المادة (٢٠٣) معدلة

تم تعديلها بالنص على ((لا يعتبر عقد الشركة صالحاً إلا بعد التصديق عليه من قبل المسجل وفقاً لما تنص عليه المادة (١٩).))

يلاحظ أن النص المعدل أكثر شمولية حيث كان النص ((لا يعتبر تعديل عقد الشركة نافذاً إلا بعد تصديقه من المسجل و نشرة في النشرة و في صحيفة يومية عدا ما ورد به نص خاص من هذا القانون)).

و كان من المفروض أن يؤكد النص الجديد على وجوب النشر لأن الشركات عموماً تقوم على مبدأ الإعلان للكافة.

المادة (٢٠٤) معدلة

تم تعديلها من خلال إجازة الاعتراض على قرار المسجل لدى وزير التجارة و يجوز الطعن في قرار الوزير على وفق المادة (٢٤) من هذا القانون لدى المحكمة المختصة و هذا اتجاه محمود لما فيه من حماية كبيرة تمنع الإدارة من التعسف و أيكال مهمة حسم الخصومات للقضاء بما له من ولاية عامة في حزم جميع المنازعات.

المواد (٢٠٥), (٢٠٦), (٢٠٧) لم تعدل

المادة (٢٠٨) معدلة

تم تعديلها بإضافة الفقرة ثانياً من خلال تأكيدها على عدم تطبيق قانون تسجيل الوكالات و الوكلاء القانون رقم (٤) لسنة (١٩٩٩), ولا يطلب من أي شركة تعيين وكيل لها كشرط تسجيل و لكن يجوز لها أن تقوم بذلك. و علاوة على ذلك لا يطلب من أي شركة كشرط للتسجيل تقديم شهادات تثبت امتثالها لقوانين الضريبة أو براءة ذمتها من الضريبة. و يخول وزير التجارة صلاحية إصدار تعليمات لتنسيق نشاطات المسجل و غرفة التجارة بخصوص التسجيل و الموافقة على الأسماء التجارية بغض النظر عن أي نص يخالف ذلك في قانون تأسيس الغرف التجارية القانون رقم (٤٣) لسنة (١٩٨٩).

أن هذا التعديل جاء كما نعتقد بهدف التيسير من إجراءات تأسيس الشركات بعدم إلزامها بتعيين محامي وكيل تسجيل و عدم اشتراط امتثال الشركة لقوانين الضريبة يأتي على أساس أن ذلك أمر مفروغ منه و لا داعي للنص عليه.

المادة (٢٠٩) معدلة

تم تعديلها من خلال إناطة صلاحية تعديل الجدول الملحق بالقانون إلى وزير التجارة بدلاً من مجلس الوزراء كما كان يقضي به النص السابق.

الفصل الثاني: أحكام مؤقتة

المادة (٢١٠) لم تعدل

المادة (٢١١) معدلة

تم تعديل الفقرة أولاً من المادة من خلال الشارة إلى تطبيق أحكام الأمر رقم (٣٩) الصادر من سلطة الائتلاف المؤقتة و نصوص اللوائح التنظيمية و التعليمات الصادرة بموجبه بدلالة من نظام فروع و مكاتب الشركات و المؤسسات الاقتصادية الأجنبية المرقم بـ(٥) لسنة ١٩٨٩ كما كان يقضي النص السابق.

المادة (٢١٣) معدلة

الفقرة أولا لم تعدل

الفقرة ثانياً معدلة

معدلة بإعادة صياغتها لتنسجم مع المادة (٢١١) حيث قضت على وجوب مراعاة الفترات الزمنية المنصوص عليها في اللوائح التنظيمية و التعليمات الإدارية الصادرة بموجب الأمر المرقم (٣٩) و عن سلطة الائتلاف المؤقتة.

المادة (٢١٤) لم تعدل

المادة (٢١٥) معدلة

الفقرة أولاً معدلة من خلال رفع عقوبة الحبس في النص السابق و التركيز على عقوبة الغرامة من خلال تحديد سقفها بما لا يزيد على (٣) مليون دينار من خلال النص على ما يلي :

أولاً : يخضع كل من يمارس نشاطاً بأسم شركة مساهمة أو محدودة أو تضامنية أو مشروع فردي دون استحصال شهادة تسجيل تأسيس الشركة لغرامة لا تزيد على (٣) مليون دينار و يؤخذ بعين الاعتبار في تحديد الغرامة فداحة المخالفة و أحكام الفقرة أولاً من المادة (٢١٠) من هذا القانون.

ثانياً : يخضع كل من يمارس نشاطاً بأسم فرع أو مكتبه لشركة أو مؤسسة اقتصادية أجنبية دون إستحصال شهادة التسجيل المطلوبة لنفس العقوبة المنصوص عليها في الفقرة أولاً من هذه المادة ما لم تنص القوانين ذات الصلة على غير ذلك.

و هذا اتجاه حسن يتمثل في رفع مستوى عقوبة الغرامة ليتناسب مع التضخم الاقتصادي في العراق و لكي تحقق العقوبة أهدافها في ردع المخالفين لأحكام القانون.

المادة (٢١٦) معدلة

تم تعديلها من خلال تصيير عقوبة الغرامة و جعلها لا تزيد على عشرة ملايين دينار وفقاً لفداحة المخالفة و ذلك أخذاً بنظر الاعتبار مستوى التضخم الاقتصادي في البلد.

المادة (٢١٧) معدلة

تم تعديلها أيضا من خلال تغيير عقوبة الغرامة بما ينسجم مع مستوى التضخم الاقتصادي و جعلها بما لا يزيد على (٣) ثلاثة ملايين دينار.

المادة (٢١٨) معدلة

تم تعديلها من خلال تغيير عقوبة الحبس و الغرامة بوضع حد أعلى لعقوبة الحبس بما لا يزيد على مدة سنة واحدة أو عقوبة الغرامة بما لا يزيد على (١٢) مليون دينار أو بالعقوبتين معاً.

المادة (٢١٩) معدلة

تم تعديلها أيضاً من خلال جعل الحد الأعلى لعقوبة الحبس بما لا يزيد على ستة أشهر أو غرامة لا تزيد عن (١٢) مليون دينار أو بالعقوبتين معاً.

أن العقوبات الجديدة مقبولة من الناحية الواقعية و القانونية و ذلك بالنظر لانسجامها مع مستوى التضخم الاقتصادي في العراق.

الفصل الرابع: أحكام ختامية

المادتان (٢٢٠) , (٢٢١) لم تعدل

جدول الرسوم

بقيت الرسوم كما جاءت في نص القانون دون تعديل بينما كان من الضروري إعادة أقيامها بما يتفق مع مستوى التضخم الاقتصادي في العراق.

القسم ٢: أحكام عامة

احتوى القسم (٢) على الكثير من الأحكام العامة إلا انه أهمها تأكيد الفقرة (٤٩) من القسم على تطبيق العقوبات الجديدة بعد مرور (٩٠) يوماً من نفاذ هذا التعديل.

و كذلك الفقرة خامساً بصدد خفض عدد أعضاء مجلس الإدارة ممثلي قطاع الدولة يطبق بعد مضي (٩٠) يوماً من نفاذ التعديل.

الخاتمة

توفر لدينا على عموم التعديلات جملة من الملاحظات يمكن تأشير أهمها على وفق الآتي علماً أن هناك العديد من الملاحظات الفرعية تم تأشيرها في ثنايا البحث:

١. أن الملاحظة العامة الرئيسية عليها أنها جاءت بصياغة قانونية ركيكة و نعتقد أن الكثير من النصوص تمت ترجمتها من لغة أجنبية ترجم حرفية و ليس بتصرف حيث ورد في التعديلات مصطلحات و عبارات لا تنسجم و البناء القانوني في العراق منها مثلاً تعبير المحاسبة القانونية الدولية, الجمعية العمومية, الملاّك, المالكين. وكان من المفروض أن تأتي الصياغات بأسلوب قانوني ولغوي منسجم مع التشريع العراقي.

٢. أكدت التعديلات على إبعاد دور الجهة القطاعية الاقتصادية المختصة في الرقابة على عمل الشركات.

٣. قللت التعديلات من الدور الرقابي للمسجل على الشركات الأمر الذي يجعل من رأيه استشاري أكثر من دوره في الإشراف على نشاط الشركة.

٤. أكدت التعديلات على تقليل دور قطاع الدولة في قيادة الشركات المساهمة المختلطة و التركيز على إعطاء الدور الأكبر للقطاع الخاص و إلغاء تسمية القطاع الاشتراكي في العراق.

٥. الحسنة الواضحة التي يمكن تأشيرها للتعديلات تبدو في تغيير أقيام عقوبة الغرامة ما يتناسب مع مستوى التضخم الاقتصادي في العراق.

٦. إضافة التعديلات استثناءاً جديداً إلى المادة الرابعة من القانون بإجازة تأسيس شركة محدودة (مشروع فردي) من شخص طبيعي أو معنوي واحد.

٧. لم يراع واضعو التعديلات الانسجام في استخدام المصطلحات القانونية إضافة إلى عدم مراعاتهم الانسجام بين بعض النصوص القانونية, الأمر الذي أدى إلى وقوع التناقض بين العديد منة النصوص المعدلة المؤشرة في البحث بسبب التسرع في إصدار التعديلات و عدم مراعاة الدقة في الصياغة القانونية.

٨. نقترح أن توكل مهمة تعديل قانون الشركات إلى لجنة فنية متخصصة تأخذ بنظر الاعتبار الواقع العراقي الاقتصادي بدلاً من هذه التعديلات المتسرعة على أن ترفع مشروع قانون التعديل إلى البرلمان العراقي ليتولى إصداره وفق أحكام الدستور العراقي الجديد. لأن هذه التعديلات موضوع البحث جاءت معبرة عن فلسفة اقتصاد السوق التي يؤمن بها (برايمر) بينما العراق كواقع اقتصادي غير مهيأ الآن لتطبيق هذه الفلسفة فيه. إذ لا بد تهيئة الأرضية اللازمة لإنجاحها أولاً قبل المضي في تطبيقها.

والله من وراء القصد.

مصادر التاريخ الإسلامي

وكيفية الاعتماد عليها

الاستاذ المساعد الدكتور فاضل جابر

مصادر التاريخ الإسلامي
وكيفية الاعتماد عليها

الأستاذ المساعد الدكتور فاضل جابر

المقدمة

هناك مقولة مشهورة بين الباحثين في التاريخ وهي "لا تاريخ بلا مصادر" اذ لا يمكن للباحث ان يكتب دون الرجوع إلى المصادر ليستقي منها المادة الأولية التي تزوده بالنصوص الكفيلة بكتابة متن البحث، فعملية كتابة التاريخ تقوم على المصادر، ولذلك اشترط على الباحث ان يتأكد من توافر مصادر كافية قبل الشروع في عملية البحث. والواقع ان عملٍ المؤرخ يختلف عما هو عليه عند الأديب، فالأخير يمكن ان يكتب القصص والروايات التاريخية اعتماداً على ذاكرته وخياله، أما المؤرخ فانه مقيد بضوابط وقواعد التوثيق، وذلك بإسناد كل ما يقتبسه من معلومات أولية عن الموضوع إلى مصادرها، ومهما نال الباحث من شهادة أكاديمية في حقل الدراسات التاريخية ومهما اتسعت شهرته، فان ذلك لا يمكنه من اخذ المعلومات دون توثيقها في الهامش، لان ذلك منافٍ لقواعد المنهج العلمي في دراسة التاريخ وكتابته، والمؤلفات التاريخية الحديثة التي لا تلتزم بالتوثيق لا يعتد بها.

ولما كانت المصادر على هذه الدرجة من الأهمية لذا جاء هذا البحث للتعريف بمصادر التاريخ الإسلامي وأنواعها وكيفية الاعتماد عليها من قبل الباحثين، واقتضت مادة البحث ان يقسم إلى ثلاث نقاط هي: المصادر والمراجع في التاريخ الإسلامي، أنواع المصادر وبيان طرق الاعتماد عليها وهو أمر مهم لانه يوضح للباحث في مجال التاريخ الإسلامي كيفية استخدام المصادر ويسهل له طرق الوصول إليها بسهولة ويسر. وتطرق البحث الى الحديث عن بعض المؤرخين المسلمين وأهم إسهاماتهم في التدوين التاريخي. وكتب البحث بالاعتماد على العديد من المصادر والمراجع وهي مسطورة في نهاية البحث.

أولاً: المصادر والمراجع في التاريخ الإسلامي

ان الحديث عن مصادر التاريخ الإسلامي لا يمكن ان يستوفى أمره في هذا المختصر، فهي كثيرة ومتنوعة، وتنقسم إلى المصادر القديمة التي ألفها المؤرخون المسلمون الذين ينتمون إلى العصور الإسلامية، ويمكن ان نطلق عليها اسم "المصادر" وهناك المصادر الحديثة التي ألفها الباحثون العرب والأجانب معتمدين في كتابتها على المادة الأولية المستقاة من المصادر القديمة وهذا النوع من المصادر يمكن ان نطلق عليه اسم "المراجع".

والنوع الأول "المصادر" كثيرة ومتنوعة على الرغم من الأعداد الكبيرة التي فقدت منها عبر الزمن، وتنقسم المصادر تبعاً لما تحتويه من مادة تاريخية إلى مصادر أولية ومصادر ثانوية[٣]، والأساس الذي يحدد هذا التقسيم هو الفترة الزمنية التي يعالجها الموضوع الذي يدرسه الباحث فكتابات الواقدي(ت٢٠٧هـ) عن الفتوحات العربية الإسلامية في العصر الأموي تعد مصدراً أولياً، أما ما كتبه ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) عن الموضوع ذاته في كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" فلا يمكن ان يكون كذلك،

الا في حالة كونه "أي المؤرخ المتأخر زمانياً عن الأحداث المراد البحث فيها" قد اطلع على كتب فقدت ولم تعد في حيز الوجود حالياً ونقل منها وجاء بروايات مختلفة لما جاء به الواقدي، فعند ذاك يمكن الاعتماد عليها وعدها مصدراً أولياً.

ان المصدر القديم يعد مصدراً أولياً يعتد به أكثر من غيره في حالة كون المؤلف معاصراً زمانياً وقريباً من حيث المكان لأحداث الموضوع الذي يبحث فيه وشخصياته، فاذا كان الموضوع يتناول مثلاً حدثاً تاريخياً وقع في العراق في القرن الثالث الهجري، فان المصدر الأولي المثالي في هذه الحالة هو كتابات اليعقوبي(ت٢٨٤هـ) ومن على مثاله أو قريب منه. وكثيراً ما تثار ملاحظات سلبية في مناقشات طلبة الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي، حينما يعتقدون ان كل مصدر قديم بمثابة مصدر أولي، فتجد بعضهم ينقل نصاً عن تاريخ واسط في القرن الثاني الهجري من كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ) فالمصدر هنا قديم، ولكنه بعيد جداً مكاناً وزماناً عن الموضوع، لذا لا يعد مصدراً أولياً.

ان المؤرخ الذي يشاهد الحدث بأم عينيه تكون رواياته أرجح من معاصره الذي ينقل الاخبار مشافهة عن طريق السماع، أما كيفية معرفة ذلك فعن طريق المصطلحات التي ذكرها المؤرخ قبل كتابة خبر الحدث مثل: "أخبرنا" "سمعت"، "رأيت". ويرى فرانز روزنثال ان أهمية "أي تاريخ إسلامي كمصدر تاريخي يقررها قدمه وقربه من الحوادث التي يصفها أو استخدامه لكتب مفقودة قديمة أو قربه من المعاصرة"[٤] ونضيف إلى ذلك ان المؤرخ لا يكفي ان يكون معاصراً لتعتمد كتاباته بوصفها مصدراً أولياً، مالم يتمتع بالثقة والمصداقية واعتماده على مشاهدة الأحداث عياناً او سماع أخبارها عن أناس

(٣) قسمت من قبل أستاذنا الدكتور مرتضى النقيب إلى مصادر معاصرة قريبة وبعيدة، انظر المؤرخ المبتدئ ومنج البحث التاريخي، ص٥٨.
(٤) علم التاريخ عند المسلمين، ص٢٢١ .

اشتركوا فيها او شاهدوها. ان قيمة الاخبار التي يدونها المؤرخ مشاهدة تكمن في انه سينفرد بذكرها على الأغلب، قال المسعودي(ت٣٦٤هـ) في وصفه لكتاب "الاوراق في أخبار الخلفاء" للصولي(ت٣٣٥هـ) انه ذكر فيه "غرائب لم تقع لغيره وأشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه"[٥]. ان معرفة سنة وفاة المؤرخ وموطنه الأصلي والمناطق التي رحل إليها أو استقر بها لمدد معينة يعد أمراً ضرورياً للباحث، لانه من خلال ذلك سيعرف ما إذا كان من أصحاب المصادر الأولية أم لا، وذلك من خلال مقارنة تلك المعلومات مع الأحداث التي يتناولها بالبحث والدراسة.

وهناك بعض الباحثين يعتمدون المصادر المتخصصة في تدوين أخبار مدينة ما أو تراجم لأشخاص يشتركون بصفة معينة، تصلح لان تكون مصدراً اولياً بجميع ما تحويه من معلومات، وهذا أمر فيه نظر، فكتاب "تاريخ مكة" للفاسي(ت٨٣٢هـ) لا يصلح ان يكون مصدراً اولياً لأخبارها في القرنين الأول والثاني الهجريين لانه بعيد جداً، فضلاً عن انه نقل من مصادر أخرى اقرب من حيث الزمان والمكان، كما ان "تاريخ الخلفاء" لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) يعد مصدراً أولياً لأخبار خلفاء بني العباس في مصر المعاصرين للمؤلف، ولكنه لا يعد كذلك لأخبار خلفاء بني أمية او العباسيين في بغداد، على الرغم من انه خصص كتابه لتاريخ الخلفاء، اذ ان كتابات الطبري(ت٣١٠هـ) والمسعودي(ت٣٦٤هـ) وابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) وابن الأثير(ت٦٣٠هـ) هي المعول عليها والمقدمة على غيرها في اقتباس المعلومات.

وقد يطرح سؤال متى يصبح المصدر البعيد زماناً ومكاناً عن الأحداث مصدراً أولياً ؟ وللإجابة عن ذلك نقول انه ممكن في بعض الحالات منها عندما ينقل مؤلف ذلك الكتاب نصوصاً ومعلومات تاريخية تخص موضوع البحث عن مصدر أولي عاصر مؤلفه تلك الأحداث وكان قريباً من حيث مكان وقوعها، ومثال ذلك كتاب "العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" لمؤلفه اليماني الملك الأشرف الغساني(ت٨٠٣هـ) الذي نقل فيه معلومات مهمة عن تاريخ العراق من كتاب ابن الساعي البغدادي(ت٦٧٤هـ) الموسوم "الجامع المختصر"[٦]. فكتابات ابن الساعي عن الأحداث التي عاصرها وكتب عنها في كتابه المفقود[٧] تعد معلومات أصلية ومصدرها أولي في هذه الحالة حتى وان نقلت

من قبل مؤلف يماني متأخر عنها، لان الكتاب الأصل قد فقد فحفظت من قبله وتزداد قيمة وأهمية هذه المعلومات، كلما قلت المصادر عن الموضوع.

أما المراجع، فتشمل دراسات الباحثين العرب والأجانب عن قضايا وأحداث وشخصيات التاريخ الإسلامي، معتمدين في تأليفها على كتابات المؤرخين القدامى التي يفترض ان تكون مصادر أولية. وتتفاوت قيمة المراجع تبعاً لجدية واصالة موضوع الدراسة وأهميته وما توصل إليه الباحث من نتائج ونوعية المصادر الأولية التي اعتمد عليها والطريقة التي اعتمدها في معالجة الموضوع. والذي يهمنا هنا ان نشير إلى ان فائدة هذه الكتب للباحث محددة بنقل الآراء المطروحة ووجهات النظر وما توصل إليه المؤلف من نتائج وكذا الحال للإحصاءات والجداول، أما الاعتماد عليها في اقتباس المعلومات الأولية

(٥) مروج الذهب، ج١/ ص١٣.
(٦) انظر مثلاً المعلومات الواردة في كتاب العسجد المسبوك، صص ٥٢١، ٥٧٩، ٥٨٤.
(٧) لم يبق من تاريخ ابن الساعي المذكور الا الجزء التاسع طبع بتحقيق مصطفى جواد (بغداد- ١٩٣٤).

فلا يصح ما دام مصدر تلك المعلومات متوافراً، أي بعبارة أخرى، إذا كان المرجع قد اعتمد على مصدر لم يعد متوفراً، وحوى معلومات أصلية لا تتوفر عنها مصادر أخرى عند ذاك يمكن الاعتماد في نقل المعلومة على المرجع مع الإشارة إلى مصدرها الذي نقل منه مؤلف المرجع، وعليه فان اعتماد الباحثين وطلبة الدراسات العليا على المراجع في اقتباس المعلومات دون التقيد بتلك القاعدة يعد ضعفاً منهجياً.

ومن المراجع ايضاً الدوريات وهي المطبوعات التي تصدر على فترات متعاقبة منتظمة تحوي معلومات مهمة لا غنى للباحث عنها، لانها تقوم بنشر آخر نتاجات الباحثين، لذا فان معلوماتها أحدث من معلومات الكتب في الغالب[٨] ولا سيما المجلات المتخصصة التي تتبنى إصدارها الجامعات ومراكز البحوث الأكاديمية، كالمجمع العلمي العراقي ومركز إحياء التراث ومركز دراسات الخليج العربي وغيرها.

أما المراجع التي تكتب بشكل عام عن أحداث التاريخ الإسلامي أو التاريخ الأوربي أو التاريخ القديم فان قيمتها أقل من قيمة الكتب المتخصصة والدوريات لأنها تكتب عن فترة طويلة ومساحة مكانية واسعة تضم أحداثاً كثيرة، وكل ذلك يؤثر على دقة المعلومات وتفصيلها، ومثال ذلك الكتب التي تحمل عنوان "تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر" أو "التاريخ الإسلامي" أو "تاريخ العالم القديم".

وقد يسأل سائل هنا هل ان هذا التقسيم مقتصر على مصادر التاريخ الإسلامي؟ والجواب لا، فان التاريخ الحديث والمعاصر له مصادر ومراجع ايضاً، فتاريخ العراق المعاصر مثلاً توجد عنه مصادر كثيرة غير ان بعضها لا يعد مصدراً أولياً، فكتابات عبد الرزاق الحسني عن نوري السعيد أحد شخصيات العهد الملكي تعد مصدراً أولياً، كونه قريب منه ومعاصر له، أما ما كتبه عبد الرزاق النصيري عن الشخصية ذاتها في رسالته للماجستير، فيعد مصدراً ثانوياً "مرجعاً" مهما نالت تلك الرسالة من شهرة علمية، والسبب هو اعتماد الأخير على كتابات الأول التي تحوي "المادة الأولية".

ان مصادر التاريخ الحديث والمعاصر المتخصصة في فترة زمنية محددة أو تناولت موضوعاً محدداً وواضحاً تعد أهم من تلك التي كتبت بشكل عام فالنص المأخوذ عن أحد وزراء العهد الملكي في العراق من كتاب "تاريخ الوزارات العراقية" هو أعلى قيمة من الناحية العلمية من نص آخر اخذ من كتاب في تاريخ العراق بشكل عام.

ثانياً: مصادر التاريخ الإسلامي وأنواعها

زخرت الحركة الفكرية في العصور الإسلامية بالكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتباً في مختلف فروع الكتابة التاريخية، ولعل من المفيد أن نشير أنه من الصعب أن نجد أمة من الأمم عاصرت المسلمين وكانت أكثر اهتماماً أو نتاجاً في التدوين التاريخي، وقد تنبه على هذه الحقيقة بعض المؤرخين المسلمين المتأخرين، فألفوا في هذا الخصوص، ومن أشهرهم المؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي صاحب كتاب "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" الذي حوى بين دفتيه عناوين مؤلفات العرب والمسلمين في التاريخ

(٨) خليل سعيد عبد القادر، منهج البحث التاريخي، ص١٣٣.

حتى عصره، قال فيه ان "كتب التواريخ أكثر من ان تحصى"[٩]. ومن ينظر في هذا الكتاب وغيره سيدهش من كثرة تنوع الموضوعات التي ألف فيها المؤرخون المسلمون، إذ لم يغفلوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني أو الأحداث الطبيعية إلا وأرخوا له، ومهما كانت بعض جوانب ذلك النشاط عند بعضهم ثانوية وغير ذات بال، لكن القارئ يشعر بمدى الثراء الفكري عند مؤرخي تلك العصور، والواقع ان الكتابة التاريخية شهدت تطوراً تدريجياً عبر الحقب التي مرت بها، وهذا التطور جاء نتيجة لهذا الاهتمام، فتشعبت كتابة التاريخ وتنوعت من حيث المحتوى. ان حديثنا عن مصادر التاريخ الإسلامي سينصب على التعريف بها وبما يمكن ان تقدمه للباحثين من معلومات وكيفية الاستفادة منها.

١- التاريخ العام:

صنف المؤرخون المسلمون كتباً تميز أغلبها بالضخامة أطلق عليها من قبل بعض الباحثين مصطلح "كتب التاريخ العام" لأنها حوت مادة تاريخية عن الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى السنة التي يتوقف فيها المؤلف عن متابعة الكتابة وهي في الغالب قبل وفاته بمدة قصيرة ورتبت فيها الأحداث التاريخية التي وقعت قبل البعثة النبوية ترتيباً موضوعياً أو حسب تعاقب الأحداث، أما الفترة الإسلامية فقد اعتمد في تنظيمها حسب تعاقب السنين، وتعرف عند بعض الباحثين بالحوليات أو كما تسمى بالمصطلح الغربيchronicles وهي تسمية قد لا تصح على المادة التي حواها الكتاب عن أحداث الفترة قبل الإسلام، ولهذا فان التسمية الأصح هي الأولى، وذلك لان مصطلح التاريخ العام– ينسجم مع طبيعة المادة التي تضمنتها تلك الكتب وتنوعها إذ تشمل الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وغرائب الأحداث ولكن بنسب متفاوتة من حيث حجم المادة المقدمة، فضلاً عن ذكر الوفيات لمشاهير الأشخاصوأغلبهم من الرجال.

ظهر النظام الحولي في تنظيم المادة التاريخية في أواخر القرن الثاني للهجرة على يد الهيثم بن عدي(ت٢٠٧هـ) وذلك من خلال كتابه المفقود "التاريخ على السنين"[١٠] ثم توالت المؤلفات وفقاً لهذا النظام ويعد "تاريخ الرسل والملوك" لمحمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) أول أضخم كتاب يصل الينا عن المؤرخين المسلمين في التاريخ العام، غير ان هناك الكثير ممن سبقوه في اتباع هذا المنهج، ثم تطورت هذه الطريقة على يد ابن الجوزي(ت٥٧٩هـ) وابن الأثير(ت٦٣٠هـ). أما فائدة هذا النوع من المؤلفات لباحث التاريخ فتتأتى من كونها تضم مجموعة كبيرة من الوثائق[١١] مثل الرسائل والمعاهدات والعهود بين الدول والحكام ولتميزها بغنى المادة التاريخية عن الأحداث، ولكن يجب الإشارة هنا ان ما صنفه المؤرخون المتأخرون في هذا النوع لا يعتمد كمصدراً أولياً عن الأحداث التي وقعت في القرون الإسلامية الأولى والمعول هنا بشكل أساس على ما كتبه المؤرخ من أخبار عن أحداث عصره.

أما كيفية اعتماد الباحث على هذا النوع، فذلك يتحدد ابتداءً من خلال موضوع البحث، فإذا كان البحث يتناول أحداث فترة زمنية معينة يستطيع الباحث الرجوع إلى هذه الكتب التي توفي مؤلفوها بعد تلك الفترة ومادامت مرتبة حسب السنين سهل عليه أمر الوصول إلى ضالته، وعليه هنا ان يتابع ما كتبه المؤرخ عن موضوعه في كل سنة لان بعض هذه الكتب تجزئ الحادثة فتذكر ما وقع منها في كل سنة من

(٩) الإعلان بالتوبيخ، ص٧٧٣.
(١٠) ابن النديم، الفهرست، ٩٨.
(١١) مرتضى النقيب، محاضرات في منهج البحث التاريخي، ص١١.

السنوات التي قطعتها. أما إذا كان موضوع البحث يدور حول شخصية تاريخية، فلا يكتف بالرجوع إلى ما تذكره هذه الكتب في سنة وفاته، فقد تذكره في الأحداث التي اشترك فيها في حياته لا سيما مع الشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية، فعلى الباحث هنا ان يعود لما كتبته هذه المؤلفات خلال ذكرها لأحداث السنوات التي كتبت عنها.

٢- كتب التراجم:

التراجم جمع ترجمة وهي سيرة مختصرة لشخص معين وهذه السيرة قد تطول وقد تقصر أو تكون بين هذه وذاك حسب ما يراه مؤلف الكتاب وحسب أهمية أصحاب التراجم عنده وهذه السير تجمع في كتاب واحد قد يقع في عدة أجزاء فيطلق عليها اصطلاحاً "تراجم" ولكن ذلك الكتاب قد يكون في الطبقات أو الوفيات أو حسب القرون أو معاجم شيوخ أو في الأنساب وهذه وغيرها هي من أنواع كتب التراجم، ويعد هذا القسم من مصادر التاريخ الإسلامي ذا أهمية بالغة عند الباحثين وذلك لان معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين كانت على شكل تراجم فضلاً عن ذلك تميزت هذه الكتب بالثقة والدقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، وتأتي مصداقية هذه الكتب من تأثرها بالشروط التي وضعها علماء الحديث ولا سيما اتباع مؤلفيها لمبدأ "الجرح والتعديل" في أغلب الأحيان ومنها المؤلفات لتي تناولت تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين. وسنذكر أدناه أهم أنواع كتب التراجم:

❖ **كتب الرجال المحلية:** ومن أشهر هذه الكتب "تاريخ واسط" لاسلم بن سهل المعروف ببحشل(ت٢٩٢هـ) و"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) و"تاريخ دمشق" لابن عساكر(٥٧١هـ)، وهذه المؤلفات هي من أهم كتب التراجم، غير انها تحوي أيضا معلومات مهمة عن المدينة نفسها فتاريخ بغداد مثلاً يضم معلومات نفيسة لا غنى للدراسات الحديثة عنها وهذه المعلومات حول خطط بغداد والحياة الثقافية والتعليمية فيها[١٢]. والصفة الغالبة على تراجم هذا النوع من المؤلفات هو ان معظم شخصيات التراجم من رجال الحديث فمن مجموع ٧٨٣١ ترجمة ضمها كتاب "تاريخ بغداد" هناك خمسة آلاف ترجمة لرجال الحديث[١٣]. وعلى الرغم من ان هذا النوع من المؤلفات يعد من كتب "الرجال" الا ان الباحث يجد فيها عدداً من تراجم النساء قد وردت ٣٢ ترجمة لشخصيات نسائية في "تاريخ بغداد" مثلاً[١٤]. وهكذا فان كتب التراجم تضم بين دفتيها أيضا تراجم من هذا النوع. ان كتب التراجم المحلية غالباً ما تتبع الترتيب الهجائي في تنظيم تراجم الكتاب، وهي تزود الباحث بمادة أولية عن الشخصيات التي عاصرها المؤلف زماناً ومكانا، وعلى هذا الأساس فانها مصادر أولية من هذه الناحية ومن ناحية الكتابة عن شخصيات قريبة العهد زماناً بالمؤلف، ولو نظرنا في نسبة ما تقدمه من معلومات لوجدنا ان أغلبها نقلت عن مصادر أخرى فثلاثة أرباع المادة التي حواها "تاريخ بغداد" كانت منقولة من مصادر وليست مشاهدات لمؤلفه.

ان المعلومات التي ينقلها المؤلف من مصادر أصبحت مفقودة حالياً تعد ذات قيمة عالية للباحث، كما يجب الأخذ بنظر الاعتبار ان هذا النوع من الكتب يشتمل على تراجم لأشخاص من غير أهل

(١٢) العمري، موارد الخطيب، ص٨٨.
(١٣) المرجع نفسه، ص٨٩.
(١٤) المرجع نفسه، ص٨٧.

المدينة لانهم يترجمون لمن زار المدينة أو نسب إليها أو ولد فيها ثم رحل عنها أو استقر بها لفترة، وبما أن الرحلة من أجل طلب العلم كانت شائعة بين علماء تلك العصور، لذا من المتوقع أن نجد في هذا النوع من الكتب تراجم لشخصيات تنتمي في أصولها إلى قاليم ومدن مختلفة.

❖ **كتب الطبقات**: ظهرت كتب الطبقات منذ بداية القرن الثالث الهجري على أيدي بعض كبار المؤلفين مثل الهيثم بن عدي(ت٢٠٧هـ) وابن سعد(ت٢٣٠هـ) وخليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ) ايضاً ومصطلح الطبقة يعني مجموعة من الأشخاص ينتمون إلى فترة زمنية واحدة ويشتركون في صفة معينة، والفت هذه الكتب في أول أمرها لخدمة علم الحديث النبوي الشريف[١٥] ولكنها تطورت فيما بعد وتعددت أنواعها فظهرت كتب في طبقات الأطباء والأدباء والفقهاء والشعراء والمغنين ...الخ.

وهذه الكتب وان كانت تسمى كتب الطبقات فان التقسيم الثانوي لها مختلف من كتاب إلى اخر فهناك من رتب تراجم كتابه حسب المدن كمحمد بن سعد في طبقاته الكبرى التي تعد أقدم كتاب كبير يصلنا في هذا النوع من الكتب[١٦]، أما خليفة بن خياط فقد رتب طبقاته حسب أنسابهم آخذاً بنظر الاعتبار الترتيب حسب طبقاتهم داخل النسب الواحد. وتتميز كتب الطبقات ذات الصفة الدينية بالثقة والمصداقية لاتباع مؤلفيها قاعدة "الجرح والتعديل"، مما يعطي الباحث الفرصة للاعتماد عليها، اما كيفية معرفة الكتاب الذي يتوقع الباحث ان يحوي نصوصاً تفيده فذلك يعرف من خلال معرفة نسب الشخصية أو موطنها أو مهنتها أو مذهبها أو العلم الذي اشتهرت به فإذا كان طبيباً مثلاً وتوفي قبل وفاة مؤلف كتاب "طبقات الأطباء" يرجح ان يكتب عنه وإذا كان محدثاً ذهب اولاً إلى طبقات المحدثين غير ان المحدث يشتهر في الغالب بعلوم القران والفقه لذا يرجح ان يجد الباحث ترجمة له في طبقات المفسرين للداودي(ت١٢٥٠هـ) أو احدى كتب الفقهاء التي ترجمت لفقهاء مذهبه شريطة ان يتأكد الباحث اولاً من ان سنة وفاة صاحب المصدر تأتي بعد تاريخ وفاة المراد ترجمته.

ان التخصص لم يكن شائعاً بين علماء العصور الإسلامية، بل يمكن القول ان معظمهم اشتهروا بكونهم "موسوعيين" إذ لم يكتفوا بالتأليف في علم واحد، فقد ترى بعضهم يؤلف في علوم القران والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ ...الخ، لذا من المتوقع ان يجد الباحث أكثر من ترجمة في اكثر من نوع من كتب الطبقات للشخصية موضوعة البحث. وفضلا عن ذلك فان كتب الطبقات تضم معلومات مهمة عن الجوانب الاجتماعية والثقافية وبعض الإشارات المبثوثة بين السطور عن خطط المدن.

❖ **كتب الوفيات**: وهذه تشكل نوعاً آخر من كتب التراجم نظمت فيه مادة الكتاب على أساس سنوات وفيات أصحاب التراجم، وبذلك تكون طريقة الوصول للترجمة المطلوبة على أساس تاريخ الوفاة ومن بين هذه المؤلفات المطبوعة كتاب "الوفيات" لابن رافع السلامي(ت٧٧٤هـ) ولكن يجب ان نشير إلى ان بعض الكتب التي اتخذت عناوين مشابهة لم تعتمد هذا النظام، بل رتبت مادتها على أساس آخر مثل "وفيات الأعيان" لابن خلكان(ت٦٨١هـ) وغيره.

(١٥) العمري، موارد الخطيب البغدادي، ص٣٨٥.
(١٦) العمري، بحوث في السنة المشرفة، ص٥٤.

❖ **كتب التراجم العامة**: وخير من يمثل هذا النوع من المصنفات كتاب ابن خلكان المذكور آنفاً وعنوانه الكامل "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ويعد من أفضل كتب التراجم، لما حواه من مادة تفصيلية ومهمة رتبه على أساس حروف المعجم، ولم يقصره على فئة واحدة من الأشخاص، بل ترجم لجميع الأعيان "المشاهير" ومن مختلف الاتجاهات والاختصاصات، وفيه تراجم للعديد من النساء، والكتاب يعد في غاية الأهمية للباحث في سير الأشخاص المعاصرين لمؤلفه، وقد أكمل ابن شاكر الكتبي(ت٧٦٤هـ) نواقص هذا الكتاب وما فات مؤلفه بكتابه "فوات الوفيات".

ان كتاب ابن خلكان لا يمكن أن يقاس بكتاب ابن شاكر الكتبي، فالفرق بين الكتابين شاسع ولا سيما في ما قدمه ابن خلكان من معلومات مسهبة ودقيقة عن أغلب تراجم الكتاب. وهذا يعني ان أهمية كتب التراجم تتفاوت من كتاب إلى آخر وفقاً لطبيعة المادة المدونة فيها.

❖ **معاجم الشيوخ**: اهتم بعض العلماء بجمع أسماء شيوخهم الذين تتلمذوا عليهم في كتاب، وسميت بعناوين عدة مثل "معجم الشيوخ"، "فهرست الشيوخ"، "برنامج ومشيخة" ... الخ. وفي الأعم الأغلب رتبت تراجم هذه الكتب على أساس حروف أسماء أصحابها أو على أساس بلدانهم والنظام الأول هو الأكثر شيوعاً[١٧]، ولكن شمس الدين السخاوي قلل من أهمية هذه الكتب لان جل من ألف فيها لم يترجم للشيوخ بالتفصيل، بل اكتفى بذكر الأسماء[١٨]، واورد قائمة طويلة بأسماء من ألف في هذا الباب[١٩] ولا شك في ان المادة التي توفرها بعض الكتب التي فصلت في ذكر أخبار شيوخ مؤلفيها، تعد ذات أهمية خاصة، لدقة معرفة المؤلفين بأحوال شيوخهم الذين جالسوهم وخبروهم عن قرب فهم أجدر على إبداء الرأي وإصدار الحكم[٢٠]، وقد تحوي هذه الكتب تراجم يعدها أصحاب كتب التراجم العامة من غير المهتمين فلا يذكرونهم فيقتصر ذكرهم على معاجم الشيوخ[٢١]. وتفيد هذه المصادر التي تعد مصادر أولية في دراسة الحياة العلمية في العصر الذي تنتمي إليه من خلال أسماء العلماء وذكر أسماء الكتب المدرسة واشارات عن المؤسسات التعليمية كالمدارس وطبيعة العلاقات بين العلماء والتلاميذ وطرق التدريس عند الشيوخ، وتعطي هذه المؤلفات معلومات عن مدى النشاط العلمي في المدن الإسلامية، لان التلاميذ آنذاك كانوا لا يكتفون بالدراسة على شيوخ بلدهم، بل يرحلون إلى مدن عديدة، من اجل طلب العلم على أيدي مشاهير العلماء. ومن الكتب التي وردت الينا في هذا الباب "برنامج الوادي اشي" وهو معجم شيوخ وضعه محمد بن جابر الوادي اشي التونسي(ت٧٤٩هـ).

❖ **كتب السيرة المفردة**: ظهرت كتب السيرة منذ البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخي عند المسلمين، بل ان اهتمام المسلمين بالكتابة التاريخية جاء منصباً أول الأمر على تدوين سيرة الرسولﷺ، ولكن في القرون الآتية ظهرت الكتب التي اهتم مؤلفوها بتدوين سيرة أحد الرجال وقد كثرت هذه المؤلفات في العصور الإسلامية المتأخرة، مثل كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لابن شداد(ت٦٣٢هـ) وكتاب "سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي" للنسوي(ت٦٣٩هـ) أو "الروض الزاهر

(١٧) العمري، موارد الخطيب البغدادي، ٤١٢.
(١٨) الإعلان بالتوبيخ، ص٦٠٥.
(١٩) المصدر نفسه، صص ٦٠٥- ٦٠٩.
(٢٠) العمري، موارد الخطيب، ص٤١٢.
(٢١) المرجع نفسه، ص٤١٢.

في سيرة الملك لظاهر يبرس" لابن عبد الظاهر(ت٦٩٢هـ) أو كتاب "الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر" لابن ايبك الدوادار(ت٧٣٢هـ) أو "عجائب المقدور في أخبار تيمور" لابن عربشاه(ت٨٥٤هـ) أو "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر" لبدر الدين العيني(ت٨٥٥هـ) و"تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" للمؤلف نفسه، وكتب أخرى عديدة مشابهة، ان هذه الكتب المنشورة حالياً تقدم مادة تفصيلية ودقيقة عن الشخص المترجم له، ولكن بعضها يجب الاعتماد عليه بحذر لان بعض المؤلفين ألفوها هدية للشخص المترجم فلا غرابة حين نجد بعضها مشحوناً بآيات المديح وذكر الحسنات ومهاجمة خصوم المترجم له، كما ان بعضها كما يبدو من العنوان أوقف لذكر الإيجابيات، ان المادة المتوافرة عن شخصيات هذه المؤلفات هي مادة اولية كتبت أما مشاهدة أو سماعاً عن أناس شاهدوا الأحداث لذا تعد مصادر أصلية.

❖ كتب التراجم المرتبة على أساس القرون: نظم بعض مؤلفي كتب التراجم مادة الكتاب على أساس القرن الذي توفي فيه أصحاب تراجمه، ومثال ذلك ما فعله ابن حجر العسقلاني المصري(ت٨٥٢هـ) وشمس الدين السخاوي، فقد ألف الأول كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" وصنف الثاني كتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" وتكمن أهمية هذا الكتاب في توفير المادة للباحثين عن تاريخ تلك القرون والمعلومات المقدمة في هذا الصنف ولا سيما الكتابين المذكورين تميزت بالدقة والشمولية والتفصيل، وتعد هذه الكتب من المصادر الأولية لقرب مؤلفيها زماناً ومكاناً في أغلب الأحيان، ككتاب السخاوي المذكور الذي خصصه لتراجم أشخاص عاصرهم أو كان قريباً من عهدهم، وفي كثير من الأحيان شاهدهم واحتك بهم، ويعد كتابه من اكثر كتب التراجم ذات الطابع النقدي المميز، ان سرعة وصول الباحث إلى الترجمة المطلوبة تكمن في معرفة سنة وفاة الشخص المطلوبة حوله المعلومات، فإذا كانت ضمن القرن المقصود وجد ضالته.

❖ **كتب السيرة الذاتية والمذكرات:** ألف العديد من المؤلفين القدامى منهم والمحدثين كتباً في سيرهم الشخصية أو سير أسرهم وقد اصطلح على تلك المؤلفات اسم "السيرة الذاتية" وظهرت هذه الكتب منذ العصور الإسلامية غير ان معظمها في عداد المفقودات. وفي زماننا ألف العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية والأدبية والعلمية كتباً من هذا النوع تحت عناوين مختلفة مثل "يوميات"، "مذكرات"، "ذكريات"، سيرتي"، "حياتي في نصف قرن" وهكذا، والجدير بالذكر هنا ان هذه المؤلفات تعد مصادر أولية، غير ان أهميتها بوصفها مصدراً أولياً تتفاوت بين كتاب واخر، فالمذكرات قد تكتب يومياً أو اسبوعياً فهي معلومات مكتوبة عن قرب من الناحية الزمانية والمكانية، أما الذكريات فهي معلومات كتبها مؤلفها عن أحداث بطريقة التذكر او استرجاع المعلومات وهي قطعاً تتعرض للنسيان وان المذكرات والذكريات واليوميات تختلف في بعض جوانبها عن كتب السيرة الشخصية من حيث المضمون على اعتبار ان الأخيرة تهتم بأكملها بأخبار كاتبها، أما الأولى فإنها تشمل معلومات عن أحداث عاصرها وقسم من تلك المعلومات تخص كاتبها.

ان كتب السيرة الذاتية لا يمكن اعتماد المعلومات المقدمة فيها عن أخبار مؤلفها الا بعد نقد وتدقيق، لأننا لا نتوقع ان يكتب المؤلف الا إنجازاته ويحرص على إغفال ما يسيء له.لذا فمن الناحية المنهجية لا يمكن الأخذ بجميع المعلومات الواردة فيها، بل تعتمد بعض المعلومات التي لا تخص حياة المؤلف بشكل مباشر.

٣- تاريخ الدول:

ألف عدد من المؤلفين المسلمين كتباً قصروها على تاريخ دولة أو أكثر من الدول التي عاصروها أو عاشوا تحت رعايتها، ومن هذه المؤلفات كتاب "التاجي في تاريخ الدولة البويهية" لأبي إسحاق الصابي(ت٣٨٤هـ) ثم توالت الكتب الأخرى في القرون التالية مثل كتاب "الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية" لابن الاثير الجزري(ت٦٣٠هـ) وكتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" لابي شامة(ت٦٦٥هـ) وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني ايوب" لابن واصل(ت٦٩٧هـ) وكتاب "التحفة الملوكية في الدولة التركية" لبيبرس الدواداري(ت٧٢٥هـ) وكتاب "درة الأسلاك في دولة الأتراك" لابن حبيب(ت٧٧٩هـ) وكتاب "الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية" لابن ايبك الدواداري.

ان هذه الكتب الموجودة حالياً إما مطبوعة أو مخطوطة تقدم مادة تفصيلية عن أخبار الدولة التي أرخت لها ورجالاتها وهي قطعاً أوسع من المادة التي تقدمها لنا كتب التاريخ العام أو كتب التراجم عن أخبار تلك الدول، ولكن الذي يجب الانتباه إليه من قبل الباحثين هو ان بعض هذه الكتب لا يمكن الاعتماد على بعض الاخبار الواردة فيها الا بعد نظر وتدقيق، فكتاب "التاجي" مثلاً وضعه مؤلفه تحت التهديد ويقال وهو في السجن[٢٢] اذ مر بالصابي أحدهم وهو يكتب ذلك الكتاب فسأله عما يفعل فقال له "أكاذيب أنمقها وأباطيل الفقها"[٢٣]، فما كان من ذلك الشخص إلا ان وشى بذلك إلى الأمير البويهي تاج الملة الذي أمر الصابي بتأليفه فأراد قتله لولا تدخل بعض الأعيان لإنقاذه[٢٤] فكتاب من هذا النوع لا يمكن ان يعتد به، وكذا الحال لكتاب "الباهر" لابن الأثير الذي عاش هو وعائلته تحت رعاية الدولة الزنكية التي خصص لها هذا الكتاب لذا "يمكن القول ان قيمته العلمية لا يمكن ان ترقى إلى قيمة كتابه العظيم الكامل ..."[٢٥]، وذلك على الرغم من ان المادة الموجودة عن أخبار تلك الدولة في الكتاب الأول أوسع بكثير عما موجود منها في الكتاب الثاني[٢٦].

ان هذا النوع من الكتب يتوقع الباحث ان يقف فيها المؤلف إلى جانب رجال تلك الدولة ضد أعدائها كما حدث عندما وقف ابن الأثير ضد صلاح الدين الأيوبي وهو يؤرخ لحالة الصراع بينه وبين الدولة الزنكية، ولكن في الوقت نفسه تقدم هذه الكتب مادة تتصف بالدقة والتفصيل كون ان معظم المؤلفين في هذا الباب هم من المطلعين على الأحداث إما مشاركة أو مشاهدة لها، لذا فان الحديث عن ضعف القيمة العلمية يقف عند حدود الموقف من أعداء الدولة، لأنها تزود الباحث بالإضافة إلى ذلك ذلك بأخبار نشاط تلك الدول على الصعيد الإداري والعمراني والثقافي وعلاقاتها الخارجية.

٤- التاريخ العسكري

ان معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين عن تاريخ الجهاد والمعارك التي خاضوها ضد أعدائهم عبر القرون جاءت في سياق كتب التاريخ العام وكتب التراجم، ففيما يتعلق بالقسم الأول فقد ذكر المؤرخون تفاصيل أخبار العمليات العسكرية حسب سني وقوعها اخذين بالنظام الحولي في ترتيب مادة الكتاب، أما فيما يتعلق بكتب التراجم فان أخبار المعارك قد نجدها في سياق تراجم القادة العسكريين

(٢٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٥٢.
(٢٣) المصدر نفسه، ١ / ٥٢.
(٢٤) المصدر نفسه والصفحة.
(٢٥) فيصل السامر، ابن الأثير، ص١٤٧.
(٢٦) المرجع نفسه والصفحة.

الذين اشتركوا فيها، ولكن هناك كتب مستقلة الفت لبعض المعارك ومن اقدم ماوصل إلينا في ذلك كتاب "وقعة صفين" لنصر بن مزاحم(ت٢١٢هـ) ومن أهم كتب التاريخ العسكري التي وصلتنا كتاب "فتوح الشام" لمؤلفه محمد بن عمر الواقدي(ت٢٠٩هـ) والكتاب وان كان مطبوعاً بهذا العنوان الا انه دون أخبار فتوح العراق والشام والجزيرة ومصر.

كما ان هناك كتباً عديدة ظهرت في الجهاد مثل كتاب "مستند الأجناد في آلات الجهاد"[٢٧] لابن جماعة الحموي(ت٧٣٣هـ) وهو من الكتب القلائل التي وصلت الينا في هذا الباب، وقد ظهر هذا النوع من الكتب بشكل واضح ابان الجهاد ضد الصليبين في مصر والشام. فالباحث في تاريخ العلاقات الحربية بين المسلمين والصليبين لا يستطيع تجاوز هذه المؤلفات.

٥- التاريخ الإداري

ألف العديد من المؤلفين كتباً خصت الحياة الإدارية في الدولة العربية الإسلامية، منها ما خص ديواناً واحداً مثل كتاب "صبح الأعشى في صناعة الانشا" للقلقشندي(ت٨٢١هـ)، فهذا الكتاب وان كان موسوعياً لكنه اتخذ من ديوان الرسائل "الإنشاء" محوراً له، أو كتاب "قانون ديوان الرسائل" للصيرفي(ت٩٠٠هـ) وألف بعضهم في مبادئ الدواوين وقوانينها مثل كتاب "قانون ديوان الرسائل" لابن مماتي(ت٦٠٦هـ).

وهناك مؤلفات خصت بعض المؤسسات الحكومية مثل كتب الحسبة والمحتسب التي تحدثت عن شروط المحتسب وواجباته وصلاحياته وأعوانه وميدان عمله ككتاب "الرتبة في طلب الحسبة"لابن الرفعة(ت٧٣٥هـ) و "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" للشيزري(ت٥٨٩هـ) وغيرهما.

ولكن على الباحث أن يميز هنا بين ما تطرحه هذه الكتب من نظريات حول تلك المؤسسات ومدى تطبيقها على ارض الواقع، فالذي يقرأ مثلا شروط المحتسب وكيفية أداء واجباته كما سجلتها كتب الحسبة، يشعر بأنها أقرب للمثالية، فعليه هنا ان يقارن بينها وبين تلك الاخبار المبثوثة في صفحات كتب التاريخ الأخرى عن واقع ما كان يدور في الأسواق، ولا سيما في العصور المتأخرة.

وهناك بعض التراجم تحدثت عن مؤسسات أخرى ككتب الوزراء وكتب القضاة والولاة فهي إلى جانب تراجم هؤلاء تتحدث عن المؤسسات وتاريخ ظهورها وشروطها وصلاحيات القائمين عليها.

٦- التاريخ الاقتصادي

هناك العديد من المصادر والمراجع ألفت أو بحثت في التاريخ الاقتصادي، ففي العصور الإسلامية هناك:

أ – المؤلفات المستقلة في التاريخ الاقتصادي، اذ صنف بعض المؤلفين كتباً في بعض جوانب الاقتصاد العربي الإسلامي، وخير مثال على ذلك كتاب "الخراج" لقاضي القضاة ابي يوسف(ت١٨٢هـ) وكتاب "الخراج وصنعة الكتابة" لقدامة بن جعفر(ت٣٢٩هـ) فهذان الكتابان تناولا مؤسسة إدارية ذات طابع اقتصادي، علماً ان الكتاب الثاني تناول فيه مؤلفه فضلا عن ديوان الخراج دواوين ذات صلة مثل النفقات وبيت المال وغيرهما وذكر ضرب النقود وأوزانها وذكر فيها أسباب حاجة الناس إلى المأكل

(٢٧) طبع مع كتاب مختصر في فضل الجهاد بتحقيق اسامة ناصر النقشبندي (بغداد- ١٩٨٣).

والملبس والذهب والفضة[٢٨] فالمؤرخ المحدث الذي يروم البحث في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول لا يمكن له اغفال هذين الكتابين وهناك كتاب فريد في بابه، خصصه مؤلفه لتدوين تاريخ النقود وهو كتاب "شذور العقود في ذكر النقود" لتقي الدين المقريزي(ت٨٤٥هـ) وهذه المؤلفات وصلت إلينا وطبعت.

ب- المؤلفات التي تطرقت ضمن ما تطرقت إليه إلى جوانب اقتصادية من التاريخ مثل كتاب "فتوح البلدان" للبلاذري(ت٢٧٩هـ) الذي تطرق فيه إلى ذكر النقود وكتاب "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" لابي الحسن الماوردي(ت٤٥٠هـ) فعلى الرغم من ان هذا الكتاب في التاريخ السياسي غير ان مؤلفه تحدث فيه عن الجزية والخراج[٢٩] والذهب والفضة. وكتاب "قوانين الدواوين" لابن مماتي الذي تطرق فيه إلى دار ضرب النقود[٣٠]، وهناك كتاب "حياة الحيوان الكبرى" لكمال الدين الدميري(ت٨٠٨هـ) الذي تطرق فيه إلى النزاع بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية وهو نزاع ذو طابع اقتصادي حول تعريب النقود.

وهكذا نرى ان بعضاً من هذه الكتب قد لا يفطن البعض إلى ما تحتويه من معلومات خصت التاريخ الاقتصادي، فالباحث يمكنه الرجوع اليها وإلى غيرها مما لم نذكره هنا إما لاعداد بحث في جوانب النشاط الاقتصادي عند المسلمين، او لشرح مصطلح اقتصادي، ذلك ان بعض المفردات الشائعة في تلك العصور لم تعد معروفة الآن لذا تحتاج إلى مثل هذا التوضيح مثل: الدانق، الصاع، الجاوة وهي عملة الخانية، الصنج والجهبذة.

٧- التاريخ الاجتماعي

لم يهتم المؤرخون المسلمون كثيراً في تدوين أخبار ذواة الفئات الدنيا من المجتمع أو كما تسمى عندهم "العامة" فمعظم ما ألفوه جاء للأحداث الكبيرة ذات الطابع السياسي والعسكري، وللشخصيات الشهيرة من رجالات السياسة والإدارة والجيش والعلم حتى أطلق على بعض هذه الكتب اسم "تاريخ النخبة"[٣١] لأنها لا تحوي معلومات مهمة عن عامة الناس، ومع ذلك فان هناك مؤلفات يتوقع الباحث ان يجد فيها ما ينشده من معلومات عن الحياة الاجتماعية، كالمأكل والملبس والعناصر السكانية والعادات والتقاليد وفئات المجتمع والأعياد الدينية وغير الدينية، فمثلاً ان كتب الرحلات وان كانت ضمن صنف الجغرافية التاريخية لكنها تحوي على مثل تلك المعلومات، كما ان كتب الحسبة والمحتسب تحوي معلومات مهمة عن فئات المجتمع والأطعمة والملابس، كما ان بعض من ألف في كتب التاريخ العام ذكر احيان قليلة بين صفحات كتبهم الكثيرة عناوين طريفة مثل "نادرة" أو "حكاية غريبة" أو "لطيفة" أو "عجيبة" ثم يسرد ما وقع وهي في الغالب قصص حقيقية من الواقع الاجتماعي للناس في تلك العصور فما على الباحث الذي يجيد استخدام الحاسوب ان يكتب احدى تلك العبارات على نظام القرص المدمج المحمل بالمكتبة التاريخية ليقرأ تلك المعلومات، إننا لا نعجب حينما نرى مؤرخاً كابن

(٢٨) قدامى بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، صص ٣٣- ٣٥، ٣٦- ٣٧، ٥٩- ٦٢.
(٢٩) أنظر الباب الثالث عشر من كتاب الأحكام السلطانية.
(٣٠) انظر الباب التاسع من كتاب قوانين الدواوين.
(٣١) العمري، موارد الخطيب البغدادي، ص٨٧.

الجوزي وقد ذكر قصصاً تفصيلية حقيقية عن الحب العذري عند بعض مشاهير المجتمع البغدادي[٣٢] ولكن هذا الاهتمام لا نجده عند الكثير ممن عنوا عناية خاصة بتاريخ الأحداث السياسية والعسكرية والإدارية. ربما يعود ذلك لان ابن الجوزي يعد من القلائل الذين ألفوا كتباً تصنف من قبل الباحثين على انها في التاريخ الاجتماعي ككتاباته عن الحمقى والمغفلين والأذكياء، بل ان هناك من اهتم بفئات لم يلتفت اليها أحد مثل "البرصان والعرجان والعميان والحولان" للجاحظ(ت٢٥٥هـ) أو كتاب "عقلاء المجانين" لأبي الأزهر(ت٣٢٥هـ) وهذه المصادر وغيرها على الرغم من قلتها فانها تفيد الباحثين في التاريخ الاجتماعي.

ان كتب التراجم تضم بين أسطر صفحاتها تراجماً عن شخصيات معلومات اجتماعية، كالإشارة إلى أسرهم وعلاقاتهم بأقرانهم أو بتلامذتهم واشارات إلى بعض سجاياهم وما اشتهروا به من ألقاب أو صفة من الصفات وأحيانا التطرق إلى أولادهم وأحفادهم.

وهناك العديد من المؤلفات عن النساء، والتي للباحث في تاريخ المرأة عنها مثل كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور(ت٢٨٠هـ) و"أخبار النساء" لابن قيم الجوزية(ت٧٢٥هـ) وكتاب "نزهة الجلساء في أشعار النساء" للسيوطي(ت٩١١هـ) وغيرها. وهناك مصطلحات تخص المرأة، لم تعد معروفة حالياً لذا على الباحث التعريف بها ان ضمنها متن البحث مثل مفردة "جهة" التي تطلق على نساء الخلفاء، وقد ألف المؤرخ البغدادي ابن الساعي(ت٦٧٤هـ) كتاب وصل الينا بعنوان "جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء".

ومن هذا نخلص إلى ان التاريخ الاجتماعي قد نجده في كتب مستقلة أو أنه سجل ضمناً في صفحات كتب تنتمي إلى أنواع أخرى من الكتب التاريخية.

٨- كتب النوادر التاريخية

ألف العديد من المؤلفين المسلمين كتباً يمكن تصنيفها تحت اسم النوادر التاريخية، لانها تضم الطرائف والنوادر والقصص والحكايات والكثير من هذه النوادر حدث فعلاً كما تحوي معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية وعن امال الناس آنذاك، فهي اذن تفيد الباحث في هذه الجوانب ومن أشهر الذين ألفوا في هذا المجال المحسن بن علي التنوخي(ت٣٨٤هـ) في كتبه: "الفرج بعد الشدة" و"المستجاد من فعل الأجواد"و"نشوار المحاضرة" وكتاب "تفضيل الكلاب على الكثير ممن لبس الثياب"[٣٣] لابن المرزبان البغدادي(ت٣٠٩هـ) وهو من الكتب النادرة أو الفريدة في بابها التي وصلت إلينا. وألف المعافى بن زكريا النهرواني(ت٣٩٠هـ) كتاباً لا زال مخطوطاً بعنوان "الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي"[٣٤] وهو في القصص التاريخية الجادة وغير الجادة. وان هذه المؤلفات وغيرها تفيد الباحث بالمعلومات التي قد لا يجدها في كتب تاريخية أخرى.

(٣٢) تنظر القصة الطريفة التي ذكرها وبطلاها كبيرة الجواري في قصر الخلافة وأحد تجار بغداد في كتابه المنتظم، ج٦/ صص٢٥٤- ٢٦٠.
(٣٣) طبع بعناية لويس شيخو (بيروت- ١٩٠٩م).
(٣٤) انظر هذا الكتاب العمري، موارد الخطيب، ص٤١، هامش ٤.

٩- تأريخ التأريخ

وهناك بعض المؤلفين صنفوا كتباً تناولوا فيها المؤرخين ونتاجاتهم ومكانة التاريخ بوصفه أحد العلوم، وعلى الرغم من ان تراجم المؤرخين نجدها مسطورة في كتب التراجم الأخرى، غير ان هناك بعض المصنفات خصصت للحديث عن المؤلفات التاريخية ككتاب "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" لشمس الدين السخاوي، أحصى فيه الكتب المدونة في فروع التاريخ وتكلم عن أنواع الكتابة التاريخية، وخصصت بعض الكتب المختصرة لتأكيد علمية التاريخ وبدايات ظهوره وكيفية اعتماد التاريخ الهجري، واشهر من ألف في هذا الباب الكافيجي(ت٨٧٩هـ) في كتابه "مختصر علم التاريخ" والسيوطي في رسالته "الشماريخ في علم التاريخ" وهما مطبوعان. ان الباحث الذي يبحث في موضوع التدوين التاريخي عند المسلمين لا يمكن أن يغفل الاعتماد على هذه المصنفات، لاختصاصها في صلب الموضوع.

وهناك كتب ببلوغرافية تحدثت عن المؤلفين ومؤلفاتهم في جميع فروع العلم والمعارف، مثل كتاب "الفهرست" لابن النديم البغدادي(ت٣٨٥هـ) الذي امتاز بدقة ووفرة المعلومات عن المؤلفين والمؤلفات ومن ضمنهم المؤرخين، وهناك كتب معينة خصصت صفحات للحديث عن شروط الكتابة التاريخية مثل "طبقات الشافعية الكبرى" لتاج الدين السبكي(ت٧٧١هـ) وهو كتاب لا يتوقع ان يجد فيه الباحث معلومات من هذا النوع وكذا الحال في مقدمة ابن خلدون وهي من أهم الكتب ذات الصفة العلمية تدويناً لصفات المؤرخ وشروط التدوين التاريخي والتنبيه على أخطاء المؤرخين ويعد من أوائل الذين أكدوا علمية التاريخ من خلال اتباع المنهج العلمي في دراسته.

كما يجد الباحث معلومات قيمة عن فوائد التاريخ عند المؤلفين المسلمين في الكتب المذكورة آنفاً وفي مقدمات الكتب التاريخية الأخرى، فالعديد من كبار المؤرخين أثبتوا في خطبهم لكتبهم التاريخية أهمية وفوائد التاريخ بوصفه دافعاً حدا بهم لتأليف كتبهم وهذا ما فعله مثلاً المسعودي في مقدمة "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وابن الأثير الجزري في مقدمة كتابه "الكامل في التاريخ".

١٠- كتب الجغرافيا التاريخية

وهي تلك الكتب التي جمعت بين المعلومات الجغرافية والتاريخية مثل كتب البلدان والمسالك والممالك والرحلات، ولعل أقدم مثال وصل الينا في كتب البلدان هو كتاب "البلدان" لليعقوبي(ت٢٩٢هـ) ثم توالت المؤلفات في الرحلات والمسالك والممالك والخطط، مثل كتب "المسالك والممالك" لكل من المقدسي البشاري(ت٣٨١هـ) وابن خرداذبة(ت٣٠٠هـ)، فهذا الصنف من المؤلفات يزود الباحث بمعلومات قيمة، لا سيما وان معظم من صنفوا في هذا النوع اعتمدوا في ما دونوه على مشاهداتهم الذاتية للبلدان التي زاروها وتجولوا في مناطقها فوصفوها عن قرب وعاصرها بعض الحكومات القائمة فوردت في كتبهم معلومات دقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فضلاً عن الغاية الأساس وهي المعلومات الجغرافية فتعطي وصفاً تفصيلياً عن طبيعة حياة الناس وما تميزوا به من عادات وتقاليد وملبس ومأكل، ويصف طوبوغرافية المناطق التي يشاهدها المؤلف، ويشير إلى الأراضي الزراعية ومنتجاتها وما تشتهر به من تجارات ومصادر المياه، وفي الغالب فان هذا النوع من الكتب يتبع المنهج الذي ترتب فيه المادة المدونة حسب الأقاليم ويشير ايضاً إلى الأديان والمذاهب والصناعات والحرف ... الخ.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافية التاريخية هي كتب البلدان التي تتبع أسماء البلدان أساساً في تنظيم المادة المكتوبة مع ترتيب أسماء البلدان (مدن– قرى– كور–رساتيق–وغيرها) حسب حروف المعجم. وخير مثال على هذا النوع من المؤلفات كتاب "معجم البلدان" لياقوت بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ) وكتاب "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع" لصفي الدين البغدادي(ت٧٣٩هـ)، وهناك من خصص كتاب لاسماء البلدان في موطنه مثل ابن الجيعان(ت٨٨٥هـ) الذي ألف كتاب "التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية"، فهذه الكتب تفيد القارئ بان تزوده بالمعلومات الجغرافية والتاريخية لأنها تذكر أولاً الموقع الجغرافي وتحديده وأهميته للإقليم وبعض المعلومات المناخية والطوبوغرافية عنه ثم تذكر ما حدث فيه من أحداث سابقة لعصر المؤلف أو معاصره له، وتذكر ايضاً أهم الشخصيات التي اشتهرت في كل بلد –وهذا ما فعله ياقوت– ان فائدة هذه الكتب كبيرة، ولا سيما في مجال الحصول على المعلومات التاريخية عن الأحداث.

كما ان الباحث لا غنى له عن هذه الكتب التي تزوده بشرح وافٍ عن موقع المدينة أو القرية وأهميتها في حالة حاجته إلى شرح المفردات والمصطلحات من هذا النوع، وينصح الباحث هنا أن يستعين بمصدر ألف من قبل أحد المؤلفين المعاصرين للفترة التي يعالجها الموضوع، فإذا كان المصطلح الجغرافي المراد شرحه في الهامش ورد في متن بحث يعالج قضية تاريخية تعود إلى القرن الثامن الهجري، لا يصح ان يعتمد على ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، لانه بلا شك حدث تطور وتغيير على البلدان خلال تلك الفترة الطويلة التي تفصل بين عصر المؤلف الذي تم اعتماده وبين الفترة موضوعة البحث.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافية التاريخية، تفيد القارئ بتعريف مواقع المحلات والمدارس والجوامع وغيرها من المنشات العمرانية، وهي كتب الخطط وهذه الكتب تعنى بذكر طوبوغرافية المدن كالشوارع والدروب والدور والمحلات والأسواق والجوامع والربط والزوايا وغيرها وفي الغالب ترتب حسب الأحرف وخير مثال على هذا الصنف كتاب "الانتصار لواسطة عقد الأمصار" لابن دقماق(ت٨٠٩هـ) وكتاب "الخطط المقريزية" لتقي الدين المقريزي وهما مطبوعان. فالذي يبحث في تاريخ مصر في العصر المملوكي لا بد ان يعتمد على هذين الكتابين.

ان اعتماد الباحث على المصادر المتخصصة في التعريف بالمصطلحات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية يضفي على بحثه طابعاً علمياً فالمعلومة قد تؤخذ من مصدر غير متخصص كان يكون في التاريخ العام ولكن استقاءها من المصدر المتخصص هو المقدم.

١١- الذيول والمختصرات

ظهر اتجاه في التأليف عند المؤرخين المسلمين يعتمد على تكملة الكتب التاريخية ولا سيما كتب التاريخ العام أو كتب التراجم، وكذلك اختصار بعض تلك المؤلفات سواء من مؤلفي الكتب الأصلية أم من مؤلفين آخرين، والواقع ان كتب الذيول وخاصة تلك التي تبدأ من حيث انتهى المؤلف الأول تعد من كتب المصادر الأولية، وخاصة إذا كان الذيل أو التكملة أو الصلة يذيل على الكتاب لفترة عاصرها ولم يذكرها المؤرخ الأول.

أما كتب المختصرات فهي في الغالب لا تأتي بأخبار جديدة، ولا ينصح الباحث بالاعتماد عليها ما دام الكتاب الأصل في حيز الوجود، وقد يسمى الكتاب المختصر باسم "المنتخب" أو "المنتقى" مثل كتاب "المنتخب من تاريخ دمشق" فهذا الكتاب كان يعتمد من قبل الباحثين الذين لا يستطيعون الوصول إلى

الكتاب الأصل الذي ألفه ابن عساكر(ت٥٧١هـ) في ثمانين مجلداً لانه كان مخطوطاً، أما وقد حقق ونشر في السنوات الأخيرة، فأصبح من الأولى الرجوع إليه لان معلوماته أوسع وأدق.

١٢- الوثائق

ان الوثائق لا يقتصر وجودها على التاريخ الحديث أو المعاصر، فقد تضمنت كتب التاريخ الإسلامي ولا سيما التاريخ العام والتراجم الكثير من الوثائق الخاصة والرسمية، ونعني بالوثائق الخاصة تلك الرسائل المتبادلة بين العلماء القاطنين في مدن متباعدة[٣٥] أو كتب الوقف "الوقفيات" الخاصة ببعض أفراد المجتمع، فقد شكلت هذه الوثائق مادة مهمة لدارس التاريخ قديماً وحديثاً ومثال ذلك الرسالة التي بعث بها ياقوت الحموي إلى المؤرخ القفطي(ت٦٤٦هـ) حينما كان شاهداً على اجتياح المغول للمشرق الإسلامي واسر ثم تمكن من الفرار[٣٦] أو الوقفية التي كتبها المؤرخ ابن تغري بردي إذ حوت معلومات لا توجد في مصادر أخرى عن أسرته وعلاقاته ومستواه المعيشي ومكانته الاجتماعية[٣٧]. أما الوثائق الرسمية فهي رسائل الخلفاء أو السلاطين إلى ولاتهم في أطراف الدولة أو إلى بعض القضاة ورسائلهم إلى الدول أو القوى المجاورة كرسائل الخلفاء الأمويين إلى ولاتهم أو رسائل ولاتهم إليهم، أو رسائل قادة المسلمين إلى الدول المجاورة أو كتب الصلح والمعاهدات وقد أدرج المؤرخون الكثير من هذه الكتب منذ عصر الرسولﷺحتى العصور الإسلامية المتأخرة، وهناك رسائل تعد ذات قيمة عالية في دراسة نفسية مرسلها كالرسالة التي أرسلها هولاكو إلى المماليك في مصر يدعوهم إلى الاستسلام وفتح أبواب مصر، والرسالة الجوابية على رسالته[٣٨]. فهذه الوثائق سواء خاصة كانت أم رسمية توفر للباحث معلومات ذات قيمة تاريخية عالية ونادرة وتعد من أهم المصادر الأولية في كتابة التاريخ الإسلامي.

وفي ختام الحديث عن المصادر تجدر الإشارة هنا إلى عدد من المؤرخين المسلمين ومساهماتهم في مجال التدوين التاريخي وأهميتها وكيفية الاعتماد عليها:

ثالثاً: أمثلة لمؤرخين مسلمين

١- ابن عساكر:

هو أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي المشهور بابن عساكر، ولد سنة ٤٤٩هـ وتوفى سنة ٥٧١هـ[٣٩] وصفه المؤرخ شمس الدين الذهبي مؤرخ الإسلام الدمشقي بـ "الإمام الحافظ ومحدث الشام"[٤٠] وقد ذكر له بعض المؤرخين تسعة واربعين كتاباً في مختلف العلوم والمعارف منها في الحديث والفضائل والتاريخ[٤١] وأهم ما رفد به المكتبة التاريخية هو كتابه "تاريخ مدينة دمشق" وهو

(٣٥) هناك الكثير من المصطلحات الدالة على نقل المؤرخين من الوثائق الخاصة مثل: الرسائل المتبادلة بينهم انظرالكتاني، ذيل مولد العلماء، ١ / ١٩٩ ؛ ابو نعيم، حلية الأولياء، ١٠٣/٩ ؛ الخطيب البغدادي، ٣١٤/١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٥ / ٥٠٢.

(٣٦) وفيات الأعيان، ٦ /١٢٧- ١٣٨. حيث أوردها بتمامها وكمالها.

(٣٧) نشرها عبد اللطيف إبراهيم ضمن مجموعة أبحاث عن المؤرخ ابن تغري بردي(القاهرة- ١٩٧٤).

(٣٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢ /٤٩- ٥٢ وقد نقلها بنصها.

(٣٩) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج٨ /ق١ / ص٣٣٦.

(٤٠) تذكرة الحفاظ، ج٤ / ص١٣٢٨.

(٤١) المصدر نفسه، ج٤ / ص١٣٢٩- ١٣٣٠.

أضخم كتاب تاريخي وصل إلينا حتى الآن اذ طبع بسبعين جزءاً[٤٢]، رتب تراجمه حسب الحروف. ويصنف هذا الكتاب ضمن كتب الرجال المحلية لانه ترجم به لأشخاص لهم علاقة بمدينة دمشق إما ولدوا أو استقروا أو درسوا فيها. وبهذا أصبح مصدراً أولياً للمعلومات عن الأشخاص الدمشقيين الذين عاشوا أثناء فترة حياته أو قبلها قليل، وذلك لانه معاصر من الناحيتين الزمانية والمكانية لاصحاب تلك التراجم، ولم تقتصر تراجم كتابه على فئة واحدة من الرجال بل امتدت لتشمل لجميع الأعلام سياسين، إداريين، عسكريين، مفكرين، علماء وأدباء... الخ.

٢- ابن الجوزي:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي الحنبلي، ولد سنة ٥٠٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ[٤٣]. وصف من قبل بعض المؤرخين بأنه صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والطب[٤٤]، فالرجل كان موسوعياً بحق. ولكن الذي يهمنا كتابه التاريخي المشهور بـ "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" وهو أحد كتب التاريخ الحولي رتب فيه المادة على تعاقب السنين، وقد ادخل ابن الجوزي في كتابه هذا تطويراً في ترتيب الكتب الحولية الذي ظل تقليداً منذ مساهمة الطبري في تاريخه، اذ فصل حوادث الكتاب عن تراجمه فصلاً واضحاً وهو أول من فعل ذلك بشكل واضح، فجعل الوفيات بعد حوادث كل سنة ورتبها حسب الحروف[٤٥] ويعد ابن الجوزي مصدراً مهماً لتاريخ العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص خلال القرن السادس الهجري، وتكتسب كتاباته التاريخية أهمية كبيرة من منطلقين، أولهما ان الرجل كان مؤرخاً ثقة اذ تأثر بتربيته وثقافته الدينية العالية، وثانيهما انه أفرد كتباً لفئات لم يلتفت إلى تدوين أخبارها الا القلائل فحفظ لنا تاريخها[٤٦].

٣- ابن الأثير:

هو أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري الموصلي الشافعي ولد سنة ٥٥٥ وتوفى سنة ٦٣٠هـ[٤٧]. يعد من أشهر المؤرخين المسلمين بعد الطبري وشهرته تلك تأتى من خلال ما كتبه من مؤلفات تاريخية لامعة، فقد كتب في التاريخ العام كتاب "الكامل في التاريخ" وكتب في تاريخ الدول "الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية" وهي دولة الاتابكة الزنكيين التي عاش المؤرخ هو وأسرته تحت رعايتها[٤٨] وألف في الأنساب كتاب "اللباب في تهذيب الأنساب" وفي التراجم كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة"[٤٩]. وجميعها مطبوعة.

وهناك بعض الملاحظات التي يمكن تسجيلها بمناسبة الحديث عن هذا المؤرخ فكتاباته تعد مصدراً أولياً عن تاريخ الحروب الصليبية وحروب نور الدين وعماد الدين أمراء الاتابكة ضد الصليبيين وبدايات

(٤٢) طبع بتحقيق علي شيري، دار الفكر(بيروت ١٤١٥هـ).
(٤٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨ /ق١ /ص٨١.
(٤٤) روزنثال، علم التاريخ، ٢١٤.
(٤٥) ألف أكثر من خمسمائة كتاب ورسالة في مختلف العلوم، انظر عنها دراسة عبد الحميد العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي، ص٦٣ فما بعد.
(٤٦) انظر مصادر التاريخ الاجتماعي في هذه الدراسة.
(٤٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ / ص٣٣.
(٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ / ص١٤٩.
(٤٩) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣ / ص٣٣.

الغزو المغولي للمشرق الإسلامي وعن نهايات سلاجقة العراق، ولا سيما في كتابه "الكامل في التاريخ" غير ان كتاباته عن دولة الاتابكة الزنكيين يجب ان لا تعتمد على علاتها لان الرجل أهدى الكتاب الذي صنفه في تاريخ تلك الدولة إلى أحد أمرائها فمن غير المعقول ان يتحدث بما يقدح بها، لذا نراه يقف إلى جانب تلك الدولة ضد صلاح الدين الأيوبي الذي حاربها.

ان كتاب "الكامل" الذي يعد من أهم كتب التاريخ العام، أدخل تطويراً على النظام الحولي في تدوين أخبار الحوادث، فالطبري ومن نحا منحاه كانوا يذكرون ما يقع في كل سنة منها إذا كانت قد استمرت لعدة سنوات "فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض"[٥٠] أما هو فذكر جميع ما وقع منها عبر السنين وجمعها في موضع واحد بخبر متصل.

٤- ابن شداد:

عز الدين ابو عبد الله بن علي إبراهيم بن شداد الأنصاري الحلبي المصري، ولد سنة ٦١٣هـ وتوفى سنة ٦٨٤هـ[٥١]، ترجم له ابن كثير في تاريخه فقال عنه: "كان فاضلاً مشهوراً معتنياً بالتاريخ"[٥٢]، عاصر العقود الثلاثة الأخيرة من الدولة الأيوبية والعقود الأربعة من دولة المماليك البحرية التي قامت على أنقاض الدولة السابقة في مصر والشام. ألف في تواريخ الدول كتاب: "الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"[٥٣] وفي السير المفردة كتاب "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر بيبرس" وفي توريخ المدن كتاب "تاريخ حلب" وهكذا فانه أرخ في ثلاثة أنواع من كتب التاريخ.

ان كتابات هذا المؤرخ عن مصر والشام خلال الفترة التي عاشها تكتسب أهمية خاصة كونه كان معاصراً للأحداث وربما شاهد قسماً منها وسجلها لنا لا سيما انه عاش في كلا القطرين، غير ان كتاباته عن السلطان الملك الظاهر بيبرس لا بد ان تعتمد بحذر وذلك لانه كان معاصراً زماناً ومكاناً لهذا السلطان وليس من المعقول انه سيكتب عنه كما يرغب، كما ان عنوان الكتاب الذي خصصه لذلك السلطان وهو "الروض الزاهر" يومئ للقارئ بأنه مخصص لإحصاء حسناته فقط.

٥- ابن تغري بردي:

هو أبو المحاسن يوسف جمال الدين بن تغري بردي الاتابكي المصري، ولد سنة ٨١٢ وتوفى سنة ٨٧٤هـ[٥٤]، ينتمي إلى الطبقة الحاكمة في مصر خلال العصر المملوكي الثاني[٥٥] ويعد هذا المؤرخ واحداً من أبناء كبار الأمراء المماليك لكن كتاباته عنهم تميزت بالمصداقية والحيادية، فكثيراً ما نجده ينقد الطبقة الحاكمة نقداً لاذعاً، حتى بعض الأمراء المعاصرين له[٥٦]، لذا فان كتاباته تعد مصدراً أولياً عن تاريخ المماليك ولا سيما فيما يخص الأحداث التي عاصرها وشخصيات تراجمه الذين خبرهم عن قرب فكتب عنهم بدقة متناهية ومن مؤلفاته التاريخية الشهيرة "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"[٥٧]

---

(٥٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ /ص٢.
(٥١) ابن شاكر، عيون التواريخ، ج٢١/ص٣٥٧؛ اليونيني، ذيل مراة الزمان، ج٤/ص٢٧٠.
(٥٢) البداية والنهاية، ج١، ص٣٢٣.
(٥٣) طبع بجزئين بتحقيق سامي الدهان (بيروت- ١٩٦٢).
(٥٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ص٢٦٧؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص١٧٥.
(٥٥) كان أبوه واحدا من كبار الأمراء المماليك تدرج في الوظائف الكبرى حتى تسنم منصب أتابك العساكر في الديار المصرية، فأصبح بذلك أهم شخصية بعد السلطان، أنظر ابن اياس، بدائع الزهور، ج١/ص٣٥٣.
(٥٦) المنهل الصافي، ج٣ / ص٤٧٨.

والقاهرة"[٥٧] وهو على الرغم من عنوانه الذي يوحي بأنه مخصص للقطر المصري، غير انه اتخذ من مصر محوراً للتاريخ العام فأرخ فيه للشام والعراق والحجاز واليمن والنوبة وبعض البلدان غير الإسلامية. وكتب في تراجم شخصيات العصر المملوكي كتاباً مهماً هو "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" وأهم ما يتميز به هذا الكتاب غناه المادة بالمعلومات التفصيلية عن أشخاص ذلك العصر، هذا إلى جانب كتابه "حوادث الدهور على مدى الأيام والشهور" وهو كتاب عن أحداث عاصرها المؤلف رتبها على شكل يوميات، ذكر فيها معلومات دقيقة ومسهبة لا غنى للباحث في تلك الفترة عنها.

الخاتمة

توصل الباحث في موضوع "مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها" عن بعض النتائج منها انه أوضح لنا ان المصادر التاريخية التي ألفها المؤرخون المسلمون لا تحتل الأهمية ذاتها بوصفها مصادر للمعلومات التاريخية، فهي وان كانت جميعها تعود إلى العصور الاسلامية، غير انها تختلف من حيث الأهمية، فمنها ما يمكن ان نطلق عليه مصدر أولي، ومنها ما هو ثانوي، والأساس الذي يعتمد عليه في التمييز بين هذين المفهومين هو المدة الزمنية والمساحة المكانية التي يعالجها موضوع البحث، فإذا كان هذا الموضوع يتناول مشكلة تاريخية في العراق في القرن الثالث الهجري، فان المصادر الأولية هنا هي القريبة مكاناً وزماناً مثل اليعقوبي(ت٢٨٤هـ) والطبري(ت٣١٠هـ) ومن على مثالها ولا يصح ان نعد ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) مصدراً أولياً وان كان عراقياً لانه بعيد من حيث الزمان ولا ابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ) لانه بعيد مكاناً وزماناً.

ان المؤرخ الذي يكتب أخبار الأحداث مشاهدة هو الذي يتفوق من حيث الدقة والتفاصيل على غيره ممن يعتمد على السماع، فكتابات المؤرخ الأول أهم من حيث دقة المعلومات من كتابات المؤرخ الثاني.

كما أوضح البحث سبل الاعتماد على المصادر انطلاقاً من نوعية الموضوع المختار للبحث، ففضلاً عن سرعة الوصول الى المصادر المطلوبة، فالموضوع الذي يتناول شخصية تاريخية يكون جل اعتماد الباحث في اقتباس النصوص على كتب التراجم، والموضوع الذي يتناول فترة زمنية معينة، فان الباحث يجعل من كتب التواريخ العامة الأساس في نقل المعلومات الأولية، وهذا لا يعني ان الموضوعين سيستغنيان عن بقية المصادر، بل يعتمد عليها ولكن بدرجة أقل تبعا لطبيعة الموضوع ونوعية المادة وكثرة النصوص.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي الجزري(ت: ٦٣٠هـ) **الكامل في التاريخ**، ط٢، تح عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية(بيروت ١٩٩٥).

(٥٧) انظر عن مؤلفات ابن تغري بردي الكثيرة والمتنوعة فاضل جابر ضاحي، ابن تغري بردي وكتابه النجوم الزاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٩٩٦، ص٦٢- ٩٧.

٢- ابن اياس، محمد بن أحمد (ت: ٩٣٠هـ) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح مصطفى زيادة، (القاهرة- ١٩٨٤).

٣- ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف الاتابكي(ت: ٨٧٤هـ) **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تح محمد أمين، (القاهرة- ١٩٨٦).

٤- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر والطباعة (القاهرة- ١٩٧٢).

٥- ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح عبد المعين خان (حيدر آباد الدكن ١٩٧٢)

٦- الخطيب البغدادي، احمد بن علي(ت: ٤٦٣هـ) **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية(بيروت د.ت).

٧- ابن خلكان، أبو العباس، احمد بن محمد(ت: ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت ١٩٦٨).

٨- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد(ت: ٧٤٨هـ) **تذكرة الحفاظ**، مكتبة الحرم المكي، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن د.ت)

٩- سبط ابن الجوزي، ابو المظفر قزاوغلي(ت: ٦٥٤هـ) **مراة الزمان في تاريخ الأعيان**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن ١٣٧٠هـ).

١٠- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت: ٩٠٢هـ) **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، مكتبة المثنى (بغداد ١٩٦٣).

١١- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة (بيروت د.ت)

١٢- ابن شاكر، احمد بن شاكر الكتبي(ت: ٧٦٤هـ) **عيون التواريخ**، تح نبيلة عبد المنعم داود (بغداد ١٩٩١).

١٣- الصيرفي، علي بن داود(ت: ٩٠٠هـ) **أبناء الهصر بأنباء العصر**، تح حسن حبشي (القاهرة ١٩٧١)

١٤- الغساني، الملك الأشرف الخزرجي(ت٨٠٣هـ) **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تح شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي (بيروت ١٩٧٥).

١٥- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ) **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف (بيروت د.ت).

١٦- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسن(ت: ٣٤٦هـ) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط١، دار الكتاب العربي (بغداد د.ت).

١٧- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج(ت: ٢٦١هـ) **صحيح مسلم**، تح فؤاد عبد الباقي التراث العربي (بيروت د.ت).

١٨- ابن النديم، محمد بن إسحاق(ت: ٣٨٥هـ) **الفهرست**، دار المعرفة (بيروت ١٩٧٨).

١٩- أبو نعيم، احمد بن عبد الله(ت: ٤٣٠هـ) حلية الأولياء، ط١، مطبعة السعادة (القاهرة ١٩٣٨).

٢٠- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد(ت:٧٢٦هـ) ذيل مرآة الزمان، ط١، مطبعة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن ١٣٨٠هـ)

ثانياً: المراجع

٢١- باقر، طه ومحمد، عبد العزيز **طرق البحث التاريخي في التاريخ والاثار**، (بغداد ١٩٨٠).
٢٢- روزنثال، فرانز **علم التاريخ عند المسلمين**، مكتبة المثنى (بغداد ١٩٦٣).
٢٣- السامر، فيصل **ابن الأثير**، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ١٩٨٦).
٢٤- سعيد، خليل **منهج البحث التاريخي**، (بغداد د.ت).
٢٥- العمري، أكرم ضياء **بحوث في السنة المشرفة**، ط٢، مطبعة الإرشاد (بغداد ١٩٧٢).
٢٦- **موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد**، دار القلم (بيروت ١٩٧٥).
٢٧- موافي، عثمان، **منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي**، (الإسكندرية ١٩٨٤).
٢٨- النقيب، مرتضى، **المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي**، (بغداد د.ت).

تكريس حقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق الدولية الأخرى

الدكتور محمد صالح امين

تكريس حقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق الدولية الأخرى

الدكتور محمد صالح امين

في حقيقة الأمر لم يحصل الإنسان على حقوقه الأساسية إلا بظهور ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ وقد جاء في مقدمته ((إن شعوب الأمم المتحدة قد عقدت العزم على الإعلان عن إيمانها في الحقوق الأساسية للإنسان وفي كرامته وقيمته الإنسانية الآدمية, وفي المساواة بين حقوق الرجل والمرآة)).. ومن بين أهداف ومبادئ الأمم المتحدة يمكن إن تقرأ في الفقرة الثامنة من المادة الأولى ((بغية تحقيق التعاون الدولي في معالجة المشاكل الدولية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية, يتعين تنمية وتشجيع احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع, بدون تمييز بين الجنس أو النوع أو اللغة أو الدين)). ووردت الفكرة ذاتها في المادة (٥٥) من الميثاق. وطبقا للمادة (٥٦) تعهدت الدول الأعضاء في الميثاق.

بالعمل سويا أو بصورة منفردة بالتعاون مع الأمم المتحدة من اجل تحقيق الأهداف المنصوص عليها في المادتين أعلاه. ووفقا للمادة (١٣) من الميثاق أجرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة دراسات وقدمت توصيات ومقترحات لتسهيل الحصول على حقوق الإنسان والحريات الأساسية.ووفقا للمادتين (٦٢, ٦٨) للمجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة ان ينشىء لجنة خاصة لتشجيع تطبيق هذه الحقوق والحريات العامة واحترامها. والمادة (٧٦) الخاصة بنظام الوصاية الدولية تضمنت نفس الفكرة.. ويرى غالبية الكتاب ورجال القانون ان الأحكام السابق ذكرها وضعت التزاما قانونياً على جميع الدول باحترام حقوق الإنسان كما وردت في الميثاق وعلى تحريم الاعتداء عليها. هذا ويلاحظ أن ميثاق الأمم المتحدة لا يتضمن تعريفا أو سرداً مفصلاً لحقوق الإنسان الأساسية. ولكن غالبية هذه الحقوق ورد عليها في الأدوات أو المواثيق الدولية الأخرى.

كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقية الأوربية والميثاق الدولي للحقوق المدينة والسياسة. ونستعرضها بالتعاقب في أجزاء ثلاث .

الجزء الأول: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

هذه الوثيقة الدولية صادقت عليها الجمعية العمومية للأمم المتحدة في (١٠) ديسمبر سنة ١٩٤٨. وهي بلا شك كخطوة أولى ذات أهمية كبرى في هذا المضمار. ولكنها مع ذلك غير كافية لأنها لم تفرض على الدول التزاما قانونيا بل التزام أدبي فقط بتطبيق ما ورد في الإعلان. وكان علينا أن ننتظر سنين طويلة للوصول إلى اتفاقيات تنشئ الالتزامات القانونية لاحترام الحقوق الأساسية للإنسان.وقد صيغ الإعلان العالمي على النمط الكلاسيكي لإعلان (فرجيني) في سنة ١٧٧٦ والإعلان الفرنسي المشهور لحقوق الإنسان والمواطن في سنة ١٧٨٩.وباعتبار الإعلان العالمي توصية علنية وكمثل أعلى مشترك يتعين على كل الدول وكل الشعوب التمسك به واحترامه فقد لعب دوراً أساسيا ومؤثراً في تقنين القوانين الوطنية للدول وخاصة القوانين الجنائية فيها ومن بين (٣٠) مادة الإعلان خصصت (٢٨) مادة منه لحقوق الإنسان ,مشتملة على قائمة مفصلة ومميزة لهذه الحقوق الأساسية . فطبقا للمادة (٣) من الإعلان ((لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامته الشخصية .ومن المؤكد انه بالنسبة لحماية هذه الحقوق يجب على القانون الجنائي الوطني ان تضفي عليها الصفة القانونية دون لبس وابهام والمادة (٤)تقرر ((**لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص. ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها .وهنا نجد ضرورة تدخل القانون الجنائي الوطني بفرض الحماية اللازمة على هذه الحقوق**)) .وطبقا للمادة (٥)لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملة القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة الإنسانية وهذا يتطلب إجراء التعديلات اللازمة على القانون الجنائي وبعض القوانين الوطنية بما يتلائم مع حماية هذه الحقوق ..والمادة (٩) تقرر ((لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفا)).وهذا يتطلب أيضا تحديداً دقيقا لحدود سلطات رجال الأمن والشرطة القضائية لضمان قانونية وشرعية الإجراءات المتخذة من قبلهم في هذا الخصوص ..والمادة (١٠) تنص على حق كل إنسان على قدم المساواة مع الآخرين في أن تنظر قضيته إمام محكمة مستقلة ونزيهة وبصورة عادلة للفصل في حقوقه والتزاماته. وأية تهمة جنائية موجهة إليه. وفي الفقرة (أ)من المادة (١٠) فأن قرينة البراءة يوجد لها مكاناً وهي مصاغة بالصيغة الآتية ((كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانونا في محاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه)) ومن المحتمل اننا لو أجرينا فحصاً دقيقا لبعض الإجراءات الجنائية المنصوص في عليها في القوانين الإجرائية الوطنية لو جدنا بوضوح مدى الخروج عن هذه الضمانة الواردة في المادة المذكورة ..والفقرة (٢)من المادة (١١) مخصصة للقاعدة المعروفة في القانون الجنائي وهي قاعدة (لا جريمة ولا عقاب ما لم ينص عليه القانون)) وقد وردت كما يلي ((لا يدان أي شخص من جراء أداء عمل أو الامتناع عن أداء عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرما وفقا للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب. وكذلك لا توقع عليه عقوبة اشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة)) وأخيرا تهتم المادة (١٤) من الإعلان بحق اللجوء السياسي. واننا لا نتطرق إليه هنا لان هناك فصل خاص لهذا الحق سنوضحه فيما بعد وهذا ويجب أن نلفت الانتباه في هذا المجال بان أي اعتداء أو خرق لهذه الحقوق لا يعتبر فقط مخالفا للالتزامات الأدبية الناجمة عن الإعلان ولكن يعتبر أيضا مخالفاً للالتزامات القانونية الناجمة من القانون الدولي الوضعي ..

الجزء الثاني: حقوق الإنسان والحريات السياسية وفقا للاتفاقية الأوربية لسنة ١٩٥٠.

وقعت الدول الأوربية المنظمة إلى المجلس الأوربي في يوم (٤) نوفمبر سنة ١٩٥٠(روما) اتفاقية لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية. وقد وقع(البروتوكول) الملحق بهذه الاتفاقية في يوم (٢٠) مارس سنة١٩٥٢(بباريس).

وأضاف ما ورد في الاتفاقية إلى قائمة الحقوق المقررة في الإعلان العالي.. ولكن لم يرد فيها الحقوق الخاصة بالملكية والتعليم والحق في الانتخابات الحرة النزيهة. وعلى عكس الإعلان العالمي فان الاتفاق الأوربي هو عبارة عن معاهدة دولية تنشى التزامات قانونية قاطعة بالنسبة للدول الأعضاء فالحقوق والحريات فالحقوق والحريات المنصوص عليها بالاتفاقية معترف بها من الدول الأعضاء لكل فرد من رعاياها .

وما هو في غاية الأهمية هنا ان الاتفاقية الأوربية لا تؤكد فقط الحقوق والحريات الأساسية بل لأول مرة في التاريخ تقوم بحمايتها فعلياً بواسطة (جهاز دولي) أنشأته المعاهدة. وفي الواقع فقد أنشئت (لجنة أوربية لحقوق الإنسان)و(محكمة أوربية لحقوق الإنسان)..

وتتكون اللجنة من عدد أعضاء متساوي لعدد الدول المتعاقدة. وينتخب الأعضاء بواسطة (مجلس للوزراء) لفترة ستة سنوات. وكل طرف متعاقد بإمكانه(التظلم) إلى اللجنة عن أي انتهاك للأحكام الاتفاقية يمكن أن ينسب إلى طرف اخر متعاقد.

ولكن يمكن أن يتظلم أيضاً إلى اللجنة كل شخص طبيعي أو كل منظمة أو هيئة غير حكومية. او كل مجموعة خاصة تدعى أنها ضحية اعتداء من احد الأطراف المتعاقدة على الحقوق المعترف بها في الاتفاقية بشرط أن تقر الدولة المتعاقدة المدعى عليها بصلاحية اللجنة للنظر في الموضوع.

أضف إلى ذلك ان اللجنة لا يمكنها النظر في موضوع النزاع إلا بعد استنفاذ طرق التقاضي الداخلية وبعد مرور فترة ستة شهور من تاريخ صدور آخر حكم قضائي تام وفي حالة موافقة اللجنة على نظر القضية المرفوعة إليها فإنها تجري إما فحصا حضورياً لإثبات الوقائع أو إجراء التحقيق فيها إذا كان الأمر يتطلب ذلك ثم العمل بعد ذلك إلى إجراء تسوية ودية للقضية.

فإذا لم تتوصل اللجنة إلى حل مرضي نقوم بتحرير تقرير يرفع إلى(مجلس الوزراء) ويرسل إلى الدول المعنية بالأمر ..واذا لم ترفع دعوى أمام المحكمة خلال فترة ثلاثة شهور فأن (مجلس الوزراء) يتخذ قراراً في الموضوع بأغلبية الثلثين لمعرفة ماذا كان هناك مخالفة للاتفاقية من عدمه.وفي الحالة الأولى يحدد مجلس الوزراء مدة يتعين على الدولة المعنية أن تتخذ من الوسائل التي ينص عليها القرار الملزم للأطراف المتعاقدة.

وتتكون المحكمة من عدد من القضاة متساوي مع عدد أعضاء المجلس الأوربي .يجري انتخابهم من الجهة أو الهيئة الاستشارية لمدة تسع سنوات .يتقاضون أجراً عن كل يوم عمل يقومون به وبالنسبة لكل نزاع يرفع اليها. وليس للمحكمة ان تنظر في النزاع الا بعد ان ترى اللجنة ان التسوية الودية قد فشلت وبعد ثلاث شهور من تاريخ رفع تقرير (اللجنة) إلى (مجلس الوزراء) ويمكن أن تقدم القضية إلى المحكمة بواسطة (اللجنة) أو من الدولة التي يكون المجنى عليه من رعاياها أو من الدولة المدعى عليها وقرار

المحكمة قرار قاطع وملزم لأطراف النزاع ويرسل حكم المحكمة إلى (مجلس الوزراء). الذي يعمل على تنفيذه. وفيما يتعلق بأحكام الاتفاقية الأوربية ذات العلاقة مباشرة بنصوص القانون الجنائي فهي كالآتي فوفقا للمادة (٢) من الاتفاقية ((يكون لكل إنسان الحق في الحياة يحميها القانون ولا يعاقب احد بالموت عمداً إلا تنفيذاً لحكم بالإعدام صادر من محكمة جنائية مختصة عندما تكون الجريمة معاقب يعليها قانونا بهذا العقاب ..

ولا يحكم بهذه العقوبة إلا في حالات الضرورة القصوى . وهي اما من اجل ضمان الدفاع عن كل شخص ضمن الاعتداء غير المشروع أو لمنع هروب الشخص المقبوض عليه بالوسائل القانونية أو لإخماد فتنة أو عصيان. وتنص المادة (٣) على انه لا يمكن تعريض أي إنسان للتعذيب أو للعقوبات أو الإجراءات القاسية أو الحاطة بالكرامة. وهذا هو ما نصت عليه المادة (٥) من الإعلان. وفي الفقرة الأولى من المادة (٤٩) من الاتفاقية يوجد تحريم الاسترقاق والاستعباد.

والفقرتان (٣,٢) من المادة تتعلقان بالأعمال الشاقة وهي ما أغفلها الإعلان العالمي ونصها كالآتي في الفقرة (٢)((لا يكره أي إنسان على القيام بأعمال شاقة)) وفي الفقرة (٣) ((لا يعتبر عملا شاقاً أو مكرهاً بالمعنى الوارد في الفقرة (١) من المادة كل عمل يلزم أو يكره به عادة الشخص المسجون بالشروط المنصوص عليها في المادة (٥) من هذه الاتفاقية أو يلزم به الشخص عند إطلاق سراحه تحت شرط)) والمادة (٥) من الاتفاقية. تشابه المادة التاسعة من الإعلان العالمي ولكنها أكثر شمولا وتحديداً فكل ضمانات الإجراءات الجنائية بخصوص الحرمان من الحرية موجود فيها ونصها كالآتي:

(١) لكل فرد الحق في الحرية والأمن. ولا يحرم من حريته إلا في الحالات الآتية وطبقا للطرق المشروعة قانونا .

أ- إذا كان الشخص مسجونا طبقا للقانون وبعد محاكمته من محكمة جنائية مختصة.

ب- إذا كان قد قبض عليه أو أوقف طبقا للقانون لعدم خضوعه لأمر صادر من محكمة أو لضمان تنفيذ التزام نص عليه القانون .

ج- إذا كان قد قبض عليه وأوقف تمهيدا لتقديمه إلى المحكمة المختصة ، إذا كانت هناك أسباب معقولة للاعتقاد بضرورة منعه من ارتكاب جريمة أو الهرب بعد ارتكابها .

د- إذا كان الأمر بالقبض القانوني قد صدر على (حدث) لتنفيذ حكم المراقبة عليه أو لتقديمه إلى المحكمة المختصة .

هـ ـ إذا كان الأمر بالقبض القانوني قد صدر على شخص يحتمل نشر مرض معدي أو على مجنون أو على مدمن مخدرات أو مسكرات أو على (متشرد) .

و- إذا كان الأمر بالقبض القانوني أو التوقيف القانوني قد صدر على شخص لمنعه من الدخول إلى البلد بصورة غير مشروعة أو لاتخاذ إجراء بطرده أو تسليمه .

(٢) كل شخص يقبض عليه قانونا يجب أن يخطر في اقرب وقت وباللغة التي يفهما بأسباب القبض عليه وبكل اتهام موجه اليه.

(٣) كل شخص يقبض عليه أو يوقف في الأوضاع المقررة في الفقرتين (أ- ج) من هذه المادة يجب أن يقدم في الحال أمام القاضي المختص طبقاً للقانون . وله الحق في أن يقدم للمحاكمة خلال فترة معقولة . أو يخلى سبيله.وقد يرتبط بالإخلاء السبيل بضمان الحضور أمام المحكمة .

(٤) كل شخص حرم من حريته بالقبض عليه أو توقيفه له الحق في التقدم بطعن إلى الجهة القضائية المختصة للنظر في مشروعية توقيفه وذلك في خلال فترة قصيرة وعلى الجهة المختصة الحكم بإخلاء السبيل إذا كان التوقيف غير قانوني .

(٥) كل شخص يكون ضحية القبض عليه أو توقيفه بالمخالفة لأحكام هذه المادة له الحق في التعويض المادة (٦) من الاتفاقية وردت فيها الإجراءات الجنائية القانونية وعلى النحو التالي :

(١) كل شخص له الحق في أن تنظر قضيته بصورة عادلة وعلنية وفي خلال فترة معقولة أمام محكمة جنائية مستقلة وغير متحيرة يقررها القانون والتي تصدر حكمها عن كل اتهام جنائي موجه إليه بصورة علنية ولكن قد يمنع وجود الصحافة أو الجمهور في جلسات المحاكمة مراعاة للآداب العامة أو النظام العام أو الأمن العام أو إذا تطلبت ذلك مصلحة الحدث أو حماية الحياة الخاصة لأطراف النزاع . أو في الحالة التي ترى المحكمة ضرورة ذلك في الظروف الخاصة التي تمس مصلحة العدالة .

(٢) كل شخص متهم بجريمة يفترض براءته إلى أن يثبت قانونيا جرمه .

(٣) كل متهم له الحق :

(أ) في أن يعلن في اقرب وقت وباللغة التي يفهمها وبشكل تفصيلي عن طبيعة وسبب الاتهام الموجه اليه.

(ب) أن يوفر له الوقت الكافي والإمكانيات اللازمة لتحضير أوجه دفاعه.

(جـ) أن يدافع عن نفسه شخصيا أو بمساعدة محامي دفاع يختاره.واذا لم تكن له الإمكانيات اللازمة لتسديد مصاريف الدفاع ،فيعين له محامي منتدب للدفاع عنه مجانا إذا كانت مصلحة العدالة تتطلب ذلك.

(د) أن يناقش بنفسه أو بواسطة محاميه شهود الإثبات.وله طلب واستدعاء شهود النفي ومناقشتهم بنفس شروط ومواصفات شهود الإثبات .

(هـ) أن يساعده مجانا مترجم إذا لم يفهم أو يتكلم اللغة المستعملة في جلسات المحاكمة..وقاعدة لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص قانوني تؤكدها المادة (٧) من الاتفاقية ونصها كالآتي (لا يدان أي شخص من جراء عمل أو الامتناع عن أداء عمل إلا إذا كان يعتبر مجرما وفقا إلى للقانون الوطني أو الدولي وقت ارتكاب الفعل الجرمي ..و لا توقع عليه عقوبة اشد من تلك التي كان يجوز فرضها وقت ارتكاب الجريمة.

ونضيف أخيرا ان الحقوق المنصوص عليها في المادة (٨) والخاصة باحترام الحياة الخاصة والعائلية والمسكن والمراسلات . ثم الحق في حرية التعبير (مادة ١٠) وكذلك الحق في الاجتماعات السلمية وحرية تكوين جمعيات (مادة ١١) ويمكن أن تخضع ذلك لقيود يقررها القانون إذا كان ذلك ضروريا لمنع وقوع الجريمة.هذا ومن المناسب أن تشير انه في اغلب الحالات فان الاتفاقية لا تضع أو تفرض التزامات جديدة بالنسبة للدول الموقعة إذا كانت الحقوق المذكورة قد أوردتها قوانينها الوطنية. وبالتأكيد فان الاتفاقية لا تمس الحقوق الواسعة التي تمنحها بعض الدول الموقعة لرعاياها ومع ذلك فهي تترك المجال مفتوحا لفرض بعض القيود والتحفظات على حقوق الإنسان في زمن الحرب أو في الظروف الطارئة الاستثنائية التي يمر بها البلاد (مادة ١٥) ومع ذلك لا يجوز لأي دوله إن تقوم بعمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات العامة التي قررتها الاتفاقية.

الجزء الثالث: الحقوق والحريات العامة وفقا للميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦.

بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦٦ أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بالاجماع بالقرار رقم (٢٢٠٠) وثيقتين أساسيتين هما الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.والميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. وبذلك انتهى العمل الطويل والشاق إلى ترسيخ وتعيين حقوق الإنسان في مجال القانون الدولي ويترتب على الدول الالتزام بالميثاقين في هذا المضمار. على أن تقوم الدول بالتصديق عليها مقدما. وقد تقرر أن يجري العمل بالميثاقين بعد ثلاثة أشهر من تاريخ التصديق والانضمام.

والذي يهمنا هنا هو الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لاحتوائه على نصوص تتعلق مباشرة بالقانون الجنائي. وفي مادته السادسة قرر حماية الحق في الحياة وان عقوبة الإعدام لا يمكن أن تفرض إلا بالنسبة للجرائم الخطيرة وطبقا لأحكام القانون النافذ وقت ارتكاب الجريمة ولا يمكن تنفيذ هذه العقوبة إلا بموجب حكم قضائي له قوة الشيء المحكوم به وصادر من محكمة جنائية مختصة قانوناً و للشخص المحكوم عليه بالإعدام الحق في جميع الحالات ان يطلب العفو عن العقوبة أو تخفيفها بالعفو العام أو الخاص ولا يمكن الحكم بهذه العقوبة ضد شخص لم يبلغ سن الثانية عشر ولا يمكن أن تنفذ على السيدات الحوامل.

ونجد في المادة (٧)تحريم التعذيب والعقوبات أو المعاملة الوحشية أو القاسية أو الحاطة بالكرامة الإنسانية .واضيف إلى ذلك تحريم التجارب الطبية أو العلمية بدون الموافقة الشخصية الحرة ..والمادة (٨) تحرم الاسترقاق وتجارة العبيد والاستعباد والاشغال الشاقة الإجبارية. ولايمنع ذلك الاعمال الشاقة باعتبارها عقوبة جنائية أو العمل الاجباري مدة السجن المحكوم بها من المحكمة الجنائية المختصة أو أثناء فترة المراقبة بعد الافراج.

والمادة (٩) تحرم القبض أو التوقيف التحكمي غير القانوني ولايمكن سلب الحرية الشخصية إلا لأسباب وطبقا للاجراءت التي يقررها القانون.ويجب ان يعلن الشخص عند القبض عليه بالتهم الموجهة إليه. ويجب ان يقدم في اقرب وقت الشخص المقبوض عليه أو الموقوف لاسباب جنائية إلى القاضي المختص أو وكيل النيابة العامة (الادعاء العام) المخول قانونا بممارسة سلطاته. وله الحق في المحاكمة خلال فترة معقولة أو اخلاء سبيله من التوقيف على ان يكون ذلك وفق ضمانات تؤمن حضور جلسات جميع مراحل المحاكمة وحتى صدور الحكم عليه وتنفيذه وكل شخص حرم من حريته بالقبض عليه أو بتوقيفه له الحق في اللجوء إلى جهة قضائية مختصة تتولى الفصل بدون تاخير في شرعية التوقيف وتامر بالافراج عنه إذا كان التوقيف دون عذر مشروع .

وكل شحض يكون ضحية القبض عليه أو التوقيف غير القانوني له الحق في تعويض فعلي. ووفقا للمادة (١٠) كل فرد حرم من حريته يجب ان يعامل معاملة انسانية وان تحترم كرامته ألملازمه لشخصيته الادميه. والأشخاص المتهمون ما عدى في الحالات الاستثنائية يجب ان يخضعون لنظام خاص يفصل بينهم وبين المحكوم عليهم. ويجب ان يوقف (الحدث) في اماكن منفصلة عن المتهمين البالغين وان يعامل معاملة مناسبة لعمره ونظامه القانوني ويجب ان يشمل نظام العقوبات معاملة المحكوم عليهم بالصورة

التي تهدف إلى اصلاحمهم واعادة اقلمتهم في الحياة الاجتماعية. وضمانات الاجراءات الجنائية مقررة في المادة (١٤) وهكذا يكون لكل متهم بجريمة معينه الحق في ان يحاكم محاكمة عادلة علنية امام محكمة مختصة مستقلة ونزيهة طبقا للقانون ويمكن ان يمنع حضور الصحافة والجمهور جلسات المحاكمة لأسباب اخلاقية أو للنظام العام أو للأمن العام أو إذا اقتضى ذلك الحفاظ على متطلبات الحياة الخاصة للاطراف أو وفقا للظروف الخاصة أو عندما تكون الجلسة علنية. ضارة بمصلحة العدالة ويكون تقدير ذلك للمحكمة ولكن كل حكم تصدره المحكمة الجنائية يجب ان يصدر علنا الا إذا تطلبت مصلحة (الحدث) خلاف ذلك وكل فرد متهم بجريمة يعتبر بريئا إلى ان تثبت إدانته قانونا.وعندما تحدد الجريمة الموجهة إليه له الحق في التمتع بالضمانات الاتية :

١- ان يعلن في اقرب وقت وبالتفصيل وبلغة يفهمها بطبيعة وسبب الاتهام الموجه اليه.

٢- ان يوفر للمتهم الوقت والتسهيلات المناسبة لاعداد دفاعه .

٣- ان يقدم إلى المحاكمة بدون تاخير مبرر-

٤- ان يتم التحقيق بحضوره، وان يدافع عن نفسه أو بمساعدة محامي يختاره وان تمنح له المساعدة القانونية في جميع الحالات التي تتطلبها مقتضيات العدالة.وان تمنح له المساعدة القانونية الجنائية إذا لم تكن لدية الإمكانيات المادية لدفع نفقات الدفاع.

٥- ان يقوم بنفسه على مناقشة شهود الإثبات .وان يطلب استدعاء واستجواب شهود النفي بنفس الشروط الخاصة بشهود الإثبات .

٦- ان يحصل على مساعدة مجانية من مترجم اذا لم يكن يفهم او يتكلم اللغة المستعملة في المحاكمة وان لايجبر على ان يشهد ضد نفسه او ان يعترف بجرمه .

واذا كنا امام متهم حدث فان الاجراءات المتخذة يجب ان تتناسب مع عمره ومع متطلبات اعادة اندماجه في المجتمع ..وكل متهم في ارتكاب جريمة له الحق في اعادة النظر في محاكمتة وفي العقوبة المحكوم بها.بواسطة محكمة اعلى درجه طبقا للقانون. واذا حكم على شخص بعقوبة جنائية لارتكابه جريمة وابطلت محاكمته لظهور وقائع جديدة تظهر بلا ادنى شك وقوع خطا قانوني في المحاكمة يكون له الحق في التعويض طبقا للقانون بشرط ان لايكون مسؤلا عن عدم إنشاء الوقائع الجديدة اثناء محاكمته. ولايجبر أي شخص على ان يحاكم او يعاقب من جديد بسبب جريمة حكم عليه بموجبها او ابرى عنها او افرج عنه نهائيا طبقا للقانون

والمادة (١٥) مخصصة لقاعدة (لاجريمة ولاعقوبه مالم ينص عليها القانون) وحسب مضمونها لايدان أي شخص من جراء عمل او الامتناع عن اداء عمل الا اذا كان يعتبر جرما وقت ارتكابه طبقا للقانون الوطني او الدولي. وكذلك لاتوقع عليه عقوبة اشد من تلك التي يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.واذا حدث بعد ارتكاب الجريمة ان قرر القانون عقوبة اقل شده من العقوبه السابقة فان الفاعل يستفيد منها.ونضيف انه طبقا للمادة (٢٠) كل دعاية او تحريض لاثارة الحرب يجب ان يحرمها القانون وكذلك التحريض لكراهية الوطن او الجنس او الدين او التحريض على التميز العنصري والحرب او استعمال القوة .

واخيرا ولضمان تنفيذ أحكام هذا الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية فقد تقرر :

اولا- وضع نظام للتقارير التي يجب ان تقدمها الدول الأعضاء الى (هيئة مختصة)هي (لجنة حقوق الإنسان) وهذه اللجنة مشكلة من (١٨) عضوا منتخبين من الدول الأعضاء في الميثاق . وتتعهد الدول بتقديم تقارير عن الاجراءات التي قامت باتخاذها بخصوص الحقوق والحريات المعترف بها بموجب الميثاق.

وعن مدى التقدم الحاصل بشان الاستمتاع بها وترسل اللجنة هذه التقارير بعد دراستها الى الدول الأعضاء مشفوعة بملاحظاتها الخاصة التي تراها مناسبة.واللجنة يمكنها ايضا ان ترسل الى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التقارير التي استلمتها من الدول الأعضاء .وهي بدورها يمكنها ان تتقدم بتعليقاتها على أي ملاحظة ابديت من قبل اللجنة. وعلاوة على نظام التقارير فقد تقرر ايضا (نظام خاص للاتصال والتوافق) بين الدول في المسائل التي تمس تطبيق أحكام الميثاق.

وهو نظام اختياري ولايعمل به الااذا أعلنت الدول الأعضاء اعترافها باختصاص اللجنة على استلام وتدقيق وفحص الاتصالات التي تدعى فيها الدولة العضوة .ان دولة أخرى لاتفي بالتزاماتها المقررة في الميثاق والوسيلة الثالثة لاعمال أحكام الميثاق مقررة في (بروتكول)اختياري مرتبط بالميثاق وهذه الوسيلة مضافة الى **نظام التقارير ونظام الاتصالات** بين الدول الأعضاء. فكل دولة طرف في (البروتكول) تصبح معترفه باختصاص اللجنة لاستقبال وفحص الاتصالات الصادرة من الافراد التابعين لاختصاصها والذين يدعون بانهم من ضحايا اعتداء او انتهاك الدولة العضوة على أي من الحقوق المنصوص عليها في الميثاق .

وختاما ومن كل ماتقدم يمكن القول ان الوثائق الدولية السابق ذكرها وهي (الاعلان العالمي والاتفاقية الدولية والميثاق الدولي) هي الدعائم الاساسية في تقرير وصياغة حقوق الإنسان على المستوى العالمي.وكل وثيقة من هذه الوثائق الثلاث تتميز بطبيعتها الخاصة. فالاعلان العالمي عبارة عن توصية والتزام ادبي بالنسبه للدول على الصعيد العالمي. والاتفاقية الاوربية تمثل التزام قانوني ولكنها محدودة في عدد معين من الدول و أما الميثاق فقد وضع التزامات قانونية قاطعة بالنسبة للدول الأعضاء وعلى المستوى العالمي. وقد صيغ صياغة جديدة ومتميزة عن الاعلان الذي اكتض بعبارات عامة. وغير دقيقة وهو اكثر تفصيلا عن الاتفاقية. وقد اخذ منها الكثير من عباراتها. وبمقارنه سريعة بين الاتفاقية والميثاق تظهر الفروق الاتية :

- الميثاق اكثر تفصلا بشان عقوبة الاعدام.بينما يحاول الاتفاق ان يوضح حالات اخرى (كعدم جواز المحاكمة مرتين عن جريمة واحدة)وهذا ما لانجده في الميثاق.
- يحتوي الميثاق على تحريم التجارب الطبية والعلمية بدون اخذ موافقة الشخص المعني.وهذا مالم يقرر في الاتفاقية .
- الاتفاقية واضحة وصريحة ودقيقة بالنسبة لحالات الحرمان من الحرية بصور غير مشروعة. وقد سكت الميثاق عن ذلك .
- المعاملة الإنسانية واحترام كرامة الإنسان اللازمة للشخص الادمي نجدها مذكورة في الميثاق.وهو لم يذكر في الاتفاقية .
- يضيف الميثاق الى الحقوق الشخصية للمتهم الحق في ان يعلن عن حقه ان يتخذ له محامي للدفاع عنه وقد اهمل ذكره في الميثاق .

- يقرر الميثاق حق المتهم في عدم اكراهه ان يشهد على نفسه ولم تذكر الاتفاقية .
- يتكلم الميثاق عن الاجراءات الواجب اتخاذها ضد الحدث.ولاتتكلم الاتفاقية عن ذلك .
- الميثاق صريح فيما يتعلق بالحق في اعادة النظر في المحاكمة الجنائية وقد سكتت الاتفاقية عن ذلك

.

- يطالب الميثاق بتطبيق العقوبة الاخف بينما لاتتضمن الاتفاقية مثل هذا الضمان .
- وبصورة عامة يمكننا ان نستخلص مما تقدم انه حدث تقدم كبير في مجال حقوق الإنسان والحريات العامة. وان البشرية بامكانها إن تفتخر وان تهنىء نفسها بهذا التقدم الذي يعتبر بحق أساساً فاعلا في تطوير وتقدم مستوى الحياة الاجتماعية الحديثة

المعاهدات والمواثيق:

- ❖ ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥
- ❖ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨
- ❖ الاتفاقية الأوربية لحماية الإنسان والحريات الأساسية سنة ١٩٥٠
- ❖ البروتوكول الملحق بالاتفاقية سنة ١٩٥٢
- ❖ الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة ١٩٦٦
- ❖ الميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة ١٩٦٦
- ❖ بروتوكول مرتبط بالميثاق في كيفية تنفيذ أحكام الميثاق.

أساليب التعبير في علم المعاني

عند الدكتور مهدي المخزومي

الدكتور فاروق محمود الحبّوبي

أساليب التعبير في علم المعاني
عند الدكتور مهدي المخزومي

الدكتور فاروق محمود الحبّوبي

المقدمة:

وفاء لروح أستاذي الكبير المرحوم الدكتور مهدي المخزومي – رحمه الله – استذكر محاضراته وآراءه في نبذ العلل الفلسفية والعقلية البعيدة عن حرية اللغة وتكيفها وتحديثها وحلولها اللغوية الخالصة.

لقد وجدته العالم القريب من طبيعة اللغة دون النظر إلى مذهب القائل بَصْرياً كان أم كوفياً أم بغدادياً أم اندلسياً، متقدماً كان أم متأخراً، بل يتابع وينتصر للرأي الحصيف المختار المناسب، معطياً رأيه الدقيق في ذلك.

وأجدني الفقير إلى الله واليكم والتلميذ الصغير بين ظهرانيكم لا ارغب في الدخول والكتابة في مجال انتم أحقّ به وأخصّ وأسمى به وأَمسّ. سوى ماعُرفتُ به من مجال النقد ودراسة الأسلوب. وسأتناولُ القيم النقدية المرتبطة بأساليب التعبير شكلاً توجيهياً ونقدياً، وهو ما يمثل آراءه في بعض قيم علم المعاني.

الجملة في اللغة:

أشار المرحوم الدكتور مهدي المخزومي إلى (الْجُملة) معرّفاً: (هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركّب الذي يبيّن المتكلم به أن صورةً ذهنيةً كانت قد تألّفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلّم إلى ذهنِ السامع)[1].

---

١ – في النحو العربي – نقد وتوجيه – /٣١.

فلهذه الوحدة الكلامية الصغرى (أهمية كبرى في التعبير والإفصاح والتفاهم)[٢]. حيث جعل تلك الأهمية في ثلاثة مفاصل، هي:

١. التعبير.
٢. الإفصاح.
٣. التفاهم.

وانّ ابن هشام النحوي في مغني اللبيب هو أوّل مَن عُنِي بالجملة وأنواعها وأقسامها وكان مَن سبقه من النحاة يُعْنَون بظاهرة الإعراب وتفسيرها والاهتمام بالكلمات بوصفها معمولات، والجمود على ذلك، مع الحرمان من مصادر حيويتها وتنوّع أساليبها. وعدا ما وصل إلينا من دراسات ابن جنّي والشيخ الرّضي شارح الكافية. وينتقل الدكتور المخزومي بالدرس اللغوي عبر المراحل الآتية:

١. الدراسة الصوتية، بخواصها وتمازجها وصفات مخارج حروفها وتآلف بعضها مع بعض.
٢. الكلمة المفردة، وما يرافق ذلك من بنائها وتغيّر في داخلها أو اشتقاقها.
٣. العناية بالكلمة مؤلّفةً مع غيرها في الجملة. التي هي اصغر صورة من صور التعبير.

وهذه المرحلة الأخيرة المرتبطة بأساليب التعبير جديرة بالدراسة المستفيضة التي تعرض للجملة أو لأجزائها من أحوال تتعلق بالذِكر والحذف أو بالتقديم والتأخير أو غير ذلك، مما أفاض فيه نحاة حقيقيّون هم أهل المعاني، كالْجرجاني في (دلائل الإعجاز) والسّكاكي في (مفتاح العلوم) والخطيب في (الإيضاح) والتفتازاني في شروحه على التلخيص في (المطّول). وهؤلاء بلاغيّون برمّتهم.

أن هذه المرحلة هي ماسنسلّط الضوء عليه من خلال فكر المخزومي فيما يتعلّق الأمر بعلم المعاني.

أساليب التعبير:

توصّل الدكتور المخزومي إلى أنّ الجملة أساس التعبير وهي خاضعة لمناسبات القول، وللعلاقة بين المتكلّم والمخاطب، ولن يكون الكلامُ مفيداً، ولا الخبرُ مؤدّياً غرضَه ما لم يكن حالُ المخاطب ملحوظاً. ولذلك أسهبَ أصحابُ علم المعاني في مقتضى الحال[٣]. في حين أهمل النحاة دراسة المعاني[٤].

وكان للمخزومي رأيه في توحيد دراستي النحو والمعاني للجملة[٥]، دون النظر إلى المصطلحات والتعبيرات المصطنعة كـ: (الصحيح والفصيح) حين قصد البعض بالصحيح: ما كان صحيحاً نحويّاً، وبالفصيح معنى يزيد على الصحة النحوية من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو مطابقته لمناسبات القول. قال: (والذي أزعمه هو أن الجملة الصحيحة لغويّاً ونحويّاً هي الجملة الفصيحة عند أهل المعاني... لان الشرط الذي اخذ به في فصاحة الجملة شرط يؤخذ به في صحتها، فإذا كانت الجملة مؤلفة من كلمات صحيحة مستوفية لكل ما يتطلبه (الصرف). وإذا كانت الكلمات مؤلفة من أصوات

٢ – م.ن./٣٣.
٣ – م.ن./٢٢٥
٤ –م.ن./٢٢٦.
٥ – م.ن./٢٢٦.

مؤتلفة خلو من كلٍ ما يسيء إلى فصاحتها من تنافر بين الأصوات، ... بقيت الجملة مع ذلك تفتقر إلى أهم مقوّمات الصحّة، وهو مطابقتها متطلبات المناسبات ومقتضيات الأحوال)[٦].

فتوحيد شطري الدراسة دعوة لتطوير النحو وتحديثه وهو رأي سليم لدراسة النحو العربي على طريق الأسلوبية واللسانيات الحديثة، وهي دعوة مباركة، أطلقها بعد دراسة دقيقة للغة العربية والغوص في خصائصها وقد باركه عليها أساتذته من أمثال: إبراهيم مصطفى، و د.مصطفى السقّا[٧].

ولكن الإشكال يدور في اعتباره مصطلحي: الصحيح والفصيح من التعبيرات المصطنعة وهذا أمر يجانب الدقّة لان الصحّة اللغوية والنحوية شرط من شروط الفصاحة عند أهل المعاني. والصحيح يعني الموافقة مع قواعد اللغة نحواً وصرفاً وأصولَ تأليف، لان سلامة لغة النّص من سلامة قواعده وصحّة تركيبه، فالقياس اللغوي عنصر ضروري لتثبيت المعنى، فلا يجوز الإخلال بقواعد النحو لئلا يقع العيب والمخالفة ونفور الذوق ومخالفة المألوف.

في حين أن الفصاحة[٨] تتعدى هذا الشرط إلى شروط أخرى كالتالف والانسجام في تركيب الألفاظ، بحيث يتقبلها الذوق، وتتناغم في السّمع، وتسهل في النّطق. وكذلك وضوح المعنى الذي يعطي للمتلقّي طابع صفاء ذهن الباث. فضلاً عن قوة السبك التي تمثّل تماسك العبارة وجزالة أسلوبها وفنيّة طريقتها بحيث يمكن أن تتعلق كلمات النّصّ بعضها ببعض دون انفصال وكأنّها قد بُنيت بناء محكماً متراصاً.

كما أشار الدكتور المخزومي إلى ضرورة إعادة درس المعاني إلى الدرس النحوي[٩] ومعالجة أساليب التعبير المختلفة بما لأدواتها من دلالات ومعانٍ عامّة تؤدي وظائفها اللغوية مِن توكيد ونفي واستفهام وشرط ونداء ونحوها.

وسنتعرّف على القيم ألنقدية المرتبطة بعلم المعاني مما أفرزه فكر المخزومي في هذا المجال.

إنّ المنهج الذي سار وفقه المخزومي أسلوبي بحت يتناغم مع النحو أكثر مما يساور علم المعاني البلاغي. فهو لم يأخذ تقسيم الجملة من حيث الغرض الذي يرمي إليه الكلام (خبرية وإنشائية) وتقسيمات ذلك، بل من حيث الأساليب والأدوات.

(أسلُوبُ التّوكيد)

لقد تناول الدكتور المخزومي هذا الأسلوب معالجاً أدواته بدلالاتها واستعمالاتها ووظائفها مجتمعةً وصلةَ بعض أجزائها ببعض.

وعالج من خلالها ثلاثة موضوعات من صلب مباحث علم المعاني، وهي:

أ. الخبر ألطلبي والإنكاري.
ب. أسلوب القصر.
ج. التقديم والتأخير.

---

٦ – م.ن./٢٢٦.
٧ – انظر : م.ن./٥- ١٢
٨ – انظر : علم المعاني. عبدالعزيز عتيق./٧- ٢٣.
٩ – في النحو العربي – نقد وتوجيه / ٢٣٣.

وبدأ مبحثه بتعريف التوكيد: (تثبيت الشيء في النفس، وتقوية أمره)[١٠]. ثم أشار إلى الغرض منه، قائلاً: (إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك،
وإماطة ما خالجه من شبهات)[١١].

وذكر ما للتأكيد من طرائق مختلفة وأدوات متنوعة، كان جديراً بالنحاة أن يولوها عنايتهم ويدرسوها دراسة شاملة فاحصة، عدا ما قصروا اهتمامهم على جانب من جوانبه غير المهمّة وغير الحيوية، وقد فاتهم من جوانب التوكيد الأكثر قوةً وحياةً، قال: (وكان الجانب الذي عنوا به يقوم على أساس من التكرار واللفظ، أو التكرار بإيراد كلمات لها معنى المؤكد، وهي ألفاظ التوكيد المألوفة للنحاة: النفس والعين وكلا وكلتا، وأمثالها)[١٢]. وهو يؤمن بان التوكيد بالتكرار صورة من صور التعبير ولكن هنالك من الصور الاخرى التي لها المجال الأوسع، قال: (فهناك التوكيد بالقسم والتوكيد بالقصر والتوكيد بالتقديم وهناك أدوات كثيرة مفرّقة مبثوثة هنا وهناك من أبواب النحو يؤكد بها الجمل الفعلية ويؤكد بها الجمل الاسمية، وهناك صور أخرى لا ازعم أنهم كانوا يجهلونها، ولكني ازعم أنهم تجاهلوها، لأنها لا تحقق لهم هدفاً ولا تظهر لهم براعة، وليس لها صلة بالعامل الذي كان له نفوذ لا يقاوم على أساليب تفكيرهم)[١٣].

ولم يبخس المخزومي من سبقوه في التوكيد كالزمخشري في (المفصّل) والرّضي في (شرح الكافية) وابن مالك في (الألفية)، فهي بحوث في حدود التوكيد اللفظي وكذلك فيما كتبه ابن هشام وغيره ممن عالجوا أدوات التوكيد ودلالاتها بصورة منفصلة دون الإشارة إلى صلة بعضها ببعض.

صور التوكيد وطرائقه:

قبل أن ندخل في هذا المبحث، لابد أن أشير إلى أن البلاغيين حين قسّموا الكلام إلى خبر وإنشاء، وضعوا في حسبانهم[١٤]:

أ. أن الخبر: هو الكلام الذي يحتل الصدق أو الكذب، حسب مطابقته للواقع والرواية المؤكّدة.

ب. وان الإنشاء: ما لا يحتمل ذلك، كالأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والنداء والقسم.

ج. وان التقديم والتأخير ظاهرة عارضة للفظ العربي، ومن أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال.

أما الصور التعبيرية للتوكيد التي شرع المخزومي في تفصيل أدواتها، إذ قال: (أن للتوكيد في العربية صوراً تعبيرية مختلفة، بالأداة حيناً، وبغيرها أحياناً، وتختلف هذه الصورة شدّة وضعفاً، وتستعمل وفق الحاجة، ووفق متطلبات الظروف)[١٥]. فهي كما يأتي:

---

١٠ – م.ن./٢٣٤.
١١ – م.ن./٢٣٤.
١٢ – م.ن./٢٣٤.
١٣ – م.ن./٢٣٥.
١٤ – انظر: المطوّل للتفتازاني./ ١٦٦- ١٧٨.
١٥ – في النحو العربي – نقد وتوجيه /٢٣٧.

أ- التوكيد بالأداة:

وهذه الأدوات: يختص بعضها بالاسم، وبعضها بالفعل وبعضها أوسع استعمالاً، فيتصل بالأسماء والأفعال.

١. ما يختصّ بالأسماء:

وهو (إنّ)، (وهي أداة لتوكيد النسبة في الجُمل.... ولا تتصل إلا بالمسند إليه، ولكن يكثر مجيء الظرف والجار والمجرور بعدها مباشرة....)[١٦]، نحو:

إنّ خالداً شاعرٌ.

إنّ في الدّار رجلاً.

إنّ أمامك عملاً شاقاً.

ثم ذكر وظيفة (إنّ) قائلاً: (ووظيفتها تثبيت الشيء حين يكون المخاطب طالباً ذلك)[١٧]. وهذه الحالة التي ذكرها المخزومي، هي حالة الخبر ألطلبي التي اصطلح عليها البلاغيّون، وهي الحالة التي يكون فيها المخاطب متردّداً في الحكم وشاكّاً فيه، ويبغي الوصول إلى معرفة صحته، ففي هذه الحال يُفترض توكيده لأبعاد الشّكّ وإحلال اليقين. ويزيد الدكتور المخزومي حالة أخرى لذلك الخبر، فيما إذا كان الطلب اشد قال: (فإذا كان طلبه اشد بان كان حاكماً بخلاف ما في نفس المتكلم قويت (إنّ) بمؤكد أخر، هو اللام وحدها أو اللام ولفظ القسم....)[١٨]. نحو:

إنّ عبدالله لَقائمٌ.

وقال تعالى: " قالوا: ربُّنا يَعلَمُ إنّا إليْكُم لَمُرْسَلُون "[١٩].

٢. ما يختصّ بالأفعال: وهو (نون التوكيد)[٢٠]، خفيفةً كانت أم ثقيلة، فإذا خفّفت كانت مؤكّدة، وإذا شدّدت كانت اشد توكيداً.

وذكر المخزومي أيضاً: (وتقع النون – مشدّدة أو مخفّفة - مصاحبة للام، أو مفارقة لها في الفعل الذي يقع جواباً لقسم مذكور، أو مقدّر، فالمذكور نحو: والله لأسافرنَّ معك، والمقدر نحو قول الشاعر:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدرك المنى فما آنقادت الآمالُ إلا لصابر)[٢١].

ما يتصّل بالأسماء والأفعال: (وهو أداتا القصر. وأداتا القصر هما: (إنّما) و، ما وإلاّ، والقصر صورة توكيدية تعتمد في أداء وظيفتها على الأداة)[٢٢].

---

١٦ – (١) م.ن./٢٣٧.

١٧ – م.ن./٢٣٧.

١٨ – (١) م.ن./٢٣٧ - ٢٣٨.

١٩ – من سورة يس /١٦.

٢٠ – في النحو العربي. نقد وتوجيه./٢٣٨.

٢١ – م.ن. /٢٣٨.

٢٢ – م.ن. /٢٣٨.

أ. فالأداة (إنّما) المؤلفة من: (أنّ + ما الزائدة) وقد حجبت (ما) الكافّة عملَ (إنّ) وقد جرى نتيجة لهذا التركيب تغيرّ دلالي من حالة التوكيد البسيط إلى توكيد أفاد معنى القصر والحصر، قال المخزومي: (وقد نتج من هذه الملازمة بين جزأيها تغير في الوظيفة التي كانت (أنّ) تؤديها منفردة، لان الكلمتين " إذا ركّبتا "، وكان لكل منهما معنى على حدة أصبح لهما بعد التركيب معنى جديد وحكم جديد " وقد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيداً عادياً إلى كونه توكيداً قاصراً أو حاصراً، أو بعبارة أوضح: من كونه توكيداً مخففاً إلى كونه توكيداً مشدّداً، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ ﴾[٢٣] وقولهم: إنما زيدُ شاعر[٢٤].

ب. أمّا مثال النفي والاستثناء، فقد أفاض فيه، وقال: (وهو كل ما كان مؤكداً بإلا مسبوقة بأداة من أدوات النفي المعروفة: ما، وإن، ولا، وهل، ولن، وليس)[٢٥].

وقد ميز بين القصر بـ (إنّما) والقصر بـ (ما وإلا) وليسا بمنزلة واحدة مثنياً على قول الجرجاني وعلى التفاتته الطريفة والجديرة بالتأمل. في حين أكد على الخلط الذي وقع فيه النحاة: قائلاً: (أما النحاة فيبدو أنهم سووا بين الصورتين،

صورة القصر بإنّما، وصورة القصر بما و إلاّ، فقد نقل الجرجاني عن أبي علي الفارسي في (الشيرازيات) قوله: " يقول جماعة من النحاة في قوله تعالى: ﴿ إِنّما حَرّمَ ربّى الفواحشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ ﴾[٢٦]، إن المعنى فيها: ﴿ ما حرّم ربى إلا الفواحش ﴾[٢٧]، كما أشار المخزومي إلى أبي إسحاق الزّجّاج في قوله: (والذي اختاره في قوله تعالى: ﴿ إِنّما حرّمَ عليكم الميتةَ ﴾ انه في معنى ما حرّم عليكم إلا الميتة، لان (إنّما) إنّما تأتي إثباتاً لما يُذكر بعدها، ونفياً لما سواه)[٢٨].

وتعليقاً على ذلك كان للدكتور المخزومي رأيه المخالف لرأي النحاة، إذ قال: (و(إلاّ) هذه ليست استثناء، إنّما هي مسبوقة بالنفي أداة قصر، ووظيفتها قصر ما قبلها على ما بعدها، والقصر توكيد وإيجاب أبداً، وهذا هو ما يفرّق بينها وبين (إلاّ) في الاستثناء، لان وظيفة (إلاّ) في الاستثناء إخراج ما بعدها مِن حكم ما قبلها، فهما مختلفتان، ولذلك كان عدُّ النحاة إيّاها في الاستثناء خلطاً، وتسميتها بالاستثناء المفرغ ضرباً من التكلّف)[٢٩].

ج. القصر بالتعريف: وهذا النوع أهمله البلاغيّون، ولم يعنوا به، حيث ذكره المخزومي قائلاً: (...وأداة التعريف هي: (ال) مع ضمير الفصل، أو العماد، أو بدونه، كقولهم: زيدُ هو الشّجاع، إذا قصد ألا تعتدّ بشجاعة غيره، وكقول الأعشى:

٢٣- من سورة البقرة /١٧٣.
٢٤- في النحو العربي / ٢٣٨- ٢٣٩.
٢٥- في النحو العربي /٢٣٩.
٢٦- في سورة الأعراف /٣٣.
٢٧- في النحو العربي /٢٤٠.
٢٨- م.ن./٢٤٠.
٢٩- م.ن./٢٤٠.

هو الواهب المائة المصطفاة امّا مخاضاً وامّا عشارا)[٣٠].

واستشهد بمقولة الجرجاني: (ألا ترى أن في بيت الأعشى: انه لا يهب هذه الهبة إلاّ الممدوح)[٣١].

وضمير الفصل الذي ورد في جملة: زيدٌ هو الشجاع، إنما كان للفصل بين الخبر والصفة، وتأكيد الخبر بدلاً من الصفة، حسب ما أفهمه من السّياق، من انه من مؤكّدات الخبر.

د. وهنالك طرق أخرى للقصر بالأداة، لم يذكرها الدكتور المخزومي، ومنها: العطف بـ: (لا) أو (بل) أو (لكنْ)، نحو:

الأرضُ متحرّكة لا ثابتة

فالأرضُ: مقصور، ومتحرّكة: مقصور عليه، وهي المقابلة لـ: ثابتة.

ما الأرضُ ثابتة بلْ متحركة.

وما الأرضُ ثابتة لكنْ متحركة.

فـ: (الأرض) في المثالين: مقصور، و (متحركة) مقصورة عليه.

أدوات توكيد الكلام: حيث أشار الدكتور المخزومي قائلاً: (ومن الأدوات التي تستخدم لتوكيد الكلام وتقويته: الباء، ومِن، و إنْ، وتأديتها التوكيد إنّما تقوم على زيادتها بعد أدوات النفي غالباً)[٣٢].

أ. الباء: قال: (الباء: تزاد للتوكيد في مواضع، أهمها: زيادتها في سياق النفي لتوكيد النفي وتقويته، كقوله تعالى: ﴿وما الله بغافل﴾[٣٣]، و ﴿لست عليهم بمسيطر﴾[٣٤] وقول الشاعر:

وَلَسْتَ بِمُستَبْقٍ أخاً لاتَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ، أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ ؟[٣٥]

وقد كثر دخولها على المسند في الجملة المنفيّة....)[٣٦].

جاء الخطيب القزويني بهذا البيت من باب تأكيد المفهوم[٣٧]. ثم جاء عليه التفتازاني ليؤكد وقوعه في سياق النفي[٣٨] ويفصّل في تحليله.

كما ذكر المرحوم الدكتور المخزومي استخدام تلك الباء قائلاً: (وقد تزاد (الباء) لهذا الغرض في مواضع أخرى وصل في عدّها ابن هشام إلى الستة...)[٣٩] وذكر منها ما يأتي[٤٠]:

١. زيادتها في (الحال) المنفي ما قبلها، نحو قول الشاعر:

فما رجعتْ بخائبةٍ ركابٌ حكيمُ بنُ المسيَّبِ منتهاها

٢. بعد (إذا) الفجائية، نحو: خرجتُ فإذا بزيد.

٣٠- م.ن./٢٤٠.

٣١- م.ن./٢٤٠.

٣٢- في النحو العربي /٢٤٠.

٣٣- من سورة البقرة /٧٤.

٣٤- من سورة الغاشية /٢٢. وتكتب السين من (بمسيطر) صاداً باللفظ القرآني.

٣٥- البيت: للنابغة الذبياني. وقد ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء. جـ١/١٧٢.

٣٦- في النحو العربي /٢٤١.

٣٧- التلخيص./٢٢٨.

٣٨- المطوّل./٤٩٧.

٣٩- في النحو العربي /٢٤١.

٤٠- م. ن./٢٤١.

٣. وبعد (كيف)، نحو: كيف بك إذا كان كذ وكذا.

وأشار قائلاً: (.... إلى غير ذلك من المواضع التي استعرضها ابن هشام، ومثّل لها)[٤١].

ب. مِنْ: وذكر المخزومي: (وتزاد (مِن) لهذا الغرض بعد:

١- النفي، نحو: ما جاءني مِن أحدٍ، وقوله تعالى ﴿ ما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُها ﴾[٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ ما تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ ﴾[٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ ما اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِنْ إلهٍ ﴾[٤٤].

٢- وبعد الاستفهام كقوله تعالى: ﴿ فارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطورٍ ﴾[٤٥] وقولهمُ: هل مِن سبيلٍ أليك.)[٤٦].

ج. إنْ: وذكر: (وأمّا (إنْ) في النفي فأكثر ما تزاد للتوكيد، بعد (ما) في النفي سواء أوّليتها جملة فعلية، كقوله:

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إلىّ يدي

أم بعد (ما) المصدرية كقوله:

ورجَّ الفتى للخير ما إنْ رايته على السن خيراً لا يزال يزيدُ)[٤٧].

د. التوكيد بغير الأداة: ومن صور التوكيد بغير الأداة عند د. المخزومي:

١. التوكيد بالتقديم: قال: (وهو مبني على انّ من أسلوب العربِ في كلامهم: أنهم إذا خصّوا شيئاً باهتمامهم قدموه وفجئوا المخاطب به، ليقع ذلك في نفوسهم موقعاً ثابتاً.

ومن اجل ما للتقديم من فضل توكيد عدّه أهل المعاني صورة من صور القصر كقوله تعالى: ﴿ إِياكَ نعبد وإِياكَ نستعين ﴾[٤٨]... وذلك لقصر العبادة عليه سبحانه)[٤٩].

وهذا هو الذي يسميه علماء المعاني: (تقديم ما حقّه التأخير) فيكون المقصور عليه هو المقَّدم كما في الآية أعلاه التي استشهد بها المخزومي وعلَّق عليها قائلاً: (فقد كان تقديم المفعول في الآية.... ضرباً من ضروب التوكيد لان التقديم لم يكن ليكون إلا على أساس منح المتقّدم شيئاً من الاهتمام والتخصيص. وكان سيبويه....

يقول: " كانّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم بشأنه أعنى ")[٥٠].

---

٤١ – م. ن./٢٤١.
٤٢ –من سورة الأنعام /٥٩.
٤٣ – من سورة الْملك /٣.
٤٤ – من سورة (المؤمنون) /٩١.
٤٥ – من سورة الْملْك /٣.
٤٦ – في النحو العربي /٢٤١.
٤٧ – في النحو العربي /٢٤٢.
٤٨ – من سورة الفاتحة /٣.
٤٩ – في النحو العربي /٢٤٢.
٥٠ – في النحو العربي /٢٤٢.

وفي هذا يميز الدكتور المخزومي بين التقديم ألتوكيدي وغيره، فيقول: (ولكن ليس كل تقديم توكيداً، فبعض الأجزاء من الجملة يقدّم لانّ وضعه اللغوي يقتضي تقديمه ككون المقدّم مما له صدر الكلام من استفهام أو شرط، نحو: مَن أكرمْتَ ؟.... وككونه واجب التقديم لأنه إذا تأخّر أوقع في لبسٍ أو شبهة.... نحو: أمامَك أسدُ، وفي الدّارِ رجلُ.وككون المقدّم فعلاً في الجملة الفعلية...وككون المقدّم مبتدأ في الجملة الاسمية)[٥١].

ويؤكد المخزومي على حالة التوكيد بالتقديم: قائلاً: (فالتوكيد بالتقديم إنّما يقوم على أساس الخروج بجزء الجملة من مكانه المخصص له وتقديمه على الجزء الذي قبله...)[٥٢].

كما استشهد بالآية الكريمة: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٥٣] وقال عنها: (... من باب التقديم للتوكيد)[٥٤] واستفاد من مقولة ابن الأثير في المثل السائر (فانه إنّما قيل: بل اللهَ فَاعبُدْ، ولم يَقُل: بل آعبد الله، لأنه إذا تقدّم وجب اختصاص العبادة به دون غيره...)[٥٥].

٢. التوكيد بالتكرار:

وهو النوع الثاني من التوكيد بغير الأداة، وذكره الدكتور المخزومي بهذا المصطلح، وقال عنه بان له في العربية طريقين:

(أولهما: إعادة اللفظ الذي يراد تثبيته، أو دفع غفلة السامع عنه، أو دفع الظن بأن السامع ظن به الغلط. ويتحقق ذلك بتكرار اللفظ نفسه، نحو: ضربتُ زيداً زيداً، وضربت ضربت زيداً، إنّ إنّ زيداً منطلق. وجاءني زيد جاءني زيد، وأنت أنت أخي، وهو هو صديقي.

وثانيهما: بايلائه كلمات تؤدي ما يؤديه تكرار اللفظ نفسه وذلك في توكيد الضمير المتصل أو المستتر بالضمير المنفصل.نحو: أكرمْتَ أنتْ ضيفَك، وأكرمْتُما أنتما ضيفَكما، وأكرمتمُ أنتم ضيوفكم ونحو قوله تعالى: ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[٥٦].

أو في إيراد ألفاظ التوكيد المعروفة. وهي: النفس، والعين، وكلا وكلتا، وكل وجميع، وغيرهن مما هو معروف، جاءني زيد نفسه، أو جاءني زيد عينه، وجاءني الزيدان كلاهما، وجاءني الرجال كلهم، والنساء كلّهنّ.)[٥٧].

وأشار المخزومي إلى نوع أخر قائلاً: (ومن التوكيد بالتكرار ما كان قائماً على تكرار المعنى دون اللفظ وقد فصّل أصحاب علم المعاني الكلام عليه...)[٥٨]. وقد ذكر أمثلة: (لهذا الضرب من التكرار

٥١– م. ن. /٢٤٢ – ٢٤٣.
٥٢– م. ن./٢٤٣.
٥٣– من سورة الزُّمر /٦٦.
٥٤– في النحو العربي /٢٤٣.
٥٥– ٣٩/٢.
٥٦– من سورة البقرة /٣٥.
٥٧– في النحو العربي /٢٤٣ - ٢٤٤.
٥٨– م. ن./ ٢٤٤.

قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[٥٩] ففي قوله تعالى: (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) تكرار في المعنى لقوله تعالى: "يدعون إلى الخير"، لتثبيت المعنى وتوكيده. وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[٦٠]...)[٦١]. فأشار بان الله تعالى قد ذكر النخل والرّمّان بالتخصيص، وهما داخلان تحت (الفاكهة) فهذا تعظيم لأمرهما ومبالغة في رفع قدرهما. اعتماداً واتكاءاً على رأي العلوي الطراز[٦٢].

وان استأذنا الكبير الدكتور احمد مطلوب سمّى هذا التوكيد (الإطناب بالتكرار)، قائلاً: (وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية، وقد تعرّض له معظم النحاة والنقّاد والبلاغيين... وسمّاه أبو عبيدة "" مجاز المكرّر "")[٦٣]، متأثراً بتسمية ابن الأثير الحلبي: (الإطناب بالتكرير)[٦٤]. كما أشار الدكتور مطلوب إلى مسالة التوكيد بالضمائر[٦٥].

(أسلوب النّفي)

عرّف الدكتور المخزومي (النفي): بأنه (أسلوب لغوي تحدّده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي، وبإحدى طرائقه المتنوعة الاستعمال)[٦٦].

وأشار في حيثيات هذا التعريف إلى حالتين:

أ. إذا كان المخاطب شاكاً في وقوع فعلٍ ما، أو في عدم وقوعه منك. فلإزالة ذلك الشك عن نفسه تقول: ما فعلتُ.

ب. وإذا كان المخاطب قد اعتقد أن فعلاً ما قد وقع ثم أردت أن تنفي عنك فعله، تقول: ما أنا فعلتُ.

وعلل لنا الفرق بين التعبيرين، قال: (فأنت في الأول تنفي عنك فعلاً يجوز أن يكون غيرك قد فعله، وألا يكون قد فعل أصلاً، وأنت في الثاني تنفي عنك فعلاً كان قد ثبت وتحقّق وقوعه ولكنك أردت بقولك أن تنفي أن تكون أنت الفاعل.... وينبغي اختلاف المعنى في التعبيرين، اعني: (ما فعلت) و (ما أنا فعلت)، على ما طرأ على الجملة الفعلية من تغيير).

وهذا ما كان فيه إرسال النفي بحسب ما تمليه ملابسات القول ومناسباته وقال: (ويؤدي النفي في العربية أدوات:

٥٩- من سورة آل عمران /١٠٤.
٦٠- من سورة الرحمن /٦٨.
٦١- م. ن./ ٢٤٤.
٦٢- الطراز. جـ٢/١٧٦.
٦٣- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. جـ١/٢٣٦.
٦٤- م. ن. جـ٢ /٣٩٤. وانظر أيضاً: جوهر الكنز /٢٥٧.
٦٥- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. جـ٢ / ٣٩٤- ٣٩٥.
٦٦- في النحو العربي – نقد وتوجيه /٢٤٦.

١) بعضه مفرد، وهو: لا، ما، إنْ، هل.
٢) وبعضه مركب، وهو: لم، لمَّا، لن، ليس، لاتَ)[٦٧].

وان الأهم في هذه الأدوات هما(ما، و لا) فهما أصليتان وتنفيان الاسمِ والفعل.
و(لا) اشمل نفياً واستغراقاً من أختها كنفيها الجنس في نحو: لا رجلَ في الدار، ولأنها تخرج من النفي إلى النهي في نحو: لا تضرب زيداً، ولأنها تستعمل مفردة وتستعمل مركبة في: لم، ولمَّا، ولن، وليس، ولات. ولم ترد (ما) مركبة في الكلام (وذلك لان اللام في أول (لا) وهو عماد الدلالة على النفي)[٦٨]، (والنفي في جميع هذه الأمثلة مسلط على النسبة بين المسند إليه والمسند، لا على المفرد الذي اتصلت (لا) به)[٦٩].

أمّا (إنْ) فقال عنها: (أداة نفي تدخل على الجمل الاسمية نحو قوله تعالى ﴿ إِنِ الكافِرُونَ إِلاّ فِي غُرُورٍ ﴾[٧٠]..... وقوله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ ﴾[٧١] بتشديد الميم، أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ.... ويبدو أن أكثر ما تستعمل (إنْ) هذه قبل (إلاّ)، أو في معناها.... أي أكثر استعمالاتها في القصر، وقد تستعمل في غير القصر.... نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ ﴾[٧٢]) [٧٣].
وأمّا (هَلْ) فقال عنها (في احد استعمالاتها كإن النافية معنى واستعمالاً، تستعمل في القصر كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلاّ الإِحْسانُ ﴾[٧٤] وتستعمل في غير القصر.... كقول امرئ القيس:

وان شفائي عَبرة مهراقة وهل عند رسمٍ دارسٍ من معوّلِ

أي ما عند رسمٍ دارسٍ مِن معوّل)[٧٥].
وقال: (وتدخل (هل) على الجملِ الاسمية كما مرّ من أمثلة، وعلى الجمل الفعلية، كقولنا: هل قامَ إلاّ زيدُ ؟ وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ السّاعَةَ ﴾[٧٦])[٧٧].ولدينا في علم البلاغة أن ألفاظ الاستفهام قد تخرج عن اصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام، والنفي احد تلك الأغراض التي ذكرها المراغي[٧٨].

٦٧– : م. ن./ ٢٤٧.
٦٨– م. ن./ ٢٤٨.
٦٩– م. ن./ ٢٤٨.
٧٠– من سورة الملك /٢٠.
٧١– من سورة الطارق /٤.
٧٢– من سورة الجن /٢٥.
٧٣– في النحو العربي /٢٥٢- ٢٥٣.
٧٤– من سورة الرحمن /٦٠.
٧٥– في النحو العربي /٢٥٤.
٧٦– من سورة الزخرف /٦٦ وسورة محمد /١٨.
٧٧– في النحو العربي /٢٥٤.
٧٨– علوم البلاغة – احمد مصطفى المراغي / ٦٦- ٦٨.

وأما الأدوات المركّبة فهي اقرب إلى مجالي البحث النحوي واللغوي، والمختصون في هذين المجالين اقرب إلى تفصيلهما ودراستهما بما يتناسب والتخصص. وأسلوب النّفي، قد أشار إليه ابن رشيق القيرواني في العمدة، حين ذكر(نفي الشيء بإيجابه)، قال: (وهذا الباب من المبالغة وليس بها مختصاً، إلا انه من محاسن الكلام فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً)[٧٩].

(أسلوب الاستفهام)

عرّف الدكتور المخزومي الاستفهام بأنه: (أسلوب لغوي أساسه طلب الفهم، والفهم هو صورة ذهنية تتعلّق أحياناً بمفرد، شخص أو شيء، أو غيرهما، وتتعلّق أحياناً بنسبة، أو بحكم من الأحكام، سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن أم على شك)[٨٠].

وهذا الأسلوب، أحد أنواع الإنشاء ألطلبي الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر تارةً وبالنهي أخرى، وبالتمنّي ثالثة، وبالنداء رابعة، وبالاستفهام خامسة.

وهو عند البلاغيين: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.

وأشار المخزومي في حيثيات التعريف بان الاستفهام استعلام عن نسبة تكون خبراً سواء أكان الخبر مثبتاً أم منفياً، وقال: (ولهذا لا يُستفهم عن الطلب، ولا يُستفهم عن أنشاء)[٨١].

وأجدني أرى ألتباساً في القسم الثاني من عبارة أستاذنا المخزومي فكيف: (لا يُستفهم عن إنشاء) ؟ والاستفهام نوع من أنواع الإنشاء ألطلبي ؟!

وأنواع الإنشاء التي ذكرها، وقال عنها بأنه لا يُستفهم عنها هي:

١. أفعال العقود والمعاملات والمعاهدات، نحو: بعتُ وزوّجت وأوقفتُ.
٢. أفعال المدح والذّم، نحو: نِعمَ وبئسَ وحبّذا ولاحبّذا.
٣. أفعال التعجّب، نحو: ما أفعلَهُ، وأفْعِلْ به.
٤. أفعال الدعاء واللعن، نحو: رحمهُ الله، ولعنَهُ الله.

فكل هذه[٨٢] قد تضمّنت نسبة تحقّقت بتمام الكلام ولا مجال للاستفهام عنها ولانّ الاستفهام هو استعلام عن وقوع نسبة يجهل المستفهم تحقّقها. وطلبِ الفهم عن مفرد، نحو، أخالداً زرت ؟ فالسؤال هنا عن شخص. والاستفهام عن نسبة، نحو: أسلمتَ الرسالةَ إلى خالد ؟ فالمستَفْهَم عنه هنا هو تسليم الرسالة في الماضي وهو نسبة بين المخاطب وما اسند إليه.

أدوات الاستفهام:

ذكر الدكتور المخزومي تلك الأدوات على الشكل الأتي:

٧٩- انظر: العمدة. جـ٢ /٨٠- ٨٢.
٨٠- في النحو العربي / ٢٦٤.
٨١- م. ن./ ٢٦٤.
٨٢- م. ن./ ٢٦٤- ٢٦٥.

(ويُستخدم لتأدية هذه الوظيفة اللغوية أدوات:

أ- بعضها اصل في الاستفهام وهو الهمزة و(هل)....

ب- وبعضها كنايات، حُملت على الهمزة، وهل حملاً.)[٨٣].

كما أشار المخزومي إلى أن (هل) تستعمل في غير الاستفهام لتدلّ على ما لا تدلّ عليه في الاستفهام وذلك في حالتين:

١. تستعمل بمعنى (قد) للتحقيق أو لتقريب الزمان الماضي من الحاضر كقول الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُورا ﴾[٨٤].

مستفيداً من قول الزمخشري: (هل أتى، أي قد أتى، على معنى التقرير والتقريب جميعاً أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب طائفة من الزمان الطويل الممتد لم يكن فيه شيئاً مذكورا بل شيئاً منسياً، نطفة في الأصلاب)[٨٥].

وذكر: (وربّما ذهب الزمخشري إلى أنها بمعنى (قد) أبداً وان الاستفهام مستفاد من همزة مقدّرة معها، وقد تظهر هذه الهمزة أحياناً كما في قول الشاعر:

سائل فوارس يربوع بشدّتنا أهَلْ رأونا بسفح القاع ذي الأكم)[٨٦].

وعند مراجعتي نّص الزمخشري وجدته يقول: ("هل" بمعنى "قد" في الاستفهام خاصة، والأصل: أهَلْ....)[٨٧].

٢. وتستعمل نفياً بمنزلة (ما) وذلك في حالتين:

أ. في القصر كقوله تعالى: ﴿ هَل جزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسانِ ﴾[٨٨].

ب. وفي غير القصر أيضاً كقول امرئ القيس:

وان شفائي عبرة مهراقة وهَلْ عندَ رسمٍ دارسٍ من مُعوّلِ

((وذلك بدليل زيادة (مِنْ) التي تُزاد إلاّ في سياق النفي))[٨٩].

ومثل قوله الأخر:

يقول إذا اقلولى عليها وأقردت الأهَل أخو عيشٍ لذيذ بدائم

" فقد زيدت الباء بعدها، ولا تُزاد الباء إلاّ في سياق النفي "[٩٠].

٨٣- في النحو العربي / ٢٦٥- ٢٧٠.

٨٤- من سورة الإنسان /١.

٨٥- في النحو العربي / ٢٦٩ وانظر أيضاً: الكشاف للزمخشري. جـ٤ /٦٦٦.

٨٦- في النحو العربي / ٢٦٩.

٨٧- الكشاف. جـ٤/٦٦٦.

٨٨- من سورة الرحمن /٦٠.

٨٩- في النحو العربي / ٢٦٩.

٩٠- م. ن. /٢٧٠.

وعند العودة إلى كنايات الاستفهام عند المخزومي نجد تخريجاً فنّياً يقول فيه: ((والطريقة الثانية: تقوم على (التقديم والتأخير)، وذلك فيما مرّ من كنايات وذلك لان المستفهِم عنه بها هو ما تضمنته (الكناية) نفسها من معنى، فالمسؤول عنه بِمَنْ: هو الشخص وهو مدلول (مَنْ) نفسها، والمسؤول عنه بما: هو الشيء وهو مدلول (ما) نفسها، والمسؤول عنه بأيْنَ هو المكان وهو ما تدلّ عليه (أين) نفسها والمسؤول عنه بكَيْف هو الحال، والحال هو ما تدلّ عليه (كَيْفَ) نفسها وهكذا سائر الكنايات))[٩١].

فهو في هذا يرى بان هذه الكنايات تتضمن معنى الاستفهام، وان الاستفهام في جميعها يستند إلى ما طرأ على نظام الجملة من تغيّر بتقديمها.

وبهذا فهو يقول: ((فالاستفهام إذن بهذه الكنايات ليس بالأداة ولا بها نفسها، ولكنه بالتقديم والتأخير، أي بتقديم ماحَقُّه التأخير وتأخير ما حَقُّه التقديم))[٩٢].

وهذا الرأي مرتبط بعلم الدّلالة وهو رأي لساني كبير يجب الوقوف عنده قليلاً والتبحّر في توصيلاته اللغوية.

وضمن نظام الجملة في الاستفهام (قد تُحذف أداة الاستفهام وتبقى الدلالة عليه معتمدة على لحن القول كقول عمر بن أبي ربيعة:

فواللهِ ما أدري وان كنتُ دارياً بسبعٍ رمين الجمر أم بثمان ؟...

ولا يحذف من أدوات الاستفهام إلا الهمزة لأنها هي أم الباب كما يقولون، ولان للاستفهام بها أسلوبا متميزاً في الغالب كورود (أم) بعدها في سياق الكلام. أما غير الهمزة فلا يحذف لان حذفه يذهب بالدلالة على الاستفهام.

أمّا (هل) فلها دلالة خاصة يخشى ذهابها إذا حُذفت، وهي الاستفهام عن النسبة.

وأمّا الكنايات فلأن المسؤول عنه بها إنّما هو منها ومدلول لها، فإذا حذفت ضاعت الدّلالة وذهب الاستفهام)[٩٣].

فالمدلول الذي تطرّق إليه أستاذنا المرحوم الدكتور المخزومي لم يكن المدلول الحقيقي للاستفهام، بل هو المدلول الأخر الذي يُستفاد من القرائن ولحن القول، كالنفي، والإنكار، والتشويق، والتعظيم، والتوبيخ، والتحقير، والتقرير. وهذه المعاني الاخرى يمكن انجلاؤها من خلال السياق الذي يحمله لحن الكلام كما ذكر المخزومي.

وهذه دعوات أراد لها المخزومي أن تنضج من جديد ويتناولها النحاة في مباحثهم، وهو بهذا يعيد دراسة الدّلالة أسلوبيّاً.

(أسلوب الجواب)

أشار الدكتور المخزومي إلى أن كتب النحو لم تفرد للاستفهام باباً ولم تدرس أدواته وطرائقه في فصل خاص بها سوى ماكان تناولاً عارضاً أو طارئاً كما ذكر بأنها خلت أو كادت من الكلام على (الجواب) بوصفه اسلوباً، سوى ما قام به الزمخشري في مفصله وابن هشام في (مُغنى اللبيب) عند

٩١- في النحو العربي / ٢٧٤ - ٢٧٥.
٩٢- م. ن. / ٢٧٥.
٩٣- م. ن. / ٢٧٥ - ٢٧٦.

الحديث عن أدوات الاستفهام والجواب عرضاً لا فحصاً أسلوبياً، ولا علاقة لاحدهما بالأخر، وتمنّى على ابن هشام إقامة دراسته على منهج لغوي واضح ولو كان ذلك حاصلاً منهجياً لما تفرقت الأدوات اشتاتاً.

ويعد المخزومي الباحث الأول في جمع ذلك الشتات، قال: (وأدوات الجواب الذي تقتضيه ملابسات القول وتمليه علاقة المتكلم بالمخاطب هي: نَعَمْ، بلى، أجَل}، إي، جَيْر، إنَّ، لا)[٩٤].

وقد تحدث عن هذه الأدوات تفصيلاً وعارضاً للمتلقي مسالة اتصال استعمالها قديماً وحديثاً، قال: (والشائع المستعمل من هذه الأدوات هو: نَعَمْ، وأجَلْ، وإي، في التصديق، وبلى، و(لا) في النقض أما جير، وانَّ فلم يكن لهما اثر إلا في نقول محفوظة وأكثرها في الشعر كما مر)[٩٥]. وان هذه الأدوات تقع في جواب الاستفهام بِهَلْ أو الاستفهام بالهمزة في أكثر صورة. (أمّا الاستفهام بهمزة التسوية والاستفهام بالكنايات فلا يجاب شيء منه بهذه الأدوات.... وكذا يجاب عن الاستفهام بالكنايات،... ولا يقع الجواب عن ذلك كلّهِ بنَعَمْ ولا بإحدى أخواتها من أدوات الجواب)[٩٦].إن المخزومي في هذا المبحث قد تأثر بالبلاغيين، بيد انه فاقهم حين جعله أسلوباً فاحصاً.

(أسلوب الشرط)

لقد فصّل المخزومي هذا الأسلوب وجملته وانتصر لعبد القاهر الجرجاني في جعل الشرط وما عُطف عليه جملةً واحدة نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾[٩٧].

وهذا الانتصار لرأي الجرجاني وجعله على حق، قد علّله أستاذنا قائلاً: (لان هذا هو ما يستفاد من أداة العطف التي هي نص على شركة ما بعدها وما قبلها في الحكم، وإذا كان الجرجاني على حق في هذا فجعل عبارتي الشرط والجزاء جملة واحدة أولى وألزم لان العبارتين في جملة الشرط ترتبطان بواسطة أداة الشرط ارتباطاً وثيقاً لا يتصور معه استقلال أحدى العبارتين عن الأخرى)[٩٨].

والنحاة لم يتناولوا الشرط بوصفه اسلوباً منفصلاً، وإنما تناولوه حين عرضوا الجزم بوصفه اعراباً وبوصفه اثراً لأحد العوامل، وقرروا انه إنما يقوم على جملتي الشرط وجوابه.

وعن الجملة التي تقترن بالفاء عند النحاة كقياس والذين قالوا بأنها لا تصلح أن تكون شرطاً لانّ سياق الشرط فعلي. وعاب عليهم المخزومي حالة الوقوف عند هذا الحد قائلاً: (فلم يتقدّموا بتوضيح أو تفسير يقرّب المسالة من ذهن الدارس، والمسالة هنا ليست لفظية وليست ابتكاراً عقلياً ولكنها تقوم في اكبر الظن – على ما قررناه للشرط من دلالة وعلى عدم تحمل هذه الصور التعبيرية لها منفردة غير مقترنة بالفاء)[٩٩].

٩٤– في النحو العربي /٢٧٩.
٩٥– م. ن. /٢٨٢.
٩٦– م. ن. /٢٨٢ – ٢٨٣.
٩٧– من سورة النساء /١١٢.
٩٨– في النحو العربي /٢٨٥.
٩٩– م. ن. /٢٨٩.

وأشار إلى نظام الجملة في الشرط، وعن تصدّر أداة الشرط ثم كيف يتغير ذلك النظام حين تتقدم عبارة الجواب على أداة الشرط، وماذا بعد ذلك، يقول: (.... فتبقى الدلالة، ويبقى الأسلوب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾[100]). [101] وهذا التقديم في هذا الشاهد وغيره من الشواهد القرآنية التي ذكرها هذا الأستاذ وقال عنها بأنها فصيحة ولسنا بحاجة إلى تقدير جواب نفترض انه محذوف كما كان النحاة يفعلون ويقدّرون ويمنعون تقدّم الجواب على أداة الشرط مستندين إلى قاعدتهم في أن للشرط صدر الكلام وابتعدوا عن الظاهرة الأسلوبية في اللغة بدلالة ما قبل الأداة من كلام عليه. وهذا ما أكده التعبير ألقراني الجميل.

وحين تناول (أدوات الشرط) ذكر بان هذا الأسلوب يعتمد في دلالته على طائفتين، منها ما يدل على الشرط أصالة، وهي: إن، وإذا، ولو، وماذا كان يرى أهل المعاني (بأنها تستعمل مع المشكوك في وقوعه) كالخطيب في الإيضاح[102]. ومنها: كنايات تدل على الأشخاص والأشياء والأزمنة والأمكنة والأحوال وغيرها أصالة، ولكنها تستعمل استعمال الأدوات في الشرط بتعليق الجواب على الشرط) نحو: ما، ومَنْ، وأيّ، وأين، ومتى، وأيّان، وكيف، وأنّى، وحيثما.

وكان للمخزومي تعليق فني دلالي على هذه الأدوات، قال (ولا بد لهذه الأدوات من سياق فعلي، ولا بد أن يكون شرطها فعلاً، وقد مر بنا أن فعل الشرط يحتمل الأمرين، التحقق وعدمه، أي: يجوز أن يقع، ويجوز أن لا يقع. هذا هو ما يُعبّر عنه أسلوب الشرط)[103].

وكان لهذا الأستاذ تعليقه على الخطيب قائلاً: (أمّا ما ذهب إليه الخطيب في إيضاحه من أن الأصل في (إنْ) ألاّ يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه، وان الأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه.... فيه من تحميل لهذا الأسلوب ما لا يحتمل، كل ما هنالك أن المتكلم باستعماله صيغة الماضي يوهم السامع برجحان احد الطرفين على الأخر، ومعنى هذا أنّ تصوّر الطرف الثاني مايزال قائماً)[104].

كما أشار إلى الكثير من الأمثلة[105] لإظهار أمنية مقطوع بعدم تحقّقها، أو للتعبير عمّا لا رجاء في تحقّقه ولا طمع في وقوعه.

وعاب على النحويين خلطهم بين أسلوبي النفي والشرط وجعلهما في موضوع واحد.

- كما فعل ابن مالك[106]. وبيّن ما كان بينهما من فرق من حيث المنبع والدلالة وكيف أن النفي يعبّر عن حكم، في حين أن الشرط لا يعبّر عن حكم، ولا دلالة، على تحقيق محتواه، أو عدم تحقّقه. ولكنّ ظاهرة أنجزام الفعل بعدها، عالج أولئك النحاة الجزمَ على النحو الذي جروا عليه في معالجة الحركات، واعتبارها آثاراً لعوامل[107].

---

١٠٠ – من سورة الأعلى /٩.
١٠١ – في النحو العربي /٢٨٩.
١٠٢ – انظر أيضاً: الإيضاح /٦٧.
١٠٣ – في النحو العربي /٢٩٥.
١٠٤ – م. ن. /٢٦٥ – ٢٩٦.
١٠٥ – انظر: م. ن. /٢٩٦- ٢٩٧.
١٠٦ – م. ن. /٢٩٨.
١٠٧ – في النحو العربي /٢٩٨.

(أسلوب النّداء)

وهو يتعيّن في تنبيه المنادَى وحمله على الالتفات. ويعبّر عن هذا المعنى أدوات استعملت لهذا الغرض كالهمزة في النداء القريب الذي لا يقتضي رفع الصوت ولا مدّه، و(يا) للمتوسط في البعد، و(أيا، وهيا) للبعيد، و(وا) التي تفيد التنبيه وتقتضي الإطالة ومدّ الصوت.

وقد فصّل القول في هذا الأسلوب، وقال في خلاصته: (أن النّداء ليس جملة فعلية ولا جملة غير أسنادية، وإنّما هو مركّب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات يُستخدم لإبلاغ المنادَى حاجة، أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرة، أو نحو ذلك)[108].

وانه كان قد أولى أدوات هذا الأسلوب اهتمامه فيما أدّته من وظيفة لغوية واستعمال دلالي، وعاب على البصريين والكوفيين مراوحتهم في عامل الجزم وحسب، في حين انه تأثّر بآراء البلاغيين من علماء الشعر ونظّر للتلقّي.

الخاتمة:

وخاتمة البحث، أرجو فيها أني وُفّقت في هذه القراءة الجديدة لفكر الدكتور المخزومي، حيث تناولت القيم النقدية المرتبطة [بأساليب التّعبير وأفرزتها من كتابه الموسوم (في النحو العربي ـ نقد وتوجيه) على وجه الخصوص.

المصادر والمراجع:

١. القران الكريم.

٢. الإيضاح في علوم البلاغة. للخطيب القزويني. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، (د. ت.).

٣. التلخيص في علوم البلاغة. للخطيب القزويني. تحقيق عبدالرحمن البرقوقي. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٠٤م.

٤. جوهر الكنز. ابن الأثير الحلبي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام. الإسكندرية، منشأة المعارف، (د. ت.).

٥. الشعر والشعراء – لابن قتيبة. تحقيق احمد محمد شاكر. ط٢. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢م.

٦. الطّراز – يحيى بن حمزة العلوي. القاهرة، مطبعة المقتطف ١٩١٤م – ١٣٣٢هـ.

٧. علم المعاني. الدكتور عبدالعزيز عتيق. القاهرة، دار الأفاق العربية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٨. علوم البلاغة. احمد مصطفى المراغي. بيروت، دار القلم، (د. ت.).

٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.ط٤. بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢م.

١٠٨ – في النحو العربي – نقد وتوجيه / ٣١١

١٠. في النحو العربي – نقد وتوجيه. الدكتور مهدي المخزومي. صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
١١. الكشاف – للزمخشري. تحقيق عبدالرزاق المهدي. ط٢. بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٢. المطوّل – للتفتازاني. تحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
١٣. معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها. الدكتور احمد مطلوب. بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣ – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٣ – ١٩٨٦ م.

القرآن الكريم والدعاء

الدكتور سيد خليل باستان

القرآن الكريم والدعاء

الدكتور سيد خليل باستان

المقدمة

إن من أهم ضروريات الحياة الدعاء، فهو يدفع البلاء، وينفذ في الأعداء كالسنان، ومن أحب الأعمال إلى الله سبحانه على الأرض، وهو سلاح المؤمن، وبه يرد القضاء المبرم وأعجز الناس من عجز عن الدعاء، وبناءاً على ما تقدم فان القرآن الكريم اشتملت ساحته المقدسة على أنواع الأدعية للأنبياء والأولياء والصالحين و... وذلك لأن القرآن الكريم حياة للبشر، وسعادة للأمة، ونجاة للفرد المحاط به البلاء من كل مكان، ما جاء في الخبر فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، للبلاء أسرع إلى المؤمن من انحدار السيل من أعلى التعلة إلى أسفلها، وكذلك المجتمع الإسلامي محاط بالشرور الاقتصادية والسياسية والثقافية و... فالدعاء من أبرز عوامل الانتصار على الأعداء والأشرار ويسوق المجتمع إلى ساحل الأمن والأمان. والمثل الأعلى في هذا المجال هو القرآن الكريم حيث تناثر الدعاء على أرجائه، فلنجعله أسوة في حياتنا، ونعمل به كما أمرتنا السنة النبوية، وهنا نشير إلى بعض ما توصلنا إليه من الدراسة حول نظرية الدعاء القرآنية آملين الاكمال في المستقبل إن شاء الله.

مفتاح الكلمات: القرآن الكريم، التفسير، الدعاء، الأنبياء..

موضوعات عامة

١- ١- أول دعاء وآخر دعاء في القرآن الكريم

عند ما نتدبّر هذا الكتاب العظيم فنرى أول دعاء ذُكر فيه جاء على لسان النبيّ إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ... [١] ﴾، فالأمن والرفاهية في

١ – البقرة / ١٢٦.

العيش لأهل الإيمان من الأدعية ذات الصيغة السياسية – الاقتصادية، فعلى المؤمنين السعي لتحقيق الأمن والاستقرار الاقتصاد الإسلامي في العالم، فمن أجل أن يعيش المؤمنون أحراراً آمنين في بلادهم معتمدين على أنفسهم مستقلين عن الآخرين رافعين لواء العبودية لله سبحانه في الأرضين، ندعو بدعاء النبي إبراهيم عليه السلام بها استجيبت دعوته عليه السلام.

وكذلك نرى آخر دعاء جاء في القرآن الحكيم على لسان نوح عليه السلام الذي يطلب به من الله تعالى الغفران والرحمة له ولأبويه وللمؤمنين والمؤمنات حيث يقول: ﴿ **ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً**[2] ﴾

فما اشدّنا احتياجاً (الأمة الإسلامية) أن ندعو ربّنا ونطلب منه الأمن والعيش الرغيد في الحياة الدنيا، ونرجو منه الغفران والرحمة والفوز بالرضوان والدخول في الجنان يوم القيامة.

١- ٢- في رحاب القرآن الكريم

يتمكن الإنسان أن يتصل مباشرةً بربّه الكريم بلا واسطة، ومتى شاء وأينما كان، فلا حجاب ولا حاجب، ولا حرس، ولا نوم ولا سنة، ولا حاجز ولا موانع ولا فواصل مكانية ولا مواعيد مقررة من قبل ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**[3] ﴾ ولا أيّ شيءٍ آخر من الموانع التي نراها في حياتنا اليومية، فكلّما ازدادت الاتصالات تقدّماً وانتشرت وسائل الإعلام ازدادت العقبات، فحاشى للساحة الربوبية من هذه العراقيل، فعليك أيّها الإنسان المسلم أن تتجه نحو البارئ بقلب سليم ونية خالصة، وتطلب حوائجك من الربّ الجليل كما فعل الأنبياء عليهم السلام عبر الدعاء، ولأجل أن نوضّح هذا المعنى نذكر هنا حوارين من حوارات الأنبياء العظام، وحوار لأحدى النساء العظيمات.

١. النبيّ زكريا عليه السلام؛ انظر كيف يصوّره القرآن الكريم:

قال: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾، فجاء النداء مشفوعاً بالإجابة الفورية: ﴿ **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۞**

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۞
قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۞
قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً
قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا[4] ﴾

٢- نوح / ٢٨.
٣- البقرة / ١٨٦
٤- مريم / ٣ - ١٠.

ما أعظمه من حوار، حيث يخاطب الإنسان ربّه العزيز بلا مانع ولا راع ولا خوف، وبكلّ بساطة وارتياح خاطر، ثم يطلب منه العظيم والمستحيل (الإنجاب بعد العقيم) فتشمله العناية الإلهية وتستجاب له الدعوة مباشرة وعلى الفور كما يستفاد من النص والحوار، فلا تجد حروف عطف ولا فواصل كلامية، واعلم كلّما كان المطلوب عزيزاً كان على الله هيناً بسيطاً، لأنّه القادر على كلّ شيءٍ وبيده الأمور كلها فسبحان ربّنا القادر المتعال.

٢. النبيّ نوح عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞...

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞...

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۞...

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞...

رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۞ [٥] ﴾

وهذا هو شيخ المرسلين يخاطب ربّ العالمين ويبث له شكواه عن قومه الكافرين ثم يذكر نهضته وما قام به من عمل دؤوب، ليلاً ونهاراً، سراً وإعلانا، يجاهد في سبيل الله لا يخاف لومة لائم، ولكن لم يصل إلى النتيجة المطلوبة، فدعا عليهم بالفناء. فإنّك لترى الحوار الدعائي بسيط جداً وتتجلّى فيه الأمور التالية:

١. الاتصال بالله مباشرة بلا أية واسطة.
٢. الاستجابة مباشرة وفورية.
٣. الكلام عادي وبسيط وليس فيه ارتعاش وخوف.
٤. وفي نهاية المطاف فيه طلب الغفران.

هكذا تصنع الأدعية عند ما تُسدّ الأبواب في وجوه العباد.

٣. امرأة عمران؛ ويبدأ بالحوار كما يلي:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا [٦] ﴾

ما أروع هذا الكلام، البساطة تغمر العبارات، الجمل ليست فيها ذبذبات للخوف، والكلام آخذ مجراه الطبيعي، ثم انظر على هذا الإنسان الضعيف كيف يخاطب الربّ العظيم من دون تعتع في الكلام، وكأنه يخاطب صديقاً حميماً، بل هو أرحم الراحمين، ولكن أين القلوب الواعية والأسماع المصغية، فما أحوجنا اليوم إلى الأذن والقلوب الواعية حتى نصنع بها معاجز عصرنا الحاضر وتبقى خالدة مدى العصور والأزمان والأجيال القادمة.

---

٥ – نوح/ ٥ - ٢٨.
٦ – آل عمران / ٣٥، ٣٧.

١- ٣- الإجابة السريعة:

اعلم أنّ الله نعم المجيب، وهو الربّ الجليل، ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ[٧] ﴾ فهو المالك لكل شيءٍ وبيده الخير، فلا تأخير ولا تأجيل في الإجابة، وانه الجواد الكريم، إذ هو صاحب خزائن السموات والأرضين، فلنعم الربّ، ربّنا الغفور الشكور. وهو كذلك سريع الإجابة كما صرّحت الآيات التالية:

١. ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ[٨] ﴾

٢. ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ[٩] ﴾

٣. ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ.. ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى[١٠] ﴾

فانك لترى بوضوح أنّ الاستجابة جاءت مع نوح عليه السلام مقرونة بالنجاة، ومع أيوب عليه السلام اقترنت بكشف الضرّ، ومع زكريا عليه السلام بالهبة، فما أحلى هذه الاستجابات، إذ هي من أكبر العبر لنا، وما أحرنا أن نقتدي بأسوتنا هؤلاء الكرام من الأنبياء العظام.

ومن جهة ثانية أن الله العزيز لن يهمل ولن يترك البشر بل توجهت العناية السماوية إليهم كما اتجهت نحو الأنبياء عليهم السلام حيث يخاطب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله قائلاً: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ[١١] ﴾. فالربّ العظيم ينظر الدعوة من عبده، فهو أقرب إليه من الآخرين وسريع الإجابة كما كان يستجيب دعاء المرسلين، وثمّ أمرنا أن ندعوه حيث قال: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ[١٢] ﴾ فالإجابة مضمونة يقيناً بلا أدنى شكّ وترديد، الهي وربّي أدعوك كما أمرتني فاستجب لي كما وعدتني.

١- ٤- صفات المدعو في القرآن:

إنّما يستحق الدعاء حس نظرية القرآن الكريم الذي يمتلك الصفات التالية:

١- **القدرة والقوة والاستطاعة**، عندما يصاب البشر بشرٍّ، فعلى العاقل أن يبحث عمّن هو أقوى منه قدرةً فيستعين به على عدوه حتى يُنجيه من الهلاك، وأما الناصر الضعيف المستكين فيزيد الطين بلّة، إذن فالاستطاعة في القدرة من إحدى صفات الناصر الذي يقول الله تعالى عنها: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ

٧- الصافات/٧٥.
٨- الأنبياء/٧٦.
٩- الأنبياء/٨٤.
١٠- الأنبياء/ ٩٠.
١١- البقرة / ١٨٦.
١٢- غافر/٦٠.

مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ[13] ﴾ فالمستحق للدعاء هو الذي يمتلك الاقتدار وخاصة لو كانت غير محددة والتي تتجلّى في عظمة البارئ حيث يقول: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ[14] ﴾.

٢- **الخلق:** والصفة البارزة الأخرى هي الخلق والإنشاء والإبداع فالذي لا يستطيع الخلق فهو مخلوق، كيف يكون قادراً على أداء الطلبات؟ علماً بأنّه لا يستطيع أن يخلق ذباباً أو بعوضة، فعلى الداعي الجوء إلى الخالق دون المخلوق.

٣- **السمع:** فالأطرش والأبكم الذي لايسمع الأصوات ولا يدرك المعاني والدعوات كيف يستجيب لنداء الآخرين؟ وهل غير الله سبحانه وتعالى إلاّ بكم كما داء في الآية الشريفة: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ[15] ﴾.

إذن فاقطع يقيناً إنّ الذي لايسمع فلا يجيب كما يقول العزيز: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ[16] ﴾.

٤- **التملك:** فالمالك له حقّ التصرّف في ملكه عقلاً وعرفاً وشرعاً وفاقد الملك كيف يتصرّف في ملك غيره؟ وهل يجوز له ذلك؟ حيث يقول البارئ في هذا الصدد: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ[17] ﴾.

٥- **النفع والضرر،** فالذي يستحق أن ندعوه يجب أن يكون قادراً على دفع الضرر وجلب المنفعة، وهل غير الله أحد يكشف الضرّ عنّا؟ ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ[18] ﴾ وكذلك يقول البارئ: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا[19] ﴾.

٦- **العدل:** من صفات المدعو أن يكون قاضياً بالحقّ والعدل، حتى تسير الأمور في مجراها وإلاّ فسيكون الظلم والفساد كما قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ[20] ﴾.

٧- **صاحب الشفاعة:** فالمالك للشفاعة يُستوجب له الدعاء ولا شفاعة إلاّ بإذنه حيث يقول: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ[21] ﴾.

١٣- الأعراف / ١٩٧.
١٤- الأنعام/ ٦٣.
١٥- الشعراء / ٧٢.
١٦- الأحقاف / ٥.
١٧- قطمير: القشرة الخفيفة التي تحيط بنواة التمر، فاطر / ١٣.
١٨- الزمر/ ٣٨.
١٩- الأنعام/ ٧١.
٢٠- غافر / ٢٠.
٢١- زخرف / ٨٦.

٨- **الأسماء الحسنى:** فصاحب الأسماء الحسنى يستحق الدعاء كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [٢٢] ﴾ والحسنى مؤنث الأحسن، فأسماءه تعالى الرحمن الرحيم والحيّ القيوم والسميع البصير والخالق الرازق والمحي المميت و... حيث جاء في الخبر... حيث جاء في الخبر: ((إنّ لله سبحانه وتعالى تسعة وتسعين أسماً مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنّة، إنّه وترٌ يحبّ الوتر[٢٣])). وتجد في الآية الشريفة الآنفة الذكر ما يفيد الحصر من قوله تعالى (ولله) وما يُفيد العموم في قوله تعالى (الأسماء) حيث (آل) تدل على العموم، ثم قوله تعالى (فادعوه بها) أما من الدعوة بمعنى التسمية أو بمعنى النداء أو العبادة وقد أشارنا إليها سابقاً.

١- ٥- طوائف الداعين

اعلم أنّ السالك الأول في هذا الطريق هو العزيز الجليل، حيث يقول ربّ العالمين: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ [٢٤] ﴾ فهو السلام ويدعو الشعب إلى دار الخلد، وثم يدعو الأمم ليحط من ذنوبهم وليرضى عنهم حيث يقول عزّ من قائل: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ [٢٥] ﴾، فهو المقتدى في هذا السبيل والقائد لأصحاب الرسالات وأهل الإيمان إلى هذا الطريق، وأمّا الطائفة الأخرى فهم الأماثل والأفاضل من أهل الدين والتقوى عباد الله المخلصين، قادة الشعوب إلى ساحل الأمن، والحكّام على القلوب، الهداة للحقّ، وأصحاب اليقين، قدوة للصالحين والعاملين، عبّاد زهّاد في الدنيا، أصحاب الجاه العظيم عند الربّ الكريم الأوهم الانبياء والصالحين عليهم آلاف التحية والسلام. فالدعوة إلى الحقّ تجلّت في خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ وكانت فيها:

أولاً: الحياة، حيث قال تعالى في حقّ رسوله ﷺ: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [٢٦] ﴾.

ثانياً: الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ [٢٧] ﴾.

ثالثاً: الهدى، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [٢٨] ﴾ فالدعوة إلى الصراط هو طلب الهداية، والهداية من لوازم قيّ الإيمان حتى يصل الإنسان إلى رضوانه تعالى. ولكن ترى من جانب آخر انّ هذه الأمور ليست هيّنة، فهناك أناس يقفون سداً أمام الأنبياء عليهم السلام والمصلحين،

٢٢- الأعراف / ١٨.
٢٣- الطبرسي - مجمع البيان ج ١: ٣١/٥٠٣ - الزمخشري جار الله ج٢: ٦٨٨.
٢٤- يونس/ ٢٥.
٢٥- ابراهيم / ١٠.
٢٦- الأنفال/ ٣٤.
٢٧- الحديد / ٨.
٢٨- المؤمنون / ٧٣.

ويفضلون حياة الجهل والذّلّ والظلم والشرك على دعوة الأنبياء، ويصعب على الظالمين تلبية نداء السماء والرضوخ للأنبياء عليهم السلام كما عبّر عنهم الخالق قائلاً: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ [٢٩] ﴾.

موضوعات خاصة

المبحث الأول أدعية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

فهي كثيرة ونشير إلى بعضها:

أدعية الرسول محمد صلى الله عليه وآله: فطلبات الرسول صلى الله عليه وآله من الله تعالى تحدّدها المواقف المختلفة من سياسية وفردية واجتماعية و...

أولاً: الأدعية السياسية، وهي أيضاً تُحددها الأدوار الزمنية المختلفة التي عاصرت الرسول صلى الله عليه وآله ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا [٣٠] ﴾، قال الزمخشري [إدخاله فيما حمّله من عظيم الأمر – وهو النبوة – وإخراجه منه مؤدياً لما كلّفه من غير تفريط[٣١]]، فالاستعانة بالله لأداء حقّ الرسالة لعظم شأنها ونشرها بين الجماهير ما هي إلا حركة سياسية عقائدية تقوم على أسسٍ ومبادئ التوحيد والإيمان ونفي الشرك بين الشعوب. ويذكر صاحب مجمع البيان في هذا الصدد قائلاً: [اختلف المفسرون في معنى أدخلني... (وانني أرى هذا المعنى يناسب الآية أكثر) حيث يقول: أي أعني على الوحي والرسالة، والدليل على ذلك ما قام بشرحه في القسم الثاني من الآية، واجعل لي عزاً امتنع به ممّن يحاول صدي عن إقامة فرائضك وقوة تنصرني بها على من عاداني فيك[٣٢]]، فطلب التصدي لأعداء الدين من المشركين والضالين والتحدي لهم ما هي إلا حركة إصلاحية سياسية وليس من ورائها إلا إقامة التوحيد ونشر الإيمان بين الأمم.

ومن تلك الدعوات السياسية الاجتناب عن الطواغيت: ففي موطن من القرآن الكريم يقول البارئ تعالى عن لسان نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٣٣] ﴾، فالرسول صلى الله عليه وآله يتبرأ من أصحاب الظلم والشرك ويطلب من الله سبحانه أن يُنجيه من الظالمين ومقاطعتهم، وما هذه الحركة إلا حركة ونشاط سياسي آخر للرسول صلى الله عليه وآله.

ثانياً: الطلبات الفردية، منها طلب الزيادة في العلم، حتى يكون الإنسان على بيّنة من أمره، فالعلم مصباح لأهل الإيمان وأساس لأهل اليقين حيث يقول العزيز مخاطباً نبيّه الكريم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا [٣٤] ﴾، ومنها الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم الذي يغوي الناس أجمعين ثم يتبرأ منهم

---

٢٩ – الشورى / ١٣.
٣٠ – الأسراء/ ٨٠.
٣١ – الزمخشري جار الله ج ٢: ٦٨٨.
٣٢ – الطبرسي – مجمع البيان ج ٣: ٤٣٥.
٣٣ – المؤمنون / ٩٤.
٣٤ – طه /١٤.

أمام رب العالمين يوم الدين، فالنبيﷺ يعلم الأخطار التي يقوم بها هذا اللعين من الاغواء والتمرد والفساد ونشر الشرك بين الشعوب فإنّه يستعذ بالله منه قائلاً: ﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ [٣٥] ﴾.

ومنها الشكوى لربّ العباد من قومه الذين تركوا القرآن العظيم وراء ظهورهم وعدم الاعتناء به حيث تركوا العمل بأحكامه وجروا وراء أهوانهم الضالة حيث يحكي الله عن لسان النبيﷺ ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [٣٦] ﴾.

ومنها طلب الغفران والرحمة، فبهما تنال السعادة الأبدية من الربّ، واعلم ان لم تكن المغفرة من قبل الجليل فما ستكون عواقب العاصين؟ فالعفو بيد الغفور الرحيم يتجاوز عن المذنبين بين الحين والحين، بل يتداركهم بالرحمة والشفقة، لأنّه كتب على نفسه الرحمة، وأرسل لنا رسول الرحمة، وأنزل علينا كتاب الرحمة، فنحن في رحمة الله الواسعة غارقون، وفي ظل الرحمة سائرون، وإليها راغبون، ومن أجل هذا نرى الرسول الكريمﷺ يطالب الربّ العزيز قائلاً: ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [٣٧] ﴾.

دعاء النبي آدم وحوّاءعليهما السلام:

الدعاء قرين الإنسان منذ الأزل وإلى يومنا هذا وإلى الأبد، فهو من أعظم المساند لظهر البشر، ومن أقوى الأسلحة لأهل الإيمان، به تتسامى الأعمال الصالحة، ويصل الناس إلى الكرامة والعزّة، فهذا أبونا آدمعليه السلام وهذه أمّنا حواء قالا لربّ العظمة والكبرياء، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٣٨] ﴾ فالاعتراف بالذنب فضيلة، فلا بدّ لنا أن نقرّ بالأخطاء لربّ العباد ونعترف بالذنوب أمامه، فالندم المرحلة الأولى للتوبة وثمّ نطالب الكريم أن يتجاوز عن الذنب العظيم، فهو السميع المجيب، ومن ثمّ نرجو من الله الرحمة كما صنع أبونا آدمعليه السلام، فلابدّ أن نشير هنا أن الرحمة ملازمة للغفران فلا ننس ذلك.

أدعية نوح عليه السلام:

نوحعليه السلام شيخ المرسلين عاش سنين ومضى في سبيل ربّه مبلغاً رسالاته لاقياً المصائب الكثيرة من المعاندين و... فجاءت أدعيتهعليه السلام في القرآن الكريم على محاور عديدة منها:

١. **الأدعية السياسية:** حيثُ يطالب الله العزيز بالنصر القريب قائلاً: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ [٣٩] ﴾، فطلب الانتصار على الأعداء ودحر الخصماء وإزاحتهم عن المجتمع الإنساني وتطهير الأرض من

٣٥- المؤمنون / ٩٧.
٣٦- الفرقان/ ٣.
٣٧- المؤمنون/٨٨.
٣٨- الأعراف/٢٣
٣٩- القمر/١٠

المشركين وإقامة شعائر الدين ما هو إلاّ دعاء سياسي، وتراه عليه السلام في موطن آخر يقول: ﴿ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ [٤٠] ﴾، فالانتصار على كيد الأعداء الذين اتهموه بالكذب والافتراء، حيث لم يجدوا طريقاً لضرب الرسالة السماوية إلاّ عن طريق التهمة ليحطّوا من مقامه عليه السلام في أنظار الناس فبادر حينئذ بطلب الانتصار على أعداء الدين، فكانت دعوته سياسية أيضاً.

٢. **الأدعية الاجتماعية:** مازال الانسان يعيش مع الآخرين جنباً إلى جنب، ولا يستغني الانسان في حياته عن بني نوعه...

فلابدّ أن تتوثق الا واصر الاجتماعية فيمابينهم، وأفضل طريق في هذا المجال هو الدعاء، حيث قام بهذه المهمة نوح عليه السلام عند ما قال: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا [٤١] ﴾. فالدعاء، هذا وأمثاله سيزيد م الروابط والعلاقات الاجتماعية فيمابين أهل التقوى والدين، وسيمضي المجتمع نحو الاصلاح والرقي، وستكون العاقبة للمؤمنين، ومنها ماجاءت بصورة شكوى عن قومه الجهّال حيث يخاطب البارئ تعالى بقوله: ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا [٤٢] ﴾ أو يقول: ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ [٤٣] ﴾ فالانسان فطريات بحاجة إلى من يشكو له آلامه حتى يسكن روحه ولبّه، ومن أفضل من الله معيناً؟

٣. **الأدعية الفردية:** من أجل اصلاح النفس الأمارة بالسوء، ومن أجل التغلب على الوساوس الشيطانية ومن أجل حطّ الذنوب عن النفس، يجب علينا التوسل إلى الله تعالى كما فعل نوح عليه السلام قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ [٤٤] ﴾ فطلب المغفرة المقرونة بالرحمة ما هي الا من سعادة البشر.

ونراه عندما يريد الهبوط على الأرض من بعد الطوفان يسأل ربّه قائلاً: ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ [٤٥] ﴾

٤. **الدعاء ضد الأعداء:** وان كان هذا العنوان يشعر بالجانب السياسي الا انّنا آثرنا على أن نفرد له بحثاً خاصاً حتى نقف على أهمية هذه الدعوة التي يقول فيها: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا [٤٦] ﴾. فالطلب بابادة الكفار ومحوهم من على وجه الأرض لأنّهم بؤرة الفساد بين العباد، ولا رجاء فيهم ولا في نسلهم القادم، فالدعاء هذا يدل

٤٠ – المؤمنون/٢٦
٤١ – نوح / ٢٨.
٤٢ – نوح/٢١.
٤٣ – الشعراء/١١٧.
٤٤ – هود/٤٧.
٤٥ – المؤمنون/٢٩.
٤٦ – نوح/٢٧ - ٢٦.

على وقوف نوح عليه السلام على ذات وماهية هؤلاء القوم حيث توارث فيهم الكفر والإلحاد ولا أمل عنده في إصلاحهم وإصلاح ذريتهم فدعا عليهم بالويل والثبور والفناء.

أدعية النبي ابراهيم عليه السلام:

يعدّ النبيّ ابراهيم عليه السلام أول من وضع الحجر الأساسي للتوحيد في العالم، وبناءاً على هذا ذكر القرآن الكريم أدعية كثيرة عن لسانه عليه السلام وذلك بما كان يواجهه من المشاكل الصعاب من قبل الكفر والشرك والطغيان، فاتخذ أكثر دعائه عليه السلام الطابع السياسي كما يُرينا ذلك القرآن الكريم حيث يقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..[47] ﴾ فالدعاء هذا منطلقه سياسي طلب عليه السلام من الله تعالى الأمن والأمان لبيته الحرام وعطف عليه طالباً إيّاه الرزق الحلال لأهل الايمان، فالأمن والاقتصاد عاملان أساسيان لبقاء الحكومة كما نرى ذلك مشهوداً اليوم. وأدعيته عليه السلام تسير على المدارات التالية:

١. إقامة الصلاة:

فالسمة السياسية البارزة لأهل التوحيد والإيمان هي إقامة الصلاة بين العباد على الأرض حيث قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ[48] ﴾ فالتمكن السياسي والاجتماعي والاقتصادي و... يتجلّى في اقامة الصلاة، وان ابراهيم عليه السلام سيّد رسل الله تعالى كان واقفاً على أهمية الصلاة فطلب من الله تعالى أن يكون هو وذريته من الذين يقيمون الصلاة حيث يعبر البارئ عن دعائه عليه السلام قائلاً: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي[49] ﴾.

٢. الذرية الصالحة:

من سعادة المرء أن يورثه الله أولاداً صالحين من أهل الايمان واليقين ولا يتأتى ذلك الا بالدعاء والطلب من الرحمن كما طلب ابراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ[50] ﴾ فعلينا ان نتأسى بالنبيّ ابراهيم عليه السلام ونرجو من الله تعالى أن يرزقنا أولاداً صالحين لإقامة شعائر الدين، واعلم ان الاستجابة هنا جاءت عن طريق البشارة له عليه السلام.

٣. القضاء والالحاق بالصالحين:

أراد إبراهيم عليه السلام من الله القضاء الذي يتجلّى مع القانون والنبوة كما عبّر عن ذلك الله سبحانه قائلاً: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ[51] ﴾ حتى يحكم بين الناس بالعدل والحقّ، ومن المعلوم اليوم أنّ من أحد الأركان المهمة في الحكومة هو القضاء، فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي

---

٤٧ – البقرة / ١٢٦.
٤٨ – الحج / ٤١.
٤٩ – ابراهيم / ٤٠.
٥٠ – الصافات/١٠١ – ١٠٠.
٥١ – الانعام/ ٨٩.

بِالصَّالِحِينَ[٥٢] ﴾ فاستجاب له قائلاً : ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ[٥٣] ﴾ ، أي أعطاه القضاء وزيادة على ذلك الا وهو الاعتدال في القضاء وادخاله إيّاه يومالقيامة في زمرة الأناس الصالحين الذين يرضى الله عنهم ثمّ يأمل من الله العزيز الحكيم أن يجعل ذكره حسناً عند الأجيال القادمة، ويرجو منه أن يكون من أصحاب جنة النعيم، وثمّ يطلب الغفران لنفسه ولأبيه وأخيراً أراه دعا بدعاء قيّم (وان كانت جميع الأدعية قيمة) وذلك بعدم الفضيحة يوم الدين وعلى رؤوس الأشهاد فالأولى بنا أن ندعو كما دعا ابراهيم عليه السلام .

٤. الاعجاز:

علينا عند الدعاء أن نطلب منه سبحانه بما يعجز عنه الآخرون، وان يكون مطلوبنا عظيم وليس في قدرة الناس، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، حيث طلب ابراهيم عليه السلام قائلاً : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى[٥٤] ﴾ فطلب منه احياء الأموات، والعمل هذا ليس بهيّن بل انّه عظيم وليس باستطاعة أحد الناس أن يقوم بهذا العمل الاّ الله ربّ العالمين، فبناءاً على هذا يا أخي المسلم عليك بالدعاء وطلب الإعجاز من الله سبحانه.

٥. الغفران:

ما أرى الهدف من وراء الدعاء الا الغفران والرضوان ومحو السيئات والدخول في الجنان، فإنّك لترى هذا المعنى بوضوح في الآيات البينات وفي مختلف نواحي القرآن، ومنها ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام قائلاً : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ[٥٥] ﴾ ، حيث يطلب من الله سبحانه أن يتغاضى عن ذنوب أهل الإيمان يوم القيامة وبذلك يحرز الإنسان الفوز بالجنة ان شاء الله تعالى.

٦. التسليم:

من أبرز مظاهر العبودية هو التسليم لربّ العالمين في جميع الأمور تسليماً محضاً بلا تعلل ولا تبرير، فلا حيدان عن الحقّ بل مطيعين ومنقادين له ولا نعبد الا اياه، وكما خاطب الجليل السّموات والأرضين : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ[٥٦] ﴾ ، والأمر المشكل هو أن الإنسان الذي يملك العقل والاختيار لن يستسلم بسهولة ولن يرضخ لربّ العالمين ببساطة حتى يكتشف ويجرّب الأمور بيده، وفي النهاية أما ان يستسلم واما أن يطغى، فعليه نرجو منه العون والمساعدة على ذلك حتى نرتقي سُلّم الإيمان والسعادة.

٧. ارسال الأنبياء عليهم السلام :

---

٥٢ – الشعراء/٨٣.
٥٣ – البقرة / ١٣٠.
٥٤ – البقرة / ٢٦٠.
٥٥ – إبراهيم/٤١.
٥٦ – فصلت/١١.

ان نعم الله على الناس كثيرة، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا [٥٧] ﴾ ومن أكبر النعم على البشر جميعاً، هو ارسال الأنبياء لنجاة الانسان من الجهل والكفر والشرك إلى الإيمان والتقوى، ثم تزكيةالنفوس وتطهير القلوب من الأرجاس كما طلب ابراهيمعليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ [٥٨] ﴾. فما أحوج الشعوب في عالم اليوم إلى المصلحين السائرين على نهج الأنبياء الطاهرين وذلك بعد ما تلوثت الانسانية بالشرّ والشرك والكفر والطغيان من جراء أعمال المستعمرين والصهاينة المردة الذين افسدوا البلاد والعباد، فاليوم الحاجة ماسة للمسلمين أن يظهر فيهم رجلاً عظيماً كالامام الخميني الكبيرقدس سره وان ربّنا لنعم المجيب.

٨. أدعية متنوعة:

وانك لتجد في مطاوي القرآن الكريم أدعية أخرى جاءت على لسان ابراهيمعليه السلام فمنها الاقرار والاعتراف بعلم ربّ العباد الذي ليس له مثيل حيث يقول: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ [٥٩] ﴾، وهذا الكلام يعد بمثابة مدح في مقدمة الدعاء ومنها اظهار الشكوى من أصحاب الأصنام حيث تراه يقولعليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ [٦٠] ﴾، وأخيراً نختم كلامنا حول إبراهيمعليه السلام حيث يقول: ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء [٦١] ﴾.

دعاء لوط النبيعليه السلام:

وأما لو نظرنا إلى أدعية لوطعليه السلام فما نجد فيها إلاّ الصبغة السياسية، فهو يطالب ربّ العزة النجاة من الظالمين ومن أعمالهم الفاسدة التي تجلّت في عمل اللواط القبيح وما سبقهم أحد من العالمين في ارتكاب هذا الذنب العظيم، وكذلك ينتظر الانتصار عليهم من قبل ربّ السموات والأرضين حيث يقولعليه السلام: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ [٦٢] ﴾ فالإجابة تجلّت في نجاته وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، وأمطرت عليهم السماء مطر المنذرين فابادتهم أجمعين جزاءاً لكفرهم وانتصاراً للوطعليه السلام.

وهناك آية أخرى تؤيد ما أشرنا إليه (من حملها الصبغة السياسية) فإنّهعليه السلام يطلب من الرحمن النصرة على الأعداء الذين هم من أهل الفسق والفجور، فطلب النجاة من الظالمين والانتصار على المعتدين وما هو الا حرب ضد المشركين والكافرين، وما هو في دعائهعليه السلام يمثل سياسة أهل التوحيد بشكل واضح.

٥٧- ابراهيم / ٣٤.
٥٨- البقرة / ١٢٩.
٥٩- ابراهيم / ٣٨.
٦٠- ابراهيم / ٣٦.
٦١- ابراهيم / ٤٠.
٦٢- الشعراء/١٦٩.

أدعية النبي موسى عليه السلام :

إنّ موسى عليه السلام يعدّ من أئمة الثوار ضد الطغاة حيث شغلت مآثره أرجاء القرآن، نبيّ كريم من أصحاب أولي العزم، ابتُلي بقوم عصاة طغاة مردة من اليهود الذين لم يكن لهم مثيل في التاريخ، بهم تضرب الأمثال في العصيان ولهم تُذكر الشواهد من سوؤ الأعمال في القرآن الكريم، عبرة لأولي الأبصار، فجاءت أدعيته عليه السلام مطابقة لما لاقاه من اليهود الجبناء الذين عاصرهم وتحمّل ما تحمّل من آذاهم، وكانت دعواته عليه السلام كما يلي:

١. الادارة السياسية:

لمّا وُظف النبيّ موسى عليه السلام بأمر الرسالة من قبل السماء في طور سيناء وجاءه البلاغ الرسمي [النبوة] من قبل الله تعالى، كان عليه السلام محيطاً وعالماً بزمانه ومكانه وموقعه الاستراتيجي لدى الأمة فالتفت نحو السماء رافعاً يديه إلى الله طالباً منه الاستعانة للمنصب الجديد وان يوفّر له قسطاً من العوامل الادارية السياسية التي يحتاج إليها كلّ قائد محنك منها:

أ. **سعة الصدر:** وذلك حين قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [٦٣] ﴾ حتى يتحمل كل المصاعب والآلام، فمن ضاق صدره في ادارة شؤون البلاد ليس بمستوى المدير، ولا يليق بهكذا انسان أن يتصدى لمقام النبوة، وذلك لما في الناس من افراط وتفريط في الأعمال ولما عند بعضهم من اطماع و... فمن صفات القائد اللائق الذي يُدير شؤون البلاد والعباد أن يمتلك سعة صدر تكون بمساحة بلاده، وأن يتجلى فيه الصبر والحلم، والا سيكون الخسران حليفه.

ب. **تسهيل الأمر: حيث قال** عليه السلام ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٦٤] ﴾: أي أمر الرسالة، فانّها من أعظم الأمور السياسية، وليس بالهين، فأمر النبوة ثقيل، ومن يتحمّل العبء الثقيل على عاتقه لابدّ أن تتداركه الرحمة الالهية.

ج. **فهم الخطاب:** لابدّ للنبيّ أن يتصل بالشعب عن طريق لغة التفاهم والتخاطب، ويبلّغ رسالته عبر الكلام ويُبيّن مقاصده وآراءه عبر اللسان، فمن أجل ادراك الحقائق بسرعة طلب موسى عليه السلام من ربه السبحان أن يحلّ عقدة لسانه حتى يدركه القوم كاملاً ويصل إلى أهدافه المنشودة بلا نقص في بيان.

د. **الوزير من آل البيت:** بما ان الرسالة النبوية ذات عبء ثقيل على كاهل الأنبياء والمرسلين، طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يُعينه بشخص من أهل بيته ومن أقربائه، عالماً بالأمور واثقاً به، معتمداً لديه، الا وهو هارون عليه السلام أخوه، حتى يشدّ موسى به ظهره ويبذل له الجهد حتى يقيما حدود الله في الأرض، وكذلك طلب من الجليل أن يُشاركه في النبوة حتى يكون أحرص على معاضدته ولم يُقصر في النشر، باذلاً نفسه في رسالته، فأصبح الأمر على ما يرام من بعد أن استجيب دعاء موسى عليه السلام في حقّ أخيه.

---

٦٣ – طه/٢٥.

٦٤ – طه/٢٦.

٢. طلب المغفرة والرحمة:

إنّنا رأينا مسبقاً أن الأنبياءعليهم السلام أكثرم طلبوا من الله الغفران والرحمة فهذا موسىعليه السلام سائر في المنهج القويم ويطلب من الجليل: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٦٥ ﴾ وتارة أخرى يدعوا حسبما يتطلبه الموقف قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ٦٦ ﴾ فانك لتجد الإجابة السريعة في الكلام، فعلينا في حياتنا أن نقتدي بهؤلاء العظام لطلب المغفرة من الربّ الكريم.

٣. الاقتصاد:

طلب الرزق من احدى متطلبات العصر، ودول العالم تسعى اليوم للحصول على اقتصاد أفضل بل وحتى تكافح الفقر أحياناً وتحاول أن ترفع المستوى المعاشي للشعب حتى يُصبح بمكانة عالمية مرموقة، وأصبح الاقتصاد من أبرز سمات الحضارة في القرن الواحد والعشرين، فالأمم اليوم مجبرة على السير قدماً وفق المناهج الاقتصادي المرسوم لها والا فسيكون السقوط حليفها، وموسىعليه السلام يقول في هذا المجال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٦٧ ﴾ فطلبه هذا من السماء ونزول الخير إلأيه ما هو إلاّ الرزق الحلال حتى ينفقه في حياته ويرفق المستوى المعاشي واكتساب الوجه السياسي.

٤. مقاطعة الظالمين:

لابدّ للمؤمنين من الاستعانة بالرب العظيم للقضاء على الظالمين وكذلك لابدّ للمؤمنين عدم الارتكان عليهم في الأمور مهما كلّف الأمر، حيث قال موسىعليه السلام في هذا افشأن: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٦٨ ﴾ ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ٦٩ ﴾ فالجزاء الحسن والشكر على النعم الربانية تستوجب عدم الاستناد إلى الظالمين في جميع الأمور، حتى تسقط دولتهم.

٥. الدعاء ضد المجرمين:

لا شك انّ اصحاب الرسالة هم الذين تُستجاب دعواتهم ضد الكفار والمنافقين، وهو يدعو لأجل ابادة المشركين من على وجه المعمورة، فجاءت دعوتان لموسىعليه السلام في هذا المجال الأولى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ٧٠ ﴾ والثانية؛ جاءت ضد الطاغية فرعون حيث يقول: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ (الدحر الاقتصادي والفشل السياسي حتى لا تبقى لهم حكومة قائمة على وجه الأرض) وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (اندحار العاطفة وانقطاع العلاقات والروابط الاجتماعية بين الناس) ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا

٦٥- الأعراف/١٥١.
٦٦- القصص ١٦.
٦٧- القصص/٢٤.
٦٨- القصص/٢١.
٦٩- القصص/١٧.
٧٠- الدخان/٢٢.

حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [٧١] ﴾ فمتى شئت أيها المؤمن ادعُ كما دعا الأنبياء عليهم السلام فسترى المعاجز والاجابة السريعة.

دعاء زكريا النبي عليه السلام :

من أبرز سمات الدعاء عند زكريا عليه السلام هو طلب الاعجاز، فطلب من الله سبحانه أن يرزقه أولاداً صالحين ومرضيين، فالذرية الطاهرة تحيي ذكرى صاحبها والذرية الطالحة تمحوها، زكريا عليه السلام بعد الأياس وعقر زوجته وهب الله له ذرية طيبة كما أراد هو، حيث يقول عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً [٧٢] ﴾ وكذلك طلب من الله سبحانه أن تكون هذه الذرية مرضية، حيث يقول عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا [٧٣] ﴾ فاستجاب له السماء قائلة : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى [٧٤] ﴾ فانظر إلى اعجاز ربّك الذي يقول ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء [٧٥] ﴾ فمن أراد الاعجاز فعليه بالدعاء.

أدعية النبي سليمان عليه السلام :

توالت النعم على سليمان عليه السلام من كلّ جانب، فطلب من البارئ العون على اسداء الشكر على جميع هذه النعم التي أحاطت به وبأبيه عليهما السلام فكان دعائه عليه السلام يسير وفقاً لمتطلبات عصره وعلى المحاور التالية :

١. **الشكر على النعم :** فهو عليه السلام يطلب من الله تعالى مراراً أن يوفقه للشكر على ما أنزل عليه من النعم، حيث يقول عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي (الهمني) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ [٧٦] ﴾ فالشكر على النعم يضاعف النعمة، ولما تتوفر النعم يزداد الاقتصاد رونقاً ويعمّ الانبساط بين طبقات الناس، ومن جهة أخرى سيفرض التوحيد كلمته سياسياً في العالم.

٢. **التوفيق للعمل :** ان من أبرز صفات المؤمن العمل الصالح، خلافاً للآخرين من أصحاب الأقاويل، فسليمان عليه السلام يرجو من الله أن يُعينه على العمل الصالح وأن يكون ذلك العمل مرضياً له، ومن ثمّ يُثاب عليه، حيث يقول عليه السلام : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [٧٧] ﴾.

٧١– يونس/٨٨.
٧٢– آل عمران/٣٨.
٧٣– مريم/٦.
٧٤– مريم/٢.
٧٥– آل عمران/ ٤٠.
٧٦– النمل / ١٩.
٧٧– النمل/١٩.

٣. اصلاح الذرية: دأب الأنبياءعليهم السلام أن يطالبوا السماء بالذرية الطاهرة واصلاحها، من أمثال ابراهيمعليه السلام وزكرياعليه السلام وكذلك سليمانعليه السلام الذي يقول: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي [٧٨] ﴾ فما أجدر بنا أن نقتدي بهؤلاء الكرام الأسوة العظام في طلب اصلاح الذرلية وجعلها طاهرة مرضية

٤. الاعجاز: لم يتولّ من الأنبياء الحكومة السياسية الا اثنان وهما يوسفعليه السلام وسليمانعليه السلام، على ما يقصّه القرآن الكريم.

لقد أشرنا من قبل أن علينا بالدعاء وأن نطلب من السماء بما لا يُطيقه البشر، وبعبارة أخرى لابدّ أن نطلب المعجزة في الدعاء كما فعل سليمانعليه السلام وغيره من الأنبياء، وإنك تراه بعد ما طلب الغفران من الربّ السبحان قالعليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي [٧٩] ﴾، فعجيبٌ لهذه الرؤية العظيمة الواسعة المفتوحة كلّ الانفتاح على العالم جميعاً، خلافاً للأنظار الضيقة من العباد الذين يرون الحاجات الآنية فليكتفون بها، فيجب أن نعتبر بهذه الرؤية العظيمة وندعو الله بالنصر والفوز لأهل الإيمان في مشارق الأرض ومغاربها بثورة عارمة يقودها إمامنا المنتظر المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وأن يهب له ما وهب لسليمانعليه السلام بل وأكثر من ذلك.

دعاء يوسف النبيعليه السلام:

ابتُلي يوسفعليه السلام بشر ابتلاء من قبل امرأة على ما يحكيه القرآن، ولكن العناية الربانية وإرادته القوية أنجته من براثين الضلال والظلام بعد ما التجأ نحو السماء داعياً ربه بإخلاص، فالإرادة والدعاء صنعت من يوسفعليه السلام بطلاً يُقتدى به في الأخلاق، فحبّذا لعيش في السجن على دعوة الضلال، وانتصر أخيراً بعغزم الارادة حيث يقولعليه السلام: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ.. ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٨٠] ﴾ فإنك لترى النصر كان حليفه ونجى أخيراً من تلك الفتنة، عالي الرأس، راضياً عنه الربّ، محمود الذكر، والعاقبة على خير، فما أحرى بنا اليوم ان نقتدي بهذا البطل العظيم ونسير على خطاه حتى لا تزلّ أقدامنا ويطهر مجتمعنا من المفاسد الأخلاقية.

دعاء يونس النبيعليه السلام:

يعاني الإنسان في حياته مشاكل عديدة ومصائب شديدة بحيث تغلق في وجهه جميع الأبواب والآمال، ويقف الإنسان حيران مكتوف اليدين وليست له القدرة على تغيير شيء، حيث الارادة مسلوبة، والطاقة ضعيفة، فلا طرق للحلّ، ولا أفكار منجية، ولا أسانيد ولا.. فيصبح اليأس ثوباً يرتديه الإنسان، مقهوراً إلى الوراء، محكوماً عليه بالسجن المؤبد أو الاعدام، تكاد حياته تندحر، هذا وان لله تعالى جزاءاً وعقاباً ينتقم به من أعدائه وأحياناً يُؤدّب به أوليائه، وان حادثة يونس بن متىعليه السلام تظلّ وتبقى درساً وعبرة خالدة لمن يخشى ربّه، فقصته معجزة، حيث بقى حياً في بطن الحوت ولم يمت، ودعائهعليه السلام بعد ما اعترف بالظلم على نفسه فانجاه الله من الكرب العظيم وهو أيضاً القادر على

٧٨- الأحقاف / ١٥.

٧٩- ص/٣٦.

٨٠- يوسف/٣٤.

نجاة المؤمنين عند الشدة والمصائب، حيث يقول البارئ في هذا المجال: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ [٨١] ﴾ دخل يونس عليه السلام انفرادية وليس له حول ولا قوة ولا سير ولا حركة الا الدعاء الساحر، فما أشدّ ما لاقاه من مصيبة وما أعظمه من جزاء، فلو لم يكن من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون، فكن يا أخي المؤمن من الذاكرين ولا تكن من الغافلين، وهذا إعجاز آخر للدعاء فاعتبروا يا أولي الأبصار.

دعاء النبي عيسى عليه السلام :

لقد رأينا الإعجاز في كثير من الأدعية التي جاءت على لسان الأنبياء عليهم السلام : من مثل إبراهيم ويونس وزكريا وعيسى وسليمان عليه السلام ، فلدعاء أثر عظيم في نفوس الداعين فما بالك لو حصل الاعجاز من وراء ذلك.

فيا اخوتي في سوح الايمان والجهاد و... علينا السير قُدماً نحو الله تبارك وتعالى الذي يقول: ﴿ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ [٨٢] ﴾ فمن أراد الاعجاز فعليه بالدعاء ومن أراد الانتصار على الأعداء فعليه بالدعاء ومَن أراد أولاداً صالحين فعليه بالدعاء، فمن أراد... وهذا نبيّ الله عيسى بن مريم عليه السلام يحدّثنا القرآن عنه لما طلب من السماء أن تُنزل عليه وعلى أصحابه مائدة من الطعام فاستُجيبت دعوته حينما قال: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [٨٣] ﴾ فما أحل هذا الدعاء وما أعذب الإجابة والإعجاز.

المبحث الثاني: أدعية أصحاب الإيمان:

وإلى جانب هذه الأدعية العظيمة من قبل الأنبياء عليهم السلام فهناك أدعية أخرى زيّنت ساحة القرآن الكريم من قبل عباد الله المؤمنين ونشير هنا إليها حسب استطاعتنا:

دعاء الراسخين في العلم:

جاء في الخبر: [أولُ العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض الأمر إليه]، فبالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم قامت السموات والأرض، وبالعلم نكشف الحقائق ونبتعد عن الجهل....

فالعلم مصدر نور وهداية وفي الوقت نفسه مصدر ضلال وعماية إذا تعرّى عن الإيمان والأخلاق، فلابدّ للراسخين في العلم أن يرجوا من الله سبحانه وتعالى الاستقامة والثبات ومواصلة الطريق على معرفته وعدم الميلان لغيره، وأحياناً يُصادف الإنسان بالفشل أثناء الطريق وينحرف عن المسير، فلأجل البلوغ إلى الكمال والرشاد يطلب الراسخون في العلم من الله الثبات على الإيمان والهداية والمواصلة

٨١- الأنبياء/٨٨- ٨٧.
٨٢- الفرقان/ ٧٧.
٨٣- المائدة/١١٤.

حتى النهاية وتراهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ [٨٤] ﴾.

دعاء أصحاب الجنة:

لأصحاب لأصحاب الجنة دعوتان الأولى التسبيح حيث يقول العزيز: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ [٨٥] ﴾ والثانية التحميد حيث قال: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٨٦] ﴾، وبمعنى آخر انّهم يبتدئون دعاءهم بتعظيم الله وتنزيهه ويختمونه بشكره والثناء عليه، فكلّ من التنزيه والتحميد ويعدّ دعاءاً براسه.

أدعية النساء:

أفردنا هذا العنوان لما رأينا من الآيات ما تشير إلى هذا الجانب وتعتني بها والذي يقوله ربّ العزّة إنّي اجيب دعوة الداع، سواءاً كانت امرأة أو رجلاً فأوّل دعاء جاء في القرآن على لسان امرأة عمران أمّ مريم عليها السلام حيث تقول: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ [٨٧] ﴾. والدعاء الآخر لآسية زوجة فرعون ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ [٨٨] ﴾ وكذلك نُشير هنا إلى اعتراف بلقيس بظلم نفسها وأخيراً الاستسلام لربّ العالمين قائلة: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٨٩] ﴾. واعلم ان الله مجيب الدعوات وماحي السيئات وغافر الذنوب جميعاً، أنّه تعالى لا يُضيّع عمل عامل من ذكر كان أو أُنثى.

أدعية المؤمنين:

هم الزبدة من الخلق، وهم الطلائق الربانية، وهم المهتدون ولهم جاءت الرسل، وإليهم يتوجه الخطاب الرحماني ولأجلهم أرسلت الشرائع وبهم ينتشر الإيمان والهدى وماعساني أن أقول فيهم؟ فهم هم، لأنّهم أولياء الله وخلفائه على الأرض فما كانت طلباتهم من الله تعالى؟

فسنجد بعضها مشتركة مع الأنبياء عليهم السلام الذين هم سادات المؤمنين، والأخرى خاصة بهم فأمّا الأدعية المشتركة مع الأنبياء عليهم السلام:

١. استجابة الدعاء: فدعاء أصحاب الإيمان مستجاب كدعاء الأنبياء عليهم السلام وذلك لأنّهم يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وينشرون الدعوة الربانية بين الناس، فهم يطلبون من الرحمن النصرة على الأعداء كما عبر عنهم تعالى بقوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ

٨٤- آل عمران/٨.
٨٥- يونس/١٠.
٨٦- يونس/١٠.
٨٧- آل عمران / ٣٦- ٣٧.
٨٨- التحريم/١١.
٨٩- النمل/٤٤.

﴿ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (متتابعين)[٩٠] ﴾ ، ويقول في موطن آخر : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ[٩١] ﴾ ، والاستجابة هي العطية على موافقة الطلب.

٢. طلب الغفران والرحمة : هذا ما صنعه الأنبياء عليهم السلام وبهم يقتدي أصحاب الإيمان ، فإنّهم يطلبون العفو والمغفرة وادخالهم الجنة حيث يعبّر عنهم ربّ العالمين قائلاً : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا[٩٢] ﴾ ، وهم ايضاً يطالبون من الرحمن الغفران من أجل الإيمان كما تشير الآية الكريمة إلى ذلك : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ[٩٣] ﴾ أو يقول في موطن آخر : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[٩٤] ﴾ ، أو اقرأ هذه الآية : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا[٩٥] ﴾ ، وأخيراً يقول عنهم البارئ : ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٩٦] ﴾ وهم بذلك يطلبون الرحمة من عند الله لا من عند غيره كما قال العزيز : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا[٩٧] ﴾ فتراهم طامعين في المغفرة الالهية حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا[٩٨] ﴾ وكذلك يطلبون الغفران للسابقين من أهل الإيمان : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ[٩٩] ﴾ ، فلا تجد عندهم ذرة من الأنانية.

وبالمناسبة [قيل طاف أعرابي بالبيت ثم صلّى ركعتين ونهض ، فقيل له مالك حاجة إلى الله؟ قال : بلى وقد سألته. قيل : وما قلت؟ قال : قُلتُ اللهم إنّك قد أحصيت ذنوبي فاغفرها ، وعلمت حاجتي فاقضها] [١٠٠] ، فيا ربي غفران ، ربّنا رحمتك ، ربّنا عفوك.

٣. مقاطعة الظالمين : وهو هدف من أهداف الأنبياء عليهم السلام ، فأصحاب الإيمان يقتدون بهم حيث يقول البارئ : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا[١٠١] ﴾ أو نراهم في هذه الآية يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[١٠٢] ﴾ فالابتعاد عن الظالم وطلب النجاة منهم ماهي إلا مقاطعة سياسية عمل بها الأنبياء عليهم السلام وسار عليها أصحاب الإيمان.

---

٩٠ – الأنفال/٩.
٩١ – آل عمران/ ١٩٥.
٩٢ – البقرة / ٢٨٦.
٩٣ – المؤمنون/١٠٩.
٩٤ – آل عمران/١٦.
٩٥ – آلعمران / ١٤٧.
٩٦ – التحريم/٨.
٩٧ – الكهف/١٠.
٩٨ – الشعراء/٥١.
٩٩ – الحشر/١٠.
١٠٠ – الراغب الأصبهاني – محاضرات الأدباء ج٢ : ٤٧٢.
١٠١ – النساء/٧٥.
١٠٢ – الأعراف/٤٧.

٤. **الدرية الصالحة**: بما أنّ الأنبياء عليهم السلام طلبوا من الله عزّ وجلّ أن يرزقهم أولاداً صالحين، فإنّ المؤمنين كذلك طلبوا هذه العطية من ربّهم قائلين: ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ [١٠٣] ﴾.

وأمّا الأدعية الخاصة بالمؤمنين فهي:

١. **الإنقاذ من النار**: من أكبر أهداف أهل الإيمان الدخول في الجنان والفوز بالرضوان والنجاة من النار التي أُعدّت للكافرين، فأصحاب الإيمان يطلبون من الرحمن أن ينقذهم من عذاب النار كما تبيّن لنا هذه الآية الكريمة: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [١٠٤] ﴾ لأنّ الخزي والعار يوم القيامة للذين يدخلون النار صعب جداً، وهم كذلك مصرون على صرف عذاب نار جهنم عنهم حيث يقولون: ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ [١٠٥] ﴾.

٢. **الفوز بالجنة**: فما أعظمه من هدف وما أسماه من غاية وما أحلاه من ثمرة، على أصحاب الإيمان أن يكتسبوا الجنان بالتقوى والعمل الصالح وهم يدعون ربّهم قائلين: ﴿ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم [١٠٦] ﴾.

٣. **مع الشاهدين**: يرغب أصحاب الإيمان واليقين أن يكونوا مع الشاهدين وذلك لما أعدّه الله لهم من الأجر والثواب الجزيل، والفوز بالدرجات العالية والوصول إلى الكرامة الالهية، وقد صرّح الزمخشري والطبرسي في تفسيرهما للآية الشريفة هذه: ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [١٠٧] ﴾. ان المقصود بـ (مع الشاهدين) أي مع أمة محمّد صلى الله عليه وآله، وكفانا فخراً وعزاً بأنّنا من أمته ومن أتباعه وأنصاره إن شاء الله.

٤. **مع الأبرار**: الأبرارُ هم أهل الفضل والإحسان حيث أثنى عليهم السبحان قائلاً: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ [١٠٨] ﴾ فما من صفة حميدة إلا ويتمنّاها أصحاب الإيمان أن تكون لهم في الدنيا حتى يحرزوا بها المقام الرفيق في الآخرة، وهم يرجون من الله تعالى في آخر لحظات حياتهم أنْ يفارقوا الدنيا وهم جنباً إلى جنب أصحاب الفضل والبرّ كما عبّر عنهم القرآن قائلاً: ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ [١٠٩] ﴾، وكذلك وكذلك يقول عنهم: ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [١١٠] ﴾

٥. **تطهير القلوب**: من الصفات البارزة لأهل الإيمان أن يدلّ ظاهرهم على باطنهم، فلا تظاهر في السلوك، ولا نفاق في القول والعمل، وإنّه من المعروف أنّ القلب مركز للأحقاد والأضغان

---

١٠٣ – الفرقان/٧٤.
١٠٤ – آل عمران/١٩١.
١٠٥ – الفرقان/٦٥.
١٠٦ – غافر / ٨.
١٠٧ – آل عمران / ٥٣.
١٠٨ – الإنفطار/١٣.
١٠٩ – آل عمران/١٩٣.
١١٠ – الأعراف/١٢٦.

والعداوات، فهم يطلبون تطهير هذا المركز من كلّ رجس كما تصرح الآية؛ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا [١١١] ﴾.

٦. **نفي سلطة الكفر:** ما جعل الله سبيلاً لحكومة الكفر على أصحاب الإيمان، وإنّه جعل الولاية له ولرسوله وللمؤمنين، وبناءاً على هذا القانون يرجوا أهل الإيمان ألا يكونهوا ضحية للكافرين، ويتجلّى هذا الأمر في كلامهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا [١١٢] ﴾.

٧. **الصبر:** الصبر والإيمان توأمان كما صرحت بذلك الأخبار عن العترة الأطهار، فالمؤمن المجاهد في سبيل الله بأمس الحاجة إلى الصبر حتى يستقيم في الطريق ويقاوم الظملم والشرك، ويستمر في نشر التوحيد، ويحتاج في هذا المجال إلى افراغ الصبر عليه كما يفرغ الماء من الاناء، فالمؤمن ومن يستعين بالله قائلاً: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [١١٣] ﴾.

٨. **النصر والفتح:** كل مؤمن مجاهد عامل في سوح الإيمان بعد التوكل على الله يتمنّى من السماء النصر على الأعداء ويرجو الفتح القريب المظفّر من الله حيث يقول: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [١١٤] ﴾.

٩. **عدم العقاب في حالتي النسيان والخطأ:** المؤمن ليس بمعصوم والشيطان ليس بمأمون فهو المترصد له في زوايا الحياة ينتظر الغفلة والنسيان من الإنسان حتى يغويه ويضلّه، فالمؤمن يطلب من الربّ القدير أن يتجاوز عن نسيانه وخطائه الصادر منه بلا عمد حيث يقول: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا [١١٥] ﴾.

١٠. **ردّ ما لا يطاق:** ان الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها، ولكن حينما يعصي الإنسان فينتقم الربّ منه ويُحرمه من الطيبات ويحمّله ما لا طاقة له عقاباً له، فالمؤمنون يرجون من الله ان لا يحمّلهم ا لا طاقة لهم عقاباً على أعمالهم بل يقولون: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا [١١٦] ﴾.

١١. **حسنة الدنيا والآخرة:** روي عن النبيﷺ انّه قال: [**من أوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وأخراه، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووُقي عذاب النار**[١١٧]].

---

١١١ – الحشر/ ١٠.
١١٢ – الممتحنة / ١٥.
١١٣ – الأعراف/١٢٦.
١١٤ – الأعراف/٨٩.
١١٥ – البقرة / ٢٨٦.
١١٦ – البقرة / ٢٨٦.
١١٧ – الطبرسي – مجمع البيان ج١: ٢٩٨.

جاء هذا الحديث في ذيل تفسير قوله٩ تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [١١٨] ﴾

دعاء الإبن:

من أحد وظائف الأبناء هو الدعاء للوالدين حين الحياة أو الممات كما قال الرسولﷺ **برّهما حيّين أو ميّتين**، ويطلب الأبناء لهما الرحمة والغفران من الله تعالى، كما يعلّمنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** [١١٩] ﴾.

أدعية الناس:

الناس بصورة عامة ينظرون بمنظار ضيق على ما هو كائن حولهم فهم يشعرون باللذة الموقتة، والأرباح الطائلة والمنافع الآنية فهم يلمسون ظواهر الأشياء بشكل جيّد، فيظنون ان السعادة محيطة بهم وانْ أصابهم شرّ يحسبون أنّ القيامة قد قامت، وأنّ البلاء لاشك نازل عليهم، فطائفة من الناس في هذه الحالة لا يهدءون لحظة عن الدعاء بل يدعون ربّهم ماشين أو جالسين أو قائمين، بل يدعونه ليلاً ونهاراً فهم في الشدة يعرفون الله حقّ معرفته ولهذا عبّر عنهم القرآن الكريم قائلاً: ﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ** [١٢٠] ﴾، أي انّه يطيل في دعائه لربّه، وطائفة من الناس في هذه الحالة سيكونون آيسين من رحمة الله كما يُعبر عنهم القرآن قائلاً: ﴿ **وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ** [١٢١] ﴾، وطائفة ثالثة في مثل هذه الحالة يستسلمون لربّ العالمين مادام البلاء قائماً والخوف باقياً والضرر جليّا، فإذا ذهب عنهم الخوف والضرر عادوا على ماكنوا عليه من قبل، فقد ذمّ الله هذه الفرقة قائلاً: ﴿ **دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** [١٢٢] ﴾، أو كما يقول الله عنهم في موضع آخر: ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ** [١٢٣] ﴾، فهذا يدلّ على أن الإنسان يبطر ويطغى ويستغني عن ربّه زمن الرخاء، وفي الشدة والحاجةً يلتجأ إليه. وهناك طائفة رابعة أثنى الله عليهم لأنهم يتجهون نحوه في حالتيْ الشدة والرخاء واليسر والعسر يدعون ربّهم رغبة في ثوابه (الجنة) وخوفاً من عقابه (النار)، لأنّهم أيقنوا أنّ ربّهم ذو عقاب شديد وذو رحمة واسعة ويشير البارئ إلى هذه الحالة بين الناس قائلاً: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** [١٢٤] ﴾.

١١٨- البقرة/٢٠١

١١٩- الإسراء/٢٤.

١٢٠- فصلت/٥١.

١٢١- فصلت/٤٩.

١٢٢- يونس/٢٢.

١٢٣- يوسف / ١٢.

١٢٤- الأنبياء/٩٠.

المبحث الثالث: أدعية المنحرفين

أدعية أصحاب النار:

المتدبر في القرآن يرى أدعية أهل النار تتجلّى في الأماني والاعتراف بالذنوب، فما أصبرهم على النار، ولات حين مندم، وإليك أمانيهم:

١- **الخروج من النار:** يتمنّى أصحاب النار الخروج منها وهم مستعدون لدفع الضمان [الاعتراف بالذنوب] حيث تشير الآية إلى هذا المعنى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ [١٢٥] ﴾

٢- **العودة إلى الدنيا:** إن العصاة المردة يتمنونَ الرجعة إلى الدنيا حتى يُسدّوا العجز والنقصان ويعملون صالحاً بعد ما رأوا العذاب الأليم وذاقوا طعم المرّ الشديد، ويحدّثنا الله تعالى عنهم قائلاً: ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ [١٢٦] ﴾، فيكون الجواب رادعاً لهم بـ(كلا) وليس لهم مفراً من عقاب الله وعذابه.

٣- **كشف العذاب:** الظاهر من الآيات القرآنية أنّ العذاب في الآخرة لهو أشدّ من الدنيا، حيث يشير الله تعالى إلى ذلك أنّ لهم ثياب قُطعت من النار ويسقون الماء الحميم...

فأصحاب النار يتمنّون زوال العذاب كما كانت الحالة في الدنيا، بل فاتهم أنّ العذاب في الآخرة باق ما بقى الله سبحانه حيث الخلود والبقاء الأبدي، لذا نراهم يطلبون من الله قائلين: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ [١٢٧] ﴾ كلا والف كلا.

٤- **ضعف العذاب:** أصحاب النار يرجون العذاب الضعف لكبرائهم والمسؤولون عن أضلالهم حيث يقولون: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ [١٢٨] ﴾ وجاء في موضع آخر: ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا [١٢٩] ﴾، وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ [١٣٠] ﴾ وأخيراً يتمنى أصحاب النار سحق رؤوسهم قاداتهم بالأقدام كما يقول الله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا [١٣١] ﴾ واختم كلامي هنا بقول الشاعر:

مـا كلّ ما تمناه المرء يدركه تجـري الرياح بما لا تشتهي السفن

١٢٥- المؤمنون/١٠٧.
١٢٦- السجدة/١٢.
١٢٧- الدخان/١٢
١٢٨- الأعراف / ٣٨.
١٢٩- الأحزاب/٦٨.
١٣٠- ص/٦١.
١٣١- فصلت / ٢٩.

الاعتراف بالذنوب:

لن ينكر أحدٌ (كان من كان) ذنبه يوم القيامة، فالكلّ آخذ كتابه أمّا بيمينه أو بشماله، وما أصعب شيئاً على الإنسان أنْ يأخذ كتابه بشماله فسوف يحاسب عسيراً ويصلى سعيرً وذلك بعد ما يعترف بجرائمه وذنوبه حيث يقولون: ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ [١٣٢] ﴾ وفي موضع آخر يقول ربّ العزة والعظمة: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ [١٣٣] ﴾، ففيها اعتراف ضمني لذنوبهم، أو تراهم يقولون: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا [١٣٤] ﴾، ويرى أصحاب النار أن أضلالهم من قبل كُبرائهم ورؤسائهم حيث يقولون معترفين: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا [١٣٥] ﴾.

طلب الكفار والمنافقين: فالطائفة الأولى ليس في دعائهم إلاّ الضلال والظلام والتيه في الأوهام والخيال كما قال العلام: ﴿ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ [١٣٦] ﴾، وأما الطائفة الثانية، تتمنى المستحيل وما هو إلاّ من الأوهام حيث يقول العزيز: ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ [١٣٧] ﴾ أو انظر إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ [١٣٨] ﴾، فلما تيقن الموت تمنى المحال والرجوع إلى الدنيا، فالتأخير في الأجل القريب والصدقة على الفقراء والمساكين والإخلاص في العمل والرجعة إلى الدنيا ما هي إلا أماني المنافقين وهي من المستحيل.

طلبات للشيطان الرجيم:

واعلم أنّ الشيطان طامع في رحمة الله غير آيس منه وله طلبان الأول: الانتظار إلى يوم القيامة حيث قال تعالى: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [١٣٩] ﴾، فاعطاه الله ذلك ثواباً لعباداته قبل الطرد، فهو حيّ حتى تقوم الساعة فالحذر الحذر منه لأنّه صاحب أنصار واتباع وجنود من الجنّ والأنس ويدعوهم إلى النار كما يقول الجبار: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [١٤٠] ﴾.

---

١٣٢ – الصافات/٣١.
١٣٣ – فاطر / ٣٧.
١٣٤ – غافر / ١١.
١٣٥ – الأحزاب/٦٧.
١٣٦ – غافر/٥٠.
١٣٧ – المنافقون/١٠.
١٣٨ – المؤمنون/٩٩.
١٣٩ – ص/٧٩.
١٤٠ – فاطر/٦.

والطلب الثاني، تهديد الإنسان، وهو له بالمرصاد، يتحيّن الفرص للانقضاض على البشر حتى يغويه ويضلّه عن الصراط، كما يقول الربّ عنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ[141]﴾، فستجير بالله العظيم من كيد الشيطان الرجيم.

المصادر:

١- القرآن الكريم.
٢- الراغب الاصبهاني، حسين، محاضرات الأدباء،
٣- الزمخشري، جار الله، الكشاف، بيروت مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١٦هـ.
٤- الطرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، بيروت – دار احياء التراث العربي، ١٣٧٩هـ.
٥- عبد الباقي، محمد فؤاد – المعجم المفهرس – القاهرة، دار الكتب المصرية – ١٣٦٤هـ.

١٤١ – الحجر / ٣٩.

الصورة الفنيّة في شعر الكُميت بن زيد الأسديّ

الدكتور عباس عبيد السّاعديّ

الصورة الفنيّة في شعر الكميت بن زيد الأسديّ

الدكتور عباس عبيد السّاعديّ

شيء من سيرته

الكُميت بن زيد، من بني أسد، ينتهي نسبه إلى مُضر بن نزار [١]، من شعراء الكوفة المقدمين في عصره، يُعَدُّ من أشهر شعراء القرن الأوّل الهجري، أما سنة مولده قد أشار لها الأصفهانيّ في سفره ((ولد الكُميت مقتل الحسين بن علي سنة ستين ومات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد)) [٢]، نشأ الكُميت في الكوفة، وتزوج من امرأة تدعى (حبى بنت نكيف بن عبد الواحد)[٣]، وقد أشتهر بتشيعه لبني هاشم.

قال صاحب الأغاني((شاعر، مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنها المتعصبين، ومن العلماء بالمثالب المفاخرين بها، كان في أيام بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية، وكان معروفا بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك)) [٤]، وعد من فقهاء الشيعة[٥]، وأشار الجاحظ إلى موهبته الخطابية ((ومن الخطباء الشعراء الكُميت بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل))[٦]، اتخذ الكُميت في مستهل حياته مهنة التعليم، إلاّ أنَّه لم يرتزق منها[٧]، أما من الناحية اللغويّة، فقد أثبت مقدرةً تحدث عنها معاصروه وبخاصة رؤبة بن العجاج [٨]، كما قال عنه عبده النساب: ((ما عرف النساب أنساب العرب علي حقيقته حتى قال الكُميت النزاريات، فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها)) [٩]، عاصر في الكوفة شعراء كبار وكانت بينه وبينهم صداقات ومعارضات[١٠].

كانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة في نهاية حكم الخليفة مروان بن محمد، وقد طعن في حضرته بسيوف حراسه المتعصبين لخالد القسري الذي عزل عن حكم العراق بعد أنْ مدح يوسف بن عمر [١١].

ثقافته

في بادئ ذي بدء، السؤال الذي يطرح نفسه هنا من أين استقى الكُميت مصادره لبناء تجربته الفنيّة، لقد أتضح أنّ ثقافته الشّعريّة تتأتى من ثلاثة مصادر، وهي عصر ما قبل الإسلام، بمقدرته اللغويّة والشعريّة، والإسلام بما يحمل من قيمٍ وتقاليد جديدة، وتقاطع الحياة الأمويّة بميادينها المختلفة، فالصورة الفنيّة عند الكُميت أفادت من كلّ ذلك، معتمدة التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وكذلك الجناس والطباق والمقابلة وسائل فنيّة أخرى لبنائها مبتعدة عن التكلف والتصنع من خلال وسائل طبيعية متأثرة بالسرد القرآني الجميل، فشعر الكُميت يتسم بالوضوح والواقعية. فالصورة الشعريّة حظيت باهتمام الشاعر لأنّها ((أداة أساسيّة.. في تشكيل رؤيته الشعريّة تشكيلاً فنيّاً، والإيحاء بالأبعاد الفنيّة لهذه الرؤية)) [١٢].

معنى الصورة

لعلَّ من أهم الوسائل التي لجأ إليها الشاعر في عصر ما قبل الإسلام الصورة، لتحقيق مراميه في بناء وصف يشد المتلقي لما يطرح من أفكار، وعند قراءتنا لشعر عصر ما قبل الإسلام تطالعنا تلك الصورة الأثيرة في أذهان الشعراء عند بناء قصائدهم ؛ ألاّ وهي صورة ذلك الصراع الدموي بين ثور الوحش وكلاب الصيد المطاردة، وكذلك صورة الناقة والحصان، ووفق تلك الرؤية لا نعتقد أنَّ الشاعر في عصر ما قبل الإسلام سعى فقط إلى إشاعة مقدرته الشعرية في بناء القصيدة لتطمئن نفسه التواقة بكبرياء الفخر وسط أبناء قبيلته الباحثين عن رمز شعري لهم بين القبائل، بل عمل وبكل مضان لأجل أنْ يعبر من خلالها عن ديمومة حياته، عن صورة الصراع من أجل البقاء وطبيعته ومنهج تلك الحياة.وعلى الرغم من كثرة ورود هذه الصورة في شعر عصر ما قبل الإسلام وكأنها الموضوع الأثير لديهم تعبير عن صور حياتهم ألاَ أنَّها جاءت متعددة ومختلفة في البناء بين شاعر وآخر، وقد أمتد هذا التصور إلى شعراء الصدر الأول من عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، ولعلّ مرّد ذلك لقرب الفترة الزمنية وتداخلها والمقاربة بين طبيعة المرحلتين من حيث العقليّة الإسلاميّة لم تزل تحمل إرثاً من الجاهليّة ممّا لم تجد فيه غضاضة وتناقض مع الفكر الإسلامي الجديد، ألاّ أنّ هذا لا يعني أنّ الإسلام لم يتخذ موقفاً من الصورة، فقد وقف محارباً لها لاعتبارات تتعلق بمراسيم الجاهلية في عبادتها من تماثيل وأصنام ورسوم، بُغية إجتثاث تلك التصورات من ذهنية الإنسان العربيّ الذي آمن حديثاً، حارب الإسلام عمق دلالات تلك الرسوم مما انعكس على الشكل الفني لها وأخذ التقرب من ذلك يخيف علماء الإسلام فتجنبوا الخوض في ذلك الصراع مراعاة للنظرة الإسلاميّة في تأويل الرؤية للموروث الجاهلي وما يحمل بين طياته من غبارٍ الوثنية وعبادة الأصنام وهو في حقيقته صراع بين معتقدين ؛ فقد أورد الدارمي في سنن الدارمي حديثاً عن عليعليه السلام عن النبيّصلى الله عليه وآله، أنّه قال: ((إنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، ولا صورة، ولا جنب)) [١٣]، والمقصود بالصورة هنا أولئك الذين يقومون بتصوير أشكال الحيوانات التي كانوا ينهجون عبادتها طريقاً في مراسيمهم فيأخذون برسمها أو تخطيطها على الرغم من حرمة ما يقومون به.[١٤]

على الرغم من الموقف من الصورة في الأدب العربيّ القديم، وما يحيط بذلك التصور من فهم دال على الاختلاف، ألاَّ أنَّ ذلك لا يمكن الآخذ به لسبب مهم وهو أنَّ الشعر قائم على الصورة الشعريّة [١٥]، والشاعر لا يمكن أنْ يُعَدُّ شاعراً إذا لم تكن له مقدرة الخوض في هذا المضمار وليعطي المسوغ على

مقدرته الشعرية وموهبته، ومما يجب الانتباه له أنَّ استعمال الصورة من قبل الشعراء يختلف من شاعر إلى آخر، ومردّ ذلك إلى عوامل منها، مقدرة الشاعر اللغويّة، وقوة معجمه اللغوي، وكيفية استعماله، وتطويع اللغة بغية تصوير المعنى الذي يسعى إلى إيصاله إلى المتلقي.

والجانب الثاني والمهم في اختلاف الشاعر، أسلوبه في التعبير عن عواطفه وأفكاره في إطار يتميز به عن أقرانه من الشعراء.

ومن هنا فقد استعملت الصورة ((للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي، وتطلق، أحياناً، مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات))[١٦]؛ لذلك يعدُّ نجاح الشاعر في المعادلة القائمة بمقدار التلاحم بين ذاتيته والموضوع الذي يسعى للتعبير عنه، وفي ضوء ذلك تتجلى أهمية الصورة، فهي ((ليست زخرفات أو عناصر مضافة إلى الصورة المنطقية العادية وإنما هي صورة تلقائية من صور التعبير))[١٧].

لابد ونحن نخوض في غمار البحث في الصورة الفنيّة في شعر الكُميت بن زيد الأسدي من الوقوف أمام دلالة المصطلح في عقلية الإنسان العربيّ، مما لاشك فيه أنَّ بداية ملامح الصورة في ذهنية الإنسان العربي تجسدت من خلال الرسومات التي تم العثور عليها في كهوفه والتي كانت تعبيراً عن تعامله الحياتي مع مراسيمه كشعيرة يعبر فيها عن رغبته في الأشياء المحيطة به والتفاعل معها[١٨].

من هنا فالصورة لم تكن عالماً غريباً عن ذهنيّة الإنسان العربيّ القديم على الرغم من شحة ما بين أيدينا من نصوص للحقبة التي سبقت الإسلام، ولعلّ في قول عمرو بن العلاء (ت ١٤٥هـ): ((ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير))[١٩]، ما يؤكد ذلك.

الدلالة اللغوية

لقد تطرقت كثير من معاجم اللّغة العربيّة إلى دلالات المعنى اللغوي لمفهوم الصورة عند النقاد العرب القدماء؛ فقد ذكر صاحب تاج العروس: ((الصورة بالضم الشكل)) والهيئة والحقيقة والصفة (ج صُوَر) بضم ففتح ((وصور كعنب))، قال شيخنا وهو قليل كذا ذكره بعضهم. قلت وفي الصحاح والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا البيت على هذه اللّغة يصف الجواري:

أشبهن من بقر الخلصاء أعينها ... وهن أحسن من صيرنها صورا

(وصور) بضم فسكون (والصير كالكيس الحسنها)

قاله الفراء قال يقال رجل صير شير أي حسن الصورة والشارة (وقد صوّره) صورة حسنه(فتصور) تشكل ((وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة)) ومنه الحديث أتاني الليلة ربي في أحسن صورة.

قال ابن الأثير الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا أي صفته فيكون المراد بما جاء في الحديث أنّه أتاه في أحسن صفة وجوز أنْ يعود المعنى إلى النبيّ ﷺ أتاني ربيّ وأنا في أحسن صورة وتجري معاني الصورة كلها عليه أنْ شئت ؟ظاهرها أو هيئتها وصفتها[٢٠]وجاء في القاموس المحيط: ((الصُّورَةُ)) بالضم: الشَّكْلُ ج صُوَرٌ، وَصِوَرٌ كعنب، والصَّيِّرُ، - كالكَيِّس - : الحسنها. وقد صَوَّرَه. فَتَصَوَّرَ. وتُسْتَعْمَلُ الصورة بمعنى النَّوْعِ والصِّفَةِ))[٢١]

وابن منظور في لسان العرب ((مادة صير)) ، قال الأزهري: ((ورجل صير شير أي حسن الصورة والشارة))[٢٢]

ومن هنا فمادة الصاد والعين الجوفاء والراء تحمل في رحمها الفعل الّذي تأصل منه مفهوم الصورة فهو يظهر بشكل ويعبر بشكل آخر.

ومن هذا الأصل يتفرع الفعل الرباعي صير وصور، وقد أتضح أنَّ الفعل صير معناه لملمت الأشياء المتشتتة ومن ثم خلقها على هيئة جديدة متلاحمة تعبير عن مكنون جديد.

أمَّا ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في مقاييس اللّغة فيقول: ((الصاد والواو والراء كلمات كثيرة، متباينة الأصول وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق ... ثم يضيف ... ومما ينقاس منه ..... من ذلك، الصُّورة صورة كلّ مخلوق، والجمع صُور، وهي هيئةُ خِلْقه، والله تعالى الباري المصور، ويقال: رجل صَيِّرٌ إذا كان جميل الصورة))[٢٣]، بينما ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) فيما خرج فيه بدلالة أنّ الفعل صوّر يحمل دلالة يمكن الركون إليها كمعين للفظة الصورة، بمعناها الشكلي إذ يقول: ((الجمع صُور وصِوَر وأنشد .... وهُنَّ أحسنُ من صِيرانها صِوَرا ... وصُور كصُوفة وصُوف وعليه وجه قوله تعالى فإذا نُفِخَ في الصُّور وقد صوَّرته فتصوَّر))[٢٤]

وفي ضوء هذا التصور يتبين أنّ ما خرج به ابن سيده، أنَّ اللفظة توحي بظاهر الشيء دون باطنه.

وبعد بيان دلالة المصطلح لغوياً لابدَّ من تحديد الإطار، إطار الصورة الفنيّة في النقد العربي القديم من خلال منهجهم البلاغي، والذي يُعدّ ميدان دراسة الصورة الفنيّة بمفهومها الحديث، وبغية كشف عمق أبعاد ذلك المدلول وما آل إليه في رسوخ مفهومات في أذهان النقاد القدامى، التي عدّت في نظرهم معايير يتم في ضوئها تقييم النتاج الشعري للشعراء.

ومن هنا فقد انحاز النقد العربي القديم إلى ضرورة التفريق بين مفهومين أساسيين وهما الحقيقة والمجاز.

فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة[٢٥]، أمّا المجاز كان في نظرهم: هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع[٢٦].

أمّا الكناية والتي تعدُّ من أساليب التعبير غير المباشر فقد عرفها: ((كلُّ لفظ دلَّ على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز يوصف جامع بين الحقيقة والمجاز))[٢٧] ولعل عدم التعقيد جلّيٌّ في استعمال تلك المفهومات، إلاّ أنَّ الدراسات اللاحقة التي توسعت بشكل أضفى عليها صبغة التعقيد وبخاصة عند المتأخرين من النقاد، كما يتضح من خلال التعريفات أيضا، أنه لم يتبادر إلى ذهنية الأوائل من النقاد الصورة التي شابتها بل بالعكس كانت أغلب رؤاهم تصب في خانة ((أنْ يروا الأشياء غير حقيقية تنافس ما نرى في الحياة ومانعهده في عالم الواقع))[٢٨].

الصورة في النقد القديم

لعلّ الكميت لم يخرج عن منهج شعراء ما قبل الإسلام في الاهتمام ببناء القصيدة وفق منهجية العناية باللّغة والبحث عن اللفظ المتين المسبوك من دون أنْ يولي الصورة عناية كبيرة، فقد شغف سلفه من شعراء ما قبل الإسلام وصدره بالعناية بالمعاني، لذا تلبس الشاعر دور الخطيب المفوه الّذي يسعى إلى شدّ جمهوره[٢٩] استجابة لطبيعة السفر الذي عاشه.

ومن هنا لم يخرج الشاعر عن الأسس النقدية الّتي تعارف عليها النقاد العرب القدماء، ولعلّ القاضي الجرجاني (ت٣٦٦ هـ) في توصيفه للمعيار النقدي الّذي أخذ به النقاد الشعراء وكيفية إصدار أحكامهم، ما يمكن أنْ يعول عليه في بيان عدم خروج الكميت عن تلك المنهجية التي حددها صاحب الوساطة في أنّ المفاضلة بين الشعراء تبنى على: ((شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتُسلّم السَّبْق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر لمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحِفل بالإبداع والاستعارة)) [٣٠]

وممّا يؤيد ما ذهب إليه القاضي الجرجاني، ابن رشيق ((ت ٣٩٠هـ)) حيث يؤكد في سِفْره (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) عدم اهتمام النقاد العرب القدامى بالجوانب البيانية قدر عنايتهم بالمعنى وصحته وجزالة اللفظ والإصابة في الوصف ((والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض))[٣١]

والمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح يبرز بشكل جلّي وقوف النقاد العرب عند التشبيه وتأكيدهم على أهمية الوضوح في المعنى والابتعاد عن الغموض، إذ يقول ((ينبغي للشاعر أنْ يتجنب الإشارات البعيدة، والحكايات الغلقة والإيماء المشكل ويتعمد ما خالف ذلك، ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة، ولا يبعد عنها، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها))[٣٢]

ولعلّ في قول صاحب الصناعتين (ت ٣٩٥هـ)، تأكيد على أهمية الاستعارة عند النقاد العرب القدماء، فالاستعارة في نظرهم يجب إبرازها في صور توضح المعنى أو إبانته أو تأكيده أو المبالغة فيه كما يجب الإشارة إليه بقليل من اللفظ ؛ فالشاعر في نظرهم حينما يلجأ للاستعارة إنما لـ((شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الّذي يبرز فيه ؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ؛ ولو أنّض الاستعارة المصيبة تتضمّن ما لا تتضمنه الحقيقة ؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منا استعمالاً))[٣٣]

وهكذا يتضح كيف نظر أبو هلال العسكري لأهمية اللفظ في بناء الصورة ودوران البلاغة حول هذا المفهوم بدلالته الاصطلاحية ؛ فيقول: ((إنا جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرط في البلاغة، لأنَّ الكلام إذا كانت عبارته رثه ومعرضه خلقاً لم يسم بليغاً، وإن كان مفهوم المعنى))[٣٤]

ومن هنا فالنظرية النقدية للقدماء إنْ صح التعبير ترى الصورة قد ولدت في رحم اللفظ والمعنى، وهي مسألة خلافية ولاشك، فقد جعل القدامى ((الجانب اللفظي في الكلام هو صورته، فالصورة هي ما يقابل المعنى، واليها ترجع المزية في صناعة الشعر))[٣٥]

موضوعات الصورة:

المديح

يُعَدُّ المديح من الأغراض المهمة في الشعر العربيّ، فالعرب قد تعودوا منذ أيام جاهليتهم على الأخذ بالمفاخرة في أشعارهم متحدثين عن قيم توارثوها من جود وفروسية ووفاء وحلم، وحينما غطى الإسلام بخيمته العرب مضى الشعراء يغترفون من ماضيهم تلك القيم النبيلة ومما لا يتعارض مع ما جاء به الإسلام، وقد أخذ الشعراء في عصورهم اللاحقة بمديح الخلفاء، وعلية القوم، وقد التفوا حولهم وأصبح لكلٍ واحد منهم ممدوح، ومما لاشك فيه أنَّ هؤلاء الشعراء قد أجادوا فن المديح وتلقوا جوائز

سنية واهتم بهم الولاة ؛ لأنَّهم كانوا أيضاً معياراً لكرم الممدوح وعلو شأنه)[٣٦] إلاّ أنَّ الكُميت اتخذ له منهجاً نأى فيه عن بناء القصيدة المد حية، أسلوباً ومعنى، ولكن هذا لا يعني أنّ ألفاظه لم تدر أحيانا حول تلك المفردات التي تداولها الشعراء سواء من الذين سبقوه أم ممن عاصروه، ولعلّ لابتعاده أثرٌ في عواطف المتلقين والتسلل إلى أفئدتهم وإيقاد أحاسيسهم وهذا ما سعى إليه، وقد التزم الكُميت منهجه هذا في مديح آل البيت عليهم السلام ولم نره كما وجدنا كثيراً من شعراء المديح ممن تحولوا عن ممدوحيهم يكيلون لهم السباب في حال عدم وصول عطاياهم، فلم يتقلب في مدحه ولعلّه ظاهرة يجب أنْ يلتفت إليها عمن أصدق الحب والولاء لممدوحيه، فأهم ما إنمازت به قصائده المد حيّة خلوها من الإسراف والمغالاة في بناء الصورة التي تجسد مناقب ممدوحيه وأخلاقهم وأعمالهم.

وتتأتى قيمتها لعاملين أولهما: أهميتها التاريخيّة في توصيف مرحلة مهمة من التاريخ الإسلامي عند النشأة والصراع الفكري الذي كان قائماً في حينه، وثانيهما: قيمتها الفنيّة من وجهة نظر النقاد.

إنماز مديح الكُميت بالاعتدال، نراه يقف على مساحة شاسعة عن الغلو والإسراف، ولعلّه يقف قريباً من مدائح الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى، وأنْ اختلفا في بناء الصورة في عرض فضائل ممدوحيهم وكيف رأى كلّ من الشاعرين نفسه في الصورة نفسها، فمديح الكُميت عبارة عن ملحمة يصور فيها القيم العليا لآل البيت عليهم السلام، الرجولية والإنسانية والكرم الفياض. ولعلنا لا نذهب بعيداً في الظن إذا قلنا إنّ مديحه لآل البيت عليهم السلام صورة واقعية تجسد دورهم التاريخي في تماسك الأمة بالقيم التي نادى بها النبي الكريم صلى الله عليه وآله

ومهما يكن من شيء، فقد كان لطبيعة حياته، ومنهجه الفكري، أثراً في بناء قصائد مد حيّة جاءت في بني أميّة، إلاّ أنّها لا تسمو للعفة والصدق مع النفس في بنائها عندما مدح آل البيت عليهم السلام .

فلم يكن تقليديا ؛ لأنّ الغرض الذي نذر نفسه له يختلف عن غرض الشعراء الآخرين الذين مدحوا آل البيت عليهم السلام، ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّه من أوائل المعارضين في بناء الصورة بل حتى أنّه خالف شعراء الجاهلية ومخضرمي الدولة الأمويّة في القصيدة المد حيّة، فهو لم يصدر مدائحه في آل البيت عليهم السلام بالوقوف على الدارس من الديار على الرغم من أنَّه قريب من تلك الحقبة، ((فأنّ قصيدة المديح لم تعد تجري على النمط القديم أو الأسلوب القديم، لأنّ الحياة اختلفت وانتقل العرب إلى أقاليم جديدة، وأسّسوا دولة دينيّة، تعتنق مثاليّة جديدة))[٣٧] فقد حرص الشاعر على أنْ يضفي على صورة ممدوحيه الكمال الإنسانيّ متمثلاً بخصال الجود والعدل، والفضل، والمروءة، والنقاء والطهر وعلو شرفهم بين الناس، إلاّ أنَّه نأى بشعره بعيداً عن تلك المقدمات التي غدت منهجية بناء القصيدة حتى في عصره، فلم يعمل الشاعر مقدمات قصائده لرضاء رغبات المتلقين ممن كانوا مولعين بالقديم، بل وضع المتلقي في دائرة السؤال، سؤال العارف على أقل تقدير بالنسبة له، انمازت قصائده المد حية وبخاصة في آل البيت عليهم السلام، بتلك المقدمات الطللية المشهورة التي أشرنا لها فيما سبق، وكأنَّه أراد بذلك أنْ يؤسس لرؤية جديدة في بناء القصيدة العربيّة في عدم مجاراة الشعراء وبتحدٍ على أنَّهم لا يستطيعون أنْ يجاروه في هذا المديح، إلاّ أنَّ هذا لا يعني أنَّ الشاعر لم يعضد تجربته من ذلك المعين الذي لا ينضب في بناء الصورة، لكنه تخلص من التقليدية على الرغم من استعارته من الأدب القديم فجاءت صوره تحمل من الأصالة ما يمنحها حبَّ المتلقي والالتصاق والاعتراف بجهد الشاعر في بناء الصورة الشعريّة، وهذا التجديد في قصيدة المديح عنده هو تعبير عن خيوط الحياة الجديدة التي بدأت تنسل إلى حياة العرب،

على الرغم من أنهَّ كان شاعراً محافظاً من حيث اللغة وصل حد اتهامه بالإغراق في البحث عن الغريب [٣٨] يقول مادحاً آل البيت عليهم السلام :

طَرِبْتُ وما شَوْقًا إلى البِيْضِ أَطْرَبُ ... وَلَا لَعِباً منّي أذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
ولم يُلهِني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ... ولم يَتَطَرَّبني بَنانٌ مُخَضَّبُ
ولاَ أنا ممَّن يزْجرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ ... أصاحَ غُرابٌ أم تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ
ولا السَّانِحَاتُ البارحاتُ عشيَّةً ... أمرَّ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعضبُ
ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنُّهى ... وخيرِ بني حواءَ والخيرُ يطلبُ
إلى النَّفرِ البيضِ الذين بِحُبِّهم ... إلى الله فيما نابني أتقربُ
بني هاشمٍ رهطِ النبيِّ فإنني ... بهم ولهم أرضٍ مِراراً وأغضبُ
خَفَضتُ لهُم منّي جناحي مودةً ... إلى كنفٍ عِطفاهُ أهلٌ ومرحبُ [٣٩]

يرسم الشاعر في قصيدته صورة مغايرة لما رسم الشعراء ممن سبقوه أو عاصروه في هذا المضمار، ابتداءً بالمقدمة، لم يستعمل تلك الألفاظ، التي ألف استعمالها شعراء الجاهليّة وصدر الإسلام حتى الأموي منهم، فيبدأ برفض تلك الصور في بضعة أبيات لا تتعدى في الغالب البيتين أو ثلاثة، بعدما شد المتلقي في دعوته وتساؤله، ولكن السؤال المهم هنا، ما الدافع وراء دعوة الكُميت النافرة هذه، عند تتبع القصيدة ندرك أنْ هناك جواً نفسياً بين طلليّة القصيدة وبنائها العام، فإلحاحه على ثيمة محددة وهي عدم الطرب للحسان، البيض، ينتقل بعده إلى بيان صوره التي يتألق فيها آل البيت عليهم السلام ، مختلطا بحبه ووفائه لهم، وقد جسد ذلك عند وفاته حيث ظل يردد وهو على فراش الموت ((اللهم آل محمد اللهم آل محمد اللهم آل محمد)) [٤٠]

فالملاحظ على بناء الصورة الشعريّة غلبت الإثارة، إثارة المتلقي، ملمحاً إلى بعض ما يجول في خاطره من جراء هذا الطرب، إلّا أنّه وبُغية أنْ يظل المتلقي مشدوداً، يؤجل بيانه في الوقت نفسه يوحي له بأنّه لم يطرب لبنان مخضب ولا مشعب الحبِّ أو ذكريات مرت في وقوفه على الأطلال، تتألق الصورة الفنيّة عندما يبدأ الشاعر، باستعمال تشبيهاته ومجازاته وبديعه، وقد جاءت كلها بطريقة واقعية غير متطفلة في بناء الصورة الفنيّة.

الهجاء

من الأغراض المهمة في بناء الصورة عند الكُميت الهجاء، ولم يخرج الشاعر فيه عن منهجه الذي اختطه في بناء القصيدة ، فدارس شعره يدرك جيداً، أنَّ الشاعر لم يكن فاحش القول بل كان ينطلق من قيم أخلاقية تحرم على الإنسان الإساءة للآخرين ؛ فلم يتخذ من الهجاء وسيلة للإساءة أو للتكسب لأجل تخويف الآخرين وابتزازهم، ولكنه وقف بصلابة يعري في صوره الهجائية أولئك الذين أساؤا إلى محبيه من آل البيت عليهم السلام حتى أولئك الذين تعرضوا إلى عشيرته بني أسد ، إذ يقول:

وكنتُ لهُم من هؤلاكَ وهؤلا ... مجنّاً علَى أنّي أُذَمُّ وأُقْصبُ
وأرمي وأرمي بالعداوةِ أهلَها ... وإنّي لأوذي فيهُم وأُؤنَّبُ
فَمَا ساءَ نِي قولُ امرىءٍ ذي عداوةٍ ... بعوراء فيهِم يجتديني فيجدبُ

فقُــلْ للــذي في ظــلِّ عميــاءَ جونــةٍ يرى الجورَ عدلاً أينَ لا أينَ تلهب (٤١)

استمد الشاعر صوره من ذلك الصراع الذي ألفه في عصره بين من منحهم حبه وبين معارضيهم من الخوارج الحروريّة وفرقة المرجئة، لذلك هو يعاديهم ويشتمهم ويعيب عليهم موقفهم هذا المعارض والمتخاذل في آن معاً من تلك الفرقتين اللتين عملتا على إيذاء ممدو حيه؛ فهو حرب عليهم، وفي الوقت نفسه هو مشروع تضحية لآل البيت عليهم السلام.

ففي الوقت الذي يظهر في صورته قوة موضوعه مبرزاً مآثر آل البيت عليهم السلام الذين يفاخر بحبهم، ويصم المهجو بالجهالة، في صورة توحي بفاعليتها الوصفيّة لابتعاد المهجو عن طريق الرشاد.

وخصومه حينما يهجوهم لا يمنحهم حتى فرصة الرد على هذا الهجاء، فيأتي بصور تحمل دلالات تتعلق بشخوص يضمر لها بنو أمية الحبّ بينما يغمز من خلالها إلى شخص المهجو ويضعه في حيرة من أمره، مما جعل من ابنه المستهل يتساءل عن أسلوبه هذا حينما هجا الشاعر حكيم بن عياش الكلبي عُرف بشدة هجائه للإمام علي بن أبي طالب وآل بيته عليهم السلام، فما كان من الشاعر إلاّ أنْ يحتال عليه بإثارة القبائل اليمنية ضد المضريّة، ويوغل في إيهام الكلبي حداً يفخر ببني أُميّة، وهذا مثار التساؤل الذي طرحه المستهل، فقال له: ((يابني أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية وهم أعداء علي عليه السلام، فلو ذكرت علياً لترك ذكري وأقبل على هجائه، فأكون قد عرَّضت علياً له، ولا أجد له ناصراً من بني أُميّة، ففخرت عليه ببني أُميّة، وقلت إنْ نقضها عليّ قتلوه، وإنْ أمسك عن ذكرهم قتلته غما وغلبته. فكان كما قال، أمسك الكلبيّ عن جوابه فغلب عليه)). (٤٢)

ألاّ يــا ســلم يــا تربــي أفــي أسمــاء مــن تــرب
ألاّ يــا ســلم حييــتِ ســلي عــني وعــن صــحبي
ألاّ يــا ســلم غنينــا وان هيجتمــا حُبــي
عــلى حادثــة الأيــا م لي نصبا من النصب (٤٣)

عُرف عن الكُميت أنّه نسابه، وقد استعمل ذلك في بناء صورته الهجائيّة، فراح يعيب على قبيلة (جذام) تحولها إلى اليمن ويؤكد عليهم أنّهم أينما ذهبوا فهم معروفون أنّهم من بني أسد ابن خزيمة وأنّ اسمكم جذام والزجر منه الأنجذ وهو الانقطاع. (٤٤)

فإن جذامــاً فارقت إذ تباعــدت بريش أبي دودان معروفة النسل
وكان اسمكم لو يزجر الطير عائف لبينكم طيــراً مبينــة الفــالِ (٤٥)

كما أنكر على قضاعة انتماءها إلى اليمن وراح يبني صوره مستعيناً من الحكاية التاريخية، أنَّ الأعراب تزعم في الهديل أنّه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فمات ضيعة وعطشاً فيقولون أنّه ليس من حمامة إلاّ وهي تبكي عليه، فالشاعر يرى من تحول قبيلة قضاعة إنما هم مثل ذلك الطائر الذي ضاع، يريد أنْ يقول لهم إنّ عدم ثباتهم وولائهم لانتمائهم إنما مصيركم هو الضياع.

فمهـــلاً يـــا قـــضاعة لاتكـــوني كِقـــدح خـــرَّ بـــين يـــدي مُجيـــلِ
فإنـــك والتحـــولَ عـــن معـــد كـــــحالية تـــــزين بـــــالعطولِ
تغـــــايظ بالتعطـــــل جارتيـــــها وبـــــالا حمـــــاء تبـــــدأ والحليـــــلِ
ومـــا مـــن تهـــتفين لـــه لنـــصرٍ باســـرع جابـــة لـــك مـــن هـــديلِ (٤٦)

هذه الصورة توحي للمتلقي مدى حنق الشاعر على قبيلة قضاعة جراء عدم ثباتها وتخليها عن انتمائها، ويظهر ذلك في هجائه جلياً في صورة أخرى هاجياً قبيلة قضاعة مشبهاً إياها بفرخ النعام، فقد اعتمد الشاعر التشبيه وسيلة لهجاء قبيلة قضاعة التي ألت الفراق عن حلفها مع قبيلة الشاعر، أنَّ تلك القبيلة أضحت مثل فرخ النعام من الضعف جراء موقفها هذا وقد جاءت صوره الهجائية أشد إيلاماً وتصويراً لقضاعة لابتعادها عن الجماعة فهي مثل النعامة التي استبدلت أبويها بغيرهم من النعام بعد ذلك الآمان الذي كانوا يوفرونه لهم وأنَّهم كانوا لهم مثل الأم الرؤوم، يوفرون لهم ما يحميهم من حرِ الصيف، ويحمونهم كما تحمي تلك الأم أولادها من الذئاب المفترسة لكنهم ارتضوا أنْ يصيروا رئالاً ويرحلوا ويفرقوا ويأخذون طريقاً غير طريقهم.

كـــأم البـــيض تُلحفـــه غُـــدافا وتفرشـــه مـــن الـــدمث المهيـــلِ
فلمـــا قـــيض عـــن حتَـــك لـــصوق بـــأزعر تحـــت أهـــداب كالخميـــلِ
كـــأنّ القـــيض رعّثـــه بـــودع مـــن التوشـــيح أو قطـــع الوذيـــلِ
أويـــن إلى ملاطفـــة خـــضود لمأكلـــهن طفـــاطف الربـــول
تـــسبع دونهـــن لكـــلِّ وحـــي تعـــرض مـــن ازلَّ لهـــا نـــسول
فلمـــا اســـترألت حـــسبت ســـواء مفارقـــة الرعيـــل إلى الرعيـــلِ
فـــساقطها الفـــراق بكـــل غيـــب خـــواذل بالمقـــد وبالـــمقيـــلِ (٤٧)

الرثاء

ظل موضوع الرثاء أثيراً عند الكُميت، يحض بوساطته المسلمين على الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، يثير فيهم كوامن المروءة والولاء الذي أبدوه في غابر الأيام للدين وأصحابه، ليطلبوا بثأره، وهي ملامح في الوقت نفسه للصراع السياسي القائم ضد بني أُميّة، إذ يقول:

كـــأنَّ حُـــسَيْنَاً والبـــهَالِيْلَ حَوْلَـــهُ لأَسْيَافِـــهِـــم مـــا يَخْتَـــلِي لُمَتَقِـــلِّ
يَخُـضْنَ بِهِـم مـن آل أحْمَـدَ في الـوَغَى دِمَـاً ظَـلَّ مِنْـهُم كالبَهِيْـمِ المُحَجَّـلُ
وغَـابَ نَبِـيُ اللـــهِ عَنْهُـــم وفَقْـــدُهُ علـى النَّـاسِ رُزْءٌ مـا هُنَـاكَ مُجَـلَّلُ
فلَـــمْ أَرَ مَـــخْذولاً أجَـــلَّ مُـــصِيْبَةً وأَوْجَبَ منـه نُصْرَةً حيـن يُخْـذَلُ (٤٨)

لجأ الشاعر إلى تشبيه حال الحسين عليه السلام وأصحابه بالرطب، فقد استحل الأمويون دماءهم كما يستحل آخذ البقل البقل، في ساحة الوغى تدول عليهم الخيل والدماء تسيل منهم وهم في هذا الحدث

الجلل لا يجدون نصيراً ولا معيناً، بل إنّ أعداءهم لم يحفظوا حق النبيّ صلى الله عليه وآله بأبناء بنته، لقد خذلوا الحسين ولم يقاتلوا ويذبوا عنه.

وكما إنماز الكُميت في صوره المدحيّه الصدق اتجاه ممدو حيه من آل البيت عليهم السلام، كذلك احتل بمرثياته البليغة المفعمة بالصدق والوفاء والإخلاص وبخاصة للإمام الحسين بن علي عليهما السلام، فما أنفك دائراً في صوره يلح على تلك الصورة الأثيرة التي جاءت تعبيراً عن حزنه الشديد الصادق، وسنقف معه في هذا الموضوع من شعره لما يحمل من عاطفة صادقة اتجاه الفقيد فخلده في شعره، ولعلّ من الطريف أن شعر الكُميت تخلد جراء اختياره الموضوع الذي تندبه الأمة على امتداد السنين، يقول راثيا الإمام الحسين عليه السلام:

وَقَتِيلٌ بِالطَّفِ غُودِرَ مِنْهُ ... بَيْنَ غَوْغَاءِ أُمَّةٍ وطَغَامِ
تَرْكَبُ الطَّيْرَ كالمَجَاسِدِ منهُ ... مَعَ هَابِ مِنَ التُّرَابِ هِيَامِ
وتُطِيلُ المُرَزَّءَاتُ المَقَالِيـ ... ـتُ عليهِ القعودَ بعدَ القيامِ
يتعَرَّفْنَ حُرَّ وجهٍ عليهِ ... عُقبةُ السَّرْوِ ظَاهِراً والوسامِ
قتلَ الأدعياءُ إذ قتلوهُ ... أكرمَ الشاربينَ صوبَ الغَمامِ (٤٩)

ولعلّ للمكان أهميّة كبيرة في بناء مراثيه، فقد ألح الشاعر عليها كثيراً لبناء صورة الحدث الجلل الذي ألم ببنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعم الحزن في الأرض، الذي قتل عليها الإمام الحسين عليه السلام، ويبدأ بالتعريف به في بناء الصورة، حيث المكان (الطف)، أرض تقع على شاطئ الفرات، وتتجلى بؤرة النص في قوله (غودر)، حيث تخلى عنه مناصروه، يحيط به السفلة من الناس، ويمعن في رثائه الحزين بتصوير ذلك الجسد الطاهر الذي أحاط به أخس الناس، ينهبون ثيابه، وقد تألق في تشبيه الطيور الحائمة كأنها الثياب المصبوغة، وقد انهال عليها الساكن من التراب، ويأخذ من الحكاية الموروثة أنَّ المرأة المقلات إذا طافت بقتيل كريم عاش ولدها، ويذهب بعيداً في صورته الرثائية الحزينة، يصور نسوة آل البيت عليهم السلام يحف بهن الحزن للمصاب الأليم على الوجه المعفر بالتراب، وعلى الرغم من الجو المغبر، إلاّ أنَّ الوسامة بادية عليه، ثم يصب جام غضبه على الدعي عبيد الله بن زياد في اعتماد البديع لبناء صورته الفنيّة في قوله (أكرم الشاربين صوب الغمام) (٥٠).

يفجر الشاعر في مراثيه، حال التفجع والحزن وشدة المصاب بفيض من اللعنات على أولئك الذين لم تستوقفهم حصانة ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله؛ فقد تجاوز الكُميت في رثائه صورة الحزين الصابر المحتسب إلى رثاء غاضب يعبر عن مكنونات نفسية ثائرة؛ فقد جاءت تعبيراً عن عاطفة حزينة صادقة يتلازم معها سخط على قتلتهم.

نَفَى عَنْ عَيْنِكَ الأرقُ الهُجُوعَا ... وَهَمٌّ يَمْتَرِي مِنْهَا الدُّمُوعَا
دَخِيلٌ فِي الفُؤَادِ يَهِيجُ سُقْمَاً ... وَحُزْناً كانَ مِن جَذَلٍ مَنُوعَا
وَتَوْكَافُ الدُّمُوعِ عَلَى اكْتِئَابٍ ... أَحَلَّ الدَّهْرُ مَوْجِعَهُ الضُّلُوعَا
يُرَقْرِقُ أَسْجُماً دِرَراً وَسَكْباً ... يُشَبِّهُ سَحُّها غَرْباً هَمُوعَا
لِفُقْدَانِ الخَضَارِمِ مِن قُرَيشٍ ... وَخَيرِ الشَّافِعِينَ مَعَاً شَفِيعَا (٥١)

وقد انماز هذا الرثاء بالبكائية والحزن الشديد على آل البيت عليهم السلام بتلك القصة الحزينة التي طرد السهاد فيه النوم عن عين الشاعر وأرقه وهو يحتلب الدمع من عينيه، الذي يهيج المرض ويبعد الفرح ويزيد من الاكتئاب، ويعود للدهر ليصب جام غضبه عليه مثل ما فعل القدامى في مراثيهم، وأنّ الدهر قد أنزل مواجعه بين الضلوع تعبيراً عن شدة الحزن.

ويعتمد التشبيه في البيت الثالث مشبهاً دموعه الرقراقة المنسكبة حزناً من عرق في العين تشبه دلو فيه ماء وقد انسكب، لينتهي في أنّ معاً هذا الحزن هو لؤلئك السادة الذين شبههم بالبحر لكثرة عطائهم ومنافعهم للناس.

أنـــواع الصـــورة

الصورة الواقعية:

أراد الكُميت أنْ يأخذ شعره مساراً آخر في التعبير عن حبه وولائه لآل البيت عليهم السلام، من خلال بناء صورة واقعية، تقترب كثيراً من الصورة المثالية التي جاء بها الإسلام، وبخاصة أن الشاعر كان قريب عهد لعصر الرسالة المحمدية والخلافة الراشدة، فضلاً عن أنّ هناك مازال بقية من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله بين ظهرانيهم، الذين استنجدوا في سلوكهم الحياتي القيم الروحية والمثالية للإسلام، وحين نقف أمام قصائده وبخاصة المستهل منه نجده قد اعتمد الصورة الحقيقة معياراً فنّياً متخذاً من ذلك الاستهلال وسيلة للدخول في واقعية الحدث.

من هنا عمل الكُميت في بناء صوره باختصار صفاتٍ تحمل من الواقعية في أذهان المتلقين من محبي آل البيت عليهم السلام.

طَرِبْتُ وما شَوْقًا إلى البيْضِ أَطْرَبُ ... وَلَا لَعِبًا مِنّي أذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
ولم يُلهِني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ... ولم يَتَطَرَّبني بَنانٌ مُخَضَّبُ
ولاَ أنا مِمَّنْ يزجرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ ... أصاحَ غُرابٌ أم تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ
ولا السَّانِحَاتُ البارحاتُ عشيَّةً ... أمرَّ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعضبُ
ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنُّهى ... وخيرِ بني حواءَ والخيرُ يطلبُ(٥٢)

وعلى الخطى نفسها ينهج الشاعر المنهج نفسه في قصيدة أخرى، إذ يقول:

طَربتُ وهلْ بكَ منْ مطربِ ... ولم تتصابَ ولمْ تلعبِ
صبابةَ شوقٍ تهيجُ الحليمَ ... ولاعارَ فيها على الأشيبِ
وما أنتَ إلاّ رسومَ الديارِ ... ولو كنَّ كالخللِ المذهبِ
ولا ظُعنُ الحيِ إذ أدلجتْ ... بواكرُ كالإجلِ والرَّبربِ
ولستَ تصبُّ إلى الظَّاعنينَ ... إذا ما خليلُكَ لم يصببِ
فدعْ ذكرَ منْ لستَ من شأنهِ ... ولا هوَ منْ شأنكَ المنصبِ
وهاتِ الثناءَ لأهلِ الثناءِ ... بأصوبِ قولِكَ فالأصوبِ

بـــني هاشـــم فهـــم الأكرمـــون بـني البـــاذخ الأفـضل الأطيـب [٥٣]

وفي مكان آخر من هاشميا ته، يقول:

مَـــنْ لقلـــبٍ مُتـــيمٍ مُـــستهام غَـــيرِ مـــا صَـــبوةٍ ولا أحـــلامِ
طارقـــــاتٍ ولا إدكـــــارغواني واضـــحاتِ الخـــدودِ كـــالآرام
بـــل هـــوايَ الـــذي أجـــنُّ وأبـــدي لبنِـــي هاشـــمٍ فُـــروعِ الأنـــامِ [٥٤]

لاشك أن الصورة الحقيقة هي أحد أبرز معالم الواقعية ويتضح أنَّ هذا كان ديدنه في بناء الصورة الحقيقة، فمما يلاحظ على النصوص السابقة أنها في الأعم الأغلب يميل فيها الشاعر إلى جلب اهتمام المتلقي وشده كي يتابع الشاعر الذي تقمص لباس الخطيب من دون أنْ يتحول بنصه إلى الخطابة، فيطرح رؤيته بصيغة المجهول كي يمنح المتلقي فرصة الإصغاء والتفاعل معه، وهو يعبر عن طربه إلى البيض من دون التصريح عمن يقف وراء هذا الطرب، فالشاعر لم تشغله الحسان ولا الحنين ولم يمنعه الحب والشباب أو ذكريات الأطلال الدارسة، الذي كان هم معاصريه من الشعراء ممن كانوا ينشغلون بتلك الأمور الحياتية من معيش وتفاءل وشتائم بما جرى العرف عليه بين الشعراء، أخذ بيد المتلقي لتبدو الصورة جلية أمامه، أنّ هذا الذي يتحدث عنه هنا عدم انشغاله بما انشغل فيه غيره مرّده ذلك الهوى الكامن في قلبه لتلك الفضائل العليا التي تتمثل بآل البيت عليهم السلام، وهكذا نجده كيف قارب وجمع بين الحقائق التي يؤمن بها في بناء صوره من خلال اتحادهما ((فالمبدأ الذي ينضم الصورة هو التوافق بين الموضوع والصورة، الصورة تضيء الطريق للموضوع وتساعد على كشفه خطوة خطوة)) [٥٥]

استغل الكُميت الحكاية التاريخيّة في بناء الصورة الحقيقة، والأدب العربي يزخر بالحكايات ولكنه بحث دائما عن تلك الحكايات التي تستطيع أنْ تمنح في ضوء الصورة الحقيقية جمالية البناء الفنيّ لتسلل إلى ذهن المتلقي، ومن تلك الحكايات التي لها ارتباط تأريخي بقيم الأمة المعنوية ومما تفخر به وفاء الشاعر السمؤال لامرئ القيس:

ومـــا كـــان الـــسمؤال في وفـــاء وقـــد بلغـــت حفيظتـــه الخطـــوب
غـــداة ابتـــاع مكرمـــة بـــشكل وقـــد يـــوفي بذمتـــه الكئيـــب
ولا ابـــن محكـــم وأبـــو بجـــير وعجـــب في وفائهمـــا عجـــب [٥٦]

الصورة الانفعالية:

إنّ لتجربة الكُميت الحياتية في تبني موقفاً معارضاً لحكم بني أُميّة أثراً كبيراً في بروز مظاهر الصورة الانفعالية في شعره؛ فحياته الثرية وتفاعله معها، قد ترك أثراً جلياً في بناء تجربته الفنية، وليس بخافٍ على دارسي أدب العصر الأموي مكانته الشعرية وأثره في عصره وقد كان من التجارب التي مر بها ما هو أشد قسوةً وألماً في نفسه، إذ يقول:

فَقُـــلْ لـــبني أُميـــةَ حيـــثُ حَلُّـــوا وإنْ خفـــتَ المُهَنَّـــدَ والقطيعَـــا
ألا أفٍ لـــدهرٍ كنـــتُ فيـــه هِدانـــاً طائعـــاً لـــكم مُطيعَـــاً

أجـــاعَ اللهُ مـــنْ أشـــبعتموهُ وأشـــبعَ مـــنْ بجـــوركمُ أُجيعَـــا
ويَلـــعنُ فَـــذَّ أُمتـــهِ جِهـــاراً إذا سَـــاسَ البريَّـــةَ والخَليْعَـــا (٥٧)

هنا يصور الشاعر مدى الحزن الذي آل إليه والخيبة التي ألمت به ؛ فجاءت صوره ملئ بالانفعال الوجداني، وبخاصة في بيته الثاني الذي حمل من التصوير الانفعالي عمقاً ووضوحاً ثم عمد إلى التكرار في البيت الثالث في مداخلة جدلية في لفظ (أجاع) ونلاحظ فكرة الدفق الانفعالي فيها كرد فعل عنيف لمعاناته من بني أميّة، فقد صور الشاعر الانفعال الذي ألم به تعبيراً عن حالة الوجد المحس ، إدراكاً منه لما آلت إليه حاله تحت وطأة حكم بني أمية ، فضلاً عن شعوره الحاد، امتلك الشاعر الأداة الخيالية التي تمكن بها من إيصال إحساسه المرّ، انسجاماً مع عاطفة متأثرةٍ لتجد صدىً لها عند المتلقي، يقول مكليش، ((إنَّ العاطفة إنْ كان ثمة عاطفة في القصيدة تكمن في الصور _ أو إذا لم تكن كاملة في الصور نفسها، فبين هذه الصور)) (٥٨) وقد استعمل الشاعر صوره عبر العلاقة الجدلية القائمة بين عاطفته وخياله وقد جاءت صوره الانفعالية مستعملة على الحقيقة تحمل في الوقت نفسه سعة خياله الدال على ثقافة الشاعر الواسعة.

انصف امرئ من نصف حي يسبني لعمري لقد لقيت خطبا من الخطب
هنيئا لـكلب إن كـلبا يسبني وأنـي لم أردد جوابـا علـى كلـب
لقـد بلغـت كلـب بسبي حظـوة كفتها قديمات الفضائح والوصب(٥٩)

إن الصورة الانفعالية عند الكُميت هي نتاج التجربة الحياتية إحساسا وشعوراً وفكراً، راعه كثيراً ما آلت إليه حياته، فقد جاء الدفق الانفعالي في البيت الأول مصحوباً بحالتي الانفعال والتعجب في آن معا، محاولاً في تلك الصورة الانفعالية أن يستهين بالمقابل قدراً يسلب منه رجولته من خلال ذلك التفاعل الجدلي، ولكنه بعد ذلك وكأنه أخذ نفساً ليهدأ بدلاً من التصاعد الانفعالي، ليفجر بصورته الهادئة التي اكتسبها من الاستعانة بالصورة التاريخية التي يهرب العربي منها لما تحمل بين حناياها من صور المهانة والذل، وجد الشاعر فيها ضالته وتعبيراً عن القهر الذي لحق به، كما نلاحظ سطو التكرار على صورته الانفعالية.

الصورة الوصفية:

عدّ الآمدي في الموازنة الشاعر المبدع ذلك الذي ((يصور لك الأشياء بصورها)) (٦٠)

والكُميت يحتفي بالصورة الوصفية منتقيا لها مفردات يظهر الجمال الفاتن الذي استوحاه من موصفته، إذ يقول:

هـيَ شمـسُ النَّهـارِ في الحُـسنَ إلاَّ أنَّـــها فُـضّلَـتْ بِقتـلِ الظِّـرَفِ
غَـضَّةٌ بَـضّةٌ رَخيـمٌ لـعوبٌ وعثـةُ المَـتنِ شـختةُ الأطـرافِ
زَانَهـا دُلُّـها وثـغر نـقيٌّ وحـديثٌ مرتَّـلٌ غـيرُ جـافِ (٦١)

ومما يدل على إيثار الكُميت هذه الصفات في المرأة، (الشمس، قتول، غضة، بضة، رخيم، لعوب، وعثة المتن، شختة الأطراف، ثغر نقي، حلوة الحديث)، حديثه عن جمالية المرأة مشبها حسنها بالشمس الساطعة المبهرة، التي لا تستطيع أنْ تطالها العيون، ثم يمنح الصورة ألقاً آخر بالإجابة عن سؤال العارف، أنّها لم تتجاوز الشمس بجمالها فقط بل تعدت وحظيت وإنمازت بصفة جمالية أخرى تمثلت في قدرتها على قلب الشاعر، فلم يكتف الشاعر بوصف تلك المرأة بل راح يمعن في وصفها فهي طرية بيضاء رقيقة ممتلئة ومما زاد في جمالية الصورة دقة الوصف فالدلّ، هو جمال الشكل، فضلا عن ثغر عذب، ومما يدل أيضاً على إيثاره لتلك المرأة. أنّها حين تسترسل في حديثها الحبيب إلى قلبه شيقة لا تنثال بالكلام الذي يصم الأذان ويكره السامع

أحبَّ الكُميت المرأة من أعماقه، وكان يرى فيها ملاذاً لاحتواء عواطفه الجياشة، وقد جاءت عنايته في رسم صورة المرأة لتعكس عمق حبه لها الذي كان بريئا غير مادي، فالصور المتعددة لتلك المرأة المثال، برزت بشكلٍ جلي ومتناسق لا تناقض فيما بينهما ؛ فالمرأة هنا متميزة عن غيرها من النساء في صفاتها وثيقة الصلة بالنقاء الذي يريده الشاعر وقد ابتعد عن الوصف الحسي مؤكداً نقاءها.

يَمشينَ مشيَ قَطَا البطَاح تأوداً ... قَبَّ البُطونِ رَواجح الأكفالِ
يَرمين بالحدق القلوبَ فَما ترى ... إلاَّ صريعَ هَوىً بغيرِ نِبالِ
منْ كُلِّ آنسَة الحديثِ حَييةٍ ... ليستْ بفاحشةٍ ولا متفالِ
أقصى مَذاهبُها إذا لاقيتها ... في الشهربين أسرةٍ وحجالِ
وإذا أردنَ زيارةً فكأنما ... يَنقلنَ أرجلهُنَّ مِن أوحالِ(٦٢)

أسقط الكُميت صورة حبيبته باستنجاده بالمفردات التي تشع منها عبق الطبيعة، فجعل من صورها معيارا للتماهي مع الطبيعة بإشراقاتها يقابلها ليل فاحم السواد يصور فيه عن شعرها الأسود.

غراءُ تسحبُ من قيامٍ فَرعَها ... جَثْلاً يُزينهُ سوادٌ أسحمُ
فكأنَّها فيه نهارٌ مشرقٌ ... وكأنَّهُ ليلٌ عليها مظلمُ (٦٣)

وهنا نلاحظ كيف تلتقي صورته الجزئية الإشراق بالسواد في وحدة ضديّة معتمداً الطباق بين مفترق النهار والليل ليخرج بصورته الكلية عن تلك المحبوبة وهو يمزج بين إشراقة وجهها وقد شبهه بالنهار وكيف يدخل عليه الليل بطيئاً ليمنح الصورة مستوى من الانبهار بجمالية المحبوبة.

الصورة البصرية:

احتلت الصورة البصرية حيزاً واضحاً في شعر الكُميت، فأخذ يستعمل ما يحيط به من أشياء يجلوها ويقف على أبعادها بوساطة البصر، ومن ثم يعيد المعادلات تأثيراً وتأثراً وذلك لأنّ البصر هو المتلقي الأول لما يمتلك من حساسية للأشياء المحيطة به.

وقد أصر الكُميت وبخاصة في هاشمياته على تلمس الألوان في التعبير عن فكره وعشقه لآل البيت عليهم السلام متخذاً من اللون الأبيض صورة تشع بالجو العاطفي والولاء والحب والنقاء والطهر، إذ يقول:

إلى النّفَرِ البيضِ الذينَ بِحبهم ... إلى الله فيما نَا بَنِي أتَقَرَّبُ (٦٤)

وفي صورة أخرى نجده يتمسك بنقاء الصورة البصرية لممدوحيه، يبصر فيهم البياض، ويلفهم الوقار والرزانة حتى وهم يخوضون غمار الحرب حيث أمست السماء مغبرة كلون التراب

مَسَامِيحُ بِيضٌ كِرَامُ الجُدُودِ مَرَاجِيحُ في الرَّهجِ الأصْهَبِ (٦٥)

لقد أخضع هذين اللونين في ابتداع صوره الشعريّة التي تعكس صدق أحاسيسه المرهفة على الرغم من أنّ اللونين متضادين لكنه أشاع من خلالهما مدى إيمانه بممدوحيه.

يسهب الكُميت في استعمال المفردة الدالة على لون النقاء محاولة منه في إضفاء صفة الصفاء على ممدوحيه وعلى موقفهم الذي يتجلى بالدفاع عن الحياة ؛ فليس في صورته الشعريّة ما يوحي بولعه بالحسان فهو لم يطرب شوقا إلى البيض ولكنه يحمل طربا من نوع آخر إلى أهل الفضائل المولع بتمسكهم بالقيم العليا التي أحبها من أعماقه، وقد خلق الشاعر هنا تقاليد فنيّة جديدة على الشعر العربيّ وبخاصة في مقدمته الطللية.

طَرِبْتُ وما شَوقاً إلى البيضِ أَطْرَبُ ولا لَعِباً مني أذُو الشَّيْبِ يلعبُ (٦٦)

فعناية الشاعر باللون الأبيض قد تحمل معنى نفسيا يتصل بأخلاقية العربي وحبه للنقاء، إذ أحتل هذا اللون الريادة في بناء الصورة اللونيّة قياسا إلى الألوان الأخرى، فممدوحيه هم سادة يذودون ويحمون إمائهم الحسان مهما طال أمد الحرب عليهم.

سَادةٍ ذَادةٍ عن الخُرَّدِ البيـ ولا لَعِباً مني أذُو الشَّيْبِ يلعبُ (٦٦)

ومهما يكن من شيء، فعناية الشاعر باللون الأبيض تحمل في أعماقها دلالة رمزية

زُهْرٌ أصحَّاءُ لا حَدِيثُهم واهٍ ولا في قَديمِهم عَطَبُ (٦٨)

فالبعد الرمزي يعكس معاني متقاربة في إيحاءاتها النفسي اتجاه ممدوحيه، وزهر في اللغة هو البياض المشرق (٦٩)، في الوقت نفسه يرمز إلى النور والطهر والصفاء، ((فقد ارتدى المؤمنون المسلمون الأوائل ثيابا بيضاء دلالة على الطهارة والصفاء والإيمان)). (٧٠)ولكننا قد نجد اللون الأبيض يتماهى مع الأسود للتعبير عن حالة الحزن التي تتفاعل في ذهن الشاعر جراء المصاب الذي ألم به، فالشاعر يعتمد على الكناية لتصوير نقاء وصفاء المقتول غدراً.

قَتَلَ الأدعياءُ إذ قَتَلُوهُ أكْرَمَ الشَّاربينَ صوبَ الغمامِ (٧١)

فالغمام هو السحاب الأبيض، أمام هذا اللون الأبيض ما الذي يعنيه اللون الأسود في تجربة الكُميت الشعريّة وهل يحتل الصدارة في شعره أيضاً وما يرمز إليه.

لعلّ خير أنموذج للون الأسود في بناء الصورة الشعريّة عند الكُميت ظلمةُ الحكم السائد في عصره، والذي رمز من خلاله إلى السواد الذي حل في حياة الناس حيث تراكم الظلم، تعبيراً عن عمق

إحساسه من الظلم السائد في عصره، كان لا يرى بصيص ضوء للخروج من تلك الظلمة إلاّ بالاهتداء بتلك النجوم الزاهرة من آل البيت عليهم السلام

إذا اسْتَحْنَكَتْ ظَلماءُ أمْرٍ نُجُومُها غوامضُ لا يَسْرِي بها النَّاسُ أُفَّلُ (٧٢)

وهذه الصورة السوداوية استحدث الشاعر سماتها الفنية من طبيعة الحياة السائدة في مجتمعه وأن هذا السواد لن يزول إلاّ بالاهتداء بآل البيت وبخاصة الحسين بن علي عليهما السلام الذي قاد الثورة ضد ظلمة ليل بني أمية.

وَفِيْهم نجومُ النَّاسِ والمُهتدى بِهِم إذا اللَّيْلُ أمْسَى وحوب النَّاسِ أليَلُ (٧٣)

فالسواد عند الشاعر أرتبط بالظلم الذي ساد في عصره، وقد استعمله الكُميت أيضاً للتعبير عن حالته الشعورية المشبعة بالحزن في دلالته النفسية المحبطة عن طريق اللون الأسود مستعرضا ما آلت إليه حياته وتأكيداً لحالة القلق واليأس التي تسربل بها.

فاستبدلتْ بالسوادِ أبيضَ لا يَكْتُمه بالخِضاب مُخْتَضِبُ (٧٤)

فاستبدلت يعني اللمة صارت بيضاء بعدما كانت سوداء، وهنا اعتمد الكُميت التضاد في بناء الصورة فقد صور اللونين الأسود والأبيض في حالة إحلال بعيداً عن التضادية التي ألفها الذهن بين اللونين، وفي هذا الأسلوب تصوير للبياض المكروه في نظر الشاعر الذي غزا سواد شعره الذي يفاخر بجماله حتى عاد لم ينفع معه الخضاب، أن موضوع الصورة هنا هو الحزن لاشك في ذلك، وقد كونت الصورة ثلاثة عناصر يعد الزمن فيها عامل أساس والذي أختفي وراء الصورة بالرغم من أنَّه مكون أساس لها، وبرز عنصرا السواد والبياض في تفاعل أدى بالشاعر للشكوى من هذا البياض الذي غزاه ولم يعد ينفع العنصر الثالث _ الخضاب _ في معالجة ما استحكم عليه الزمن، والشاعر عارف بذلك مستسلم له.

أعتني الكُميت بالألوان عناية كبيرة لتتناسق لديه صورة معبرة عن عواطف جياشة اتجاه محبيه ؛ فالشاعر ينفي عن نفسه الطرب إلى أي شيءٍ يلهه عن حبه وولائه الذي أستمكن من عواطفه، فلا الحمول التي فارقته ولا الدمن التي آثار الرماد وما سود حالت بينه وبين عواطفه اتجاه آل البيت عليهم السلام

ولا حُمولٍ غَدَتْ ولا دِمَنٍ مَرَّ لها من بَعْدِ حِقْبَةٍ حِقَبُ (٧٥)

ثم يقول:

جُرْدٌ جِلادٌ مُعطَّفَاتٌ على الـ أقرانِ لا رجعةٌ ولا جلبُ (٧٦)

فقوله معطفات على القران أي في لونه سوادٍ وبياض، ولم يقتصر الاستعمال على هذين اللونين بل تعدى ذلك إلى اللون الأحمر وأن جاء متأخراً عن اللونين الأبيض والأسود.

إذا امست الآفاق حمراً جنوبها لشيبان أوملحان واليوم أشيب (٧٧)

إذ يصف ثوراً في هذه الصورة الأثيرة في الأدب العربي، مستعملاً الألوان الثلاثة ؛ الأبيض الأسود والأحمر وهو في حالة بائسة، مطارداً من قبل الصياد وكلابه.

وَتَحْسِبُه ذَا بُرقِعٍ وكأنَّه بأسمالِ جَيْشَانيّةٍ مُتَنَقِّبُ (٧٨)

فالثور قد تبرقع بأسمال حمر في بياض ويقال برد سود، وتعتمد هذه الصورة الأثيرة في استعمال اللون الذي أعطى للصورة دينامية عالية حاول من خلالها الشاعر إبراز ممد وحيه بالبهاء وكثرة العطاء فممدو حيه من آل البيت عليهم السلام، بما يمتلكون من العلم حديقة خضراء كثيرة النبت موازنة بقلة العلم عند غيرهم.

وإنْ هَاجَ نبتُ العِلمِ في النَّاسِ تَزَلْ لَهُم تَلعَةٌ خضراءُ منهم ومِذْنَبُ (٧٩)

الصورة الذهنيّة:

لابد للباحث وهو يستقرئ شعر الكُميت للكشف عن صوره وبيان جمالياتها، بُغية الوقوف عند الغرض الذي يرمي إليه في استعماله ألفاظاً محددة المعنى بعيدة المغزى، ومن أجل الوقوف عند حيثيات النص الذي يغمرنا به ؛ لابد من جهد استثنائي لاستكشاف مغزاه.

إنماز الكميت بمقدرته على استثارة فضول المتلقي من خلال مخاطبة عقلة قبل عاطفته، وكثيراً ما عمد وبخاصة في هاشمياته، أن يثير في صوره الذهنية مخيلة السامع لما تحمل من دلالات نفسيّة وعقليّة خارج ذهنيته تتطلب منه جهداً لاستنباط معنى الكلمات التي انتقلت من معناها الحسي إلى الذهني.

إنّ الشاعر قد أدرك بحكم ولائه لآل البيت عليهم السلام، أنّ القبائل العربية التي ناصرت الحكم الأموي أمعنت في غيها من وجهة نظره على أقل تقدير، كما كانت وراء ما آلت إليه حال الأمة من ابتعاد عن القيم الإسلاميّة التي نادى بها الإسلام كون الحكم قد تحول إلى نظام وراثي على يد بني أميّة بدعاوى وراثة النبي صلى الله عليه وآله، فأخذ الكُميت يتحدث عن إيمانه الوجداني والفكري متفرداً عن كثيرٍ من شعراء عصره منزهاً نفسه عن الطموحات الدنيويّة من مال وجاه، يثير هذا الموضوع ليؤجج الناس على بني أمية وهذا معيار آخر على أنّ الإسلام أسس لرؤية جديدة فقد أخذ ((المفهوم السياسي يشيع شيئاً فشيئاً في الشعر العربيّ حين استطاعت العقيدة أنْ تعلو على صوت الانتماء القبلي)) (٨٠)

يَقُولونَ: لَمْ يُورثْ، ولولا تُراثُه لَقَدْ شَرِكَتْ فِيهِ بَكِيْلٌ وأرحبُ
وعكٌّ ولخمٌ والسكونُ وحِمْيَرٌ وكِنْدةُ، والحيَّانِ بكرٌ وتغلبُ
ولا انتشلتْ عِضوينِ منها يُحابرٌ وكان لعبد القيْس عضوٌ مؤربُ
ولا كانت الأنصارُ فيها أدلةً ولا غيباً عنها إذا الناس غيبُ

ثم يقول:

هُمُ شَهِدوا بَدراً وخيبرَ بعدهَا ويومَ حُنَيْن، والدِّماءُ تصبَّبُ
فَإنْ هِيَ لم تَصلُحْ لقومٍ سواهمُ فإنّ ذوي القُربى أحقُّ وأقرَبُ (٨١)

الشاعر يعرف جيداً من هم آل البيت عليهم السلام ، وهو يريد أنْ يؤسس لفهمه هذا ، وقد اعتمد أسلوبا ساخراً في بناء الصورة الذهنية ، يتطلب من المتلقي جهداً ، فقد أمعن في ذكر أسماء العديد من القبائل على الرغم من التمايز بينها شأناً وانتماءً ، متهما أعداءه أنَّهم يحملون على النبي صلى الله عليه وآله ، فهو يصور عدم مقدرتهم على إثبات ما يقولون وإلاّ لكانت قريش هي أحق بميراث النبيّ الكريم ، وقد اختار الكُميت ألفاظاً تحمل دلالات ذات معنى دفين في رؤيته للموضوعات التي يتحدث عنها تاركاً الأمر للمتلقي في استنباط الأحكام من خلال إعمال ذهنيّة والجهد المطلوب للكشف عن ذلك.

من هنا يتبين أنّ الكُميت ، قد تبنى موقفاً صعباً يحمل موضوعاً يحتل الأولوية في التفكير الإسلامي ، فذهب الشاعر بعيداً في الدفاع عن رؤيته ، فاختار أسلوباً مميزاً إنماز به عن غيره من شعراء الشيعة للدفاع عن حقهم المسلوب لتتكامل الصورة لديه في إثبات أحقية هذا الأمر معتمداً الألفاظ التي تتطلب من المتلقي الإمعان والتبصر في مكنونات تلك الألفاظ مما يتطلب جهداً من الشاعر احتاج الكثير من التروي والنظر. وهو أمر يتصل بمقدرته الذهنية في الاستنجاد بالمعنى المعبر وكذلك مقدرته الشعرية في بناء القصيدة فنيا من حيث التصوير والإيقاع الموسيقي ((إنّ العواطف والصور يجب أنْ يتزاوجا ليذوب كلاهما في الآخر ، ويتمثلا طبيعيا لدى الذهن في نشوة فنيّة))[٨٢]

الأنواع البلاغيّة للصورة

التشبيه:

إن أهم ما يلاحظ على التشبيه وبخاصة الأصل فيه هو توافق صفة أو أكثر بين المشبه والمشبه به مما يجعل من الصورة التشبيهية ممكنة عند المتلقي ؛ لانّ الشاعر استطاع التوفيق فيها بين شيئين متقاربين في الصفات ، والكُميت هو حصيلة واقعة المعيش فقد استطاع استحضار صوره التشبيهية الغارقة بالقيم المعنوية ، التي تمثلها الإنسان العربي واحتفى بها الشعراء في ذلك العصر باستعمال ألفاظ من مثل ،(غيوث ، حواضن الأيتام ، الكفاة ، الأساة الشفاة ، الروايا ، البحور ، أسد حرب ، أبطحيين ، أريحيين ، مقاويل) ، وتلك الصفات نابعة من طبيعة البناء الفني للبيت الشعري في القصيدة العربية لبناء الصورة التشبيهية ، وترد تلك الألفاظ في هاشميته الميمية ، إذ يقول :

والغُيُوثِ الذينَ إنْ أمحلَ النَّا ... سُ فمأوَى حَواضنِ الأيتامِ
والولاةِ الكُفاةِ للأمرِ أن طرَّ ... ق يتناً بمجهضٍ أو تمامِ
والأساةِ الشُّفَاةِ للداءِ ذِي الرِّيْبـ ... ـةِ والمدركينَ بالأوغامِ
والرَّوايَا التي بها يَحملُ النَّا ... سُ وسُوْقَ المُطبعاتِ العِظامِ
والبحورِ التي بها تُكشفُ الحِرَّ ... ةُ والداءُ من غَليلِ الأوامِ
أبطحيين أريحيين كالأنـ ... ـجم ذات الرجوم والأعلامِ

ثم يقول :

فَهُمُ الأسدُ في الوَغَى لا اللَّواتي ... بين خِيْسِ العرينِ والأجَامِ

أسـدُ حـربٍ غُيـوثُ جـدبٍ بهاليـ ـلُ مقاويـلُ غـيرُ مـا أفـدامِ [٨٣]

وهنا يتضح ((إنّ التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم ولم يستغن أحد منهم عنه)) [٨٤] العسكري، ونجد ذلك عند الكُميت في أغلب تشبيهاته التي استقاها من واقعة المعيش، ونراه يكثر من الصيغ المتشابهة والتي تتوافق مع مكنوناته العاطفية اتجاه ممدو حيه.

لم يجنح الكُميت نحو المبالغة لأنّ صوره التشبيهية جاءت تصويراً لما يدور في ذهن المتلقي سواء أكان ذلك عن ممدوحه أم ما تعرض له في حياته التي غلب عليها عدم الاستقرار جراء تبني موقفاً فكرياً مغايراً للنظام السائد في عصره مما جعل من حياته عرضه للملاحقه وعدم الاستقرار.

فجاءت تشبيهاته تعبيراً عن إحساس الإنسان الخائف الوجل المتحفز في آن معاً، إذ يقول:

عَلَـي ثيـابِ الغَانِيـاتِ وتَحْتَهَـا عَزِيمَـةُ أمْـرٍ أشْـبَهَتْ سَـلَّةَ النَّـصلِ [٨٥]

فقد استعمل التشبيه المفصل، فالمشبه (العزيمة) والمشبه به (سلة النصل)، ووجه الشبه اشتراك الطرفين في القوة، وبهذه الصورة استطاع الكُميت الإفصاح عن تجربته المرّة في صراعه الفكري ما احتمل من اجل ذلك حيث تزيا بزي امرأته التي كانت تأتيه للسجن وخرج ولكنه أبى إلاّ أنْ يحتفظ بتلك الصورة التي عاشت مع العربي معياراً لشجاعته وعدم خوفه وقوته.

شبه الكُميت الهموم التي تعايشت معه بؤلئك العذال الذين يرصدون مواقفه وتحركاته متحينين الفرص لتشديد الخناق عليه:

وقفـت علـى أطلالهـا وتكـاثرت علـي همـومي فهـي تـشبه عـذالي [٨٦]

يمعن الكُميت في صوره التشبيهية لإبراز حالة الحزن الذي ألم به، وهاجس الخوف والاغتراب، فيمنح صوره ألق التحلق في فضاءات الواقع المعيش، فيصور رغاء الإبل عند الرحيل بصور النساء الثكالى الباكيات:

كـأنَّ رغـاءهن بكـل فـج إذا ارتحلـوا نـوائح معـولات [٨٧]

ومن صوره التشبيهية التي ترتبط بالواقع والتي هي تحمل في آن معاً تصويراً لحال الشاعر المطارد، فشبه الناقة بثور الوحش، تجسيداً لحالته:

كأنَّهـا الناشـط المولـع ذوالـ ـعيينة مـن وحـش لينـة الـشيب [٨٨]

الاستعارة:

الاستعارة هي أنْ يذكر المشبه من دون المشبه به كما يقول صاحب المثل السائر[٨٩]، والاستعارات التي لجأ إليها الكُميت تدل على مقدرة شعريّة في اقتناص الصورة الموشاة بالجمال الفني وهي مقدرة

على منح صوره قدرة الالتحام بالواقع من خلال اكتشافه وهذا ما يراه ابن رشيق في العمدة ((لا ينبغي للشعر أن يكون مغسولا من الحلي فارغاً)) (٩٠)

واستعارات الكُميت دليل على قوة شاعريته لأنّها استعارات تحرك المشاعر وتوقظ أحاسيس المتلقي، ومن استعاراته الجميلة قوله:

وفيهم نجوم الناس والمهتدى بهم إذ الليل أمسى وهو بالناس أليلُ (٩١)

فقد استعار الشاعر النجوم ليوحي عما يتركه الضياء من أثر في النفوس من أمل أمام المتضاد السرمدي (الظلمة) التي تعني الخوف والجور وفساد الدين.

ومن استعاراته الجميلة التي تصب في ما يحمل من توجهات:

وإنّهم للنّاس فيما ينوبهم عرى ثقة حيث استقللو وحللوا (٩٢)

وأصل العروة في اللغة الشجر، تبقى إذا جف الشجر لتكاتفه فيأكله المال إذا تيبس الشجر.، وقد استعارها الشاعر لبني هاشم، لبيان مدى انتفاع الناس بهم، فهم غيوث الناس المسافرين حيث استقلوا وحللوا.

وكذلك من استعاراته الرائعة:

فقل للندى في ظل عمياء جونة يرى الجور عدلاً أين لا أين تذهب (٩٣)

والكُميت هنا أخفى المشبه على سبيل الاستعارة واستعمل المشبه به (عمياء جونة)، فقد حكم على خصوم آل البيت بالجهل الذي أخفاه ولكنه جاء بقرينة تدل عليه في قوله (جونه) والتي تعني سوداء مظلمة لا يهتدى بها إلى الرشد.

الكناية:

تحتل الكناية أهمية كبيرة في البلاغة وهي منال لا يستطيعه إلاّ شعراء قد تمكنوا من أدواتهم، والكُميت استطاع بمقدرته الشعرية وأصالته الفنيّة أنْ يستعمل الكناية للتعبير عن ((كل ما يدل على الإيحاء الذي يقوم مقام التصريح لمن يُحسن فهمه واستنباطه)) (٩٤)، وقد انصبت جهوده الفنية في بناء الصورة الشعريّة مستعملاً الكناية في قوله:

طربتُ وما شوقا إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً من أذو الشيب يلعبُ (٩٥)

(وذو الشيب)، كناية عن الخبرة والتجربة في الحياة، لذلك استطاع اللفظ أنْ يؤدي معناه، فهو لم يطرب شوقاً على الحسان ولكنه طرب إلى أهل الفضائل والتقى الذين بحبهم من أعماقه.

ولعلّ من كناياته التي تتوافق مع رؤيته الفكريّة وكيف يرى أنَّ الحكم قد تحول إلى ملك فجاء بلفظ (المرزبان) والتي تعني (الملك الفارسي) كناية عن حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، إذ يقول:

أم الوحي منبوذ وشد ظهورنا فيحكم فينا المرزبان المرفل (٩٦)

ومن كناياته الجميلة التي نفهم من صورها أبعاداً تحمل مضامين متعددة لخلفية الصراع الدائر في نفس الشاعر التواق لرؤية ممدو حيه على راس السلطة وهذا الفهم لا نستطيع أنْ نقف عليه إلاّ إذا استطاعت ألفاظ الشاعر المنتقاة إيصال المتلقي التي تدور في خلده لذلك، فممدو حيه هم:

مقـــارىء للـــضيف تحـــت الظـــلام مـــــوارى للقـــــادح المثقـــــب [٩٧]

فالألفاظ (مقارىء، قادح، مثقب)، كلها استعملت للدلالة على كرم ممدو حيه، مما توحيه خلفية الصورة للضيف القادم في جنح الظلام.

ومهما يكن من شيء، فقد استطاع الكُميت من خلال صوره أنْ يؤدي مهمته التي تحمل وزرها تاريخيا، كما استطاعت صوره في آنٍ معاً أنْ تؤدي مرادها الفنيّ عبر بناءها الذي انماز به عن غيره من الشعراء.

الهوامش

١- ينظر الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن: ((الأغانيّ))، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م، ١٦/ ٣٢٨

٢- المصدر نفسه: ١٦/ ٣٦٠، ٣٥٩

٣- المصدر نفسه: ١٦/ ٣٣٠

٤- المصدر نفسه: ١٥/ ١٢٧

٥- البغدادي، عبد القادر بن عمر: ((خزانة الأدب))، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، "، ١٩٨٤م، ١٠/ ١٤٤

٦- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: ((البيان والتبيين))، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١/ ٤٥

٧- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: ((المعارف))، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٦٩م، ٥٤٧

٨- ينظر المرزباني، أبا عبيد الله محمد بن عمران: ((الموشح))، تحقيق محمد علي البجاوي، نهضة مصر، مصر، ٢٤٨

٩- الحمويّ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: ((معجم الأدباء))، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م، ١/ ٤١٠

١٠- ينظر الأصفهاني، الأغاني: ١٦/ ٣٤٩، ٣٥١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٥٤، و ينظر للغرض نفسه المرزباني، الموشح: ٢٤٨

١١- ينظر المصدر نفسه: ١٥/ ١٣٠

١٢- زايد، علي عشري: ((عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة))، دار الفصحى للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ٩٦

١٣- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: ((سنن الدارمي)، تحقيق فواز أحمد زفرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٧م، ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠

١٤- ينظر المطلبي، عبد الجبار يوسف: ((مواقف في الأدب والنقد))، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٠م، ٦٥، وينظر لغرض نفسه الصائغ، عبد الآله: ((الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنيّة))، المركز الثقافي العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ١٣ وما يليها.

١٥- ينظر عصفور، جابر أحمد: ((الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي))، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م، ١٤

١٦- ناصف، مصطفى: ((الصورة الأدبيّة))، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨١م، ٣

١٧- بنتو، كروتشه: ((المجمل في فلسفة الفن))، ترجمة سامي البارودي، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، ١٩٧٤م، ١٤٨

١٨- ينظر الصائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنيّة: ١٤

١٩- الجمحي، محمد بن سلاّم: ((طبقات فحول الشعراء))، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ١٩٧٤م، ١٠

٢٠- الزبيدي، السيد محمد مرتضى: ((تاج العروس))، مادة صور

٢١- آبادي، الفيروزي: ((القاموس المحيط))، مادة صور

٢٢- ابن منظور، محمد بن مكرم: ((لسان العرب))، مادة صير

٢٣- ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس: ((مُعجم مقاييس اللغة))، اعتنى به محمد عوض وفاطمة محمد، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، (د: ط) (د: ت)، ٥٥٧

٢٤- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: ((المخصص))، دار الفكر، (د: ط)، (د: ت)، السفر الأوّل / ٥٣

٢٥- ينظر السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر: ((مفتاح العلوم))، القاهرة مصر، ١٧٠، وينظر مطلوب، أحمد: ((معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها))، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨م، ١٩٣/٢، وما يليها، وطبانة، بدوي، (معجم البلاغة العربيّة)، ٢٠٨/١

٢٦- المصدر نفسه: ١٧٠/٢

٢٧- المصدر نفسه: ٧٧٧/٢، وينظر ابن الأثير، ضياء الدين: ((المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر))، القاهرة، مصر، ١٩٣٩م، ١٩٤/٢

٢٨- التطاوي، عبد الله: ((الصورة الفنيّة في شعر مسلم بن الوليد))، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ٦/١

٢٩- ينظر الجاحظ البيان والتبيين: ٤٥/١

٣٠- الجر جاني علي بن عبد العزيز: ((الوساطة بين المتنبي وخصومه))، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٩٦٦م، ٣٤، ٣٣

٣١- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق: ((العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده))، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ١٢٩/١

٣٢- المرزباني، الموشح: ٢٤٩

٣٣- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: ((كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر))، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ٢٦٨

٣٤- المصدر نفسه: ١٦
٣٥- إبراهيم عبد الرحمن، الصورة الفنيّة: ١٧
٣٦- ينظر ضيف، شوقي: ((العصر الإسلاميّ))، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١٦، ١٩٩٥م، ٢١٥ ومايليها
٣٧- ضيف، شوقي: ((التطور والتجديد في الشعر الأمويّ))، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م، ١٤٧
٣٨- ينظر المرزباني، الموشح: ٢٨٤
٣٩- سلوم، داود: ((شرح هاشميات الكُميت بن زيد الأسدي))، بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، عالم الكتب، ١٩٨٤م، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧
٤٠- الأصفهاني، الأغاني: وينظر شرح الهاشميات، تحقيق محمد محمود الرافعي، ٤٠
٤١- هاشميات الكُميت: ٤٧، ٤٨، ٤٩
٤٢- الأصفهاني، الأغاني: ١٥ / ١٢٣
٤٣- سلوم، داود: ((شعر الكُميت بن زيد الأسدي))، مكتبة الأندلس، بغداد، العراق، (د: ط)، ١٩٦٩م، ١/ ١٢٥، ١٢٦
٤٤- ينظر شعر الكُميت: ٢/٥٧، ٥٨، وينظر للغرض نفسه المعاني الكبير ١/٥٢٤، ٢٦٥
٤٥- المصدر نفسه، الصفحة نفسها
٤٦- المصدر نفسه، الصفحة نفسها: وينظر للغرض نفسه اللسان: مادة: (هدل)، وكذلك التاج: مادة (هدل)
٤٧- المصدر نفسه، الصفحة نفسها
٤٨- داود سلوم، هاشميات الكميت: ١٦٧، ١٦٨
٤٩- المصدر نفسه: ٣٣، ٣٤
٥٠- المصدر نفسه الصفحة نفسها
٥١- المصدر نفسه: ١٦٥، ١٦٦
٥٢- المصدر نفسه: ٤٤، ٤٥
٥٣- المصدر نفسه: ١٨٨، ١٨٩
٥٤- المصدر نفسه: ١١، ١٢
٥٥- دي لويس، س: ((الصورة الشعريّة))، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، مراجعة د. عناد إسماعيل غزوان، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٢م، ١٠٠
٥٦- داود سلوم، شعر الكميت: ١/٨٣
٥٧- هاشميات الكميت: ١٩٨، ١٩٩
٥٨- مكليش، أرشيبالد: ((الشعر والتجربة))، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، دار اليقظة العربيّة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م، ٧٠
٥٩- شعر الكميت: ١٣٢، ١٣٣
٦٠- العسكري، كتاب الصناعتين: ١٢٨

٦١- الرافعي، شرح الهاشميات: ٩٤
٦٢- داود سلوم، شعر الكميت: ٥٣/٢
٦٣- محمود الرافعي، شرح الهاشميات: ٩٤
٦٤- داود سلوم، شرح الهاشميات: ٤٥
٦٥- المصدر نفسه: ١٨٩
٦٦- المصدر نفسه: ٤٣
٦٧- المصدر نفسه: ٢٢
٦٨- المصدر نفسه : ١٢١
٦٩- الصحاح: مادة زهر
٧٠- دملجي، إبراهيم: ((الألوان نظرياً وعملياً))، حلب، سوريا، ١٩٨٣م، ٨٥، ٨٦
٧١- داود سلوم، شرح الهاشميات: ٣٤
٧٢- المصدر نفسه: ١٧٥
٧٣- المصدر نفسه، الصفحة نفسها
٧٤- المصدر نفسه: ١٠٩
٧٥- المصدر نفسه: ١٠١
٧٦- المصدر نفسه الصفحة نفسها
٧٧- المصدر نفسه : ٢١٢
٧٨- المصدر نفسه: ٩٤
٧٩- داود سلوم، شرح الهاشميات: ٧٩
٨٠- القط، عبد القادر: ((في الشعر الإسلامي والأموي))، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ٢٧٥
٨١- داود سلوم، شرح الهاشميات: ٦٢، ٦٣، ٦٤
٨٢- هلال، محمد غنيمي: ((دراسات ونماذج من مذاهب الشعر ونقده))، دار النهضة العربيّة، ١٩٧٣م، ٨١
٨٣- داود سلوم، شرح الهاشميات: ١٣، ١٤، ١٨، ٢٠، ٢١
٨٤- العسكري، الصناعتين: ٢٤٣
٨٥- داود سلوم، شعر الكميت: ٥٠/٢
٨٦- المصدر نفسه: ٢/ ٦٩
٨٧- المصدر نفسه: ٢/ ١٤٦
٨٨- داود سلوم، شرح الهاشميات: ١٣٤
٨٩- ابن الأثير، المثل السائر: ٣١٤
٩٠- ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقدة: ٢٨٥/١
٩١- داود سلوم، شرح الهاشميات: ١٧٥
٩٢- المصدر نفسه: ١٧٦

٩٣- المصدر نفسه: ٤٩
٩٤- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: ((قواعد الشعر))، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مصر، مصطفى بابي، ١٩٢٨م، ٤٤
٩٥- داود سلوم، شرح الهاشميات: ٤٣
٩٦- المصدر نفسه: ١٥٥
٩٧- المصدر نفسه: ١٩١

المصادر والمراجع

١ـ آبادي، الفيروزي: ((القاموس المحيط))، مادة صور
٢ـ ابن الأثير، ضياء الدين: ((المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر))، القاهرة، مصر، ١٩٣٩م
٣ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن: ((الأغانيّ))، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م
٤ـ البغدادي، عبد القادر بن عمر: ((خزانة الأدب))، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، "، ١٩٨٤م
٥ـ بنتو، كروتشه: ((المجمل في فلسفة الفن))، ترجمة سامي البارودي، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، ١٩٧٤م
٦ ـ التطاوي، عبد الله: ((الصورة الفنيّة في شعر مسلم بن الوليد))، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م
ـ ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: ((قواعد الشعر))، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مصر، مصطفى بابي، ١٩٢٨م
٧ـ الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: ((البيان والتبيين))، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان
٨ـ الجرجاني علي بن عبد العزيز: ((الوساطة بين المتنبي وخصومه))، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٩٦٦م
٩ـ الجمحي، محمد بن سلاّم: ((طبقات فحول الشعراء))، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ١٩٧٤م
١٠ـ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: ((سنن الدارمي)، تحقيق فواز أحمد زفرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٧م.
١١ـ دملجي، إبراهيم: ((الألوان نظرياً وعملياً))، حلب، سوريا، ١٩٨٣م.
١٢ـ دي لويس، س: ((الصورة الشعريّة))، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، مراجعة د. عناد إسماعيل غزوان، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٢م.
١٣ـ زايد، علي عشري: ((عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة))، دار الفصحى للطباعة والنشر، ١٩٧٩م
١٤ـ الزبيدي، السيد محمد مرتضى: ((تاج العروس))، مادة صور.

١٥ـ ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس: ((مُعجم مقاييس اللغة))، اعتنى به محمد عوض وفاطمة محمد، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، (د: ط) (د: ت).
١٦ـ السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر: ((مفتاح العلوم))، القاهرة، مصر.
١٧ـ سلوم، داود: ١ـ((شرح هاشميات الكُميت بن زيد الأسدي))، بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، عالم الكتب، ١٩٨٤م.
: ٢ـ((شعر الكُميت بن زيد الأسدي))، مكتبة الأندلس، بغداد، العراق، (د: ط)، ١٩٦٩م
١٨ـ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: ((المخصص))، دار الفكر، (د: ط)، (د: ت).
١٩ـ الصائغ، عبد الآله: ((الخطاب الإبدعي الجاهلي والصورة الفنيّة))، المركز الثقافي العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
٢٠ـ ضيف، شوقي: ١ـ((التطور والتجديد في الشعر الأمويّ))، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م
: ٢ـ((العصر الإسلاميّ))، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١٦، ١٩٩٥م
٢١ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: ((كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر))، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
٢٢ـ عصفور، جابر أحمد: ((الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي))، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م.
٢٣ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: ((المعارف))، ، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٦٩م.
٢٤ـ القط، عبد القادر: ((في الشعر الإسلامي والأموي))، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م
٢٥ـ القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق: ((العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده))، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
٢٦ـ المرزباني، أبا عبيد الله محمد بن عمران: ((الموشح))، تحقيق محمد علي البجاوي ، نهضة مصر، مصر
٢٧ـ المرزباني، أبا عبيد الله محمد بن عمران: ((الموشح))، تحقيق محمد علي البجاوي ، مصر.
٢٨ـ مكليش، أرشيبالد: ((الشعر والتجربة))، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، دار اليقظة العربيّة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م
٢٩ـ المطلبي، عبد الجبار يوسف: ((مواقف في الأدب والنقد))، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٠م
٣٠ـ مطلوب، أحمد: ((معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها))، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨،
٣١ـ ابن منظور، محمد بن مكرم: ((لسان العرب))، مادة صير.
٣٢ـ ناصف، مصطفى: ((الصورة الأدبيّة))، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨١م

٣٣ـ هلال، محمد غنيمي: ((دراسات ونماذج من مذاهب الشعر ونقده))، دار النهضة العربيّة، ١٩٧٣م.

تقييم البرامج والمشاريع العامة

(إطار نظري)

Public Programs and Projects Evaluation

أ. د. عباس حسين جواد
أ. م. إرزوقي عباس عبد

تقييم البرامج والمشاريع العامة(إطار نظري)

Public Programs and Projects Evaluation

أ. د. عباس حسين جواد
أ. م. إرزوقي عباس عبد

المقدمة

إن المشاريع العامة لا تأتي من فراغ أو من دون هدف معين، إنما تصنع استجابة لمطالب المجتمع بشكل عام أو شريحة منه في منطقة أو محافظة ما، لحل مشكلة محددة أو تحقيق منفعة عامة، غير أن الأمر لا ينتهي عند مرحلة صياغة أو صنع البرنامج المطلوب فقط. بل إن الأهم من ذلك والأخطر هي مرحلة تنفيذ البرامج والمشاريع بالشكل الذي ينسجم مع الأهداف ا لمحددة لها دونما إسراف أو تبذير في الجهد والوقت والمال، أي تحقيق الكفاءة والفاعلية في التنفيذ (Rosen, ١٩٩٥)، إذ أن دقة اختيار البرامج والمشاريع وحسن صياغتها ليس هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعول عليه للحصول على النتائج المنشودة يل يلزم أن يكون التنفيذ بنفس الدرجة من الدقة والجودة لتحقيق تلك النتائج. ولذلك فإن من أهم المعايير التي تكشف عن مدى صحة ودقة صياغة البرامج والمشاريع وحسن تنفيذها من دونه، هو النتائج التي تتمخض عنها، ومدى مطابقتها مع الأهداف المرسومة لها، مما يستدعي مقارنة تلك النتائج مع الأهداف الموضوعة لها مسبقاً، لمعرفة الانحرافات أو مقدار الابتعادات عن بعضها البعض الآخر لاتخاذ الإجراءات التصحيحية اللازمة، وهو ما يعبر عنه بمرحلة تقييم البرامج والمشاريع (Sehreiner, ٢٠٠١: ٥).

لذلك فإن هذا البحث يهدف إلى لفت أنظار المسؤولين في الحكومات القومية أو المحلية والإقليمية إلى أهمية تقييم البرامج والمشاريع التي تنفذها الحكومة ومعرفة آثارها وكيفية ممارسة هذه العملية، وما هي المشاكل والمعوقات التي يحتمل مواجهتها أثناء التنفيذ وقبله وبعده، إضافة إلى معرفة الجهات التي تتولى عملية التقييم.

إن أهمية هذا البحث تكمن في أهدافه أعلاه من جهة، وندرة البحوث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع سواء العربية منها أو الأجنبية بالشكل الذي يمكن الجهات ذات العلاقة من الإفادة منها في تقييم برامجها ومشاريعها العامة للوقوف على ثمار جهودها في حل المشاكل العامة، مما حدى بالباحثين إلى الخوض في هذا الموضوع من الناحية النظرية لوضع إطار فكري يمهد لإجراء الدراسات والبحوث التي تتناول الجوانب الميدانية خصوصاً وإن مؤسسات البلد التشريعية والتنفيذية لازالت في طور التكوين، ولم تمض عليها مدة طويلة في ممارسة عمليات تخطيط وتنفيذ البرامج والمشاريع العامة، تجعل الباحثين قادرين على القيام بالتقييم الفعلي لهذه البرامج والأنشطة والمشاريع، وإن كانت نادرة أصلاً بسبب عدم استقرار الوضع الأمني للبلد في الوقت الحاضر. ندعو الله العلي القدير أن يتلطف علينا بزوال هذه الظروف، وأن يسترد بلدنا العزيز عافيته، وإن ينعم بخيراته الوفيرة، وتتحقق طموحات وآمال الجميع، إنه سميع الدعاء.

وأخيراً فإن هذا البحث تضمن خمسة مباحث، تناول الأول منها مفهوم واتجاهات وأهداف التقييم، فيما تضمن الثاني طرائق وأساليب التقييم، في حين خصص الثالث لتقييم آثار البرامج والمشاريع العامة. أما الرابع فقد كرس لمناقشة مشاكل تقييم البرامج والمشاريع العامة، وأختتم البحث بالقائمين على التقييم وهو ما أشتمل عليه المبحث الخامس.

المبحث الأول: مفهوم واتجاهات وأهداف التقييم

أولاً: مفهوم التقييم:

إن كلمة تقييم (Evaluation) تعني وزن أو تقدير قيمة شيء معين بالمقارنة مع شيء آخر، فتقييم البرامج العامة هو مقارنة النتائج المتحققة فعلاً مع الأهداف المرسومة لها (عبدالقوي، ١٩٨٩ : ٢٢٧)، هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية الاصطلاحية، فإن تقييم البرامج العامة شأنه شأن الاصطلاحات الأخرى التي تبارى الباحثون والمختصون في تعريفها. فقد عرف على أنه "أي نشاط يستند على أساس علمي يهدف إلى تقييم الفعاليات المرتبطة بالسياسات العامة وأثرها والبرامج الفعلية المصاحبة للتقييم" (وصال: ١١٢). ويرى آخر بأن تقييم البرامج العامة هو "إتباع أساليب علمية هدفها الحكم على ما إذا كانت سياسات الحكومة وبرامجها التنفيذية تحقق الأهداف المطلوبة بالقدر المرغوب فيه من الفعالية والكفاءة والاقتصاد" (عبدالقوي، ١٩٨٩ : ٢٢٩). كما عرف التقييم بأنه "إتباع إجراءات للحكم على ما إذا كانت البرامج العامة جديرة بالتنفيذ أو الاستمرار" (Nachmais D., ١٩٧٩: ١٢). ويمكن أن نعرف تقييم البرامج والمشاريع العامة بأنها: "مجموعة الفعاليات والأنشطة الإنسانية المتعلقة بقياس صلاحية البرامج العامة للتنفيذ، ومدى قدرتها على تحقيق الأهداف المحددة لها من جهة، ومعرفة الانحرافات أو الابتعادات بين النتائج المتحققة والأهداف المخططة لها وإتخاذ الإجراءات اللازمة من تعديل أو تبديل أو إلغاء أو تأجيل، وغير ذلك من جهة أخرى".

وعليه فإن التقييم يمكن أن يستخدم للحكم على مدى نجاح مشروع أو برنامج معين في تحقيق الأهداف المرسومة له قبل إقرار أو تنفيذ ذلك المشروع أو البرنامج، كما أ نه يستخدم أيضاً للمقارنة بين النتائج المتحققة من تنفيذ برامج معينة مع النتائج المتوقعة منها، لمعرفة مدى جدوى استمرار تلك

المشاريع أو البرامج قيد التقييم وهذا يعني أن تقييم البرامج والمشاريع العامة يمكن أن يكون قبل أو/ وأثناء أو/ وبعد التنفيذ.

ثانياً: اتجاهات التقييم:

إن عملية تقييم البرامج والمشاريع العامة قد تأخذ بالتركيز على أحد الاتجاهين التاليين أو كليهما معاً:

أ- مضمون السياسة أو البرنامج العام: يتمحور هذا الاتجاه في الحصول على إجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها:

١. هل أن مشكلة البرنامج قيد التقييم حددت بشكل واضح ودقيق؟ أي أن الجهة المكلفة بالتقييم تسعى للحصول على معلومات تتعلق بمعنى وجود مشكلة أو مطلب جماهيري تنطلق منه صياغة ورسم البرامج العامة، وبدرجة الوضوح والدقة في تحديدها.
٢. هل أن أهداف البرنامج والقيم الاجتماعية ذات العلاقة قد تم تحديدها بشكل مناسب من الدقة والوضوح؟.
٣. ما مدى ملاءمة مصادر التمويل المتاحة وكفايتها؟ وهنا فإن المقيم يعمد إلى معرفة مصدر تمويل ذلك البرنامج موضوع التقييم، هل هو من حصيلة الضرائب العامة المفروضة على المواطنين، أو أن مصدره من الإيرادات والثروات العامة للبلد، أو مصدره الإيرادات المحلية الخاصة بالحكومة المحلية أو المحافظة؟ فإذا كان البرنامج ذا نفع خاص بالمحافظة التي ينفذ فيها، فإن مصدر الأموال المنفقة عليه يجب أن يكون محلياً والعكس صحيح. كما ينظر أيضاً إلى مدى كفاية الأموال المخصصة للبرنامج وكيفية التصرف فيها.
٤. ما الحلول البديلة؟ وما الأسس التي اعتمدت للمفاضلة بين هذه الحلول؟ أي أن المقيم يبحث عن المشاريع والبرامج الأخرى التي وضعت لحل المشكلة أو تلبية المطلب الجماهيري، والأسس التي استندت إليها الجهات المسؤولة في اختيار هذا البرنامج أو تلك السياسة من بين بدائل السياسات والبرامج العامة تلك.
٥. ما النتائج المتوقعة من وراء تنفيذ هذا البرنامج أو المشروع قيد التقييم؟
٦. ما العقبات أو الصعوبات المتوقع مواجهتها عند إقرار وتنفيذ المشروع أو البرنامج العام؟ أي العقبات التي يمكن أن تضعها الكتل والنخب البرلمانية والأحزاب السياسية وجماعات المصالح عند عرض المشروع أو البرنامج على الجهات التشريعية لإقراره، ثم الصعوبات التي ترافق التنفيذ كالصعوبات المالية، والفنية والبشرية والبيئية، وغير ذلك.

ب- **إجراءات رسم وتنفيذ البرامج العامة:** يركز هذا الاتجاه على تقييم الإجراءات التي اتبعت في رسم أو صياغة البرامج العامة التي تتمثل في الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما مدى مشاركة المواطنين أصحاب المصلحة في تحديد مشكلة البرنامج أو المشاريع العامة؟
٢. ما الوسائل التي أتيحت للمواطنين وجماعات الضغط للتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم.
٣. ما دور كل من السلطات الثلاثة، التشريعية والقضائية والتنفيذية في عملية رسم وتنفيذ البرامج العامة قيد التقييم؟

٤. هل أن توقيتات البدء بالتنفيذ والإنتهاء منه قد حددت بشكل واضح ودقيق؟
٥. هل رصدت الأموال اللازمة للتنفيذ، وحددت مقاديرها بشكل دقيق دونما إسراف أو تقتير؟
٦. هل حدد الأفراد اللازمون للتنفيذ بشكل مناسب من حيث الكفاءة والكفاية؟
٧. ما الإجراءات والوسائل الرقابية التي أتخذت لمواجهة الانحرافات المحتملة عند تنفيذ البرنامج قيد التقييم؟ وما الجهات المخولة بالرقابة؟ وهل حددت مهامها وصلاحياتها بشكل واضح دون ازدواج أو تضارب؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات التي تمثل الاتجاهين المذكورين أعلاه تمكن الأجهزة أو الجهات المكلفة بعملية تقييم البرامج العامة من أداء مهامها بشكل واضح ومحدد وبأسلوب أفضل دونما لبس أو غموض.

ثالثاً: أهداف تقييم المشاريع والبرامج العامة:

يعد تقييم المشاريع والبرامج العامة نشاط علمي يسعى لتحقيق جملة من الأهداف أهمها:

١. معرفة كيفية التصرف بالأموال العامة المخصصة، لهذا البرنامج أو ذلك المشروع.
٢. التأكد من أن الأجهزة التنفيذية تؤدي دورها في عملية تنفيذ البرامج كل حسب الدور المرسوم لها.
٣. اكتشاف الانحرافات أو الابتعادات التي يمكن أن تحصل بين التنفيذ والتخطيط لاتخاذ الإجراءات التصحيحية اللازمة.
٤. معرفة النتائج غير المستهدفة أو العرضية التي يمكن أن تنتج عن تنفيذ البرنامج قيد التنفيذ (عبدالحي، ١٩٨٩: ٢٤١).
٥. معرفة التكلفة المباشرة وغير المباشرة المادية والاجتماعية للبرامج أو المشروع قيد التنفيذ.
٦. التحقق من مستوى أو درجة النجاح التي وصل إليها المشروع أو البرنامج العام في حل المشكلة أو تحقيق المنفعة المقصودة.
٧. معرفة مستوى الكفاءة والفاعلية التي حققتها الأجهزة المنفذة المسؤولة عن تنفيذ البرنامج أو المشروع موضوع التقييم.

رابعاً: خطوات التقييم:

إن عملية التقييم هي عملية علمية هادفة تنجز من قبل جهة أو عدة جهات داخل السلطة التنفيذية أو خارجها، وتمر بالعديد من الخطوات أو المراحل التي تعبر كل خطوة واحدة منها أو أكثر عن إجابة لواحدٍ من التساؤلات التالية (Weiss, Ch., ١٩٩٨: ٣٢).

١. ماذا نقيّم؟
٢. كيف يتم التقييم؟
٣. لماذا نقيم؟

فالخطوة الأولى في عملية التقييم هي تعيين أو تحديد البرنامج أو المشاريع العامة المراد تقييمها من قبل الفريق أو الجهة المكلفة بالتقييم، إذ أن من الصعوبة بمكان قيام فريق واحد بتقييم مجموعة من البرامج والمشاريع في وقت واحد، وعليه فإنه لابد من أن يعرف المكلفون أو المسؤولون عن التقييم ما هو المشروع أو البرنامج محل التقييم؟ ولابد أن يحدد توقيت البدء بالتقييم والانتهاء منه لتقليل التكاليف،

وضمان سرعة إنجاز عملية التقييم قبل فوات الأوان واختصار الجهد، والوصول بالتالي إلى تحقيق الكفاءة في عملية التقييم ذاتها.

أما الخطوة الثانية فإنها تتعلق بكيفية إجراء عملية التقييم، وتتضمن عدداً من الخطوات الفرعية هي:

١. وضع المعايير اللازمة لغرض التقييم: إذ لا يمكن إجراء عملية التقييم من دون تحديد أو وضع مجموعة من الأوزان أو المقاييس المعيارية التي يمكن أن تكون أهدافاً فرعية، أو مقداراً من الأموال، أو التوقيتات أو عدداً من الأفراد أو كمية من المواد أو المكائن والمعدات، كما يمكن أن تكون الموازنات التقديرية التي توضع لمختلف أوجه النشاط، كموازنة المواد، موازنة التكاليف، موازنة الموارد البشرية وغيرها، أفضل الأمثلة على المعايير وكيفية صياغتها.

٢. جمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها: إن عملية التقييم تتطلب الكثير من البيانات والمعلومات حول البرامج والمشاريع العامة المنفذة أو تحت التنفيذ المراد تقييمها، ويمكن الحصول على هذه البيانات من التقارير اليومية والأسبوعية والشهرية والفصلية والسنوية التي تقوم بإعدادها الأجهزة المنفذة لهذه البرامج أو المشاريع، وكذلك السجلات التي تحتفظ بها هذه الأجهزة، ومستندات الإستلام والصرف والبيانات الختامية، وقوائم المركز المالي، والأوامر الإدارية المتعلقة بالبرنامج أو المشروع موضوع التقييم، والمخاطبات الرسمية ذات العلاقة، والإحصائيات والنشرات والدراسات وغيرها من المصادر التي يمكن اعتمادها للحصول على البيانات، زد على ذلك الملاحظة الميدانية (الشخصية) والمقابلات المقننة وغير المقننة مع المسؤولين عن التنفيذ، واستمارات الاستبيان، وغير ذلك، ثم تحليل هذه البيانات باستخدام مجموعة من الطرائق والأساليب الإحصائية، تمهيداً لتفسيرها، واستخلاص النتائج والدلالات التي يستفيد منها المقومون في الخطوة اللاحقة.

٣. عقد المقارنات بين المنفذ والمخطط (المعايير): لمعرفة الانحرافات أو الابتعادات، إذ تقوم الجهة المسؤولة عن التقييم بمقارنة الأداء النمطي للأجهزة التنفيذية والنتائج التي حققتها في ضوء البيانات والمعلومات التي حصلت عليها مع النتائج التي يفترض تحقيقها، كأن تقارن كلفة الإنجاز الفعلية مع الكلفة التقديرية، وكذلك الوقت المستغرق لتنفيذ كل نشاط، والوقت المخطط، وعدد الأفراد الذين شاركوا بالتنفيذ، وعدد الأفراد المخطط، والمواد المستهلكة، وكمية المواد المخططة، والأجهزة والمعدات المستخدمة مع تلك المخطط استخدامها. وكذلك الأهداف المتحققة مع الأهداف المطلوب تحقيقها، والآثار المحسوبة وغير المحسوبة، وغير ذلك للحكم على كفاءة التنفيذ من جهة، وفاعليته من جهة أخرى.

أما الخطوة الثالثة، فإنها تتعلق بإتخاذ القرارات أو الإجراءات التصحيحية اللازمة، إذ أن الغاية من التقييم لا تنتهي عن معرفة الانحرافات بين التنفيذ والتخطيط، بل الأهم من ذلك كله هو تصحيح المسار باتخاذ الإجراءات التي تقتضيها كل حالة أو يستحقها كل موقف، لتصويب الأداء باتجاه تحقيق الأهداف وإنجاز الأنشطة وفق ما هو مخطط لها، خصوصاً إذا ما تم التقييم قبل وأثناء التنفيذ. أما التقييم بعد الإنتهاء من التنفيذ فإنه يمكن الاستفادة منه في تنفيذ البرامج والمشاريع اللاحقة من جهة، وتحديد الأشخاص أو الجهات المسؤولة عن الانحراف إن وجد، وأسبابها لغرض معالجتها من جهة ومن ثم

مساءلة المقصرين لمنع تكرار ذلك في المرات المقبلة من جهة أخرى (Blandell, R. & Dias M.C., ٢٠٠٠: ٤٢٧-٤٦٨).

المبحث الثاني: طرائق وأساليب التقييم

تنتهج الجهات المكلفة بتقييم المشاريع والبرامج العامة طرقاً وأساليب متعددة للتقييم: منها ما يعتمد على الانطباع أو الحكم الشخصي، أي أن التقييم لا يستند إلى أسسٍ علمية موضوعية في الحكم على المشروع أو البرنامج العام، بل يعتمد على الآراء الشخصية التي غالباً ما تحركها أهواء ومصالح المقومين جماعات أو أفراد لتكوين الانطباع حول نجاح أو فشل ذلك البرنامج أو المشروع، إذ أن أهم ما يتصف به هذا الأسلوب هو عدم اعتماد البراهين والحجج العامة الموضوعية، وغالباً ما يصدر مثل هذا التقييم عن المواطنين وبعض الجهات أو الجماعات المتضررة أو غير المستفيدة من برنامج أو مشاريع معينة، ومن سماته كثرة احتمالات الخطأ وعدم الدقة في الحكم أو التقييم التي تلازم المعتمدين عليه (Arjas e.,٢٠٠١: ٦٢)، ومنها ما يعتمد على الأسس والطرائق العلمية الموضوعية المستندة إلى الأدلة والبراهين المرتكزة على كمية كبيرة من البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها للخروج بأحكام صحيحة ومقنعة مع قليل من الأخطاء النسبية المسموح بها في التقييم (Goldthorpe H., ٢٠٠١: ١٦).

وعند المقارنة بين الأسلوبين أعلاه نجد أن الأسلوب غير العلمي (الشخصي) يستخدم من قبل الجهاز الحكومي، والأفراد أو الجماعات غير الحكومية المنتفعة أو المتضررة من البرامج والمشاريع العامة في الحالات التالية (Kangasharju A. & Venetoklis., ٢٠٠٢: ٢٤):

١. عندما يكون البرنامج صغير الحجم.
٢. إن الآثار المترتبة عليه ذات أهمية محدودة.
٣. عندما تتوفر لدى الحكومة قناعة بأن تنفيذ مشروع ما أو برنامج معين أمر لابد منه بغض النظر عن الكلفة المترتبة عليه أو النتائج المتوقعة.
٤. عند عدم توفر التخصيصات المالية اللازمة لإجراء عملية التقييم.
٥. إن كلفة التقييم أكبر من المنفعة المتأتية من عملية التقييم من جهة، أو أنها أكبر من كلفة البرنامج أو المشروع العام ذاته من جهة أخرى.
٦. عدم توفر الكادر المتخصص الكفوء للقيام بعملية التقييم.

إن الأساليب والطرائق غير العلمية في التقييم يلجأ إليها من قبل الأجهزة الحكومية في حالات استثنائية كما لاحظنا أعلاه، أما الحالات العامة أو الشائعة في تقييم البرامج والمشاريع العامة فهي الطرائق والأساليب العلمية التي يمكن أن نحصر أهمها بالآتي(*) (Reiter J., ٢٠٠٠: ٢٨):

١. محاسبة النظم الاجتماعية.
٢. التجريب الاجتماعي.
٣. موازنة الخطط والبرامج.

(❖) سنكتفي بشرح طريقة واحدة فقط من هذه الطرق وذلك استجابة لشروط النشر المتعلقة بعدد صفحات البحث الواحد، ولمن يرغب بالاستزادة عليه مراجعة المصادر المتخصصة منها: (جواد، عباس حسين، وعبد، إرزوقي عباس، "السياسات العامة: المفهوم، الصياغة، التنفيذ، التقييم"، ٢٠٠٦.

٤. نماذج تقييم كفاءة البرامج.
٥. الطرائق والأساليب الإحصائية.

موازنة الخطط والبرامج

يرجع استخدام هذا الأسلوب في تقييم البرامج والسياسات العامة إلى ستينات القرن الماضي، إذ اعتمد من قبل وزارة الدفاع الأمريكية لتقييم كلفة ومنفعة نظم الدفاع والتسليح البديلة للجيش الأمريكي(Sugden R. & Williams A.,١٩٧٨: ٢٢٦).

إن هذا الأسلوب يقوم على أساس مقارنة المخرجات لأي برنامج حكومي (عام) مع المدخلات التي خصصت له، كما يمكن استخدامه في اختيار البرنامج الأفضل من بين البرامج المقترحة، أي مساعدة أصحاب القرار في اتخاذ القرار الأحسن، وذلك بمقابلة المصادر أو الموارد المتنوعة المتوقع تخصيصها لكل بديل (سياسة أو برنامج عام) مقترح مع النتائج المتوقعة له، ثم اختيار ذلك البديل الذي يتوقع أن يعطي أفضل النتائج باستخدام أقل الموارد المتاحة. وقد ذكر (داي Dye) إن استخدام هذا الأسلوب يستلزم المرور بخمس (٥) خطوات هي (Dye, ١٩٧٥):

١. تحديد أهداف البرامج أو المشاريع الحكومية بشكل واضح ودقيق.
٢. وضع مؤشرات أو معايير كمية (قدر الإمكان) يمكن استخدامها لقياس آثار أو نتائج البرامج العامة موضع الاختيار أو التقييم.
٣. احتساب مقدار الموارد المتنوعة التي يستلزمها اختيار أو تنفيذ أي من البرامج والمشاريع العامة المقترحة أو المنفذة.
٤. احتساب مقدار المنافع أو الآثار الايجابية الناتجة عن تنفيذ البرنامج العام أو مقدار المنافع المتوقعة من اختيار أي من بدائل المشاريع أو البرامج المقترحة.
٥. مقابلة النتائج الفعلية أو المتوقعة مع الموارد المستنزفة أو المطلوبة لتنفيذ كل بديل من بدائل البرامج العامة.

إن هذا الأسلوب رغم أهميته ونجاحه في الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً في تقييم برامج الدفاع الأمريكية، إلاّ أنه يواجه بعض المشاكل عند تطبيقه في تقييم البرامج الحكومية، منها (Venetoklis T., ٢٠٠١: ٦٩):

١. صعوبة وضع معايير أو مؤشرات كمية لبعض البرامج الاجتماعية العامة، كبرنامج محو الأمية، أو مكافحة الفساد الإداري، أو الجريمة وغير ذلك.
٢. صعوبة مقارنة بدائل البرامج العامة، خصوصاً عندما يراد اختيار بديل واحد من عدة بدائل في قطاعات متباينة كالتعليم، والصحة، والزراعة.
٣. صعوبة تقدير أو التنبؤ بالآثار أو النتائج العرضية لأي بديل من بدائل البرامج العامة المقترحة، وبالتالي صعوبة المقارنة وتحديد البديل الأفضل.

غير أن هذا الأسلوب وبالرغم من هذه الصعوبات، فإنه يعد أحد الأساليب التي يمكن اعتمادها، والاستفادة منها في تقرير البرنامج أو المشروع العام الأفضل، وكذلك تقييم العديد من البرامج والمشاريع الحكومية وغيرها قبل وبعد تنفيذها.

نموذج تقييم كفاءة البرامج

Model to Evaluate Programs Effectiveness

يهدف هذا الأسلوب إلى قياس مدى كفاءة البرامج أو المشاريع العامة في تحقيق الأهداف المرسومة لها، وذلك بالتركيز على ثلاثة متغيرات أساسية هي (Deniston Rosen stock, Getting, ١٩٧٥: ٣٢٣ :٣٣٠)

١- الأهداف: ويقصد بالأهداف المواقف والظروف التي لابد من تحقيقها لأفراد المجتمع بعد تنفيذ المشروع أو البرنامج العام، بحيث تنقلهم من المستوى الذي هم عليه قبل البرنامج إلى مستوى أفضل من حيث الكم أو الكيف أو الاثنين معاً. والأهداف يمكن أن تصاغ بشكل عام أو لكل برنامج على حدة، أو يمكن أن تجزأ إلى أهداف فرعية بحسب طبيعة البرامج العامة، والمشكلة المطلوب معالجتها.

٢- الأنشطة أو الفعاليات: وهي الأعمال أو الأفعال التي لابد أن يقوم بها الأشخاص أو الأجهزة والمعدات والآلات المستخدمة في تنفيذ المشروع أو البرنامج العام، أي لابد من تحديد نوع الفعاليات والأنشطة التي ستساهم في التنفيذ، ويمكن تجزئتها أو تحديدها تفصيلياً.

٣- الموارد: وهي الأفراد، الأموال، المواد، الأجهزة والآلات والمعدات، وجميع التسهيلات المطلوبة لتعزيز عملية الأداء أو التنفيذ ويفضل أن توصف بمستوى عالٍ من الدقة والتحديد.

إن مقيم أو محلل المشاريع والبرامج العامة يمكنه الاستعانة بمجموعة من النسب لتقييم المشروع أو البرنامج العام موضع التقييم مستخدماً المتغيرات المذكورة أعلاه (الأهداف، الأنشطة، والموارد) ومن هذه النسب:

أ. نسبة الموارد الفعلية إلى المخططة، ويمكن التعبير عنها بالشكل التالي:

$$\frac{\text{كمية أو قيمة الموارد الفعلية}}{\text{كمية أو قيمة الموارد المخططة}} \times ١٠٠ \qquad \frac{AR}{PR}*100$$

ب. نسبة النشاطات الفعلية إلى المخططة، ويمكن التعبير عنها بالآتي:

$$\frac{\text{الفعاليات أو الأنشطة الفعلية}}{\text{الفعاليات أو الأنشطة}} \times ١٠٠ \qquad \frac{AA}{PA}*100$$

ج. نسبة الأهداف المتحققة إلى الأهداف المخططة، ويعبر عنها بالآتي:

$$\frac{\text{الأهداف المتحققة}}{\text{الأهداف المخططة}} \times ١٠٠ \qquad \frac{AO}{PO}*100$$

ومن الأمثلة على استخدام هذا الأسلوب نفترض أن الجهات الصحية الحكومية تهدف إلى أن تكون نسبة المناعة ضد الأمراض لعموم المواطنين هي (٩٠٪)، ولكن نتائج تحليل المعلومات والبيانات أظهرت بأن (٨٠٪) فقط من المواطنين اكتسبوا المناعة ضد الأمراض، نصفهم أي (٤٠٪) كان حصولهم على المناعة من خارج البرنامج الحكومي، وذلك من مراجعاتهم للأطباء الاختصاص في عياداتهم الخاصة، أو من مطالعتهم وثقافتهم الصحية الخاصة. ففي هذه الحالة تكون كفاءة البرنامج أعلاه هي (٨٠٪) وذلك وفق المعادلة التالية:

$$\text{كفاءة البرنامج} = \frac{٨٠ - ٤٠}{٩٠ - ٤٠} \times ١٠٠ = \frac{٤٠}{٥٠} \times ١٠٠\% = ٨٠٪$$

الأساليب والطرق الكمية(*)

هناك العديد من الطرق والأساليب الكمية أو الإحصائية التي يمكن استخدامها لتقييم البرامج والسياسات العامة وهي تتباين في مستلزمات استخدامها والبيانات والمعلومات التي تحتاجها، وكذلك وقتها ومجالات استخدامها، منها ما يلي:

أ. تحليل التعادل.
ب. تحليل الكلفة/ المنفعة.
ج. تحليل الاتجاه العام – المعادلات الآنية.
د. تحليل الانحدار.
ه. البرمجة الخطية.

أ- تحليل التعادل Break Even Point

يعبر تحليل التعادل عن العلاقة بين المنافع أو العوائد المتوقعة لبرنامج أو سياسة عامة معينة، وبين الكلف التي تتطلبها عملية تنفيذ تلك السياسة أو ذلك البرنامج. والتعادل أو التوازن يتحقق عندما تتساوى المنافع أو العوائد (المادية والمعنوية) التي حصل عليها المجتمع مع التكاليف (التضحيات المادية والمعنوية) التي تحملها المجتمع لتنفيذ البرنامج أو السياسة قيد التقييم، أما في حالة زيادة التكاليف عن المنافع فإن النتيجة تكون سالبة ومرفوضة، عكس ما إذا كانت المنافع أكثر من التكاليف، فإن ذلك يعني أن النتيجة تكون إيجابية ومقبولة (Sugden R. & Williams A., ١٩٧٨: ٣٣ ٣٤) مع الأخذ بعين الاعتبار ارتفاع الأسعار خلال المدة بين إقرار البرنامج أو السياسة العامة، وبين إنتهاء مدة تنفيذها، أي لابد من معالجة التضخم وذلك باستخراج القيمة الحالية الصافية للسياسة العامة (NPV). وعليه فإن معادلة القيمة الحالية الصافية للتعادل لأي برنامج أو سياسة عامة يساوي (مجموع المنافع المخصومة – مجموع التكاليف المخصومة) لكل مدة معينة ويمكن التعبير عن ذلك بالمعادلة التالية (Takis Venotaklis, ٢٠٠٢):

$$NPV_{Policy} = \left(\frac{B_1}{1+r} + \frac{B_2}{(1+r)^2} + ... + \frac{B_n}{(1+r)^n} \right) - \left(\frac{C_1}{1+r} + \frac{C_2}{(1+r)^2} + ... + \frac{C_n}{(1+r)^n} \right)$$

حيث:

(*) نظراً لأن صفحات البحث محددة بعدد محدود لا يسع المجال لشرح جميع هذه الطرق، وسنكتفي بشرح واحدة منها فقط. ولمن يريد الاستزادة عليه مراجعة المصادر المختصة منها:

١- بخايا، ورسام، "بحوث العمليات"، العراق، بغداد، مطبعة هيئة التعليم التقني، ٢٠٠٠.

٢- Dunn, William N., "Bublic policy analysis: An introduction", New York, prentice-Hall, ١٩٧٩.

المنافع = B وتشمل: المنافع المادية والمعنوية + الزيادة في الضرائب التي سيدفعها المشروع للدولة بسبب

زيادة الأرباح المتحققة له + أية منافع أخرى.

الكلف = C وتشمل: المعونات المالية التي تقدمها الدولة + المصاريف الإدارية للمشروع + كلفة الفرص الضائعة أو البديلة.

r = معدل الخصم على العوائد.

n = المدة الزمنية التي يغطيها المشروع أو البرنامج العام.

ومن الصعوبات التي تواجه استخدام هذا النموذج في تقييم المشاريع والبرامج العامة هي (Rosen M.S., ١٩٩٥: ٢١٤):

أ. صعوبة معرفة كمية أو قيمة المنافع المعنوية التي تصاحب تنفيذ المشاريع والبرامج العامة، أو تلك التي تعقب تنفيذها بمدد معينة، كارتفاع الروح المعنوية لأفراد المجتمع، زيادة ولاءهم للحكومة، زيادة حماسهم واندفاعهم في تنفيذ الأعمال الموكلة إليهم، زيادة شعورهم بالانتماء والمواطنة، قلة التذمر لدى أفراد المجتمع، قلة نسب التهرب الضريبي وغير ذلك.

ب. صعوبة معرفة التكاليف المعنوية التي تترتب على تنفيذ مشروع أو برنامج عام معين، مثال ذلك الأضرار النفسية التي يتعرض لها مجموعة من المزارعين الذين يفقدون مزارعهم لإنشاء مستشفى عام أو جامعة، أو لمرور سكة حديد فيها، رغم قيام الحكومة بتعويضهم عنها، وكذلك الحال عند هدم عدد من الدور السكنية لتوسيع شارع عام في وسط المدينة، فإن أصحاب هذه الدور سيتعرضون لأضرار نفسية ومادية كبيرة يصعب تقديرها والتعويض عنها.

ج. صعوبة تحديد ومعرفة تكاليف ومنافع الفرص البديلة أو المشاريع البديلة التي يمكن تنفيذها بنفس الموارد والإمكانيات المادية والبشرية المتاحة بدقة.

ومهما تكن المشاكل والصعوبات التي تواجه استخدام هذا الأسلوب أو غيره من الأساليب الكمية، فإنها لا تقلل من أهمية استخدامها في تحليل وتقييم المشاريع والبرامج العامة.

أما الطرق الكمية الأخرى فإنه يمكن الرجوع إلى الفصل السابع من هذا الكتاب للإطلاع عليها، والتعرف على كيفية استخدامها في تحليل وتقييم السياسات والبرامج العامة.

المبحث الثالث: تقييم آثار البرامج العامة

يعد القياس المادي أو الكمي غير ممكنٍ في جميع الأحوال ولجميع المشاريع والبرامج العامة، وذلك بسبب طبيعة الأهداف المجتمعية العامة التي تسعى إلى تحقيقها، والمجالات التي توجه إليها، إذ أن معظم البرامج العامة توجه لخدمة شريحة اجتماعية معينة أو عدة شرائح أو المجتمع بشكل عام. ولذلك فإن التقييم يوجه جل اهتمامه نحو الآثار التي تنجم عن تنفيذ البرامج والمشاريع العامة الموجهة لحل المشاكل العامة وتلبية مطالب المجتمع، إذ إن تقييم آثار البرامج العامة يمكن أن يقدم إجابات ومعلومات واقعية لمجموعة من الأسئلة منها: هل أن هذا البرنامج أو المشروع حققت أهدافها المنشودة؟ وما مقدار كلفها ومنافعها؟ من هم المستفيدون منها؟ ما الذي يحصل لو لم يقر وينفذ هذا المشروع أو البرنامج؟

(Inderson, ١٩٩٨: ١٥٢). عليه فإن تقييم البرامج العامة يهتم بالآثار الفعلية التي تتجسد عن فعل البرامج العامة في الظروف الواقعية لحياة المواطنين، أي معرفة ما الذي تريد أن تحققه الحكومة من تنفيذ البرامج العامة، وكيف تعمل للوصول إليه، وما مقدار ما تم تحقيقه فعلاً، ولقياس ذلك فإن على المقيم أن يحدد التغيير الذي حدث حقاً في بيئة البرامج والمشاريع العامة موضوع التقييم، مثال ذلك، الارتفاع الذي حصل في معدلات الاستخدام، الارتفاع الذي حصل في مستوى المعيشة، الانخفاض في معدلات الحوادث، السرقات، الجريمة، الإصابة ببعض الأمراض المعدية، الارتفاع الحاصل في إيرادات السياحة، وغير ذلك. كما ينبغي الالتفات عند تقييم البرامج العامة إلى الأبعاد المتنوعة لها والتي يمكن تلخيصها بالآتي

(Dye Thomas R., ١٩٧٥):

أ. الآثار المباشرة للمشاريع والبرامج العامة على الشريحة أو الشرائح الاجتماعية التي وجهت لحل مشاكلها وتلبية مطالبها العامة. أي لابد من معرفة هؤلاء الذين يتطلب من البرامج العامة خدمتهم سواءً كانوا من المزارعين، أو النساء أو المعوقين، أو طلاب المدارس، أو الفقراء، أو سكان منطقة معينة... الخ. مثال ذلك كأن يكون البرنامج موجه لزيادة دخول الفئات الفقيرة من السكان، أو تشغيل العاطلين عن العمل في منطقة معينة، أو لتقليل نسب تسرب الأطفال من المدارس، أو لتقليل معدلات الإدمان على المخدرات... الخ. فإن معرفتهم بالتحديد يُمكن المقيم من تحديد التغير الذي طرأ عليهم بعد تنفيذ المشاريع أو البرامج العامة محل التقييم. إن البرامج العامة لا ينتج عنها آثاراً مباشرة مقصودة فقط، بل قد ينتج عنها نتائج أو آثار عرضية غير مقصودة، يجب الانتباه إليها وأخذها بعين الاعتبار عند التقييم، مثال ذلك، فبرنامج دعم أسعار السلع الزراعية سيسهم في تحسين دخول المزارعين، لكنه قد يؤدي إلى زيادة أسعار الغذاء للمستهلكين بشكل عام، كما أن برنامج تشييد مجمعات سكنية للفئات الفقيرة من السكان يؤدي إلى تحسين الوضع الاجتماعي لهم، لكنه قد يكرس مسألة العزل بين الأحياء الفقيرة والأحياء الغنية في المدن الكبيرة على وجه الخصوص.

ب. مثلما يجب على مقيّمي البرامج العامة معرفة الشرائح الاجتماعية المستهدفة بشكل مباشر، فإن عليهم أن يعرفوا الفئات الاجتماعية التي ستتأثر بالمشاريع والبرامج العامة بصورة غير مباشرة، فعند التوسع في بناء المدارس في منطقة معينة لزيادة استيعاب الطلبة وتحسين المستوى التعليمي والثقافي كأهداف مباشرة، فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة معدلات الطلب على الأيدي العاملة، والقضاء على البطالة في تلك المنطقة كهدف عرضي غير مقصود.

ج. إن آثار المشاريع والبرامج العامة لا تنحصر فقط في الآثار الآنية أو الحالية وقت التنفيذ، بل قد تكون لها نتائج وآثار مستقبلية بعيدة المدى يجب أخذها بنظر الاعتبار عند التقييم، فبرنامج التغذية الخاصة لتلاميذ المدارس الإبتدائية في المناطق الريفية والفقيرة قد تكون له آثار على صحة التلاميذ وقابلياتهم البدنية والعقلية ليس في الوقت الحاضر فقط، بل قد تظهر بشكل أوضح في المستقبل المتوسط والبعيد.

د. كما إن للتكاليف المباشرة وغير المباشرة للمشاريع والبرامج العامة بعداً آخر لابد من أخذه بنظر الاعتبار عند التقييم، إذ أن قسماً من هذه التكاليف يصعب إحتسابها وتحديدها على وجه الدقة، خصوصاً تلك التكاليف غير المباشرة أو التكاليف الاجتماعية والنفسية التي لا يمكن تقديرها بمبالغ

نقدية بشكل دقيق، مثال ذلك، عندما يراد توسيع شبكة الطرق في مدينة معينة فإن الدور التي سيتم إزالتها لتوسيع الطريق ومقترباته سيلحق خسائر وأضرار نفسية واجتماعية لأصحابها، لا يمكن تقديرها فالتعويض سيشمل الأضرار المادية لأصحاب تلك الدور فقط، أما الآثار الأخرى كفقد الجيران والابتعاد عن الأهل وعن الأسواق، وموقع العمل، وغير ذلك لا يمكن احتسابها وتعويضها.

إن آثار المشاريع والبرامج العامة التي ترسمها وتنفذها الحكومات قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية، كما قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، وقد تكون ظاهرة، كما قد تكون مستترة، أو رمزية، فالاحتفالات الوطنية والاستعراضات العسكرية الضخمة لها آثار رمزية ومعنوية، ونتائج على المستوى الداخلي والخارجي للبلد، قريبة وبعيدة المدى.

المبحث الرابع: مشاكل تقييم المشاريع والبرامج العامة

تواجه عملية تقييم المشاريع والبرامج العامة العديد من الصعوبات والمشاكل نلخص أهمها بالآتي (Mohr L.R., ١٩٩٥: ١٣٨):

أ. غموض الأهداف وتشعبها: فأهداف البرامج العامة في الغالب تصاغ صياغة عريضة واسعة لكي ترضي معظم أصحاب المصالح المتعارضة من أعضاء البرلمانات أو المجالس التشريعية أو النيابية وذلك لضمان الموافقة عليها بالأغلبية عند عرضها للمصادقة أو لإقرارها بعد صياغتها من قبل الجهات المكلفة بالصياغة، زد على ذلك صعوبة تحديد الأولويات أو الأسبقيات في تنفيذ الأهداف المتعددة للبرامج العامة الواحدة.

ب. تباين الآراء والمصالح للجهات القائمة بالتقييم: إن تقييم البرامج العامة قد يجري من قبل جهات متخصصة ولها معرفة ودراية بعملية التقييم، وقد تستعمل وسائل وأساليب علمية في جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها ومقارنتها وبالتالي إصدار الحكم النهائي على البرامج العامة. ورغم ذلك فإن هناك مقداراً من الاجتهاد والحكم الشخصي سيتضمنه هذا الحكم يحمل بين طياته توجهات وآراء القائمين به، فإذا كانت متباينة فإنها ستعني إصدار تقييمات متباينة أيضاً، زد على ذلك التقييم الذي يصدر من جهات غير متخصصة وليس لها دراية ومعرفة بالتقييم وبأساليبه العلمية ولا تعتمد تقييماتها على حقائق ومعلومات، بل هي مجرد توقعات أو تخمينات، ومن مثيلاتها التقييمات التي تصدر عن بعض الأفراد أو الجماعات السياسية أو الأحزاب أو بعض وسائل الإعلام المتنوعة كالصحف والمجلات المحلية أو الوطنية، التي قد تكون بعيدة كل البعد عن الواقع الحقيقي والآثار الايجابية أو السلبية التي نتجت عن البرامج العامة.

ج. المقاومة (مقاومة التغيير): إن لنتائج التقييم آثاراً قد تكون سلبية تشكل خطراً على سمعة الجهة المسؤولة عن تنفيذ البرامج العامة، ونفوذها، وربما مستقبل إدارتها، فالشعور الذي ينتاب الإدارات المنفذة للبرامج العامة من نتائج التقييم خصوصاً إذا كانت غير متأكدة من ايجابيتها سيدفعها إلى عدم التعاون مع الجهات المقيمة، وتمتنع عن تزويدها بالمعلومات والبيانات التي تساعدها على التقييم وقد تعمد إلى إفشال عملية التقييم أو عدم إكمالها، فالمنظمات تميل لمقاومة التغيير، لأن التقييم قد يحمل بين طياته التغيير الذي تخشاه الإدارات القائمة على تلك المنظمات.

د. كلفة التقييم: قد يتطلب إجراء عملية التقييم الكثير من الجهد والمال والوقت، بحيث أن تكاليفه المتنوعة تفوق العوائد المتوقعة منه، وعند ذلك فإن التقييم يفقد أهميته، ويقل حماس المطالبين بالتقييم، زد على ذلك قد يعمد بعض الذين يتوقعون أن يتضرروا من نتائج التقييم إلى التشكيك بدقة التقييم، ومحاولة التقليل من أهميته بشتى الذرائع والحجج، وتقديم مقترحات من شأنها مواجهة أية نتائج سلبية متوقعة.

ه. صعوبة الربط بين السبب والنتيجة: إن تقييم المشاريع أو البرامج العامة يعتمد على إظهار النتائج ومعرفة أسبابها، أي لابد من ربط النتائج بأسبابها سلباً أو إيجاباً، فإذا أردنا أن نقيّم برنامج مكافحة الجريمة، فلابد من معرفة أسباب الجريمة، وما هي الوسائل التي اتبعت لمعالجة أو لإزالة تلك الأسباب، وعلى افتراض أن أحد أسباب الجريمة هو الإدمان على المخدرات، وقد تبنت الحكومة برنامجاً لمنع أو تقليل الإدمان على المخدرات وخصوصاً الكحول. وعند جمع المعلومات بعد تنفيذ هذا البرنامج وجد أن هناك انخفاض في معدلات الجريمة، مما يعني نجاح هذا البرنامج، غير أن هذا الانخفاض قد لا يكون سببه المباشر البرامج التي اتبعتها الحكومة، بل قد يكون بسبب برامج التوعية الدينية التي قامت بها الجوامع أو الكنائس لتوعية الشباب بشكل خاص والمواطنين بشكل عام بمضار هذه المخدرات والعقاب الذي ينتظره المدمن أو شارب الخمرة من الله سبحانه وتعالى في الآخرة، وقد تزامن هذا الجهد الديني المكثف مع برامج الحكومة مما يجعل عملية الربط هنا عملية مضللة غير واقعية(Rubin D.B., ١٩٨٦: ٩٦١).

المبحث الخامس: القائمون بالتقييم

من خلال ما تم طرحه في هذا البحث نستنتج إن القائمين بعملية التقييم مجموعة من الجهات الرسمية (الحكومة)، وغير الرسمية (غير الحكومية) يمكن إجمالها بالآتي:

أولاً: الجهات الرسمية

تتولى عملية تقييم المشاريع والبرامج العامة مجموعة من الأجهزة الرسمية الحكومية سواءً على المستوى المحلي (المحافظات أو الأقاليم) أو على المستوى الوطني، ومن هذه الأجهزة:

أ. المجالس البرلمانية أو النيابية: تعد مهمة الرقابة وتقييم البرامج والمشاريع التي ترسمها وتنفذها الحكومة من أهم الواجبات التي تنهض بها المجالس البرلمانية أو النيابية في البلدان الديمقراطية، فهي الجهة المخولة بتشريع الأنظمة والقوانين العامة، وكذلك البرامج والمشاريع التي تقترحها الإدارات التنفيذية لمعالجة المشاكل وتلبية المطالب العامة للمواطنين، وهي بهذا الحال تملك الحق في الرقابة والتقييم المباشر عن طريق لجان تفتيش من أعضاء البرلمان تؤلف لهذا الغرض، تقوم بجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها واستخلاص المؤشرات والنتائج لتقييم البرامج والمشاريع العامة، غير أن البرلمان قد يمارس التقييم بشكل غير مباشر من خلال تكليف جهات أو أجهزة أخرى داخلية وخارجية ذات اختصاص. كما يمكن أن يحصل على بيانات ومعلومات لغرض التقييم من خلال وسائل الإعلام والكتل النيابية المعارضة في البرلمان.

ب. ديوان الرقابة المالية: يعد ديوان الرقابة المالية في العراق من أهم الأجهزة الحكومية المتخصصة بتقييم المشاريع والبرامج العامة لجميع الإدارات والمؤسسات الحكومية وشبه الحكومية، وهي تقوم بعملها

ألتقييمي هذا سنوياً من خلال جمع البيانات والمعلومات وفحص السجلات المتنوعة، واستخدام كل ما تراه ضرورياً ومناسباً للحصول على البيانات عن أداء الأجهزة الحكومية، ورفع التقارير التي تتضمن تقييم تلك الإدارات وأسلوب تنفيذها للمهام والمشاريع والبرامج المكلفة بها إلى الجهات المرتبطة بها، وهي الجمعية الوطنية.

ج. الإدارات التنفيذية: تقوم الإدارات التنفيذية نفسها كالوزارات والهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية بإجراء العمليات الرقابية وتقييم البرامج والمشاريع التي تتولى مسؤولية تنفيذها بنفسها، وذلك للتأكد من مواكبة التنفيذ لما هو مخطط، ومحاولة القيام بالإجراءات التصحيحية في وقتها وقبل فوات الأوان، للتغلب على المشاكل التي تواجه التنفيذ على طريقة "حاسب نفسك قبل أن تحاسب" كي تتجنب المساءلة من قبل الجهات الرقابية المكلفة بتقييم برامجها ومشاريعها العامة المكلفة بها.

ثانياً: الجهات غير الرسمية

إن عملية تقييم المشاريع والبرامج العامة لا تضطلع بها الجهات الحكومية فقط، بل حتى الجهات غير الرسمية مثل:

أ. المواطنون: فالمواطن العادي قد يقوم بإصدار الأحكام التقييمية على هذا البرنامج أو ذاك بحسب آرائه واجتهاداته ونوازعه الشخصية المبنية في كثير من الأحيان على مدى تأثر مصلحته الذاتية بهذه البرامج سلباً أو إيجاباً، فالمواطن لا يملك المعلومات الكافية عن البرامج والمشاريع الحكومية وأهدافها وظروفها ولا يملك كذلك الوسائل العلمية للتقييم، فهو يصدر في معظم الحالات تقييماً جزافياً أثناء المناقشات العامة، أو في مجالس السمر مع الأصدقاء.

ب. وسائل الإعلام: تعد وسائل الإعلام كالصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز من الجهات التي تقوم بنشر المقالات والتحقيقات والمقابلات التي تتضمن تقييماً لبعض البرامج والمشاريع العامة. زد على ذلك أن بعضاً من وسائل الإعلام يعبر كل منها عن آراء واتجاهات بعض الأحزاب أو جماعات الضغط أو النخب السياسية المعارضة لسياسة الحكومة، مما يجعلها تتحين الفرص وتتعقب نقاط الضعف في المشاريع والبرامج الحكومية لتسلط الضوء عليها لتكسب ولاء وتعاطف أكبر عدد ممكن من الجمهور إلى صفها في الانتخابات النيابية المقبلة. وقد تعمل وسائل الإعلام المؤيدة للحكومة أو الأحزاب الحاكمة بطريق مناقضة، فتعمد إلى تعقب النتائج الإيجابية للبرامج والمشاريع الحكومية وتسلط الضوء عليها لحشد التأييد للحكومة الحالية.

ج. الأحزاب والنخب السياسية وجماعات الضغط: إن الأحزاب السياسية والنخب وجماعات الضغط قد تمارس هي الأخرى دوراً مهماً في تقييم المشاريع والبرامج العامة للحكومة، وذلك لاستخدامها كوسيلة للضغط على الحكومة للحصول على مكاسب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لمصلحتها.

إن التقييم غير الرسمي في معظم الحالات يكون تقييماً شكلياً لا يستند إلى المعلومات والأساليب العلمية في التحليل والتقييم وذلك لأن الجهات التي تقوم به جهات غير متخصصة بالتقييم، ودوافعها للتقييم هي دوافع المصلحة والمنفعة الذاتية وحسب.

الخاتمة

لا يمكن لأي مشروع أو برنامج أن يكتب له النجاح في تحقيق أهدافه المطلوبة بمجرد التخطيط له، ومن ثم القيام بالتنفيذ، ما لم تقارن إجراءات التنفيذ وأساليبه بالمعايير التي تتضمنها الخطة الموضوعة له في ضوء بيئته الداخلية والخارجية، التي تتسم بالتغير المستمر وعدم الاستقرار خلال مدة التنفيذ، مما يتطلب إعادة النظر بالخطة، وإجراءات تنفيذها بشكل مستمر للوقوف على أسباب التغييرات ومعرفة آثارها الحالية والمستقبلية على المشاريع والبرامج قيد التنفيذ، لاتخاذ التدابير اللازمة عند ابتعاد المنفذ عن المخطط لأي سبب كان، ومحاولة إرجاع الإجراءات التنفيذية إلى مسارها الصحيح، أو تعديل الخطة إن لزم الأمر في بعض الأحيان.

إن معرفة الآثار المترتبة على تنفيذ البرامج والمشاريع العامة يستلزم القيام بتقييم هذه المشاريع قبل وأثناء وبعد التنفيذ، من أجل تهيئة المستلزمات المادية والبشرية والمالية والتقنية والمعلوماتية اللازمة قبل ا لبدء بعملية التنفيذ من جهة، ومتابعة توفير هذه المستلزمات وإتاحتها للقائمين بالتنفيذ بالكم والنوع والتوقيت المرسوم، ومعالجة الانحرافات التي قد تظهر أثناء التنفيذ بسبب تغير العوامل والظروف البيئية والتكنولوجية بشكل يغاير التوقعات في مرحلة التخطيط السابقة من جهة أخرى، ثم يلي ذلك القيام بعملية التقييم النهائي لنتائج المشروع وآثاره المباشرة وغير المباشرة، والمطالب التي قام بتلبيتها، والمشاكل التي ساهم في معالجتها، وصولاً لتحقيق رضى المجتمع أو الجمهور المستهدف.

إن تقييم المشاريع ما هو إلاّ الحلقة الأخيرة في سلسلة حلقات أو مراحل إنجاز المشاريع بدءً بالتفكير أو الفكرة المستوحاة من المطالب العامة أو المشاكل التي يعاني منها المجتمع بشكل عام أو شريحة أو فئة منه بشكل خاص، ثم القيام بوضع الخطط والأعداد والتهيأة للمشروع فالتنفيذ. وأخيراً التقييم الذي يربط هذه الحلقات أو المراحل بعضها مع البعض الآخر، ويبين مكامن أو أماكن القصور أو الخلل إن وجد، ليقدم الحلول الممكنة آنياً من جهة، وينبه المسؤولين لاتخاذ التدابير اللازمة لمنع حصولها في البرامج والمشاريع اللاحقة، ويمكن نوضح ذلك بالمخطط التالي:

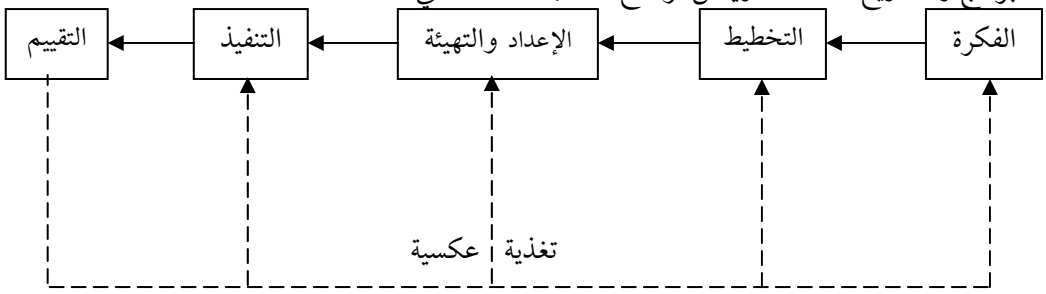

شكل (١)

يبين مراحل إنجاز البرامج والمشاريع.

إن هذا المخطط يوضح دور مرحلة التقييم باعتبارها الحلقة الأهم التي تبين مكمن الخلل أو موضع الابتعاد بين ما هو كائن وما يجب أن يكون وبالتالي إرشاد القائمين على المشروع لاتخاذ الإجراءات الوقائية والتصحيحية والعلاجية اللازمة لإنجاح المشروع والوصول به إلى تحقيق أهدافه المرسومة بأفضل ما يمكن.

المصادر

أولاً: المصادر باللغة العربية

١) اندرسون جيمس، "صنع السياسات العامة"، ترجمة د. عامر الكبيسي، ، ط١، (عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع)، ١٩٩٩.

٢) عبدالقوي، خيري، "دراسة السياسات العامة"، ط١، (الكويت، ذات السلاسل)، ١٩٨٩.

٣) العزاوي، وصال نجيب، "السياسات العامة، حقل معرفي جديد"، (بغداد، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد)، ٢٠٠١.

ثانياً: المصادر باللغة الإنكليزية

١) Arjas, E., "Causal Analysis and statistics asocial science perspective", European sociological Review, Vol. ١٧, No. ١, ٢٠٠١.

٢) Barry, Bozeman, "Public Management and Policy Analysis", (New York, ٦ Martin's, ١٩٧٩).

٣) Blundell, R. and Dias, M.C., "Evaluation methods for non-experimental data", Fiscal Studies, Vol. ٢١, No. ٤, ٢٠٠٠.

٤) Dehejia, R., and Wahba S., "Propensity score matching methods for non-expermental causal studies", NBER, working paper, No. ٦٨٢٩, Cambridge, MA.

٥) Dye, Thomas R., "Understanding public policy", ٢nd Ed., (New York, Prentice-Hall) ١٩٧٥.

٦) Goldthrope, J.H., "Causation statistics and sociology", European sociological Review, Vol, ١٧, No. ١, ٢٠٠١.

٧) Heckman, J.J., "Accounting for Heterogeneity, diversity and general equilibrium in evaluating social programs", The economic journal, Vol. ١١١, ١٩٩٩.

٨) Heckman, J.J. and Todd P. Matching as an econometric evaluation estimator: Evidence from a job training program", Review of economic studies, Vol. ٦٤, ١٩٩٩.

٩) Holand, P., "Statistics and causal inference", Journal of the American statistical association, Vol. ٨١, no. ٣٩٦, ١٩٨٦.

١٠) Anderson, Jams, "Public policy making", ٢nd Ed., (New York, Holt Renhart, Winston), ١٩٧٩.

١١) Kangasharju A. and Venetoklis T., "Business subsidies and employment of firms overall evaluation and regional vatt discussion, Paper, No. ٢٦٨, Helsinki, ٢٠٠٢.

١٢) Moffitt R., "Program evaluation with non-experimental data", Evaluation Review, Vol. ١٥, No. ٣, ١٩٩١.

١٣) Mohr, L.B. "Impact analysis for program evaluation", ٢nd Ed., (thousand Oaks, CA, Sage, Mifflin), ١٩٩٥.

١٤) Nigro, Felix, A. & Nigro, LLoyed C., "Modern public administration", ٣rd Ed, (Illinois F.E. Peacock publishing, Inc.), ١٩٧٦.

١٥) Reiter, J., "Using statistics to determine causal relationship Mathematical Association of America, No. ١٠٧, ٢٠٠٠

١٦) Riccio, J.A. and bloom H.S., "Expending the reach of random Sid Social experiments: New direction in evaluations of America welfare-to-work and employment initiatives manpower demonstration research corporation (MDRC), working paper on research methodology, October, ٢٠٠١.

١٧) Rizzo, J.A., "Propensity scoring methods: A new tool for health outcomes analysis using retrospective databases November, ٢٨, ٢٠٠١, (At http//hores,med.ohio-hate-oluy/presentation/).

١٨) Rosen, H.S., "Public finance", ٤th Ed., (Chicago Irwin), ١٩٩٥.

١٩) Ross, P. Freeman H. and Lipsey M.W., "Evaluation Beverly hills, Ca, Sage, (New York), ١٩٩٩.

٢٠) Rubin, D.B., "Statistics and causal inference comment which its have causal answers Journal of the American statistic Association, Vol. ٨١, No. ٣٦٩, ١٩٨٦.

٢١) Schreiner, M., "Evaluation and micro enterprise programs", (Washington University Center of Social development St Louis, Irwin, Publisher), ٢٠٠١.

٢٢) Shadish, W.R. Cook and compbell D.T., "Experimental and quasi experimental Designs for generalised causal inference (Boston: Houghton-Mifflin), ٢٠٠١.

٢٣) Smith, J., "A ctritical survey of empirical methods for evaluation active labour market programs, manuscript University of Ontario, Dep. Of economics (Ontario September, ١), ٢٠٠٠.

٢٤) Sugden R., William, "The principals of practical cost-benefit analysis", (Oxford: Oxford University Press), ١٩٧٨.

٢٥) Takis, Venctoklis, "Public policy evaluation: introduction to Quantitative methodologies", (Government institute for economic research, Helsinki), ٢٠٠٢.

٢٦) Treasury Board of Canada, "Program evaluation methods: measurement and attribution of program results", Review practice and studies government and quality services (at http://www.ts.scl.gc.ca/eval/pubs/method/dwn/htm/as.at.١٠.w, ٢٠٠٢.

٢٧) Vedung E., "Public policy and program evaluation",)New Brunswick: Transaction Publishers), ١٩٩٧.

٢٨) Venetoklis, T., "Methods applied in evaluation business subsidy programs: A survey", Arvised approach, Vatt, Government institute for Economic research, research report, No. ٨٣, (Helsinki), ٢٠٠١.

٢٩) Weiss, C.H., "Evaluation", ٢nd Ed., (New Jersey" Printice-Hall), ١٩٩٨.

مِن مَلامِح الدِّلالَة الصّوتِيَّة

في القُرآنِ الكَريم

المدرس المساعد ماجد النجّار

مِن مَلامِحِ الدّلالَة الصّوتيَّة

في القرآنِ الكريم

المدرس المساعد ماجد النجّار

ملخص البحث باللغة الانجليزية:

Some vocal features of Quran and their semiology

Abstract

This research paper takes only into account two Quranic vocal features; semiological aspects of 'vowel' and 'tonality', for each of which two Quranic examples are presented. Various aspects of vocal features in the Quranic phrase: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) (Those unable to hear, speak and see) have been studied in detail; such features as: letters/sounds, vowels, consonants, syllable, and tonality together with different functions of tanvin involving nasal, Edgham, Qhalb, mute.

The paper begins with a history of sounds and their semantic functioning.
A number of semiological examples in connection with vowels and tonality are mentioned. The aforementioned Quranic phrase is put to a rhetorical and semiological analysis and then it is analyzed from a vocal viewpoint, in order to show how rhetorical facet of Quran has taken on vocal and musical features to render Quran verses as an artistic accomplishment.

word: Vowel / tonality/ rhetoric / vocal analysis/, syllable

ملخّص البحث

يكتفي هذا البحث بدراسة ظاهرتين صوتيتين من ظواهر صوتية قرآنية كثيرة، هما: دلالة الحركة، ودلالة الإيقاع، مع إيراد نموذجين قرآنيين لكلٍ منهما. ثم يتناول بالتفصيل الملامح الصوتية، بأبعادها المختلفة، في جزءٍ من آيةٍ شريفةٍ، وهو قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾. من خلال دراسة ما تشتمل عليه هذه الكلمات الثلاث من حروف (أصوات) وحركات وسكنات ومقاطع وإيقاع. إضافةً إلى ما يعتور التنوين فيها من غنّةٍ وإدغامٍ وإقلابٍ وإخفاءٍ.

وقد قدمنا للبحث بنظرة تاريخية موجزة، تناولتْ إشارات السابقين واللاحقين إلى موضوع الأصوات ودلالاتها. ثُم تَعَرَّضنا لدلالة الحركة والإيقاع ونماذجهما، منتقلين بعدها إلى تحليل الآية المذكورة تحليلاً بلاغياً، ثمَّ توظيفه دلالياً، للانطلاق منه إلى التحليل الصوتي. حيث تمتزج الصُّورة البيانية بالصورة الصوتية والإيقاعيّة، فتعملان سويةً على تشكيل الصورة الفنية للجملة القرآنية.

المفردات الأساسية: الحركة / الإيقاع / الصوت/ التحليل البياني/ المقاطع الصوتية

مقدمة:

يُطلق علي اللغة بأنّها ظاهرةٌ اجتماعيةٌ[1]، وأداة التواصل الرئيسية بين البشر، وهي إضافةً إلى ذلك ظاهرةٌ صوتيةٌ[2]، لها ما يميزها عن سائر الرموز الأخرى غير اللغوية، ومن ثم فإن دراسة أيِّ نص أدبي دراسةٌ علميةٌ تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج منها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة.

والقرآن الكريم الذي هو أرقى نص أدبي على الإطلاق، كان قد وظّف كلَّ ما يمتلكه الصوت اللغوي من قدرات، وبخاصة القدرة على التصوير من جهة، والتنغيم من جهة أخرى، وذلك بهدف بلوغ أعمق مواطن التأثير في المتلقّي، فغدا الصوتُ فيه صورةً متميزة للتناسق الفني، ومظهراً من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات إعجازه الأسلوبي والبياني الرفيع.

لذا كان وقع القرآن على الآذان لا يجري وفق نمطٍ واحد رتيب، بل يتنوع بتنوع الموضوع، فتارةً يكون إيقاعُه هادئاً كنسيم الجنان، وتارةً يكون هادراً كريحٍ صرصرٍ عاتية، وتارةً أخرى يكون لا هذا ولا ذاك، فهو يتلوَّن بتلوُّن الأغراض الدلالية. ومن هنا فقد أمر اللهُ بترتيله على أحسن وجه، في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وجاء في الحديث الشريف: «ليس مِنّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقرآن»[3]، والترتيل والتّغني هنا إنما هو قراءته جهراً في شيءٍ من التروِّي، بحيث تستبين حروفه، وتظهر حركاته، فيكون ذلك مدعاةً إلى إمعان الفكر فيه، وسبر أغواره، ومن ثم الوقوف على أسراره.

تأسيساً على ذلك، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[محمد: ٢٤]، فقد جاء هذا البحث بهدف الكشف عن القيمة الدلالية الدقيقة للصوت، وإبراز مكانته في إعجاز النص القرآني، وقدرته الفذّة على الإبلاغ. وذلك من خلال الاشارة العابرة إلى دلالتي الحركة والإيقاع في القرآن الكريم. ثم الإنتقال إلى دراسة آية قرآنية واحدة، أو الجزء الأول منها، و هي قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] بالتحليل الصوتي بأبعاده المختلفة.

---

١ – انظر: علي عبد الواحد وافي، في كتابيه: اللغة والمجتمع: ص٣- ٦. ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل: ص٢٩.

٢ – عرّف ابن جني (اللغة) في كتابه: الخصائص، تحقيق د.محمد علي النجار، ٣٣/١ بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» ومن خلال النظر في هذا التعريف نلحظ أنه لا يبتعد كثيراً عن أحدث التعريفات، فهو يتضمن ثلاثة جوانب أساسية في اللغة، هي: الجانب الصوتي، والجانب الاجتماعي، والجانب الوظيفي. أنظر: ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، ص٢٣. و فندريس: اللغة، ص٦٦. ومحمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، ص١٥- ١٦.

٣ – تفسير القرطبي: ١١/١. تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٤. صحيح البخاري: ٦/ ٢٧٣٧.

نظرة تاريخية:

كان القرآن الكريم منطلقاً أساسياً ومباشراً لثلاث مجموعات من الدراسات، هي: الدراسات اللغوية، والبلاغية، والقرآنية، لذلك فقد ظهرت بوادر الدراسات الصوتية بنسب متفاوتة في كل من هذه الدراسات الثلاثة.

ولعل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية والصرفية والنحوية، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٥هـ) الذي بنى ترتيب الأصوات على أساس منطقي، انطلاقاً من معرفة خصائص الحروف وصفاتها[٤]، وخرج علينا بمعجم العين بشقّيه: مقدمته، ذات القيمة العلمية الكبيرة، وأصل مادته اللغوية، ليكون، بحق، صاحب هذا العلم، ورائده الأول.

ثم تبعه تلميذه سيبويه (١٨٠هـ) سائراً على خطى أستاذه، لكنه خالفه قليلاً في صفات الأصوات، وأضاف إلى هذا العلم ما يشهد له بقدم السبق فيه، فقد وضع قضايا الإدغام، وحدَّدَ بدقَّة صفات الحروف ومخارجها. وكان علماء النحو والقراءة من بعده يسيرون على مذهبه[٥].

ثم نهض بأعباء الصوت اللغوي بعد مدرسة الخليل اللغوي الكبير ابن جني(٣٩٢هـ) متجاوزاً مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل[٦]، متعرضاً لقضايا الصوت في كتابيه: (سر صناعة الإعراب)، و (الخصائص) في بحوث غاية في الدِّقَّة، منها حديثه عن مصدر الصوت وكيفية حدوثه واختلاف جرسه بحسب اختلاف مقاطعه، والفروق البارزة بين الأصوات والحروف، والأصوات الصائتة والأصوات الصامتة.

كما تطرَّق ابن جني إلى موضوع نشأة اللغة، وأثر المسموعات الصوتية في نشوء اللغات الإنسانية، مشيراً في الوقت نفسه إلى نظرية محاكاة الأصوات في بابي: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني. وهي ملامح سنجد لها ما يؤيدها في الآية التي نحن بصددها.

ونجد ملامح أساسية لهذا العلم عند علماء البلاغة الذين تعرَّضوا لمسائل الفصاحة، كفصاحة الكلمة والكلام، وموضوع اللَّفظ والمعنى في النص الأدبي. وكذلك عند الإعجازيين الذين درسوا القرآن على مستوى اللفظ والمعنى، وقالوا بالإعجاز بالنظم، كالرماني(٣٨٦هـ)، والخطّابي (٣٨٨هـ)، والباقلاني (٤٠٣هـ)، و عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، ثم ابن الأثير (٦٣٧هـ)، وابن أبي الإصبع، (٦٥٤هـ)، وحازم القرطاجني (٦٨٤هـ)[٧]، و...

كما أن علماء التجويد انطلقوا من الدرس الصوتي لتأصيلِ علم التجويد، فوضعوا عشرات المصطلحات الخاصة بالأداء الصوتي الدقيق للقرآن الكريم، فيما يسمِّيه علماء الأصوات اليوم بـ (علم وظائف الأصوات) phonology، ومنها صفات الحروف: كالهمس والجهر، والشِّدَّة والرخاوة والتوسُّط، والاستعلاء و الاستفال، وغير ذلك كالمد واللين والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة والإدغام والإخفاء، ثم أحكام الوقف و السَّكت، وهكذا دواليك.

---

٤ – انظر: المخزومي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق: ص٤.

٥ – انظر: عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص١٩٨.

٦ – انظر: محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن: ص٥٦.

٧ – انظر: أحمد سيد محمد عمار: نظرية الاعجاز القرآني: ص١٢١ وما بعدها.

أما في العصر الحديث فقد أفاد كثيرٌ من اللغويين العرب مِمّا توصَّل إليه الغرب في مجال علم الأصوات، أمثال إبراهيم أنيس، وتَمّام حسّان، وكمال بِشر، وآخرون. كما تَنبّه غير واحد من أهل العلم والدين والأدب بحسهم المرهَف، وذوقهم السّليم إلى الارتباط الوثيق بين الصّوت والدلالة، فتعرَّضوا في كتبهم إلى شَذَرات مِمّا وقَع منه في القرآن الكريم، كالرافعي، وبنت الشاطئ، وسيد قطب، وغيرهم.

وفيما يلي نتناول باختصار شديد ظاهرتين صوتيتين في القرآن، هما الحركة والإيقاع، من ظواهر صوتية كثيرة، نُرجئ دراستها إلى بحوث قادمة إنشاء الله. ثم ننتقل بعدها لدراسة الجزء الأول من قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وتحليلها تحليلاً صوتياً في شيء من التفصيل.

دلالة الحركة:

من المعلوم إن للحركة في اللغة العربية دوراً كبيراً في تحديد معنى الكلمة، سواءٌ على صعيد بنيتها التشكيلية، أو على صعيد حالتها الإعرابية. كما إن الفتح أوالضم أوالكسر، وكذلك السكون الذي يعتور الكلمة، بنسبٍ متفاوتة، من شأنه تشكيل ملامح الكلمة، وتحديد صورتها النطقية، بسبب الصفات التي تُميّز كلاً منها.

وتسمية الحركات فيها شيء من خصائصها. ويدل على ذلك ما قام به أبو الأسود عندما أراد تنقيط المصحف الشريف. فقد أخضع عمله للتجريب والتذوُّق الفعلي للحركات، معتمداً في ذلك على وضع الشفاه من فتح وكسر وضم لها، قائلاً لكاتب من بني عبد قيس «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه؛ فإن ضممت فمي، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين»[٨]. ومن ثم كانت التسمية التقليدية المعروفة، الفتحة والكسرة والضمة[٩].

وفي القرآن الكريم نماذج أكثر من أن تُحصَى، اختيرت فيها الكلمات اختياراً دقيقاً، ليشاطر بناؤها الحركي، حالتها التعبيرية. كما اختيرت فيه كلمات أخرى، ورُكِّبت في جمل بحيث يتساوق بناؤها الحركي إضافةً إلى حركتها الإعرابية، مع الحالة التعبيرية.

ومن أمثلة النموذج الأول؛ حيث تدل صيغة الكلمة من ناحية الحركات على المعنى، ما وَرد في القرآن الكريم من استعمال كلمة (الحَياة) للدنيا، واستعمال كلمة (الحَيَوان) للآخرة. في قوله عزَّ مِن قائل: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فلأنّ الدنيا دارُ لَهوٍ ولعب وزوال، عُبِّر عنها بالحياة. ولأنّ الآخرةَ دارُ كرامة وعزٍ وبقاء، عُبّر عنها بالحَيَوان.

والعلة في استعمال القرآن كلمةَ (الحَيَوان) للدار الآخرة، دون استعمال كلمة (الحياة) التي أطلقها على الدار الدنيا، مع إن كلاً منهما مصدر للفعل: حَيِيَ، يَحيَى، هو أنّ كلمة (الحَيَوان) صيغة مبالغة بالألف والنون، وفي بنائها « زيادةُ معنى ليس في بناء (الحياة)، وهي ما في بناء (فَعَلَان) من معنى الحركة

٨ – الفهرست لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالنديم – تحقيق رضا تجدد. ص ٤٠.
٩ – انظر: كمال بشر: علم الأصوات: ص ٤٢١.

والاضطراب... والحياةُ حركة، كما أنّ الموتَ سكون، فمجيئه على بناءٍ دالٍّ على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت (الحَيَوَان) على (الحَياة) في هذا الموضع المقتضي للمبالغة»[10]. وقد علّل سيبويه ذلك بأنهم «قابلوا بتوالي حَرَكات المثال توالي حَرَكات الأفعال»[11]. وهو ما يتناسب مع الحياة المستمرة الدائمة الخالدة في الآخرة، ولم يُذكر لفظ (الحَيَوان) في القرآن إلا وصفاً لها.

ومن أمثلة النموذج الثاني؛ حيث أنّ صيغة الكلمة من ناحية الحركات، إضافةً إلى حالتها الإعرابية في التركيب فيهما دلالة على المعنى، ما ورد في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر: ٩- ١٢]. فقد دعا نبيُّ الله نوحٌ عليه السلام ربَّه أن ينصره على قومه الذين كذبوه، فما لبثت أبوابُ السماء أن انفتحتْ على مصراعيها، فانهمر منها مطرٌ غزيرٌ، وغدت الأرضُ كلُّها عيوناً متفجرةً بالماء، فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ.

فكلمة ﴿فَفَتَحْنَا﴾ تبدأ بثلاث فَتَحَات متوالية، تنسجم تماماً مع فعلِ فتحِ أبوابِ السماء. ويقوِّي الاحساس بفعل الفتح انتهاء هذه الكلمة بفتحة رابعة مختومة بحرف مدٍّ منفصل، يُمَدُّ بمقدار أربع أو خمس حركات[12]، يوحي بمقدار ذلك الفتح الذي وَسِعَ السّماءَ كلَّها. ثم تتوالى بعد ذلك حركةُ الفتح على كلمة ﴿أَبْوَابَ﴾ المنصوبة، ثم ﴿السَّمَاءِ﴾، مع ملاحظة الحرف الأخير منهما المردوف بألف المد المرتكز على حركة الفتح، وما يوحي من الاستطالة والسّعة والامتداد، ثم تُختَم الكلمةُ الأخيرة ﴿السَّمَاءِ﴾ بحرفٍ مكسور إيذاناً بنزول الماء منها، لِتَتَوالَى بعدها حركةُ الكسر في كلمتي: ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ وتختمان بها. ولا يخفى ما بين حركة الكسر المتكرِّر، وبين فعل نزول الماء من السماء إلى الأرض من تلاؤم و تناغم، من شأنه تحويل حاسة السمع في القارئ والسامع إلى حاسة إبصار، خاصةً ما يوحي به تنوين الكسر في نهاية الكلمتين الأخيرتين من شدة الانهمار، وما يدل عليه حرف الراء في آخر ﴿مُنْهَمِرٍ﴾ من التكرار، بسبب خاصيته التكريرية.

أما في قوله تعالى بعده: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ فنلاحظ عودة حركة الفتح من جديد لتتناسب مع حركة تفجُّر الماء من الأرض بحركة عكسية هذه المرة، من الأسفل إلى الأعلى. وقد جاء المد بالألف في: ﴿فَجَّرْنَا﴾، و﴿عُيُونًا﴾ ليوحي بتلك الحركة التصاعدية للماء.

والنماذج القرآنية التي يمكن أن تُساق كأمثلة على هذين النوعين من دلالة الحركة ومناسبتها للمعنى، من الوفرة والتنوُّع بمكان، بحيث يمكن أن تُفرَد لها البحوث الطوال، إذا ما توفّرت في الباحثين في النص القرآني معطيات البحث السيميائي والألسني.

---

١٠ – الكشّاف للزمخشري: ٤٦٣/٣.

١١ – الخصائص: ١٥٢/٢

١٢ – يسمى هذا المد بالمد الجائز المنفصل: وهو أن يأتي حرف مد في آخر كلمة، ويأتي بعده الهمز في أول الكلمة التالية.(محمد حسن الحمصي(١٩٩٩): تفسير وبيان مفردات القران على مصحف التجويد مؤسسة الايمان، ط١، بيروت، ص٦١٦.

دلالة الإيقاع:

لا يكاد يختلف اثنان على أصالة الإيقاع القرآني وتَفَرُّدِه، شَكلاً، وتنوُّعاً، وحلاوةً، وتأثيراً منذ زمان نزوله، وصولاً إلى عصرنا هذا. ولعلنا لا نجانب الحقيقة، إذا قلنا: بأنّ جمالَ نظمِ القرآن، الذي هو أُسُّ أعجازِه، قائمٌ على اصطناع الإيقاع الذي يطبع بنيةَ كلِّ سورة من السُّوَر بطابعٍ خاص. بل إن هذا الطابع الإيقاعي يتنوّع بِصُورٍ وأشكالٍ متنوعة في السورة الواحدة، تبعاً للموضوع تارةً، ولمقتضى الحال تارة أخرى.

ونكتفي في بحثنا هذا بالإشارة إلى نموذجين فقط؛ أحدهما يمثل تناغم الإيقاع القرآني مع المعنى الذي يُصَوِّره. والثاني يكشف فيه الإيقاع بشكل دقيق عن الحالة النفسية التي يُعبر عنها.

أما النموذج الذي يُمثل النوع الأول؛ فهو الخاصية الإيقاعية المتنوعة التي تشتمل عليها سورة العاديات، بتمام آياتها. وهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۞ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۞﴾

فالسورة المباركة تنقسم بحسَب مضمونها إلى ثلاثة أقسام[١٣]:

القسم الأول: مشهد فرسان يُغيرون على جماعة أخرى، تصويراً لصراع الإنسان في هذه الحياة. يمتد من الآية الأولى وحتى الآية الخامسة. وهي آيات قصيرة جداً، تتوالى سراعاً، والفاصلَة في الآيات الثلاث الأولى (وهي جملٍ إسمية) ألفٌ ممدودةٌ مسبوقة بالحاء. أما في الآيتين الأخيرتين (وهما جملتان فعليتان) فألف ممدودة أيضاً، ولكنها مسبوقة بالعين.

القسم الثاني: تحليل سريع وموجز لنفسية الإنسان، في غفلته، وحبه الشديد للمال، وكفرِه بنعم الله. ويشمل الآيات (٦و٧و٨). وهي كلُّها جمل إسمية مؤكَّدة بإنّ وباللام، وفاصلتها جميعاً الدال المردوفة بحرف مد، هو الواو مرّة، فالياء مرتين.

القسم الثالث: تذكير بمصير البشر بعد الموت، وما ينتظره من بعث وحساب على الأعمال والنيات من قبل الله الخبير. ويشمل الآيات (٩و١٠و١١). حيث تتوالى جملتان فعليتان، فجملة إسمية، وفاصلتها الراء المردوفة بحرف مد، هو الواو مرتين، فالياء مرة.

فلكل قسمٍ صياغته، وفاصلته الخاصة به، كما أنّ له إيقاعه الذي يناسبه من الناحية الفكرية والتصويرية.

وتحليل هذه السورة من الناحية الصوتية والإيقاعية يتطلب وقتاً وجهداً كبيرين، لذا اختصاراً للبحث، نشير إشارةً عابرة إلى القسم الأول من السورة المباركة. حيث يُصور مشهداً حيّاً نابضاً بالحركة والحياة، تعدو فيه كوكبة من الفرسان، نُحِسُّ بحرارة أنفاس خيلها، ونسمع وقع حوافرها، ونُبصر

١٣ – محمد المبارك: دراسة أدبية لنصوص من القران: ص١٤- ١٩.

الشّرر المتطاير منها، وما تُثيره من الغبار حولها. لذا جاء إيقاعها منسجماً تماماً مع الحدث، وهو عَدْو الخيول بسرعة فائقة.

فالآيتان الأولَى والثانية: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ تنتظمان وفق نسق إيقاعي واحد سريع، يتناسب بشكل لا يقبل الترديد والشك مع وقع حوافر الخيل وهي تعدو بأقصى سرعتها. وتقريباً لصورة هذا النسق الإيقاعي، حتى نتلمّس حقيقة مطابقته لوقع حوافر الخيل المسرعة، نستعين بالتفاعيل العروضية التي تطابقه وهي: (مُسْتَفْعِلُنْ فَعُو لُنْ) لكل آية. وهو وزن كثيراً ما كان فرسان العرب يرتجزون به في ساحات القتال، وهم يكرّون على أعدائهم[١٤]. وتنتظم مقاطع هاتين التفعيلتين عروضياً على الشكل التالي:

(مُسْ + تَفْ + عِ + لُنْ + فَ + عُوْ + لُنْ)

(ط + ط + قَ + ط + ط + ق + ط + ط)

حيث يمثل كل حرفٍ متحرك يليه ساكن نقرةً طويلةً، أو ما يسمى (مقطع طويل)، ورمزنا له بالحرف (ط). كما يمثل كل حرفٍ متحرك بمفرده نقرةً قصيرةً، أو ما يُسمى (مقطع قصير)، وقد رمزنا له بالحرف (ق). ومن خلال تكرار هذا الايقاع عدّة مرات متوالية يتبين بوضوح مدى انطباقه مع إيقاع عدو الخيل، وهي تضرب الأرض بحوافرها بقوة.

أما الايقاع الذي في الآية الثالثة: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ فيكاد يكون مطابقاً لسابقيه، لولا انحراف المد اليائي من الميم إلى الغين. ولكنه يظلُّ امتداداً طبيعياً لإيقاع الآيتين السابقتين وزناً وفاصلةً، لأنه يقاسمهما المعنى والصورة. أما فاصلة الحاء والمد الذي يليه في هذه الآيات الثلاث، فيُشكل عنصراً تصويرياً وصوتياً رائعاً، ما أقربه إلى حَمْحَمَة الخيول[١٥] المغيرة، نافثة بزفيرها الملتهب في الهواء الذي تَشُقُّه بأقصى سرعتها.

ولكن هذا الإيقاع الذي وجدناه متناغماً في الآيات الثلاث الأولى سرعان ما يسلك طريقاً آخر في الآيتين الرابعة والخامسة: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، وذلك لتضمُّن فعل الحركة أداءً آخر للخيول. فهي هنا إضافةً إلى عَدْوها، تُثير غبارَ الأرضِ وتُهيِّجُه، وتتوسَّطه. فتَغَيَّرَ الايقاعُ تبعاً لِتَغيُّرِ المعنى. وإيقاع الآيتين عروضياً كالآتي:

(فَعِلُنْ + فَعِلُنْ + فَعْلُنْ)

(ق / ق / طـ + ق / ق / طـ + طـ / طـ)

---

١٤ – يندرج هذا الوزن ضمن إيقاع بحر الرجز المنهوك الذي حذفت منه تفعيلتان من الصدر، ومثلهما من العجز، فبقيت له تفعيلتان فقط، واحدة لكل منهما، الأولى (مستفعلن) صحيحة، والثانية (فعولن) مخبونة، (حذف الساكن الثاني) و مقطوعة (حذف السابع الساكن وإسكان ما قبله). ومنه ما قالته هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أُحد:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق
الدُّرّ في المخانق ... والمسك في المفارق
إن تقبلوا نعانق ... أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

انظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني: ٣٩٢/١٢. وابو منصور الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ص٢٩٦).

١٥ – جاء في معجم العين، باب الحاء مع الميم: (والحَمْحَمةُ: صوتُ الفَرَس دون الصوت العالي) وفي لسان العرب، باب الحاء: (والحَمْحَمةُ والتحمحم عن الفَرَس حين يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه.. وفي الحديث: لا يجيء أحدكم يوم القيامة بفرس له حمحمة. كما ورد في مفردات الراغب: ص١٣٨ (أما حمحمتِ الفرس فحكاية لصوتها).

وكما نلاحظ فإنّ الإيقاع هنا يمتاز بغلبة النقرات القصيرة على النقرات الطويلة، على العكس مِمّا سبق. وهذا معناه زيادة الحركات وتواليها، وذلك بسبب توالي فعلِ إثارةِ النقعِ وتَهييجه، ومَيَدَان الخيل في وسطه.

أما إيقاع ما تبقّى من آيات هذه السورة فإنه ينحو منحًى آخرَ مغايراً تماماً، يتسم بالطول والانسيابية، بما يتناسب والحالة التقريرية التي يُعبّر عنها. فقد تم الانتقال فجأةً من الجمل الإنشائية، إلى الجمل الخبرية، فترتّب على ذلك، الانتقالُ من الايقاع المضطرب السريع، إلى الإيقاع الهادئ البطيء. وهو ما يمكن ملاحظته بيُسر، أثناء تلاوة السورة، دون اللجوء إلى التحليل الصوتي.

أما النموذجُ الذي يُمثل النوع الثاني؛ والذي يكشف فيه الإيقاع بشكل دقيق عن الحالة النفسية التي يُعبر عنها. فيمكن التمثيلِ له بقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف / ١٦] والإيقاع الملحوظ في هذه الآية الشريفة يجسد بحقٍ ما يُسمى في اصطلاح الفن السابع بالموسيقى التصويرية، وهي الموسيقى المصاحبة للأفلام والقصص التلفزيونية والسينمائية.

ولما كانت قصة نبي الله يوسف عليه السلام قد وردت كاملةً مرّةً واحدةً في القرآن الكريم، وفي سورةٍ واحدةٍ منه، دون قصص سائر الأنبياء والرسل، فقد رُوعِي في سَردها جميعُ العناصر الفنية اللازمة لإخراج عملٍ فَنِيٍّ قصصيٍ متميز، من تنوعٍ في الشخصيات والأحداث، ومقدمة، وتصاعد درامي، وحبكة قصصية، فنهاية سعيدة، وما يكتنف القصة من إثارةٍ فنية، وانتقال مفاجئ لمواقع الحدث، ومواقف الحوار. وقد رافق كلّ ذلك إيقاعاتٌ مناسبةٌ للزمان والمكان والأحداث والمواقف والشخصيات. فكانت كما وصفها قائلها: أحسن القصص، وذلك لما تَضَمَّنَتْه، إضافة إلى ما ذكرنا، «من العِبَر والنُّكَت والحِكَم والعَجائب التي ليست في غيرها»[١٦].

ونكتفي في بحثنا هذا بالاشارة إلى الإيقاع التصويري الذي تُجَسِّدُهُ هذه الآية فقط من تلك السورة. فبعدما ألقى إخوةُ يوسفَ أخاهم في غيابة الجُبّ، رجعوا في ظلمة الليل، وهم يبكون ويُظهرون الأسف والجزع على يوسف، ويتغمّمون لأبيهم[١٧]. فالحالة التي جاؤوا فيها إلى أبيهم، سواءٌ فيما يبدو على ملامحهم أو على طريقة مَشيهم، هي حالةٌ مفتَعَلة، كانوا يصطنعون فيها الأسى والحزن والجزع والبكاء على أخيهم، ليُمهِدوا للاعتذارِ الذي عليهم أن يختلقوه لأبيهم، عمّا وَقَعَ فيما سيزعمون. فجاء الإيقاعُ كذلك مفتعلاً مصطنعاً رتيباً، يوازي ذلك الحدث المفتَعل. ويناغم تلك الحالة المصطنعة.

ونستعين هنا بالإيقاع العروضي أيضاً، لتوضيح النمط الموسيقي الذي تصوره هذه الآية، ولتحديد ملامحه النغمية المتّسقة مع صورة الحدث. فنحن حينما نُخضِع هذه الآيةَ للتحليل الإيقاعيّ نجدها على هذه الصورة:

(وَجَاءُوا + أَ بَا هُمْ + عِـشَاءً + يَبْكُو نَ)

[ق ط ط + ق ط ط + ق ط ط + ط ط ن]

وهذا الإيقاع يناظر (عدا المقطع الأخير) إيقاع البحر المتقارب الذي يمتاز بنغمة واحدة (فعولن) متكرِّرة. قوامه كلّه مقطع قصير وآخران طويلان يليانه على هذا الترتيب (ق + ط + ط). وأقل ما يُقال

١٦ – الكشاف: ٤٤١/٢.

١٧ – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ص ٨٠٨.

عن هذا الإيقاع أنه مضطرد التفاعيل، منساب، يَصلح لكل ما فيه تعداد للصفات، وسرد للأحداث في نَسق مستمر[١٨]. وهي صفات تتلائم تماماً والحدث الذي التأم للتعبير عنه في هذه الآية الشريفة.

ولكن الإيقاع الذي يحكم هذه الكلمات، ويَضبطها، ويَمنحها القدرة على تصوير تلك الحالة النفسية المثيرة للشفقة لأخوة يوسف، لا يكاد ينحصر في كثرة المقاطع الطويلة، وورودها بشكل متناسق فحسب، بل إنه ليكتسبُ خصوصيته النغمية كذلك من شيئين آخَرين لا يَقلّان أهميةً عن ذلك، وهما:

- المدّ المتكرر في كل كلمة على المقاطع الطويلة.
- ما يتبع هذه المدود والمقاطع الطويلة من شِبه وقف، يتواصل معه النَّفَس دون انقطاع، وذلك ما بين آخر وأول كلٍّ من كلمتَي: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ﴾، وكلمتَي: ﴿أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾. حيث يندفع النفس ويبلغ أقصى مداه في أول الكلمة الأولَى منهما، ثم يَسترخي في آخرها هابطاً، ولكنه لا يلبث أن يَعترضه حرف حلقي، يخرج من أقصى الحلق، هو الهمزة في ﴿أَبَاهُمْ﴾، وآخَر مثله، يخرج من وسط الحلق، هو العين في ﴿عِشَاءً﴾. وهو ما يمنح الآية امتداداً نغمياً حاداً، يُوحي بالانفعال والبكاء، ونكاد نسمع منه حَشرجة الصدر.

ثم تأتي الآية التالية، فيظهر اضطراب إخوة يوسف من خلال قصِّهم للحدث المزعوم، في قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:١٧] فتظهر في عباراتهم، وهم يعتذرون لأبيهم، حرف المد مكرّراً خمس عشرةَ مرّة. سواءٌ مع نون جمع المتكلم مع الغير (سبع مرات)، أو دون ذلك (ثماني مرات). فتكرارهذه المدود وخاصة (نا) التي تظهر فيها صورة الأنا الجمعي، إضافة إلى استتارها في كلمتي (نستبق) وصادقين) دليل قويٌّ على اضطرابهم وتخبطهم بسبب ما ارتكبوه.

لذلك فقد طغَى هذا الاضطراب على إيقاع هذه الآية، على العكس تماماً من الإيقاع المتتابع والمضطرد للآية السابقة. ولو أُتيح لباحث دراسةَ هذه السورة من الناحية الصوتية، دراسةً تفصيلية، لوقف فيها على إعجازٍ جديدٍ لهذا الكتاب الكريم، لا يدع فيه مجالاً لمشكِّك بمصدره الرباني.

التحليل البياني للآية الشريفة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

قبل الخوض في تحليل الآية صوتياً ارتأينا البدء بالتحليل البلاغي الذي سيكون منطلقنا نحو التحليل الصوتي. ما دام كلٌّ من بلاغة الجملة، و دلالاتها الصوتية يصبّان معاً في خدمة المعنى الكلي، والمضمون العام لها. وسيتوقف تركيزُنا في هذا البحث على الجزء الأوّل من هذه الآية الشريفة، أيْ على الكلمات الثلاث الأولى منها، وهي: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، ولكنْ قبل ذلك لِنجري مَسحاً على المصحف الشريف، نستجلي من خلاله الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات الثلاث مجتمعةً. فهي إضافة إلى ورودها في هذه الآية، بعد قوله تعالى:

١٨ – عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٣١٢/١.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٧- ١٨] وردت كذلك في سورة البقرة، في قوله تعالى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. ووردت مرَّةً ثالثةً، في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

وكما نرى، فإنّ هذه الكلمات الثلاث قد سِيقَت مرفوعةً، في الآيتين الأُولى، والثانية، عَلَى سبيل تمثيل المنافقين والكافرين. بينما سِيقت في الآية الثالثة على النَّصب، حالاً[١٩]، من الضّالين. وقد وَقَع اختيارُنا على الآية الأولى لِقِصرها أوّلاً؛ فهي تتكوَّن من سِتِّ كلمات فقط. ولإيجازها ثانياً. وأخيراً لكونها مصدَّرة بالكلمات الثلاث، مما يمنحها استقلاليتها المعنويَّة والصّوتيَّة. أما أهم الملامح البيانية لهذه الجملة القرآنية الشريفة، فهي:

١- الحذف:

تتكوَّن هذه الجملة القرآنية الشريفة﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ من ثلاث كلماتٍ قِصارٍ مُوجَزة، كلٌّ منها خبرٌ لمبتدأ واحد محذوف، تقديره: ﴿هُمْ﴾[٢٠]. وقد ذكر الزّجاج إنّ بعضَهم كان «يَقِفُ علَى ﴿صُمٌّ﴾، ثم علَى ﴿بُكْمٌ﴾، ثم علَى ﴿عُمْيٌ﴾، فيصير لكلِّ إسمٍ مبتدأٌ، والأول أوجَه»[٢١]. فعَلَى الوجه الأوّل، يكون هناك حذفُ كلمةٍ واحدةٍ، وعلى الوجه الثاني، يكون هناك حذفُ ثلاث كلمات.

وقد أورد الزجّاج هذه الآية مرّةً أخرى في باب (ما جاء في التنزيل من حذف واو العطف) قائلاً: «فمن ذلك قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، والتقدير: ﴿صُمٌّ وبُكْمٌ وعُمْيٌ﴾ كقوله في الأخرى: صمٌّ وبكمٌ في الظلمات... فحذف الواو»[٢٢]، وذلك في إشارةٍ إلى آية: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأنعام: [٣٩]. وعلَى هذا يكون هناك حذفان: أحدُهما حذف المسند إليه، مرّة واحدةً، أو ثلاث مرّات. وثانيهما حذف واو العطف مرَّتين، وفي ذلك من الإيجاز الشديد ما لا يخفى، وسمّاه السيوطي إيجاز الحذف، و فائدته، إضافةً إلى الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، صيانةُ اللسان عنه تحقيراً له[٢٣]. وهو هنا المسند إليه (هم) الذي

١٩ – انظر: محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤/٤١٥.
٢٠ – العكبري: إملاء ما منّ به الرحمن: ص٢١. إعراب القران الكريم وبيانه: ١/٥٩.
٢١ – الزجاج: إعراب القرآن: ص٦٣.
٢٢ – إعراب القرآن: ص٢٨٥- ٢٨٦.
٢٣ – السيوطي: الاتقان في علوم القرآن: ٣/١٩٢.

يعود على المنافقين الذين تحدَّث عنهم القرآن الكريم ابتداءاً من الآية (٦) وحتى الآية (٢٠) من سورة البقرة.

إضافةً إلى ماذكره السيوطي فإن جمالية أسلوب الحذف يكمُن في مراعاة خفَّة الألفاظ على اللِّسان والتئام بعضها مع بعض، والمحافظة على توازن العبارة ودِقَّةِ إيحاء وقعِها[٢٤].

٢- التشبيه والتمثيل:

أدخل القزويني هذه الآية في باب التشبيه على المختار، مُعرِّفاً هذا النوع من التشبيه بقوله: « وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه، وكان اسم المشبه به خبراً للمشبه، أو في حكم الخبر، كقولنا: زيدٌ أسدٌ. وكقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أي: هم »[٢٥].

وقد ذكر العلوي، في كتابه الطراز، إنّ هذه الآية وردت على سبيل التمثيل، قائلاً أنّها جاءت « مسوقةً على أنّ حال هؤلاء الكفار قد بلغوا في الجهل المفرط والعمى المستحكَم في الإصرار والجحود على ما هم عليه من الكفر والعناد، بمنزلة من هو أصمُّ أبكمُ أعمى، فلا يهتدي إلى الحق، ولا يرعوي عما هو عليه من الباطل »[٢٦]. فشأن الذين ضرب اللهُ فيهم المثل، وهم المنافقون، أنهم بعد أن أُطفئت نارُ هدايتهم لم تَعُد لهم وسيلة إلى الخير، بعد ما قطعوا كلَّ الوسائل، وسدُّوا جميع السُّبُل، باستحبابِهم العمى على الهدى، فطبَع الله على قلوبهم، وطَمس حواسَّهم ومشاعرَهم.

ولقد أورد السيوطي ما ذكره صاحب الكشّاف من الاختلاف حول وجه التمثيل، هل هو هنا تشبيه أم استعارة بقوله: « قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، فإن قلت: هل يُسَمَّى ما في الآية استعارة، قلت: نختلف فيه، والمحقِّقون على تسميته تشبيهاً بليغاً، لا استعارة، لأنَّ المستعار له مذكور، وهم المنافقون، وإنما تُطلَق الاستعارة حيث يُطوى ذِكرُ المستعار له، ويجعل الكلام خلواً عنه، صالحاً لأنْ يُرادَ المنقول عنه والمنقول له، دلالةَ الحال أو فحوى الكلام »[٢٧]. وكِلَا الوجهَين البلاغيَّين، استعارةً كانت أم تشبيهاً بليغاً، يَمنَح العبارةَ إيجازاً، واختصاراً شديدين.

٣- الالتفات:

جاءت الأخبارُ الثلاثة مجموعةً، علَى سبيل الالتفات من الواحد إلى الجمع. فقد قال ابن كثير في تفسيره: « وقد التفتَ في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة ١٧- ١٨] و هذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام ».[٢٨] كما إنّ في الالتفات انصرافٌ من أسلوبٍ إلى آخَر، أو من وُجهةٍ إلى أُخرى، وذلك أدعَى للاختصار، و عدمِ الإطالة في الكلام.

---

٢٤ – حسين جمعة، في جمالية الكلمة: ص٨٧.

٢٥ – القزويني: الايضاح في علوم البلاغة: ص٢٠٣.

٢٦ – العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١٩٢/٣.

٢٧ – الاتقان في علوم القرآن: ١٥٧/٣- ١٥٨.

٢٨ – تفسير ابن كثير: ص٦٤.

وهذا ينسجم، بشكل لا يقبل الشَّك، وعنصر المبالَغة في تقرير حالة أولئك الذين[29] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]. فالواحد دليل القلَّة، والجمع دليلَ الكثرة.

٤- تنكير المسند:

زاد في تقرير تلك الحالة، التنكيرُ الذي وَرَدَ عليه المسندُ في الكلمات الثلاث، حيث يُنكَّر المسنَد لأغراضٍ منها التحقير[30]. وهو هنا في مقابل إرادة التفخيم و التعظيم التي شملت حالَ المتقين[31] الذين سَبق الحديث عنهم، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] كما إنّ في التنكير إعراضٌ عن التوسُّل بعوامل التعريف، مما يجعل الاسم أكثر تجرُّداً، و استقلاليةً، وأقرب إلى جذره اللغوي.

نتائج الوجوه البلاغية:

نستنتج من الوجوه البلاغية المذكورة آنفاً، أنّ الإيجاز الشَّديد الذي ورَدَت عليه الجملة القرآنية، وقِصَر كلماتها الثلاث، من خلال:

- قلّة عدد حروف الأخبار.
- حذف المبتدأ، والاقتصار على الخبر.
- مجيئها على التوالي دون عطف.
- مجيئها نكرة.

كل ذلك فيه تلميح إلى قلَّة شأن المخبَر عنهم، وضَآلتهم. فهناك تناسب واضح للعيان بين قلّة الحروف، و الإيجاز، والتنكير، الذي وردت عليه هذه الجملة القرآنية، وبين قلّة الشأن، وعدم الاعتبار، والتحقير الذي أُريد بيانُه بخصوص المنافقين.

كما إنّ التناسب الإيقاعي بين الكلمات الثلاث، والتساوي بين مقاطعها، كما سنرى، فيه إشارةٌ بليغةٌ إلى تساويهم في الصّمم والخَرَس والعَمَى، التي تؤدي مجتمعةً إلى فقدانهم، بالتساوي، لأهَم الحواس التي بِها تتِمُّ عمليةُ الإدراك والوعي.

وكان من شأن ذلك كلِّه تشكيل الصورةِ الإيقاعية الفذّة، لهذه الجملة القرآنية البديعة، وتحديد ملامِحها النَغَميّة المعبِّرَة، علَى مستوى الصّوت والأداء و التعبير. ليأخذَ كلٌّ نصيبَه من عملية التوصيل والإبلاغ والتأثير. فقد امتزجت هنا روعة الصُّورة البيانية مع جلال الصورة الإيقاعيّة، وعَمِلَ أحدُهما في الآخر، فرسمت لنا لوحةً فنيةً رائعة، فيها كل مُقوِّمات العمل الفنيِّ الخلّاق، الذي لا يُبلَغ شأوُه، ولا يُدرَك غورُه.

٢٩ – تحدث الله عن أولئك الكافرين في خمس عشرة آية من الآية السادسة وحتى الآية العشرين من سورة البقرة، وذلك في مقابل المتقين الذين أفرد لهم الآيات الخمس الأولى فقط من نفس السورة الشريفة.

٣٠ – أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص٣٨٥.

٣١ – نفس المصدر والصفحة.

التحليل الصوتي للآية:

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون آخر رسالات السماء كتاباً مباركاً هو القرآنُ الكريم، أُنزل من الملكوت الأعلى، ليكون هدى ورحمةً للعالمين. وقد انتُدبتْ اللغةُ العربيةُ، لتكون الوعاء الذي يتشرَّف بِحمْل قِيَم تلك الرسالة، ومعانيها. فلم تَنُؤْ بِحملِها، ولم تَتَوانَ عن أداء ما عُهِد إليها، وإن كان حملُها مِمّا تنهدُّ له الصُّمُّ الرواسي. قال جَلَّ شأنه، وعَظُمت حكمته: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وليس بخَافٍ على مَن له علمٌ بالعربية، أنّ هذه اللغة كانت قد بلَغَت أوجَ أطوارِ تكامُلِها قُبيل الإسلام، فكأنَّها - وبأمر إلهيٍّ - كانت تَتَهيّأُ لِعُرسٍ مُقدّس، حتّى نزَل بها القرآن متوِّجاً ومخلِّداً، فغدَت تُؤتي أُكُلَها كلّ حينٍ بأمر ربها.

ولما كان إعجازُ القرآنِ - وهو كلام الله- أمراً مفروغاً منه، كان لابدّ للُّغة التي اختارها الله وعاءً لكلامه، وختاماً لرسالاته، أن تكون قد حَظِيَت خلال نشأتِها ومراحل تطوُّرها بالعناية الإلهية[٣٢]، لتكون أهلاً لهذه المسؤولية، وجديرةً بحملها إلى الناس كافّة، على أحسن وجهٍ، وأتَم معنًى، وأكمَلِ صورة.

ومادام سرُّ الإعجاز القرآني يكمن في نظمه[٣٣]، وإنّ جهات النظم ثلاث: في الحروف، والكلمات، والجمل، فإنّ « الحرف الواحد من القرآن معجزٌ في موضعه، لأنّه يُمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السرُّ في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمرٌ فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان، إذ هو يشبه الخلق الحيّ تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم (السِّرَّ) في السّموات والأرض »[٣٤].

ويدخُل في نظْم القرآن، بل ويَتَصَدَّرُه، إعجازُه الصّوتي والموسيقي، وذلك من خلال « ترتيب حروفِه باعتبارٍ من أصواتِها ومخارجها، ومناسبةٍ بعض ذلك لبعضه مناسبةً طبيعيةً في الهمس والجهر، والشِّدّة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشّي والتكرير »[٣٥]، وهو ما نلحظه في جميع القرآن، لا تشذُّ عنه جملة أو كلمةٌ أو حرفٌ، ولا حتَّى حركة، كما سنرى، كونه ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وإنَ كلَّ ما خلَقَه الله لَينتظِم في سِلك الإبداع والجمال والانسجام.

والصوت القرآني وإيقاعُه حلَقة من حلَقات الإيقاع الكوني الذي يَسِمُ كلَّ جزيئة من هذا الوجود، ويطبعه بِها، فلا يطرق الأذنَ منه إلا كلُّ صوتٍ رخيم، ولا تقع العينُ منه إلا على كلِّ ما هو جميلٌ وسيم. ولو تدبّرنا القرآنَ من جهة صوتِهِ ونَغَمِه، لَوَقَفْنا علَى أسرارٍ تأخذ بالألباب والعقول، لأنّه كما

٣٢ – ذهب كثير من العلماء إلى أنّ اللغة العربية هي لغة توقيفية، وأنها من عند الله، استناداً إلى قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. أما ابن جني فقد أجاز أن يكون تأويله: « أقدر آدم على أن واضع عليها » [الخصائص: ١/ ٩].

٣٣ – يقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز، تصحيح: محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط١: ص٦٣: « وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ».

٣٤ – مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص١٥٠.

٣٥ – المصدر السابق: ص ١٥٢.

وصَفه أفصح العرب والعجم، المبعوث بهﷺ إليهم: كتاب «لا تَنقَضِي عَجائِبُهُ»[٣٦]، وهو كما قال عنه أمير الفصاحة والبيان الإمام عليعليه السلام: «لا تُخلِقُهُ كَثرَةُ الرَّدِّ»[٣٧].

فلنأخذ الآية الشريفة التي اخترناها نموذجاً ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾، ونتأمَّل فيها، ثم نركِّز على تحليل الجزءَ الأوَّل منها: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ من الناحية الصوتية، حروفاً، وحركاتٍ، ومقاطعَ، وإيقاعاً، لنقفَ على أسرارٍ من دلالاتها الصوتية.

أولاً / دلالة الأصوات (الحروف) في: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾:

تبدأ كلُّ كلمة من هذه الكلمات الثلاث بحرف يكاد يُلقي بظلاله القويّة على مجمل الكلمة من الناحية الصوتية. فـ﴿صُمٌّ﴾ تبدأ بحرف الصاد، و﴿بُكْمٌ﴾ تبدأ بحرف الباء، و﴿عُمْيٌ﴾ تبدأ بحرف العين. وحين سماع تلاوة هذه الكلمات الثلاث، أو أثناء قراءتها، منتظمةً إلى بعضها البعض، أو منفردةً، نكاد نتلمّس حروفَها الأولى ونتحسّسها، أكثر من سائر حروف الكلمة، لأسباب، منها:

١- إنّ ما يلي كلاّ من هذه الحروف الثلاثة هو حرفا الميم والنون الأغنّان[٣٨]، وهذان الحرفان مما ألفته الآذان بسبب كثرة ورودهما في القرآن الكريم، خاصة في الفواصل القرآنية[٣٩]. وكثرة ورودهما في القرآن الكريم منح هذه الحروف الثلاثة صفة البروز والانكشاف والتألُّق، في هذه الكلمات، خاصةً وإنّ هذه الصفات تكاد تكون من سماتها البارزة، حيث أنّ (الصاد) حرف احتكاكي[٤٠]، و (الباء) حرف انفجاري[٤١]، و(العين) حرف حلقي احتكاكي[٤٢]، وذلك يزيد من نصاعة هذه الحروف، بإزاء حرفي الغنّة (الميم والنون).

٢- أثناء تلاوة هذه الكلمات الثلاث، نلاحظ أنّ الحروف الأولى منها يقع عليها، ما يُسمَّى في الدرس الصوتي، بالنّبر، الذي يعني « نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورةٍ أوضح وأجلَى نسبيّاً من بقيةِ المقاطع التي تجاوره »[٤٣]. وهذا المعنى الاصطلاحي لا يبتعد كثيراً عن معناه في اللغة، ألا وهو البروز والظهور، ومنه اشتُقّت كلمة (المنبر) في المساجد ونحوها. وللنبر في حقيقة الأمر قيم صوتية (نطقية)، وأخرى فونولوجية (وظيفية). فهو« من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يُميز مقطعاً من آخَر، أو كلمة من أخرى. أما من الناحية الوظيفية فإنّ النبر يقود إلى تعرُّف التتابع المقطعي في

٣٦ – تفسير القرطبي: ٥/١. تفسير ابن كثير: ٥١٦/٢. سنن الترمذي: ٥/ ١٧٢.

٣٧ – نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح: ص٢١٩.

٣٨ – محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: ص١٦٩.

٣٩ – تنبه اللغويون إلى هذه الخاصية اللغوية المتعلقة بحرف النون و نغمته الإيقاعية، فقال السيوطي بهذا الشأن: «كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أردوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع». (الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣١٤).

٤٠ – علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: ص١٧٥.

٤١ – نفس المصدر: ص١٧٨

٤٢ –نفس المصدر: ص١٧٨.

٤٣ – كمال بشر: علم الأصوات: ص ٥١٢.

الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوُّع درجات نبرها و مواقعه. بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة»[٤٤]. ووجود النبر على الحروف الأولى من هذه الكلمات الثلاث يعود لسببين:

- أحدهما: يعود إلى طبيعة المقاطع التي تشتمل عليها هذه الكلمات، حيث تتساوى من جهة النوع والعدد و ماهية الصوت، مِمّا يستدعي النبر علَى المقطع الأول (بداية الكلمة) منها بشكل كبير، والتركيز على الحرف الأول من كل كلمة بشكل خاص.

- والثاني: أنها جملة تقريرية، وقد تَمّ حذف المسند إليه فيها، فيقع النَّبر على حروفها الأولى؛ تعويضاً عن الكلمة المحذوفة مرَّة، وتأكيداً على حقيقة الخبر، واتصاف المخبر عنه به مرّةً ثانية.

٣- إنّ كلَّ حرف من هذه الحروف الثلاثة؛ (ص) و (ب) و (ع) تدلُّ ماهيته دلالةً قويةً على معنى الكلمة التي يتصدّرها، و يختزل في طبيعته الصوتية السيميائية، كلَّ ما توحي به الكلمة من معان، و ما تنطوي عليه من دلالات. فكلُّ حرف من هذه الحروف يدل، بشكلٍ أو بآخر، من خلال إيحاءاتِه الصوتية، على المعنى المعجمي للكلمة التي يبدأ بها. وهذه الدلالة يمكن أن تتداعى في ذهن المتلقي العربي لغةً، أثناء إنصاته لهذه الآية، أو حين تلاوته لها. فَلْنلق نظرةً على صفات هذه الحروف، وخصائصها، لنطَّلع على مدى التناسب والارتباط بين أصوات ألفاظها وبين معاني كلماتها.

١- حرف الصاد:

حين نُصغي لحرف الصاد، نكاد نتلمَّس حقيقة هذا الصّوت، ونَتَحسّس ماهيَّته. فهو من الحروف الصفيرية[٤٥]. و مصطلح الصفير من مصطلحات سيبويه أطلقها على الصاد والسين والزاي[٤٦]. أما سبب تسمية هذه الأصوات بالصّفير فلأنّها «أندَى في السَّمع»[٤٧]، أو لأنّها يُصفَر بِها[٤٨]، كما يَرى الزمخشري، فالصاد حرف يصحَبه صفيرٌ وأزيز[٤٩].

لذلك فحرف الصّاد يَصلح لِمحاكاة الأصوات الطبيعية. يقول الدكتور حسن عباس: « ولقد مَنَحَتْه هذه الخصائص الصوتية شخصيةً فذَّةً، طغى بها على معاني معظم الحروف، في الألفاظ التي تَصَدَّرَها، لِيُعطيَها من نقاء صوته صفاءَ صورةٍ وذكاءَ معنًى، ومن صلابته شدَّةً وقوةً وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادةً صوتيةً نقيّة، ماكان أصلَحها لِمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة.

فمن مئةٍ وخمسةٍ وأربعين مَصدراً تبدأ بحرف الصاد في المعجم الوسيط، كان منها ستة وعشرون مصدراً تدلُّ معانيها على أصواتٍ يتوافَق معظمها مع خصائصه الصّوتية»[٥٠].

---

٤٤ – نفس المصدر: ص٥١٤.

٤٥ – مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا: ص٦٣- ٦٤.

٤٦ – الكتاب: ٤/٤٦٤.

٤٧ – نفس المصدر والصفحة.

٤٨ – الزمخشري: المفصل: ص٣٩٥.

٤٩ – ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر: ص٨٥.

٥٠ – حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٤٩.

فالصاد إذن حرف يدلُّ فيما يدلُّ عليه، حين يتصدَّر الكلمة، على المعاني التي تَتَناسب وخصائصه الصّوتية، و تَصَدُّر هذا الحرف لقوله تعالى: ﴿صُمٌّ﴾ أي: (لا يسمعون)، فيه إشارةٌ، وتلميحٌ إلى الصّوت الذي يَسمعه الإنسان عَبْر حاسّة السمع. ولكنّ مَن أُطلَقت في حَقِّهم هذه الكلمة مِمّن ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]. عُطِّلَت فيهم حاسةُ السمع، فحُرِموا من سماعَ أضعف الأصوات، بل إنهم لعاجزون عن سماع أصغر وحدةٍ صوتية، وهو الحرف، مُتَمثِّلاً بالصاد.

٢- حرف الباء:

يَصِفُ علماءُ الأصوات حرفَ الباء بأنّه من الأصوات الصامتة المجهورة الشَّفوية الانفجارية[٥١]. وهو كذلك من حروف القلقلة التي تجمع بين الشِّدَّة والجهر[٥٢].والقلقلة بِحَدِّ ذاتها تعَرّف بأنّها: « شِدَّة الصّوت»[٥٣]. ويقول العلايلي عن دلالة هذا الحرف: « إنه لبلوغ المعنى، وللقوام الصلب بالتفعُّل. ويقول عنه الأرسوزي: إنه يوحي بالانبثاق والظهور»[٥٤].

وهذا الحرف إذا ما لُفظَ في مقدمة اللَّفظة دونَما مَدٍّ فإنه « بحكم خروج صوته من انفراج الشّفتين بعد انطباقهما علَى بعضها بعضا، هو أصلح ما يكون لتمثيل الأحداث التي تنطوي معانيها على الانبثاق والظهور والسيلان، بما يحاكي واقعة انبثاق صوته من بين الشّفتين إيماءً وتمثيلاً»[٥٥]. وعند الجمع بين هذه الأقوال نلاحظ إنّ هذا الحرف ينسجم تماماً ومعنى التعبير الشفوي بالفم واللِّسان، فعندما ينوي الإنسان التكلم تنفرج شفتاه، فتنبثق عنهما أصوات، وتظهر كلمات، تؤدي معنى خاصّاً.

فالباء حرف تدل خصوصيته الصّوتية على التكلُّم والنطق، وليس أدلّ على ذلك من اصطلاح العلماء على المرحلة التي يبدأ بِها الطفل بتلفُّظ أُولى الحروف اصطلاح (البأبأة)، وهي ثاني مرحلةٍ من مراحل نشوء اللغة عند الطفل. أما أُولى مراحل تعلُّمِهِ للُّغة فتُسمّى (مرحلة المناغاة). و في هذه المرحلة « لا ينطق الطفل أصواتاً مُميّزة، وإنما يقتصر على ترديد ما يُشبه الحركة المعروفة لدينا بالفتحة، مع شيءٍ من الأنفية أحياناً، وقليلٍ من الاحتكاك بأقصى الفَم أحياناً أخرى، حتى تختلط بما يشبه الغين، ومن هنا سُميت (مرحلة المناغاة)...

ومع تقدم سنّ الطفل يتقدّم نُمُوُّه اللُّغوي إلى المرحلة التالية التي سمّاها جسيرسن (مرحلة البأبأة). وإنما أُطلق عليها هذه التسمية لسبب بدهي وبسيط، هو أنه قد لُوحظ أنّ أوّل صوتٍ يلعب به الطفل في بدءِ نُضجه هو الباء، كان ذلك بالنسبة إلى جميع الأطفال بلا استثناء. ولقد يحدث أن يأتي الطفل بأصواتٍ أخرى مع الباء، مثل التاء، أو الميم، أو الحاء، أو الخاء، أو الكاف. ولكن المهمّ أنه ينطق

٥١ – علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: ص١٧٨.
٥٢ – مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا: ص ١٠٧.
٥٣ – عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي: ص١٥٦. همع الهوامع: ٢/٢٣٠.
٥٤ – خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص ١٠١.
٥٥ – خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص ١٠١

بالباء أولاً، فإذا لاحَظَ مَنِ حولُه أنه أتَى بهذا الصّوتِ المُحَبَّب بادَروا إلى تَشجيعِهِ، وأخَذوا يُردِّدون له هذا الصَّوتَ ترديداً مُستمراً »[٥٦].

و اصطلاح (البأبأة) يعادله في الانكليزية مصطلح (babbling) أو (babble) ومعناه: « يتكلم على نحوٍ يصعُب فهمُه، يُغمغِم »[٥٧]. أو إنّه بتعبير أدقّ « نطق الطفل الصغير بكلام مختلط يعوزه النظام والوضوح والمعنى »[٥٨]. ولا يخفى ما لوجه الاشتراك بين المصطلحين العربي والانكليزي – وهو تكرار حرف الباء- من دلالة على ارتباط هذا الصوت بمعناه.

إذن فالدلالة الصوتية لحرف الباء لا تكاد تخلو من معنى النطق والكلام، وتصدُّره لكلمة: ﴿بُكْمٌ﴾ يضيف إلى معناها سِرّاً لطيفاً من أسرار البيان القرآني. ففيه دلالة خفيّة ودقيقة على حرمان المنافقين والكافرين من نعمة الكلام، التي يختزلها صوت (الباء)، وكذلك صوت (الكاف) الانفجاري[٥٩] الشديد[٦٠]، الذي يليه، و المتصدر للفظ (الكلام)، بل إنهم عاجزون عن النطق بأبسط الألفاظ، وأدناها إلى لغة الوليد الذي يبذل كلّ ما في وسعه للنطق، ولكنه لا يفلح إلا بأصوات تكاد لا تبين. فكأنّ المعنى أنّ هؤلاء عاجزون حتى عن التفَوّه بلغة الأطفال غير البينة، وهي البأبأة، فكيف بلغة الكبار وهي الكلام.

٣- حرف العين:

يتصدّر (العينُ) قولَه تعالى: ﴿عُمْيٌ﴾، ويُوصَف هذا الحرف فونولوجياً، بأنه حرفٌ حَلْقِيٌّ مجهورٌ[٦١]، احتكاكيّ[٦٢]، وهذه الصفات تؤيد ما ذهَبنا إليه، من امتياز هذا الحرف بصفة البروز والتألّق والانكشاف في هذه الكلمة. ولكنّ ما يعنينا هنا، هو الاشارة إلى نمط هذا الحرف لفظاً، و خطاً. حيث أنّ سماعَه أو التلفُّظ به، و كذلك رؤيته مكتوباً، يقود الذهن مباشرةً إلى (العين) التي هي حاسة المعاينة والرؤية البصرية. صارفاً إيّاه عن حرفيّته، إلى دلالته الصّوتية والخطّيّة على آلة البصر أو (العين) الباصرة. وهذه الحاسة هي التي فَقدها أولئك المنافقون، الذين استَحبُّوا العَمَى على الهدى.

فوجود حرف العين في أول ﴿عُمْيٌ﴾ كسابقَيه، لا يكاد يخلو من إشارة إلى ذلك الشَّيء المفقود لدى أُولئك، وهو نعمة النَّظر والمعاينة والمشاهدة، رغم امتلاكهم لآلته. وذلك بسبب كفرهم وإصرارهم على الباطل.

فلا يمكن في نظرنا، أن يكون قد حدث كلُّ ذلك على سبيل المصادفة، خاصةً ورودها هكذا متواليةً بهذه الصيغة المتفَرِّدة والمتكررة في القرآن الكريم. هذا إضافةً إلى ما سنجده من تناغم وانتظام في النسق المقطعي، والحركي، والصوتي، والايقاعي.

---

٥٦ – عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام: ص ٨٥- ٨٦.
٥٧ – قاموس اكسفورد الحديث: ص ٤٧.
٥٨ – جمعة سيد يوسف: سيكلوجية اللغة: ص٨٧.
٥٩ – علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: ص١٥٦.
٦٠ – الصوتيات والفونولوجيا: ص ١٢١
٦١ – نفس المصدر: ص ١٢٣.
٦٢ – علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: ص١٧٨.

ثانياً / المقاطع:

يُعرَّف المقطع الصوتي بأنه: « مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين، تحصران بينهما قِمَّة »[٦٣]. ويُعرِّفُها آخرون بأنها عبارة عن كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، يمكن الابتداء بها، والوقف عليها. وبناءً على ذلك، لا يجوز في اللغة العربية الابتداء بحركة، بل لابدَّ أن يبدأ كلُّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة.[٦٤] علاوةً على امتناع الابتداء بساكن. وتشتمل اللغة العربية على خمسة أنواع من المقاطع. هي:

١. المقطع القصير المفتوح: ويتكون من (صامت + حركة قصيرة)
٢. المقطع الطويل المفتوح: ويتكون من (صامت + حركة طويلة)
٣. المقطع الطويل المغلق: ويتكون من (صامت + حركة قصيرة + صامت)
٤. المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة: و يتكون من (صامت + حركة طويلة + صامت)
٥. المقطع الزائد الطول: ويتكون من (صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت)

والمقاطع الثلاثة الأولى هي الأكثر شيوعاً في الكلام العربي، أما الرابع والخامس، فقليلا الشيوع، ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات حين الوقف[٦٥].

أما قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ فتتكوَّن كلماته الثلاث من مقطعٍ واحدٍ مكرّر. وهو هنا مقطع طويل[٦٦] مغلق أو مقفول (closed syllable)، يبدأ وينتهي بصوت صامت[٦٧]، يتوسَّطُهما صوتٌ صائتٌ قصير[٦٨]. أي إنه يتكون من (صامت + حركة قصيرة + صامت) ويُرمَز لهذا المقطع بالرمز الآتي: (ص ح ص)[٦٩]. وكما أسلفنا فقد تكرَّرَ بشكلٍ متوالٍ ومتناسق، ستَّ مرّات، مرتين في كل كلمة.

فكلمة ﴿صُمٌّ﴾ تتكوّن من مقطعين هما: (صُمْ) و (مُنْ)

وكلمة ﴿بُكْمٌ﴾ تتكوّن من مقطعين هما: (بُكْ) و (مُنْ)

وكلمة ﴿عُمْيٌ﴾ تتكوّن من مقطعين هما: (عُمْ) و (يُنْ)

فيكون ورود هذه المقاطع الستة في الجملة القرآنية الشريفة وفقاً للنسق التالي:

(صُمْ ← مُنْ ← بُكْ ← مُنْ ← عُمْ ← يُنْ)

والجدول التالي يبين جزئيات كلِّ مقطع من هذه المقاطع الستة التي اشتملت عليها الكلمات الثلاث:

---

٦٣ – عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة: ص١٣٩.

٦٤ – رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة مناهج البحث: ص١٠١. حسام البهنساوي: علم الأصوات: ص١٤٨.

٦٥ – ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص١٦٤. حسام البهنساوي: علم الأصوات: ص١٥٠.

٦٦ – عدّه كمال بشر في كتابه: علم الأصوات: ص٥١٠ مقطعاً متوسطاً.

٦٧ – عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: ص٩٤ – ٩٦. حسام البهنساوي: علم الأصوات: ص١٥١.

٦٨ – يقابله صائت طويل إذا كان يلي الصامت حرف مد ألف نحو: (صا). (انظر: عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: ص٩٦.

٦٩ – يرمز (ص) إلى الحرف الصامت، ويرمز (ح) إلى الحرف الصائت وهو المتحرك، (أنظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات: ص١٥١).

الكلمة	المقطع	صامت	+	صائت قصير	+	صامت
صُمٌّ	١	ص	+	ـُ	+	مْ
	٢	م	+	ـُ	+	نْ
بُكْمٌ	٣	ب	+	ـُ	+	كْ
	٤	م	+	ـُ	+	نْ
عُمْيٌ	٥	ع	+	ـُ	+	مْ
	٦	ي	+	ـُ	+	نْ

وكما هو واضح، فإنّ المقاطع جميعاً تشترك في نفس النوع، حيث إنها من المقطع الطويل المغلق، الذي تتكون أجزاؤه من [صامت + حركة قصيرة + صامت]. وكذلك تشترك في نفس جزئيات الصائت القصير، حيث حركة الضّم، تتوسّط المقاطعَ كلَّها.

ويمكن كذلك ملاحظة التناسب في الصوامت الأولى والأخيرة، بين كلٍّ من المقاطع: [٢- ٤- ٦] و [١- ٥]، ويبقى المقطع [٣] الذي يتوسَّطهما منفرداً، لخصوصية الباء والكاف التي بيّنا دلالة كلٍّ منهما سابقاً. كما لايخفى على المتأمل تناسب المقطعَين [٢- ٤] في الصّامت الأوّل، وتناسب المقاطع [٢- ٤- ٦] في الصامت الأخير، من بين سائر المقاطع.

أما علاقة التناسب بين المقاطع [(١- ٢) و (٣- ٤) و (٥- ٦)] فهي علاقة يحكمها التنوين، الذي يختم الكلمات الثلاث وفق نِسبٍ متوازنة تماماً.

ثالثاً / التنوين:

وَجَدنا من خلال النظَّر إلى الجدول السابق، أنّ كلَّ مقطعٍ مكوّن من حرفين إثنين:

- أولهما متحرك، وحركته الضّم في جميعها، و مواصفات الضمّة في بداية كل مقطع أنها: حركة، صائت مغلق، حيث تُضَم الشّفتان أثناء النطق به[٧٠].
- و الثاني ساكن، موقوف عليه (مغلَق). وهو موزّع بشكل هندسيٍّ بديع بين ثلاثة حروف هي: **الميم و النون و الكاف**، حيث ينتهي كلٌّ من المقطع الأول (صُمْ)، والمقطع الخامس (عُمْ) بحرف الميم. بينما ينتهي المقطع الثالث (بُكْ) التي يتوسّطهما بحرف الكاف.

٧٠ – مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا: ص٥٧.

أما حرف النون فإنه يحتّل مكانةً صوتيةً مهمةً، في هذه الآية الشريفة، من خلال كونه خاتمة المقاطع الثلاث المتبقية، وهي: الثاني والرابع والسادس، الموزّعة وفق هذا النسق الرياضي الخاص، وبه تُختَم الكلمات القرآنية الثلاث (صُمٌّ)، (بُكْمٌ)، (عُمْيٌ).

والنون هنا صوتٌ ناتجٌ عن التنوين الذي يلحق أواخر الكلمات، والذي به تتبين ملامح كلِّ كلمةٍ، واستقلاليتها، من خلال الغنّة أو التنغيم الذي يرافقه أثناء القراءة. ويُعتَبر التنوين ظاهرةً بارزةً، تَميَّزت بها اللغة العربية عن اللغات الأخرى، ولها أثر كبير في علوم العربية كالنحو، والصرف، والعروض، والقراءات، ولذلك نال التنوين اهتمام النحاة واللغويين قديماً وحديثاً، فأفردوا له مباحث وأبواب خاصة.

وقد عرّف علماء الأصوات التنوين على إنه عبارة عن حركة قصيرة بعدها نون[٧١]. وهم بذلك يُخضعونه لنظام المقاطع. وللتنوين وظائف كبيرة يضطلع بها، على الصعيد النحوي والصرفي، وله كذلك دورٌ دلاليٌّ مهم، أشارت إليه كتب اللغة والنحو والصرف. ليس أقلّه تحديدُه لبنية الكلمة من حيث التعريف والتنكير، كما في الآية موضوع البحث.

و من الظواهر المميّزة لِلُّغة العربية، أنّ الصّوت فيه كثيراً ما يتأثر بما يجاوره من الأصوات، مِمّا يُؤدي إلى حدوث ظواهر صوتيّة كثيرة، من إبدال، أو إدغام، أو حذف، أو نقل، أو إشمام، وغير ذلك. و لعل النون الساكنة وما في حُكمها، أي نون التنوين، من أكثر الأصوات تأثّراً بما يليهما، حيث يتأثر كلٌّ منهما بنوع الصّوت الذي يقع بعده ويلاصقه تأثرا واضحا في المخرج، أو في الصفة، أو كليهما. كما إنّ درجات هذا التأثر متباينة. يُمكن حصرها في أربعة أوجه هي: الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء[٧٢].

وقد جاء التنوين في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ ثلاث مرّات، اختصَّ كلُّ واحدٍ منها بأحَدِ هذه الأوجُه، عَدا الإدغام. مما مَنَح الآية الشريفة تنوُّعاً صوتيّاً بديعاً، كَسَر فيها رتابة التكرار المتوالي للتنوين، من جهة ورتابة الايقاع الموحّد من جهة أخرى.

ففي نون ﴿صُمٌّ﴾ إقلابٌ، وفي نون ﴿بُكْمٌ﴾ إظهارٌ، وفي نون ﴿عُمْيٌ﴾ إخفاءٌ. وذلك لاختلاف الحروف التي تلي كلاً منها، في المخرج و الصفة.

أما **الإقلاب**، فهو: قلب النون الساكنة والتنوين ميماً وجوباً، إذا وليتهما الباء، مع مراعاة الغُنَّة والإخفاء في الحرف المقلوب[٧٣]. فلا يحدث الإقلاب في النون إلاّ إذا جاء بعدها حرف الباء، وعلّة القلب إلى الميم، هو التباعد ما بين مَخرجَي النون والباء فاختِير حرف الميم الذي يتوسّطهما، لأنّ مخرجها من الشفة التي هي مخرج الباء، وفيها غنّة في الخيشوم تُلابس بها النون[٧٤].

٧١ – إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة :ص١٢٦

٧٢ – ابن يعيش : شرح المفصل :١٤٣/١٠ وما بعدها

٧٣ – المرصفي : هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: ص٦٨١. الموضح في التجويد :ص ١٧٤- ١٧٥.

٧٤ – القرطبي: الموضح في التجويد: ص ١٧٥.

وقد ورد بعد ﴿صُمٌّ﴾ حرف الباء في أول ﴿بُكْمٌ﴾ فتقلب النون لذلك ميماً، ولكن مع الإبقاء على الغنة وإظهارها[٧٥].

وأما **الإظهار**، فهو: أن تظهر النون الساكنة والتنوين، إذا وَلِيَهما حرف من حروف الحَلق الستة وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء[٧٦]. وإنما بُيِّنت النون والتنوين عند هذه الحروف لِبُعد مخرجهما من الحلق[٧٧]، وعدم تقاربهما معها في الصفة، فلم تَقْوَ هذه على أن تقلبهما لأنها تراخت عنهما فلم يحسن الإدغام[٧٨]، وليست من قبيلهما فيجوز الإخفاء[٧٩].

وقد ورد بعد ﴿بُكْمٌ﴾ حرف العين في أول ﴿عُمْيٌ﴾. فلابد من إظهار النون، أما الغنّة في النون فبعضُهم أثبَتها قبل حروف الحلق، وبعضهم أسقَطها[٨٠].

وأما **الإخفاء**، فهو: أن يَخفَى النون والتنوين عند خمسةَ عشَر حرفاً من حروف الفم، وهي: القاف والكاف والجيم و الشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء. ومعنى خفائها: « اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللِّسان، وخروج الصوت من الأنف من غير معالجةٍ بالفَم..وإنما خَفِيت النون مع هذه الحروف لأنَّها حروف الفم، والإخفاء في طلب الخفّة به كالادغام في طلب الخفّة، فلما أمكَن استعمال الخيشوم وحدَه في النون، ثم استعمال الفم فيما بعده، كان أخفّ عليهم..»[٨١].

وقد وَرَدَ بعد ﴿عُمْيٌ﴾ حرف الفاء في أوَّل ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، فكان لابد من إخفاء النون، شريطة إظهار ما فيها من الغنّة. و« الغنّة في الحرف الخفيِّ هي النون الخفيّة؛ وذلك أن النون مخرجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ومعها غنة من الخياشيم، فإذا أُخفيت لأجْلِ ما بعدها، زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان، وبقي ما كان يخرج من الخياشيم ظاهراً »[٨٢].

أما كيفية أداءِ صوتِ الغُنّة، أوصويتها، فإنّه تابعٌ للحرف الذي يليه؛ فهو يُفخّم إذا جاء بعده حرف استعلاء، ويُرقّق إذا جاء بعده حرف استفال[٨٣]. والحروف الثلاثة التي تلي كلاّ من ﴿صُمٌّ﴾، و ﴿بُكْمٌ﴾، و﴿عُمْيٌ﴾ هي: الباء، والعين، والفاء، على التوالي. فالباء[٨٤] و الفاء[٨٥] من أصوات

---

٧٥ – هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: ص١٦٨.
٧٦ – القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١/١٦١.
٧٧ – الداني: التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: ص ٢٦٣.
٧٨ – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ص ١/١٦١.
٧٩ – يحيى بن علي المباركي: الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني ص: ١٠
٨٠ – المصدر السابق: ص١٠.
٨١ – الموضح في التجويد: ص١٧٠- ١٧١.
٨٢ – الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني ص: ١٣.
٨٣ – هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: ص١٨١.
٨٤ – الاستفال: هو انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى قاعِ الفم.(عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي: ص١٤٣).
٨٥ – المصطلح الصوتي: ص١٣٩.

الاستفال، والعين التي تتوسّطهما من أصوات الاستعلاء[٨٦]. لذا يُرقَّق صوتُ الغُـنَّة قبيل الباء والفاء، ويُفخَّم قبيل العين. وذلك وفق المعادلة التالية:

(صُمٌّ ← [إقلاب(بترقيق الغنة)] ← بُكْمٌ ← [إظهار(بتفخيم الغنة)] ← عُمْيٌ ← [إخفاء (بترقيق الغنة)] ← فَهُمْ)

وهكذا نجد التنوين في هذه الآية الشريفة يتنوّع ويتلوّن، وفق نَسَقٍ متجانسٍ رائعٍ، من خلال الصور الثلاث التي يرد عليها من إقلابٍ، وإظهار، وإخفاء، وكذلك من خلال تنوّع صوت الغنة الذي يصاحب التنوين في حالَتَي الترقيق والتفخيم. والجدول التالي يبين ذلك بوضوح:

الكلمة وما يليها	التنوين وما يليه	التفاصيل	القراءة	الغنّة	نوعها	العلة
صُمٌّ ← بُكْمٌ	مٌ ← ب	م + ن + ب	إقلاب	+	ترقيق	يلي التنوين حرف الباء
بُكْمٌ ← عُمْيٌ	مٌ ← ع	م + ن + ع	إظهار	+/-	تفخيم	يلي التنوين حرف حلقي
عُمْيٌ ← فَهُمْ	يٌ ← ف	ي + ن + ف	إخفاء	+	ترقيق	يلي التنوين حرف فمي

وبقي أن نشير إلى تساؤلٍ يطرح نفسه بقوة، ونحن نستعرض قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ صوتياً، وهو: بماذا يمكن أن يُوحي اجتماع هذا التنوين الثلاثي، آخر كلِّ كلمة، مرتكزاً على حرف مضمومٍ الحركة في كل مرّة (مرتين على الميم، ومرّة على الياء)، إلى جانب حركة الضم التي في بداية كلِّ مقطع، وما يرافقها جميعاً من إطباق للفم[٨٧]، مصحوبٍ بنغمة صاعدة في المقطع الأول، ونغمة هابطة في المقطع الثاني[٨٨]، من كلِّ كلمة، هكذا على التوالي ثلاث مرّات؟.

تجنُّباً لما قد يقع في الأوهام من التسليم أو القطع بإجابتنا، نُجيبُ على هذا السؤال بتساؤل آخر: أليس في إغلاق الفم المتكرر أثناء تلاوة هذه الكلمات صعوداً وهبوطاً، ثم الإطباقِ على النون في آخرها ما يُشير إلى الإغلاق والطّمس والختم الذي ابتُلي به المنافقون والكافرون في حواسهم بسبب إصرارهم على الباطل، وحبس أنفسهم على الضلال والعمى. فَصُمّت آذانُهم، وسُدّت أفواههم، وخُتِم على أبصارهم؟!.

٨٦ – الاستعلاء: هو أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى.(المصطلح الصوتي: ص١٣٩).

٨٧ – وصف علماء الأصوات الضّمة بأنها: خلفية، منغلقة، مضمومة، وفيها يتجمع اللسان في مؤخر الفم تحت أقصى الحنك. كما أنها تنفرد باستدارة الشفتين، أو ضمهما، ومنه تسميتها. (أنظر: الصوتيات والفونولوجيا: ص١٢٧- ١٢٨).

٨٨ – إن الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم التنغيم.(أنظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن: ص ٢٦٣).

رابعاً / الايقاع:

لمّا كان يُرمز لكل مقطع من المقاطع الستة في الجملة القرآنية الشريفة، من جهة الأصوات، بالرمز التالي: (ص ح ص) كما أسلفنا، فسيكون نسق ورودها مجتمعةً كالآتي:

[صُمْ ← مُنْ ← بُكْ ← مُنْ ← عُمْ ← يُنْ]

[ص ح ص ← ص ح ص ← ص ح ص ← ص ح ص ← ص ح ص]

وبما أنّ الحركة، أو (الصائت القصير)، المقترنة بالحرف الصامت الأول من كل مقطع هي الضّمّة، فسيكون نَسَق المقاطع مجتمعةً كالتالي:

[صُمْ ← مُنْ ← بُكْ ← مُنْ ← عُمْ ← يُنْ]

[ص ـ ص ← ص ـ ص ← ص ـ ص ← ص ـ ص ← ص ـ ص ← ص ـ ص]

وهي كما تبدو مقاطع متساوية تماماً من جهتين هما: الايقاع والحركات. وهذا التناسب المزدوج الرائع نسقٌ فريدٌ، يكاد يختصُّ بهذه الجملة القرآنية، و قد لا نَجدُ له نظيراً، في سائر الجمل والتعابير القرآنية المباركة، رغم أنّ لكلّ عبارة قرآنية نسيجها المعجز المتفرد الخاص بها. ويكاد يشبهه من جهة النسيج الايقاعي والمقطعي فقط، دون الحركات، قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ [الكوثر: ١]. وهو إيقاعٌ يناظر تماماً إيقاع البحر المتدارك المشعّث (فَعْلُنْ)[٨٩]. ولكنه يتفوّق على الإيقاع الشعري من جهتين:

إحداهما: كون الكلمات الثلاثة جاءت مختومةً بالتنوين.

وثانيهما: كون الحرف الأوّل من كلِّ مقطع مضموم، ليتولّد منه حسب الإيقاع الشعري، سبب خفيف[٩٠] متكرِّر، حركة أوّله الضَّمّ، لا غير.

أما في الشعر فإن الحركة التي تقابل السكون، قد تكون مضمومةً أو مفتوحةً أو مكسورةً، دون أي امتياز لأحداهما على الأخرى. حيث الاعتبار في الايقاع الشعري يحدِّده التنوُّع في توالي الحركات- بغض النظر عن نوع الحركة- والسكنات وفق نمط تناغميٍّ خاص يُدعى البيت. ويتكرَّر هذا البيت بذات الايقاع ليشكل القصيدة. في حين لا نجد التعبير القرآني يلتزم بنمط إيقاعي محدَّد، بل نراه يتلوّن بتلوُّن المعاني والأغراض، والأحوال والمقامات، مع مراعات الموسيقى الداخلية للتعبير، ابتداءً من الحرف فالحركة فالمقطع فالكلمة فالجملة، فالسياق العام للآيات.

وكما أُشير من قبل، فإنّ الرّتابة المتوقّعة من مثل هذا الإيقاع المتكرر في هذه الجملة القرآنية، والتي تتناسب دلالتها وتبيين الحالة التقريرية، وتأكيدها، قد تَمَّ معالَجتها من خلال ذلك التنوُّع المحكم في الأصوات التي اشتملت عليها الكلمات القرآنية الثلاث، مِمّا يلامس الأُذن، فيداعبها. وكذلك من خلال ما انطَوت عليه تلك الأصوات من دلالات ومعاني، تمتزج جميعاً على وجه محكم ودقيق، ليكون بحق دليلاً، لا يقبل الشك، على إعجاز القرآن.

٨٩ – عيسى علي العاكوب: موسيقى الشعر العربي: ص ١٦٩.

٩٠ – السبب الخفيف: هو عبارة عن حرفان أولهما ساكن والثاني متحرك.

ويبلغ المعمار الإيقاعي في هذا الجزء من الآية قمة التنوّع والروعة والتأثير عندما ينطلق متلُوّاً وفق أصول وضوابط التلاوة الصحيحة، التي يُأخذ فيها بنظر الاعتبار مخارج الحروف وصفاتها، من دون إهمال للمعاني الذي تنطوي عليها هذه الأصوات، وما تقتضيه من نبر و تنغيم.

إنّ مِن شأن هذا النظام الصوتي البديع أن يسترعي الأسماع، ويحرك الأفئدة والقلوب إلى هذا القرآن الكريم، وإنّ ما فيه من عذوبة أصوات، و سحر كلمات، جعل وسيجعل منه على مر الدهور و الأزمان، أحلى ما تردده الأفواه، و أعذب ما تسمعه الآذان، و أجلى ما تلحظه العيون والأبصار. وسيبقى هكذا أبد الدهر لحن الخلود، وقيثارة هذا الوجود، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وختاماً نتوجه إلى المولى جلّ شأنه متوسلين إليه أن يُتِمَّ علينا نعمته، و لا يحرمنا هدايته، و أن يسلكنا بالقرآن في سبل الهداة المهديين، ويرفعنا به إلى أعلى عليين، آمين رب العالمين.

نتائج البحث: يمكن تقسيم نتائج البحث إلى نوعين:

أولاً: نتائج عامة، وهي:

إنّ الجانب الصوتي في اللغة العربية بصورة عامة، وفي القرآن الكريم بصورة خاصة، عنصر أساسي مهم، لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال في بلوغ المعنى المراد، والإحاطة به.

١. إنّ كثيراً من علمائنا القدامى والمحدثين كانوا قد تَنبّهوا إلى أهمية الجانب الصوتي في تشكيل الصورة الفنية. وأشاروا إلى ما تنطوي عليه الأصوات اللغوية من معاني ودلالات وإيحاءات.
٢. إنّ هناك العديد من الظواهر الصوتية التي يمكن أن تتوافر عليها الكلمات القرآنية. وهي تتلائم جميعاً وتتناغم، وفق نظام صوتي وإيقاعي خلّاب في ترسيم صور القرآن الكريم ومعانيه.
٣. هناك علاقة وثيقة ومحكمة بين الجانب البلاغي والجانب الصوتي في إبراز المعنى. وإن تشكيل الصورة الفنية للجملة القرآنية قائم على امتزاج الصُّورة البيانية بالصورة الصوتية والإيقاعيّة.

ثانياً: نتائج خاصة وهي:

١- هناك ظواهر صوتية كثيرة في القرآن، تنطوي جميعاً على دلالات خاصة، منها: الحركة والإيقاع والمد والحرف والمقطع.

٢- هناك تناسب واضح بين الايجاز، والتنكير، الذي ورد عليه قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ وبين التحقير، وقلّة الشأن
الذي أُريد بيانُه بخصوص المنافقين.

٣- إنّ كلَّ حرف من الحروف الثلاثة ؛ (ص) و (ب) و (ع) التي تتصدر الكلمات الثلاث للآية الشريفة تدلُّ ماهيته دلالةً قويةً على معنى الكلمة التي يتصدّرها، و يختزل في طبيعته الصوتية السيميائية، كلَّ ما توحي به الكلمة من معانٍ، وما تنطوي عليه من دلالات.

٤- إنّ التناسب الإيقاعي بين الكلمات القرآنية الثلاث، والتساوي بين مقاطعها، فيه إشارةٌ بليغةٌ إلى تساويهم في الصمم والخَرَس والعَمَى، التي تؤدي مجتمعةً إلى فقدانهم، بالتساوي، لأهمِّ الحواسِّ التي بها تَتِمُّ عمليةُ الإدراك والوعي.

٥- إنّ التنوين في هذه الآية الشريفة يتنوّع ويتلوّن، وفق نَسَقٍ متجانسٍ رائعٍ، من خلال الصور الثلاث التي يرد عليها إقلابٍ، وإظهار، وإخفاء، وكذلك من خلال تنوّع صوت الغنة الذي يصاحب التنوين في حالَتَي الترقيق والتفخيم.

٦- إنّ إغلاق الفم المتكرر أثناء تلاوة هذه الكلمات صعوداً وهبوطاً، ثم الإطباق على النون في آخرها بسبب اجتماع التنوين الثلاثي، آخرِ كلِّ كلمة، ربما كان يُشيرُ إلى الإغلاق والطّمس والختم الذي ابتُلي به المنافقون والكافرون في حواسهم بسبب إصرارهم على الباطل، وحبس أنفسهم على الضّلال والعَمَى.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، القاهرة، ١٩٧٩م.
٢. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.
٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء (٧٧٤هـ): تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٥٦.
٦. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف: الفهرست، تحقيق: رضا تجدد.(د.ت).
٧. ابن يعيش، موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل. نشر عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
٨. أحمد سيد محمد عمار: نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٨م
٩. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.
١٠. الأصفهاني، ابو الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ): الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، (د.ت).
١١. الإمام، علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، دار الهجرة، ط٥، ١٤١٢هـ.
١٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي(٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٣. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٤. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ م.
١٥. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٥.
١٦. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تصحيح: محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط١، د.ت.
١٧. جمعة سيد يوسف: سيكلوجية اللغة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.
١٨. حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٩. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.
٢٠. حسين جمعة: في جمالية الكلمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.
٢١. الحمصي، محمد: تفسير وبيان مفردات القران على مصحف التجويد، مؤسسة الايمان، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٢. الداني، أبو عمرو عثمان: التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد، تحقيق: أحمد عبد التواب. طباعة مكتبة وهبة، ١٩٩٣م.
٢٣. الدرويش، محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط٨، دمشق- بيروت، ٢٠٠١م.
٢٤. الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ): المفردات في غريب القران، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.
٢٥. الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.
٢٦. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة مناهج البحث، القاهرة، ١٩٨٥م.
٢٧. الزجّاج: إعراب القرآن، تحقيق: إبراهيم الأبياري، من الموقع الالكتروني: http://www.almeshkat.net/books/index.php
٢٨. الزمخشري، الامام محمود بن عمر(٥٢٨هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، نشر البلاغة، ط١، قم - ايران، ١٤١٣هـ.
٢٩. الزمخشري: المفصل، دار الجيل، ط٢، بيروت- لبنان، (د.ت).
٣٠. سالي فيماير: قاموس اكسفورد الحديث، ترجمة: نجاح الشمعة، انتشارات محدث، ط١، طهران، ١٣٨٢هـ ش.
٣١. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، ١٩٦٢م.
٣٢. السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارىء العربي، دار الفكر العربي، مصر ١٩٩٢م.
٣٣. سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٤. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا ـ بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٥. السيوطي: همع الهوامع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان د.ت.
٣٦. الصغير، محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
٣٧. الصيغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، ط١، دمشق، ٢٠٠٠م.
٣٨. الطيب، عبد الله: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٠م.
٣٩. عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، القاهرة، ١٩٦٨م.
٤٠. عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٤١. عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مكتبة الشباب، ط٣، القاهرة، د.ت.
٤٢. العلوي، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ط١، صيدا- بيروت، ٢٠٠٢م.
٤٣. عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٤. عيسى علي العاكوب: موسيقى الشعر العربي، دار الفكر، ط٢، دمشق، ٢٠٠٠م.
٤٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٤٦. فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة الانجلو العربية، ١٩٥٠م.
٤٧. القرطبي، عبد الوهاب بن محمد القرطبي(٤٦١هـ): الموضح في التجويد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ط١، الكويت، ١٩٩٠م.
٤٨. القرطبي، محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبو عبد الله (٦٧١هـ): تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط٢، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
٤٩. القزويني، جلال الدين ابو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر: الايضاح في علوم البلاغة، دار احياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.
٥٠. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ج٢، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ.
٥١. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٢. ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، ١٩٧٣م.
٥٣. المبارك، محمد: دراسة أدبية لنصوصٍ من القرآن، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٩٧٣م.
٥٤. المباركي، يحيى بن علي: الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد (١٣) العدد (٢١) رمضان ١٤٢١هـ
٥٥. محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٦. المخزومي، مهدي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ط١، القاهرة، ١٩٦٦م.
٥٧. مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.
٥٨. المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار النصر للطباعة الإسلامية ط١، شبرا – مصر ١٤٠٢هـ.
٥٩. وافي، علي عبد الواحد: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة (د.ت).
٦٠. وافي، علي عبد الواحد: نشأة اللغة عند الإنسان، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

سمير الخواص
في أوهام درّة الغوّاص

للعلوي
(١٣٢٦هـ-١٣٥٠هـ)_(١٩٠٨م-١٩٣١م)

م.م. علي عباس عليوي الاعرجي

سمير الخواص في أوهام درّة الغوّاص

للعلوي (١٣٢٦هـ-١٣٥٠هـ) (١٩٠٨م -١٩٣١م)

م.م. علي عباس عليوي الاعرجي

الخلاصة

ظاهرت النقد ليست بدعاً في ميدان الفكر الإنساني، فعند ظهور أول مؤلف في الفكر البشري بدأت عملية النقد والتقويم وهذا ديدن العلماء المعاصرين، وحتى من تأخر عنه بمئات السنين، فالسيد محمد مهدي العلوي (١٣٥٠هـ- ١٩٣١م) استطاع أن ينقد الحريري (تـ ٥١٦هـ) صاحب درّة الغواص الذي بلغت شهرته الأصقاع؛ لذا قمت بتحقيق مخطوطة(سمير الخواص) التي هي ردّ على من يقول إن للعمل التأليفي مرحلة تكامل يصل إليها الفكر الإنساني وعلى من يقول: ما ترك الأول شيئا للآخر.

بدأ التحقيق بتمهيد له جزءان الأول: حياة العلوي، والثاني: دراسة لظاهرة اللحن التي تفشت بعد اختلاط العرب بغيرهم من الموالي فقد أجمع العلماء على أنّ اللحن أثر من آثار اختلاط العرب بغيرهم وهو الاختلاط الواسع الذي تمّ بعد خروج المسلمين من جزيرتهم قاصدين الأمصار المفتوحة. ومن المؤكد أيضًا أنّ اتساع اللحن أقلق أولي الأمر والنظر فحذّروا منه واستهجنوه، وسعوا إلى مقاومته. غير أنّ الجهد الأكبر في هذا المجال يرجع إلى اللغويين الذين اندفعوا إلى تدوين اللغة للحفاظ على الصورة المثلى للغتهم التي وصلت إليهم بريئة من مظاهر الانحراف. ولقد قرّ في نفوسٍ ذلك النفر من اللغويين الأوائل أنّ العربية إرث غالٍ من الواجب نقله إلى الأجيال الآتية سليماً صحيحاً، والحفاظ عليه من كلّ خللٍ أو نقص. وقد قوّى هذًا المقصد النبيل كون العربية لغة الدين التي حملتْ معجزة الوحي الخالدة، و انتشرت ظاهرة التأليف فكان أول كتاب للكسائي (ت١٨٩هـ)وبعدها لابن السكّيت (تـ ٢٤٤هـ) و ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وثعلب (تـ ٢٩١هـ) والزبيدي (تـ ٣٧٩هـ) وهكذا إلى يومنا هذا.

التمهيد

الجزء الأول: السيد العلوي حياته وآثاره.

محمد مهدي العلوي السبزواري (١٣٢٦هـ - ١٣٥٩هـ) (١٩٠٨م _ ١٩٣١م).

اسمه وولادته:

هو محمد مهدي[١] بن السيد إبراهيم بن السيد معصوم العلوي السبزواري، وسماه البعض بـ(مهدي) وحسب[٢]، ولد (رحمه الله) سنة ١٣٢٦هـ الموافق١٩٠٨م.

آثاره:

لم تسعف الحياة القصيرة التي عاشها السيد محمد مهدي العلوي بإصدار نتاجات كثيرة، فعمره لم يتجاوز الاثنتين وعشرين سنة ومع ذلك خلّف لنا مجموعة من المؤلفات:

١- اتهام ابن العلقمي بما هو بريء منه[٣] (طبع في بغداد ١٩٢٩م).

٢- تاريخ طوس أو (المشهد الرضوي) (طبع في بغداد ١٩٢٧م)، قال محسن آغا بزرك الطهراني (مختص للسي مهدي السيد إبراهيم العلوي السبزواري..... طبعته إدارة مجلة المرشد في بغداد ١٣٤٦ هـ)[٤]

٣- خير التحف في جواز السجود على الآجر والخزف (طبع في بغداد ١٩٢٩م)[٥].

٤- نابغة العراق[٦]، وذكره كور كيس عواد بعنوان (هبة الدين الشهرستاني) طبع في بغداد ١٩٣٠م.

قال آغا بزرك الطهراني (له ترجمة السيد هبة الدين بعنوان نابغة العراق وتراجم كثيرة من المعاصرين..... وتوجد مخطوطاته عند ولده الفاضل محمد حسن)[٧].

٥- سمير الخواص في أوهام درة الغواص وهي مخطوط وجدته في مكتبة (كاشف الغطاء العالمية) مكتوب على أول صفحة (سمير الخواص في أوهام درّ الغواص بقلم خادم الدين الحنيف محمد مهدي العلوي..... ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.).

وفاته:

كل من ترجم للسيد محمد مهدي العلوي لم يذكر له يوم وفاته بالتحديد ولكنهم اكتفوا بذكر السنة – سنة الوفاة- وحصل إجماع عليها وهي سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م وما ذكره أهل التراجم انه فاضل إمامي عراقي (توفي شابا في حياة والده سنة ١٣٥٠هـ)[٨].

---

١ – ظ: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٠/ ١٥٢ – ط١ ١٩٥٦م - الأعلام: ٧ / ١١٥.

٢ – ظ: الذريعة: ٣ / ٢٦٣، والأعلام أيضا: ٧ / ١١٥.

٣ – ظ: معجم المؤلفين العراقيين: كور كيس عواد، ٣/ ٢٥٢، الأعلام: ٧ / ١١٥.

٤ – الذريعة ٣ / ٢٦٣، فهرس المؤلفين: ٢٩٢.

٥ – ظ: الذريعة ٣ / ٢٦٣، معجم المؤلفين ٣ / ٢٥٢، فهرس المؤلفين، ٢٩٢.

٦ – ظ: الذريعة: ٣ / ٢٦٣.

٧ – الذريعة: ١٠ / ١٥٢.

٨ – ظ: الذريعة: ٣ / ٢٦٣، الأعلام: ٧ / ١١٥.

التمهيد:

الجزء الثاني: بين اللحن والتطوّر الدلالي، الخروج، المولّد بنوعيه، المعرّب والدخيل.

بين اللحن والتطور الدلالي:

يمكن تعريف اللحن بالزيغ أو الخطأ الذي يصيب الأصوات اللغوية، أو الصور البنيويّة (الصرفية)، أو التراكيب النحوية، أو الطرائق البيانية الخارجة عن المقاييس اللغوية[٩].

وأما كلمة (اللحن) فلها معان متعددة أهمها:

نقل أبو عبيد عن أبي زيد وغيره معاني كلمة (اللحن) فقال: (لحن الرجل يلحن لحناً إذا تكلم بلغته ولحنت له لحناً إذا قلت له قولاً يفقهه عنك ويخفى على غيره ولحنه عليّ لحناً أي فهمه وألحنته أنا إياه إلحاناً. ولاحنت الناس فاطنتهم، ولحن الرجل إذا أخطأ في الإعراب)[١٠]، والى المعنى الأخير ذهب الجوهري[١١]، وابن منظور[١٢].

ومنها تنظيم الكلام وهي اللحون المعروفة، ومنها ما يتعارف عليه أفراد أو اثنان في إشارات لفظية على مقاصد بينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

أمّا أمثلة اللحن فهي تتوزع على أنواع تضمُّ ما يتصل بالأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة، إذ مالت الأصوات إلى السهولة والتيسير وتخففت الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي خاصّة تلك الأصوات التي لا نظير لها في اللغات الأخرى فتغيّر حرف الضّاد – وهو خاص بالعربية – إلى ظاء أو دال مفخّمة أو عادية أو طاء أو لام مفخمة، كما نجد في العربية القديمة صيغا مزدوجة مثل صراط وسراط[١٣]، وعلل ابن يعيش سبب هذا التغيير بقوله: (إن هذه الحروف مجهورة مستعلية والسين مهموس مستفل فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صاداً لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف)[١٤]، ويقصد بقوله (الاستعلاء): علوّ مؤخر اللسان في اتجاه الطبق وهو يعني الأطباق أو التفخيم بحسب رأي المحدثين[١٥]، ومن أمثلة اللحن في الصيغ الصرفية إدخال أداة التعريف (ال) على ألفاظ (كل، بعض، غير)كقولهم: (الأعمال الغير لائقة) وفي التراكيب العددية مثل: (ما فعلت الثلاثة الأثواب) وهذا ما أنكره الحريري في درته[١٦] لأنهم يعرفون الاسمين ويضيفون الأول منهما إلى الثاني والصواب (ما فعلت ثلاثة الأثواب)، أي أن يعرف الأخير من كل عدد مضاف، وأما ما يخص التراكيب النحوية فقد كان لتسكين أواخر الكلم أثر واضح في صعوبة تمييز المواقع الإعرابية للكلمات فصارت الوظيفة

٩– ظ: حركة التصحيح اللغوي د. محمد ضاري حمادي: ٩.

١٠– ظ: الغريب المصنف: ٦٤٩.

١١– ظ: الصحاح، الجوهري: ٦/ ٢١٩٣، (لحن).

١٢– ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١٣ / ٣٨٠، (لحن).

١٣– ظ: الدراسات اللغوية عند العرب محمد حسين آل ياسين ط٣٥: ١، وينظر أيضا القاموس المحيط ٢/٣٧٧ (سرط).

١٤– شرح المفصل، ابن يعيش: ١٠ ٥٢.

١٥– ظ: مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان: ١١٥.

١٦– ظ: درة الغواص: ١٢٥.

النحوية في الإحساس اللغوي الحيّ موقوفة على علاقات مواضع الكلمات لا على إعرابها كما أن الخلط بين علامات الإعراب طابع مميز في التعبير الشعبي وهذا ما يوضحه الجاحظ(٢٥٥هـ)في الأمثلة التي أوردها نموذجا للكلام الملحون[١٧] مثل:

ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبو عمرو.

ومن الأساليب الضعيفة التي لا تستحسن في اللسان العربي إدخال (الألف والنون) قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم: (روحاني و نفساني)[١٨].

وتتضح ظاهرة اللحن في الدلالة اللغوية للألفاظ من خلال ما استعمله مترجم الإنجيل للألفاظ اللغوية ودلالتها على المعاني المستعملة في العصر العباسي الأول إذ استعملت في غير موضعها الصحيح، ومن تلك الأمثلة[١٩]: استعمال (من حيث) بمعنى (في حالة)، و(فيما) كثر استعمالها بمعنى(بينما)، واستعمل(من حين) بمعنى (منذ)، و(إلى حين) بمعنى (حتى)، كما أن الاسم الموصول (الذي) تحوّل أخيرا إلى الصيغة الجامدة في جميع الأحوال وهي (اللي)، وما زال استعمالها إلى اليوم، ويرى د.مناف الموسوي(أن الاسم الموصول (اللي)هو تطور لاسم الموصول(الذي) إذ أن اللهجات المولدة قد مالت إلى التيسير، وان الإنسان يميل بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي فقطعت الذال اختصاراً للمجهود العضلي كما أن نظرية السهولة تميل إلى الابتعاد عن المخارج المتقاربة)[٢٠].

أما أول بوادر اللحن فقد اختلف الدارسون في وقوعه في الجاهلية وان ذهب أكثر الدارسين إلى انه لا لحن في الجاهلية ؛ لأنهم يعدون اللحن ممّا ينافي الفصاحة، ويعملون على توجيه هذا اللحن فيسمّونه(لغة شاذّة) أو نادرة[٢١] ؛ أي انه كانت هناك مخالفات عن الطريقة الإعرابية العامة التي سار عليها الأكثرون من عرب الجاهلية لكنّ علماء العربية المتقدمين قد أقرّوا فصاحة هذا الخروج ووصفوه بالشذوذ[٢٢].

ويحدد القدامى ظهور اللحن بحدود ظهور الإسلام أو بعده بقليل، أي أن العرب الخلّص لم يكن من طبيعتهم، وان الإسلام قد نقلهم إلى ارض واسعة امتزجت فيها ألسنتهم بألسنة أقوام كثيرة إذ وقع التأثير والتأثر وزاغت الألسن عما كانت عليه من فصاحة مطلقة وسليقة صافية فاضطربت أصوات العربية بارتضاخ لكنات أعجمية وحُرّفتِ الصيغة عن شكلها الحقيقي وتخلخل التركيب، واستعمل الكلم في غير مواضعه، وإذا ما صحّت الأخبار في (اللحن) في أيامٍ رسول الله ﷺ وما نسب إليه من أحاديث في ذلك فنه يشير إلى ظهور اللحن بصورة خفيفة ونادرةٍ جداً لا على اعتباره ظاهرة مطّردة في ذلك العصر –عصر النبوة– وفي هذا الصدد يروى أن وفداً جاء إلى النبي ﷺ يعلن إسلامه فلحن خطيبهم في كلامه بين يدي الرسول فاستفضعوا لحنه وظهر أثر ذلك في وجه الرسول ﷺ أيضا وقال

١٧– ظ: البين والتبيين: ١/ ١٦٢- ١٦٣.

١٨– ظ: مباحث لغوية د. مناف مهدي الموسوي: ٣٠- ٣٥.

١٩– ظ: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان ١/ ٣٤٣- ٣٤٤، و مباحث لغوية: ٣٦- ٣٨.

٢٠– المصدر السابق.

٢١– ظ: الدراسات اللغوية عند العرب، ٣٤.

٢٢– ظ: حركة التصحيح اللغوي، ١٠.

للوفد (ارشدوا أخاكم فقد ضلّ)[٢٣] ، وأما في عصر الصحابة فهناك روايات تدل على ان اللحن بمعنى الخطأ اللغوي لم يكن معروفاً معرفة واضحة في ذلك العصر ويمكن اعتبار ما روي عن أبي الأسود الدؤلي وما شكاه إلى أمير المؤمنين عليه السلام من لحن ابنته، ومما حفّز أبا الأسود إلى وضع العربية –كما يعبر القدماء– سماعه قارئاً يقرأ على قارعة الطريق قوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣] بالكسر فقال: حاشا لله أن يبرأ من رسوله، ما كنت أحسب أن أمر الناس صار إلى هذا[٢٤] ، وأول زيغ ظهر في الألسنة تسكين أواخر الكلم هرباً من الإعراب[٢٥] حتّى تسرّب اللحن إلى التلاوة في القرآن (كما مر في قصة أبي الأسود) وهو دستور الشريعة، ومنار العربية واليه المرجع في الدين واللغة، واللحن فيه قد يخل بمقاصد الآيات التي يُلحن فيها، ويُغيّر من المعنى المقصود في الآية[٢٦] .

يمكن اعتبار كل ذلك البداية منطلقاً لتحويل دلالة (لحن) إلى معنى الخطأ في الكلام.

أما في عصر بني أمية فان اللحن قد تسرّب من أفواه العامة إلى معظم الخلفاء والأمراء بل حتى بعض البلغاء المعروفين، وقد كان الأمويون متشددين في أمر اللحن، وفي العصر العباسي نجد أن العصبية القبليّة باتت ضعيفة لاختلاط العرب الواسع بالموالي وهذا كان له تأثير كبير في شيوع اللحن شيوعاً واسعا ولا سيما في العراق لأن بغداد كانت عاصمة الدولة السلامية، ومن هنا بدأت جهود العلماء في كتب التصنيف في اللحن لتنقية اللغة العربية منه وهذه الحركة نضجت في هذا العصر نضجاً تاما، وإذا ما صحّت نسبة كتاب (ما تلن فيه العوام) للكسائي (تـ ١٨٩هـ) ؛ فان هذا دليل على أن التأليف في موضوع اللحن لم يبقَ محصوراً في العراق بل امتد في القرن الرابع الهجري وما تلاه إلى معظم الأقاليم العربية[٢٧] .

ولا بدَّ من النهضة بوجه هذا الخطر الذي هدد كيان الأمّة بالتفكك والاضمحلال، فبدأت بذلك حركة تنقية اللغة فكان لتيار اللحن الطاريء ردّ فهل عنيف هزّ المجتمع الجديد فأطبقت الروايات جميعا على أن كل لحن كان يقابل بالرفض والاستهجان على امتداد القرن الأول وما تلاه من قرون.

بيد أن هذا العنف لا يعني شيئاً إذا لم يقترن بعمل لغوي حاسم ينقذ العربية من الدمار الذي يتهددها والأخطار المحدقة بها جرّاء هذا التيار الشديد فكان أن قام رجال خلدهم التاريخ بسياحة شاقّة جمعوا فيها أفصح الكلام وأنقاه، ثمَّ جعلوا ينظرون في بتأمل واستغراق وقّفوا على ثمارها حياتهم، فأثمر ذلك ثمرة هي(النحو العربي) علما متماسكا متكاملا ينتزع الإعجاب والإطراء يحقّ للعرب أن يفخروا به وكانت هناك رقابة صارمة تسجل في إحصاءات متعاقبة مقادير اللحن ونماذج بالأخطاء الدائرة على الألسن بعد أن وُضِعَ (النحو) وصارت العربية صناعة ودربة فكان حصيلة هذا عشرات من المصنفات اللغوية العاملة على تنقية اللغة من كل شائبة أو تحريف.

---

٢٣ – مراتب النحويين واللغويين: ٥، كنز العمال: ١/ ١٥١، ولمع الأدلة: ٩٦، الخصائص: ٢/٨.

٢٤ – ظ: الفهرست، ٦٦، أخبار النحويين للسيرافي، ١٢، ومراتب النحويين، ٨، ونور القبس لليغموري، ٤.

٢٥ – ظ: الدراسات اللغوية عند العرب، ٣٧.

٢٦ – ظ: المصدر السابق.

٢٧ – ظ: مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي، د.احمد قدّور، ٥٣- ٥٥.

ومن الخطوات التي كان لها تأثير فعّال إلى حدّ ما في الحفظ والصيانة وان لم تقضي على هذا الخطأ الكلامي الشائع (اللحن) وضع النحو على وجه عام على يد أبي الأسود الدؤلي وكان نواة ذلك في مدينة البصرة التي كثر فيهل هذا الزيغ اللغوي والخطأ في التلاوة بسبب مستوطنيها من الأعاجم واختلاطهم بأبناء العرب، وأيضا قام بعض رجال الدولة بتعريب الدواوين من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، ومما أفاد اللغة كذلك شعر النقائض فمن محاسنها أنها نقّت ألفاظ لغوية قليلة الاستعمال، أو غريبة فصهرتها وصقلتها وأصبحت صالحة للاستعمال ويظهر أكثر ذلك في شعر الفرزدق حتى قالوا: (إنّ الفرزدق أحيا ثلثي اللغة)، فهي من الناحية الأدبية واللغوية كانت مفيدة كما أنها أحيت الأساليب الأدبية الرصينة والعالية[٢٨].

التطوّر الدلالي: كلمة (التطوّر) اشتقّت في هذا العصر من كلمة(طور) على وزن(التفعّل) وهي كلمة أُحتيج إليها للتعبير عن معنى جديد غبر التبدّل، والتغيّر وهو الانتقال من طور إلى طور[٢٩]، ويدل التطور غالبا على تغيّر تدريجي يؤدي إلى تحوّلاتٍ متلاحقة[٣٠]، وعلى الرغم من ذلك يلاحظ أن مصطلح (التطوّر) توسّع بحيث أصبح مرادفا لمصطلح التغيّر(change) الذي يشير إلى حدوث تغيّرات أو ظواهر جديدة لا تعني بالضرورة أنها تسير على نسق منتظم أو تتحوّل من طور إلى طورٍ[٣١].

ويبدو أن إطلاق هذا المصطلح (change) يشير إلى التغيّر الذي لا يكون مقصوداً من الفرد أو الجماعة، ولذلك يحدث هذا التغير من غير أن يتولّد لدى الناطقين باللغة إحساس بان اللغة التي يستعملونها لا تبقى كما هي[٣٢]، ويلاحظ نوعا من التطور الذي لا يحدث من تلقاء نفسه وهو ما يدعى بـ(التطوير)، فالتطوير جهد واعٍ يقوم به الأدباء والمفكرون، أو تقوم به مجامع اللغة والهيآت المختصّة بالتعليم والمصطلح الفني، ودلالة التطوير ههنا قريبة من مصطلح الابتداع[٣٣]، ومن الملاحظ أن ظهور الظروف الجديدة بسبب التغيّر الاجتماعي وتطور الثقافة والعلوم يتطلّب جهوداً مكثّفة لتلبية الحاجات الجديدة في حياة الجماعة، ومن هنا يبرز الابتداع بوصفه سببا من أسباب تطور اللغة[٣٤].

أما فكرة التطور وموقف العلماء منها فقد كان لـ(نظرية داروين) في علم الأحياء الأثر الفعّال في هذه المسألة؛ فقد وقف العلماء منها على اتجاهين: منهم من ذهب إلى أن مبدأ التطور منشؤه علم الطبيعة، ثمّ استعارته بقية العلوم والآداب والدراسات الاجتماعية، والثاني أنكر أن تكون نظرية التطور الطبيعي صالحة للتطبيق في غير مجالها، على حين ذهب إلى الحماسة في نفي التأثر بالتطور الطبيعي بالجملة؛ لأنّ التطور مبدأ عام عرفته المعارف الإنسانية قبل ظهور(داروين) ونظريته، وقد ظهر تعبير (حياة الألفاظ) تأثّرا بعلم الحياة إذ شبه علماء اللغة الكلمات بالأحياء، وجعلوا لها مولدا وحياة وموتا، ويلاحظ ههنا

٢٨– ظ: الدراسات اللغوية عند العرب، ٤٠- ٤٥.

٢٩– ظ: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ٣١، ٣٦، ٣٢٥.

٣٠– ظ: المعجم الوسيط، ٥٦٩/٢- ٥٧٠، المصطلحات العلمية الفنية خياط ومرعشلي، ١٣٣/٢، معجم علم الاجتماع، ينشيل١٩٧.

٣١– ظ: مصنفات اللحن، ٣٠.

٣٢– ظ: مبادئ اللسانيان العامة اندرلايه مارتينيه، ١٧٦.

٣٣– ظ: اللسان والإنسان، حسن ظاظا، ١٠٢، المولدحلمي خليل، ١٧- ١٨، علم الدلالة، احمد مختار ٢٤٢.

٣٤– ظ: مصنفات اللحن، ٣١.

أن بعض الباحثين أسرفوا في وصف اللغة بأنها كائن حيّ خاضع لناموس الارتقاء ؛ وهذا مما دفع بعض المحدثين إلى نقد هذا الوصف، والمصطلحات الأخرى التي لاتمتُّ إلى اللغة[٣٥].

وهكذا كان لظاهرة التطور في علم الأحياء تأثيرا امتدّ إلى اللغة فجعلوا لها قوانين صارمة تجعل كثيرا من مظاهرها أمورا حتميّة[٣٦]، والتطور الدلالي أو تغير المعنى جزء من التطور اللغوي الذي يشمل قطاعات اللغة الرئيسة وهي (الأصوات والصرف والنحو والمفردات)، وهكذا نجد جهود الباحثين تنصبّ في دراسة التطور الدلالي الذي هو المحور الرئيس لعلم الدلالة الحديث ؛ أي دراسة ما يحدث للغة من تغييرات متعاقبة خلال الأزمنة المختلفة ؛ وبذلك فالتطور الدلالي يماثل مصطلح (تغيّر المعنى) من غير أن يحمل صفة تقويمية تشير إلى الحكم على التطور بالخطأ أو الصواب[٣٧].

أما أسباب التطور الدلالي فيكمن أن نجعلها في قسمين: يضمُّ القسم الأول الأسباب الداخلية، بينما يضمُّ القسم الثاني الأسباب الخارجية ؛ فالأسباب الداخلية تتصل باللغة نفسها ؛ أي الأسباب الصوتية، والصرفية (الاشتقاقية)، والنحوية، والسياقية وهذه الأسباب عند إبراهيم أنيس يعزوها إلى الاستعمال[٣٨]، فالصوتية يكون بالتقارب الصوتي بين صوتين من كلمتين مختلفتين قد يفضي نتيجة لسوء النطق أو سرعته إلى تعريف يجعلها بعد ذلك من كلمات المشترك اللفظي مثلا[٣٩]، فالسين في كلمة(سغب) عند نطق صوت آخر مماثل لها في المخرج مثل (التاء) ينتج لنا كلمة جديدة مماثلة تماما لكلمة موجودة أصلا معناها (الدرن والوسخ)وهي (التغب) ؛ وبهذا كان للتطور الصوتي تطور دلالي أنتج لفظة واحدة تحمل أكثر من دلالة[٤٠]، كما يؤدي الانحراف في نطق بعض الأصوات إلى اتجاه عكسي ؛إذ تغدون الكلمة الواحدة صورتين لفظيتين أو أكثر مما قد يؤدي إلى الترادف وهو المنسوب إلى اللهجات كالصقر والسقر والزقرالتي تدل جميعا على مسمى واحد كما يؤدي إلى صورة من صور الفروق، فنطلق الطاء في (غلط) تاء ينتج كلمة جديدة هي (الغلت) توحي للقارئ بوجود فرق بين اللفظتين كأن يكون(غلط) عاما و(الغلت) هي الحساب خاصة كما جاء في بعض المعجمات[٤١] ؛ وبذلك يمكن تحليل الكثير من مظاهر التطور الدلالي عن طريق تغيّر الأصوات وكذلك فان الأسباب الاشتقاقية مسؤولة عن بعض الانحراف الذي يشيع حتى يغدو ظاهرة عامة نتيجة الخلط بين اصلين من أصول الاشتقاق فيُفسّر معنى هذا اللفظ بمعنى ذاك بعيدا عن المعنى الأصلي[٤٢]، من ذلك ما ذكره ابن مكي نقلا عن أهل عصره أنهم يعنون بقولهم(ضربه فأشواه) انه احرقه ضربا كما يشوى اللحم في النار، ولسي الأمر كذلك ؛لأنّ معناه (ضربه فأصاب شواه)، والشوى أطراف الجسد كاليدين والرجلين[٤٣]، ولا

٣٥ – ظ: اللغة فندريس، ٢٤٧.
٣٦ – ظ: مصنفات اللحن، ٢٩٦.
٣٧ – المصدر نفسه.
٣٨ – ظ: دلالة الألفاظ ١٣٢.
٣٩ – ظ: المصدر السابق.
٤٠ – ظ: المصدر نفسه.
٤١ – ظ: السان٢/٦٤، ٣٦٣/٧، القاموس المحيط ٨٧٨، تاج العروس ٥١٧/٩، .
٤٢ – ظ: مصنفات اللحن، ٢٩٧.
٤٣ – ظ تثقيف اللسان ٣٠٠.

شك بان كلمة (شوى) بمعنى احرق شيئا في النار، وبين (شوى) بمعنى أطراف الجسد، قد بعث الوهم أنهما من اصل اشتقاقي واحد يدل على الإحراق، ويبدو أن للصيغ الفعلية المشتركة بين هذين الأصلين دلالة هي التي أدت لهذا الوهم الذي يسمى بـ(الجناس الاشتقاقي)، وتسهم الأسباب النحوية والسياقية الموقعية في كثير من أمثلة التطور الناشئ من كثرة استعمال لفظ في موقع معين ؛ فاستعمال كلمة (الفشل)في قوله تعالى: (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال: ٤٦]، يبعث القارئ أنها تستعمل للتنازع بمعنى الإخفاق، وهي أصلا تدل على الضعف، كما تؤدي الأساليب النحوية كالنفي والتعجب والاستفهام وغير ذلك إلى تطورات دلالية متشعّبة[٤٤].

أما الأسباب الخارجية فتشير إلى اثر العوامل الاجتماعية والتاريخية والنفسية في تغيّر المعنى، ويبدو أن أهم هذه العوامل يرجع إلى الظواهر الاجتماعية التي تضم ثقافة المجتمع وسلوكه وطرائق الحياة فيه[٤٥]، فمثلا هناك من الموهوبين والأدباء من يعمل على إيجاد ألفاظ ذات دلالات مختلفة أو عن طريق النقل أو المجاز، وكذلك الهيآت العلمية، وأيضا للتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي شأن عظيم في اندثار بعض الألفاظ ذات الدلالات المعروفة أو انحطاطها ورقي ألفاظ أخرى تحمل دلالات مختلفة، فكلمة(باشا) اندثرت في الوقت الحاضر وشاعت ألفاظ أخرى كـ(الوزير والنبيه) وغير ذلك[٤٦].

وتدل الأسباب التاريخية على التغيّر في الأشياء والمسمّيات من دون الأسماء ويشير هذا النوع من التغيّر الدلالي إلى صور متعددة منها إحياء لفظ قديم كان يدل على شيء غاب أو انقرض، وذلك لسد النقص في الثروة اللفظية على اعتماد المشابهة بين الشيء القديم الذي كان الاسم له والشيء الجديد الذي صار له الاسم، كالقطار والسيارة ونحو ذلك أو الأسباب النفسية التي لها آثار مهمة في هذا المجال، وهي تتصل بما يشعر به الإنسان من تفاؤل أو تشاؤم أو حزن أو رخاء وغير ذلك، مثل إطلاقهم لفظ(سليم) على الملدوغ أو المريض تفاؤلا في شفائه[٤٧]، كذلك هناك الكثير من الألفاظ (الجنسية) التي انقرض استعمالها لقبحها وعُوِّض عنها بألفاظ أحسن منها وفي القرآن ألفاظ سامية عبر عنها القرآن بكل نزاهة وترفّع عن (النكاح) مثل (المباشرة، الرفث، السرّ) وغير ذلك[٤٨].

وعلى الرغم من كل هذه الأسباب فهي لا تعتبر أسبابا توقيفية صارمة ؛ إنما هي أسباب تستطيع القول عنها إنها أسباب أساسية في التطور الدلالي أو تغيّر المعنى.

أما سبل التطور الدلالي ومظاهره فهي كما قسمها تقسيم منطقي كل من (بريال) وزملائه حينما قارنوا بين المعنى القديم والحديث، فتبينوا أن المعنى القديم إما أن يكون أوسع من المعنى الجديد أو أضيق منه أو مساوٍ له في المعنى فيكون من ذلك (تضييق المعنى أو التخصيص، وتوسيع المعنى أو التعميم، والانتقال من مجال إلى آخر ويضم المجاز)[٤٩]، وهذه القوانين لا تزال بحاجة إلى مزيد من البراهين الواقعية.

---

٤٤ – ظ: مصنفات اللحن، ٢٩٨.
٤٥ – ظ: المصدر السابق.
٤٦ – ظ: دلالة الألفاظ، ١٤٥- ١٥٢.
٤٧ – ظ: مصنفات اللحن، ٢٩٩.
٤٨ – ظ: دلالة الألفاظ، ١٤٢.
٤٩ – ظ: دور الكلمة في اللغة، ١٦١- ١٦٣.

فالتخصيص يدل على تضييق المعنى بقصر العام على بعض أفراده، ويمكن أن يفسّر بأنه نتيجة شيوع نوع واحد من مجموعة من الأشياء أو الأمور التي تدل عليها الكلمة، كذلك انقراض بعض الأشياء أو العادات ومظاهر السلوك المعبّر عنها دلاليا إلى تضييق الدلالة وانحصارها بما بقي من تلك الأشياء متداولا من دون أن تلغى تلك المرحلة التي كانت فيها الدلالة عامة، كما يمكن أن يكون امن اللبس في هذا النوع من التطور ؛ لأن الدلالات العامة قد توقع في سوء الفهم بسبب جواز انطباقها على أشياء كثيرة فيكون التخصيص تحديدا للمقصود وإهمالا لما عداه، ويبدو أن امن اللبس والاقتصاد في الجهد هما العاملان الأساسيان في هذا النمط من تطور الدلالة ولا سيما لدى الناس في حياتهم العامة[٥٠]، والتعميم يكون بتوسيع معنى اللفظ ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى اعمّ واشمل[٥١]، ويفسر التعميم بان الناس في حياتهم العادية يكتفون بأقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها، ويقنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب[٥٢] وهنا يكون اقتصاد الجهد هو المسؤول عن هذا النمط ؛ لأن أهل اللغة عامة يميلون إلى السهولة والتيسير بالقدر التقريبي للفهم وهذا القدر يتعرض للاحتراز والتبسيط[٥٣].

وينفرد الانتقال من مجال إلى آخر بجانب مهم في تطور اللغة وذلك لتنوعه واشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيّلات[٥٤]، ويقوم هذا الانتقال على تغيّر مجال الاستعمال ؛ فالمعنى الجديد ههنا ليس لخص من المعنى القديم ولا اعم بل هو مساوٍ له، ولذلك يتخذ هذا الانتقال للمجاز سبيلا له لما يملكه المجاز من قوّة التصرّف في المعاني عبر مجموعة متعددة من العلاقات والأشكال، فاستعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادئ الأمر عن طريق المجاز، لكنه بعد كثرة الاستعمال والتواتر الزمني يغدو من النقل الذي تضمحل منه الصيغة المجازية[٥٥]، ويطلق هذا النوع من المجاز عند البلاغيين مصطلح (المجاز الراجع)[٥٦] وقد ذهب علماء الدلالة المحدثون إلى أن في المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية والجزئية، والعلاقات الأخرى كالمجاورة والسببية، وفي الاستعارة نماذج أساسية لتغيّر المعاني[٥٧].

الخروج: هو وقوع مخالفات عن الطريقة الإعرابية ففي الجاهلية اقرّ العلماء المتقدمون فصاحة هذا الخروج لكنهم وصفوه بالشذوذ ولم يصفوه بالخطأ وصار عندهم (إن الشيء إذا اطّرد في الاستعمال وشذّ عن القياس فلا بدّ من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتّخذ أصلا يقاس عليه غيره)[٥٨]؛ ذلك أن المتكلم آنئذ عربي فصيح وانه وان خالف الوجه المشهور فإنما يتكلم بلغة قبيلته ولهجة قومه فلا يحمل أمره على الخطأ، أما الخروج الذي يحمل مخالفات لا يمكن تخريجها على وجه من وجوه العربية،

٥٠ – ظ: مصنفات اللحن، ٣٠٠- ٣٠١.
٥١ – ظ: فقه اللغة وخصائص العربية، ٢١٨.
٥٢ – ظ: دلالة الألفاظ، ١٥٥.
٥٣ – ظ: مصنفات اللحن، ٣٠٢.
٥٤ – ظ: علم الدلالة، ٢٤٩.
٥٥ – ظ: فقه اللغة، ٢٢١، التفكير اللساني المسدي، ١٨، قاموس اللسانيات، ٤٤.
٥٦ – ظ: دراسات في فقه اللغة محمد الخضر حسين، ١٠.
٥٧ – ظ: علم الدلالة العربي، فايز الداية، ٣٧٩، مقدمة لدراسة التطور الدلالي، احمد محمد قدور عالم الفكر العدد ٤ – المجلد ١٦ – ١٩٨٦، ٣٧ – ٤٠.
٥٨ – الخصائص ١/ ٩٩.

ولا حملها على لغة من لغاتها فهو الذي بدأت بوادره في الإسلام كقول احد كتّاب أبي موسى الأشعري حين كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ما نصّه(من أبو موسى)[٥٩].

المولّد: هو استحداث ألفاظ جديدة لم تكن موجودة في اللغة العربية عن طريق الاشتقاق أو الاقتراض اللغوي ويقسم على قسمين:

١- مولّد عربي: هو اشتقاق ألفاظ أو كلمات وفق القوانين الصرفية اللغوية غير أنها لم ترد فيما روى الرواة من كلام العرب ولا فيما دونته المعجمات العربية العامة من ذلك الكلام الأصيل فهي كلمات عربية المادة، عربية الصورة مثل: رجل جلود وشفوق ورحوم ونصوح على وزن فعول[٦٠]، فهي مولّدات عن طريق الاشتقاق والمجاز، وقد ظهرت طائفتان مختلفتان في القبول والرفض فطائفة من أهل التصحيح حكمت بالخطأ على ما جاء منه في المنثور أو المنظوم قائلة(هذا لم يرد في كلام العرب) أما الثاني فكانت تبيح ذلك وتدعو إليه وعلى رأسها المجمع اللغوي المصري في قراره الخاص بالأخذ بالقياس، وظهرت هذه المولدات في العربية بعد عصور الفصاحة[٦١].

٢- مولّد أجنبي: هو عملية احتكاك واقتراض الكلمات الأجنبية وإدخالها إلى العربية من غير أن يغيَّر منها شيء (تدخل كما هي بصورتها الأعجمية) وقد ذهب المحدثون من علماء اللغة إلى أنها تكون لدافعين رئيسين، لايتم الاقتراض إلا بهما أو باحدهما، الأول هو الحاجة، والثني هو الإعجاب أو التفكّه[٦٢]، مثل اوتومبيل وتلغراف وتلفون وغيرها[٦٣]، كذلك فان هذه الظاهرة وقعت بعد عصر الفصاحة والاحتجاج، ومثله مثل المولد الأول إذ دعا فريق إلى إباحة اللفظ الأجنبي مطلقا والى الاشتقاق منه بغير تحديد، على رفض آخرون هذه النظرة ورأوا أن ذلك إغراق للعربية في سيول الدخيل وطمس لشخصيتها الأصيلة ونلاحظ هذه الظاهرة جليا في المصطلحات العلمية الحديثة[٦٤].

وقد لجأ العرب إلى الاقتراض اللغوي من لغات أعجمية نتيجة لاختلاط الدولة الإسلامية بدول أجنبية واحتكاكهم بها فنشأ التأثّر والتأثير فاحتاجوا غلى الفظ يعبروا بها عن الأفكار الجديدة والطباع الغريبة الناشئة عن هذا الاختلاط فلجأوا إلى ذلك، ولا يعد هذا عيبا في اللغة فن أية لغة تواجه تجديدا لا عهد لها به وليس في ألفاظها ما يدل عليه فتلجأ إلى اقتراض ما تحتاج إليه من ألفاظ وقد فعلت لغتنا العربية ذلك فاقترضت من الفرنسية والهندية والرومية وغيرها من لغات الشعوب التي اتصلت بها بعد خروجها من عزلتها في الجزيرة العربية، ثم أن بعض ما اقترضته من الألفاظ الأجنبية أبقت عليه بصورته من دون تغيير وذلك ما أطلق عليه المعجميّون اسم(الأعجمي أو الأجنبي أو الدخيل)، وهذا لا يعني عجز اللغة وقصرها عن أداء وظيفتها إنما هو اتساع لها وسموّ بها[٦٥].

٥٩- ظ: مراتب النحويين ٢٣.

٦٠- ظ: حركة التصحيح اللغوي٢٤٧- ٢٤٨.

٦١- ظ المصدر السابق.

٦٢- ظ: من أسرار اللغة، ٢٠٠.

٦٣- ظ: حركة التصحيح اللغوي، ٢٧٧ – ٢٨٢.

٦٤- ظ: الجهود العلمية للمصطلح العلمي د. محمد علي الزركاني ٧ – ٥٠.

٦٥- ظ: مباحث لغوية ٢٣ - ٢٥.

المعرّب والدخيل: هو اللفظ الذي بدل فيه بعض أصواته أو غيرت بنيته فابتعد عن صورته الأصلية[٦٦].

أما الدخيل فهو اللفظ الأجنبي الذي ترك على حاله ولم يغير فيه شيء وادخل إلى العربية[٦٧]

وصف المخطوطة

هي نسخة وحيدة عثرت عليها في مكتبة(كاشف الغطاء) في النجف الاشرف على الميكروفيلم وتحتوي هذه المخطوطة على نصّ التأليف الأول لردود العلوي على كتاب(درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري، تقع في إحدى عشرة صفحة مع المقدمة.

طول الصفحة الواحدة(٣٠ سم) وعرضها(٢٢ سم) يتراوح عدد الأسطر بين (٥- ١٥) سطر. وفي كل سطر يتراوح عدد الكلمات بين(١٢ فأكثر) وللمخطوطة صفحة عنوان وهو(سمير الخواص في أوهام درة الغواص)، تبدأ المخطوطة بمقدمة محمد مهدي العلوي، ثم يبدأ بعرض المواضع التي خطّأ فيها الحريري مرتبة على شكل نقاط متسلسلة وختمها بقوله (هذا ما أردنا إيراده من الرد على كتاب (درة الغواص) والسلام.

وفيه غيض ذكر تاريخ كتابة المخطوطة (سبزوار في ٢٣ صفر الخير ١٣٤٨) والإمضاء باسمه (محمد مهدي العلوي).

والمخطوطة مكتوبة بخط النسخ وقد سقطت منها بعض الكلمات وكذلك صفحة واحدة استطعت إرجاعها من خلال الميكروفيلم.

وفيما يأتي الصفحة الأولى من المخطوطة والأخيرة منها.

منهج التحقيق:

- قمت بتحقيق هذه المخطوطة باتّباع عددٍ من الخطوات وهي على الآتي:
- ترجمت للسيد العلوي مع قلة المصادر التي ترجمت له.
- قمت بعملية التحقيق على نصٍ خطّي واحد حصلت عليه من مكتبة (كاشف الغطاء) في النجف الاشرف ولم أجد لها نسخا أخرى في النجف ولا في العراق.
- ألفاظ المخطوطة واضحة وقد كتبت بخط النسخ ولم أواجه صعوبة في نقلها إلى الخط القياسي الحديث وهي بخط المؤلف.
- ضبط النصّ القرآني والنصوص الواردة في ثنايا المخطوطة والإشارة إلى مصادرها.
- قمت بترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في المخطوطة.
- العناية بعلامات الترقيم وتوزيع الفقرات في البدء والانتهاء.
- أشرت بعلامة(/) إلى نهاية كل صفحة من المخطوطة.

٦٦- ظ: نفسه.

٦٧- ظ المصدر السابق.

سمير الخواصّ

في

اوهام درّة الغوّاص

بقلم

خادم الدين الحنيف

محمد مهدى العلوى

الامام في الجامع الكبير بسبزوار

سنة ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه وآلائه والصلوة والسلام على أشرف
أنبيائه وعلى المعصومين من عترته وخلفائه وبعد فبينما
كنت أطالع ذات يوم كتاب درة الغواص عثرت فيه على
مواضع زل فيها قدم الحريري اللغوي الضليع فرأيت أن
أنبه عليها خدمة للغة الأجداد ولسان يعرب
وحيث كان الفيروز آبادي والجوهري من أشهر علماء
اللغة وأجلائهم رأيت أن أدلي بكلامهما عند ردودي
على مقالات الحريري ؟
العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ على نَعمائه وآلائه، والصلوة والسلام على أشرف أنبيائه، وعلى المعصومين من عترته وخلفائه، وبعد:

فبينما كنت أطالع ذات يوم كتاب(درّة الغوّاص)[٦٨]، عثرت فيه على مواضع زلّ فيها قدم الحريري[٦٩] اللغوي الضليع ؛ فرأيت أن أنبّه عليها خدمة للغة الأجداد لسان يعرب.

وحيث كان الفيروز آبادي[٧٠]، والجوهري[٧١]، [٧٢] من اشهر علماء اللغة واجلّائهم رأيت أن أدلي بدلوي بكلٍ منهما عند ردودي على مقالات الحريري/ ١ العلوي

٦٨ – ظ: تتمة اسم الكتاب (درّة الغواص في أوها م الخواص).

٦٩ – الحريري هو أبو محمد القاسم بن علي صاحب كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) اشتهر به ينظر الأعلام ٧ / ٣٤٥، ومقدمة كتاب الدرة، ٢.

٧٠ – هو مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر الشيرازي الشافعي من أئمة اللغة والأدب ولد بكارزين من أعمال شيراز ورحل إلى زبيد (٧٩٦هـ) وتوفي فيها (٨١٧هـ). الأعلام ٧ /١٤٦.

٧١ – هو إسماعيل بن حماد أبو نصر أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لعوي من الأئمة وخطه يذكر مع خط ابن مقلة اشهر كتبه (الصحاح) وله كتاب في العروض ومقدمة في النحو توفي (٣٩٣هـ) الأعلام ١ / ٣١٣.

٧٢ – كان الأولى أن يقدم الجوهري على الفيروز آبادي ويبدو أن السبب في هذا هو كثرة استعماله لآراء الفيروز آبادي كما يلاحظ في ثنايا المخطوطة.

١. قال الحريري: (فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون: قدم ساير الحاجّ، واستوفى ساير الخراج، فيستعملون سائراً بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي)[٧٣].

وأئمة اللغة استعملوا(السائر) بمعنى (الجميع) كما استعملوه بمعنى (الباقي) قال الجوهري في الصحاح في مادة (سير): (وسائر الناس جميعهم)[٧٤].

٢. وقال: (ويقولون للمتتابع: متواتر فيوهمون فيه)[٧٥].

وأئمة اللغة لم يفرقوا بينهما، قال في القاموس مادة (وتر): (التواتر التتابع، أو مع فترات)[٧٦]، وقال الرماني[٧٧] في كتابه (الألفاظ المترادفة): تتابعَ..وتواتر.

٣. وقال (ومنه قولهم أزف وقت الصلوة إشارة إلى تضايقه ومشارفة وقت تصرّمه)[٧٨].

والعبارة صحيحة لا غبار عليها/٢ ؛ فان علماء اللغة استعملوا(الازف) (وزان القلم) بمعنى(الضيق)، قال في القاموس مادة (أزف): (والازف، محرّكة: الضيق)[٧٩].

٤. وقال: (ومن كلام العرب: قد تغشمر السيل إذا اقبل بشدة وجرى بحدة)[٨٠]، وتغشمر السيل إقباله سواء كان بشدّة، أو لم يكن، قال في الصحاح مادّة (غشمر: (وغشمر السيل: اقبل)[٨١]، ومثله في القاموس[٨٢]في المادّة المذكورة/٣.

٥. وقال: (ويقولون قرأت الحواميم والطواسين)[٨٣].

والحواميم مسموع من الفصحاء، نقل الجوهري في مادة(حمم) عن أبي عبيدة[٨٤]انه قال: (الحواميم سورٌ في القرآن على

غير قياس وانشد وبالحواميم التي قد سُبّعت[٨٥])[٨٦].

٦- وقال (وبقولون لقيتهما اثنيهما)[٨٧].

واثنيهما للتأكيد وهو صحيح لاعيب فيه.

٧- وقال: (شوّشت الأمر وهو مشوّش)[٨٨].

٧٣- ظ: درّة الغواص: ٣، لحن العوام للزبيدي: ٢- ـ ٣.

٧٤- ظ: الصحاح ٢ / ٦٩٢ (سير).

٧٥- ظ: درة الغواص: ٦.

٧٦- ظ: القاموس المحيط ٢ / ٢٤٧ (وتر).

٧٧- هو علي بن عيسى بن علي الرماني باحث معتزلي مفسر من كبارا لنحاة أصله من سامراء له نحو مائة مصنف منها الأسماء والصفات ومعاني الحروف. الأعلام ٤ / ٣١٧.

٧٨- ظ: درة الغواص: ٤٢٧- ٤٢٩.

٧٩- ظ: القاموس المحيط: ١٥٧/٣.(أزف).

٨٠- ظ: درة الغواص: ٩ – ١٠.

٨١- ظ: الصحاح: ٢/ ٧٧٠. (غشمر).

٨٢- ظ: القاموس المحيط: ٢ / ١٨٣ (غشمر).

٨٣- ظ: درّة الغواص: ١٥.

٨٤- أبو عبيدة محمد بن المثنى التيمي بالولاء البصري من الأئمة في اللغة له مجاز القرآن (تـ ٢٠٩هـ).

٨٥- بلا نسبة في الصحاح.

٨٦- ظ: الصحاح: ٥ / ١٩٠٧ (حمم).

٨٧- ظ: درة الغواص: ٢٨.

والعبارة صحيحة، قال في الصحاح مادّة (شيش): (والتشويش: التخليط، وقد تشوش عليه الأمر)[٨٩].

٨- وقال: (ويقولون هبتِ الرياح)[٩٠].

وكلمة الرياح فصيحة، قال في الصحاح: (والريح واحدة الرياح، والارياح)[٩١]، وقال في القاموس: (والريح معروف جمعه: ارواح وارياح....الخ).

٩- وقال (يقولون في جمع ارضٍ أراض)[٩٢]/٤.

والأراضي مسموع من العرب علىً غير القياس قال في الصحاح مادّة (ارض): (والأراضي أيضا على غير قياس، كأنهم جمعوا أرضاً)[٩٣]، وقال في القاموس (الأرض: جمعها أرضات وأروض وارضون وأراض والأراضي غير قياسي)[٩٤].

١٠- وقال (ويقولون في جمع حاجة حوائج)[٩٥].

جمعت حاجة على حوائج على غير قياس قال في الصحاح(الحاجة معروفة، والجمع حاجّ.... وحوائج على غير قياس)[٩٦]/٥.

١١- وقال (ويقولون: هو قرابتي)[٩٧].

والكلام صحيح ؛ لأن قرابة قد حذف مضافه وهو (ذو)كما في (وسال القرية)[٩٨]، أي: أهل القرية.

١٢- وقال: (ويقولون في جمع رحا وقفا أرحية وأقفية)[٩٩].

والجمعان صحيحان مسموعان من العرب، قال في القاموس مادّة(رحي): الرحا معروفة... جمعها أرح... وأر حية نادرة)[١٠٠]، وقال في مادّة (قفا): (والقفا... جمعها أقف واقفية...الخ)[١٠١].

١٣- وقال (ويقولون خرمش الكتاب أي: أفسده)[١٠٢].

الوهم في تخطئة المخطيء، قال في القاموس مادّة (خرمش) (خرمش الكتاب: أي أفسده)[١٠٣].

٨٨- ظ: درة الغواص: ٣٧.
٨٩- ظ: الصحاح: ٣/ ١٠٠٩.(شيش).
٩٠- ظ: درّة الغواص: ٤٠.
٩١- ظ: الصحاح: ١ / ٣٦٧ (روح).
٩٢- ظ: درّة الغواص: ٥٠.
٩٣- ظ: الصحاح: ١٠٦٤/٣، (ارض).
٩٤- ظ: القاموس المحيط: ٢/ ٤٩٥، (ارض).
٩٥- ظ: درّة الغواص: ٥٤.
٩٦- ظ: الصحاح: ١/ ٣٠٧، (حوج).
٩٧- ظ: درّة الغواص، ٥٥.
٩٨- يوسف٨٢.
٩٩- ظ: درّة الغواص: ٥٦.
١٠٠- ظ: القاموس المحيط: ٤ / ٣٦٦ (رحي).
١٠١- ظ: القاموس المحيط: ٤/ ٤٣٢. (قفا).
١٠٢- ظ: درّة الغواص ٧٦.
١٠٣- ظ: القاموس المحيط: ٢ / ٤١٩ (خرمش).

١٤- وقال (ويقولون نقل فلان رحله إشارة إلى أثاثه وآلاته)[١٠٤].

والعبارة صحيحة، قال في الصحاح مادّة(رحل) (الرحل مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث[١٠٥].

١٥- وقال (ويقولون في الثياب المنسوبة إلى ملك/٦ الروم ثياب مَلِكيّة بكسر اللام والصواب فيه مَلَكيّة بفتح اللام)[١٠٦].

لو قلنا مَلَكيّة(بفتح اللام) كانت النسبة إلى المَلَك(بفتح اللام) دون(المَلِك (بكسر اللام) وبينهما فرق[١٠٧].

١٦- وقال (ويقولون فيه شغب، بفتح الغين)[١٠٨].

المشهور بين العلماء أن الشغَب بالفتح، قال في القاموس مادّة (شغب) (الشغْب: ويحرّك، وقيل لا)[١٠٩].

١٧- وقال (ويقولون اقطعه من حيث رقّ)[١١٠].

هذا الكلام صحيح، قال في الصحاح مادّة (رقق) (والرقق أيضا الضعف)[١١١]/٧.

١٨- وقال (ويقولون لمن بدأ في إثارة شرّ أو فساد أمر قد نشّب فيه ووجه الكلام أن يقال قد نشّم بالميم)[١١٢].

وهما بمعنى واحد، قال في القاموس مادّة (نشم) (ونشم... في الشرّ، اخذ، نشب)[١١٣]، ونزيد على ذلك إن العرب تقول نشبت الحرب بينهم.

١٩- وقال (ويقولون لمركز الضرائب المأصَر بفتح الصاد والصواب كسرها)[١١٤].

المأصَر هو المجلِس ويجوز في الوجهان (بفتح الصاد وكسرها)، قال في القاموس مادّة (أصر) (والمأصر: كمجلِس ومرقد)[١١٥].

٢٠- وقال (ويقولون لمن يقتبس من الصحف صحفي)[١١٦]. النسبة إلى الجمع واردة عن العرب كما يُقال ملوكي وكتبي[١١٧].

١٠٤- ظ: درّة الغواص: ٨٧.

١٠٥- ظ: الصحاح ٤/ ٤٣٠(رحل).

١٠٦- ظ: درّة الغواص: ٩٤.

١٠٧- ظ: المَلِك: هو المتصرّف بالأمر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملِك الناس ولا يقال ملك الأشياء. أما المَلَك فالنحويون جعلوه من لفظ الملائكة وجعل الميم فيه زائدة. وقال بعض المحققين: هو من المَلْك، قال: والمتولّي من الملائكة شيئا من السياسات يقال له: مَلَك بالفتح، ومن البشر يقال له مِلك بالكسر فكل مَلك ملائكة وليس كل ملائكة ملكا، ومنه٨ ملك الموت (مفردات ألفاظ القرآن ٣٧٦- ٣٧٧.

١٠٨- ظ: درّة الغواص: ١٠٤.

١٠٩- ظ: القاموس المحيط ١/ ١١٨ (شغب)، ومن قوله (قيل) أن الرأي فيه ضعف.

١١٠- ظ: درّة الغواص: ١٠٨.

١١١- ظ: الصحاح: ٤/ ٥٠٠، (رقق).

١١٢- ظ: درّة الغواص: ١١٤.

١١٣- ظ: القاموس المحيط: ٤/ ١٥٥، (نشم).

١١٤- ظ: درّة الغواص: ١١٧.

١١٥- ظ: القاموس المحيط: ٢/ ٧. (أصر).

١١٦- ظ: درّة الغواص: ١٥٢.

٢١- وقال(ويقولون بالرجل عُنّة)[١١٨].

العبارة صحيحة ولا ندري لماذا خطّأ الحريري هذا الكلام[١١٩].

٢٢- وقال (ويقولون للبلدة التي استحدثها/٨ المعتصم بالله[١٢٠]، سامرّا فيوهمون فيه)[١٢١].

من اللغويين من يرى أن (سامرّا) تخفيف (ساء من رأى) وقد سميت به المدينة بعد انقراض مجدها واندثار عزّها إذا عزّ اسمها الأول(سرّ من رأى) أي الاسم الذي سميت به البلدة أيام حضارتها وبهجتها، ومدنيتها التي فاقت مدنية كثير من البلاد.

ومن العلماء من يرى أن (سامرّ) من اصل سامي قديم[١٢٢]، فكان الأصل (شامريا) أو (شامورا) ونحن نوافق أصحاب هذا القول على رأيهم، وعلى كلا التقديرين فكلمة (سامرّا) لا غبار عليها وأكثر أسماء المدن/٩ والبلاد مأخوذة من لغات أخرى أو مخففة من اسم قديم لها كان أطول.

٢٣- قال (ويقولون قتله الحبُّ)[١٢٣].

ولم يعلل الحريري كلامه لنفهم سبب تخطأته لهذه الجملة الفصيحة التي لا غموض فيها.

٢٤- وقال (ويقولون قرضته بالمقراض وقصصته بالمقصّ... والصواب أن يقال مقراضان ومقصّان وجلمان)[١٢٤].

هذا من غريب الكلام ونستغرب صدوره من الحريري؛ لأن المقراض اوالمقصّ اسم للآلة[١٢٥]القارضة التي تشتمل على طرفين وليس كل طرف منهما بنفسه إلا إذا كان مع الطرف الآخر؛ فذلك لا يجوز أن نقول مقراضان؛ فالآلة ليست باثنين علاوة على أن اللغويين ذكروا المقراض في آثارهم قال في الصحاح مادّة(قرض) (والمقراض: واحد المقاريض)[١٢٦]/١٠.

٢٥- وقال (ويقولون في جمع جوالق جوالقات)[١٢٧].

لم يمنع من هذا الجمع احد من اللغويين سوى سيبويه[١٢٨]، فالباقون قد جوزوا الجمع المذكور.

١١٧- خالفه ابن الحاجب في نسبة اللفظ الدال على الجمع إلى ذلك الجمع قال: (وان كان جمعا له واحد قياسي نسبت إلى ذلك الواحد، ككتابي من كتب أما في وزن (فعيلة) فتحذف الياء بشرط صحة العين ونفي التضعيف كصحفي، ظ: الشافية ٢/٧٨.

١١٨- ظ: درة الغواص: ١٥٢.

١١٩- للحديث عن هذه العبارة راجع: مصنفات اللحن ٢٨٨- ٢٨٩.

١٢٠- ظ: المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور أبو اسحق ولد سنة (١٧٩هـ) وبويع للخلافة (٢١٨هـ) يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه كره التعليم في صغره فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون امّيا وهو فاتح عمورية وباني سامرّا (٢٢٢هـ) وهو أول من أضاف اسم (الله) إلى اسمه من الخلفاء. الأعلام ٧/ ١٢٧ - ١٢٨.

١٢١- ظ: درّة الغواص ١٨٠.

١٢٢- سامراء هذه الكلمة مكونة من مقطعين: سا = ذا، وهي في الكنعانية وفي الاكدية (شا) وتعني: ذا، ذو، ذي. ومرّ = القوي إذ جاء في القرآن الكريم (ذو مرة فاستوى) النجم، ٥٨، أي ذو قوة فاستوى، ومرّ في اللغات السامية كافّة تعني (السيّد) ومن صفات السيد القوة، ومنها: مرا في العامية وامرأة ومرئ في الفصحى ومرت في المصريات تعني السيدة. سامرّا = ذا القوية، سا: من السوابق التي قد تأتي موصولة بالكلمة وهي من أدوات الإشارة. (ملامح في فقه اللهجات العربيات من الاكدية، القبيسي ١٥٣- ١٥٦.)

١٢٣- ظ: درّة الغواص: ١٨٢.

١٢٤- ظ: درّة الغواص: ١٨٥. وانظر أيضا: لحن العوام: ١٩٤.

١٢٥- ظ شرح الشافية ١/ ١٨٩.

١٢٦- ظ: الصحاح ٣/ ١١٠١.(قرض).

١٢٧- ظ: درّة الغواص: ١٩٠.

١٢٨- هو عمرو بن عثمان قنبر اشتهر بلقبه (سيبويه) الذي يعني رائحة التفاح له (الكتاب) في النحو توفي (١٨٠هـ). الأعلام ٤/ ٢٣٤.

هذا ما أردنا إيراده من الردّ على كتاب (درّة الغواص) والسلام. سبزوار في ٢٣ صفر الخير ١٣٤٨.

فهارس

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الألفاظ.
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس الأماكن والبلدان.

فهرس الآيات القرآنية

واسأل القرية (يوسف: ٨٢)

فهرس الألفاظ:

أراض	ارحية	أرياح
أزف	اقفية	تغشمر
جوالق، جوالقات	حوائج	الحواميم
خرمش	الرحل	الرقق
سائر	سامرّا	شغب
شوّش	صحفي	عنّة
قتل	قرابتي	لقيتهما
المأصر	متتابع	مقراضان
ملكية	نشب، نشم	

فهرس الأعلام

أبو عبيدة
الجوهري
الحريري
الرماني
سيبويه
الفيروزآبادي
المعتصم بالله.

فهرس الأماكن

سامرّاء.

فهرس المصادر والمراجع

- المصحف الشريف.
- أخبار النحويين البصريين السيرافي تح: الزيتي وخفاجي – مصطفى البابي القاهرة ١٩٥٥م.
- الأعلام خير الدين الزر كلي دار العلم للملايين بيروت – لبنان ط٤ كانون الثاني ١٩٧٩م.
- أعيان الشيعة السيد محسن العاملي ط١ مطبعة الآداب النجف الاشرف ١٣٨٤هـ.
- البيان والتبيين الجاحظ تح: عبد السلام هارون القاهرة ١٩٤٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي المطبعة الخيرية –مصر ط١ ١٣٠٦هـ (١٠ جزء).
- تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان مطبعة الانجلو المصرية ط٣ ١٩٦٢م.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ابن مكي الصقلي تح عبد العزيز مطر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٦٦م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس١٩٨١م.
- الجهود العلمية للمصطلح العلمي: محمد علي الزركاني اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا- ١٩٩٨م.
- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث محمد ضاري حمادي دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠م.
- الخصائص ابن جني تح: محمد علي النجار دار الكتب بالقاهرة ١٩٥٢م.
- دراسات في اللغة محمد الخضر حسين جمع وتحقيق علي الرضا التونسي المطبعة التعاونية – دمشق ١٩٧٥م.
- الدراسات اللغوية عند العرب: محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت –لبنان ط١ ١٩٨٠م.
- درّة الغواص في أوهام الخواص: الحريري أعادت طبعه بالاوفسيت مطبعة المثنى –بغداد د.ط، د.ت.
- دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة – ط٢، ١٩٦٣.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن اولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧٥م.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: محسن آغا بزرك الطهراني ط١ مطبعة اساعيليان، قم المقدّسة ١٩٧١م.
- شرح شافية ابن الحاجب الاستراباذي تح: محمد نور الحسن، محمد الرفراف، محمد محي الدين عبد الحميد- دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٩٧٥م.
- شرح المفصل: ابن يعيش النحوي، القاهرة، د.ت.
- الصحاح إسماعيل بن حماد الجوهري تح: احمد عبد الغفور عطار ط١ الكويت ١٩٨٢م.
- علم الدلالة احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م.
- علم الدلالة: فايز الداية، دار الفكر، دمشق- ١٩٨٥م.
- الغريب الصنف أبو عبيد القاسم بن سلام تح: رمضان عبد التواب – القاهرة ١٩٨٩م.

- فقه اللغة وخصائص العربية محمد المبارك، دار الفكر- بيروت- ط٧- ١٩٨١م.
- الفهرست: ابن النديم- المطبعة الرحمانية – القاهرة – وطبعة طهران تح: رضا تجدد ١٩٧١م.
- فهرس اللسانيات عبد السلام المسدي – الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس – ١٩٨٤.
- فهرس المؤلفين والعناوين للكتب العربية احمد محمد المكناسي، طبع في تطوان ١٩٥٢م.
- القاموس المحيط الفيرزآبادي – طبعة جديدة لونان دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط١ ١٩٩٥م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: الهندي – حيدر آباد الدكن مطبعة المعارف النظامية ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م.
- لحن العوام أبو بكر الزبيدي تح: رمضان عبد التواب – مكتبو الخانجي – القاهرة ط٢ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- لسان العرب ابن منظور- نشر دار صادر – بيروت ١٩٥٥م.
- اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة: حسن ظاظا – ١٩٧١م.
- اللغة: فندريس – ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٠م.
- لمع الأدلة انو البركات الانباري تح: سعيد الأفغاني (مع الإعراب) – الجامعة السورية – ١٩٥٧م.
- مباحث لغوية: مناف محمد مهدي الموسوي – دار البلاغة – بيروت لبنان د.ت.
- مبادئ اللسانيات العامة: أندريه مارتينيه - ترجمة احمد الحمو- وزارة التعليم العالي – دمشق ١٩٨٥م.
- مراتب النحويين واللغويين أبو الطيب اللغوي تح: محمد أبي الفضل إبراهيم – القاهرة – ١٩٥٥م.
- المصطلحات العلمية والفنية: يوسف خياط، نديم مرعشلي – دار لسان العرب – بيروت ١٩٧٠م.
- مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري: احمد محمد قدّور وزارة الثقافة – دمشق – ١٩٩٦م.
- معجم علم الاجتماع: دينكن ميتشيل ترجمة: حسّان محمد الحسن دار الطليعة – بيروت ١٩٨١م.
- معجم المؤلفين العراقيين: كور كيس عواد مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٩م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة – دار الفكر – ط٢ – د.ت.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني تح: صفوان داو ودي – مطبعة كيميا – دار القلم – دمشق ط٤ – ١٤٢٢هـ.
- ملامح في فقه اللهجات العربيات من الاكدية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية: محمد بهجت القبيسي – دار الشمال للطباعة والنشر –ط٢- دمشق- ٢٠٠٠م.

- من إسرار اللغة: إبراهيم أنيس ط٣ – ١٩٦٦م.
- مناهج البحث في اللغة: تمام حسان – المغرب – ط٢- ١٩٧٤م.
- المولد: دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام: حلمي خليل الهيأة المصرية العامة للكتاب- الإسكندرية – ١٩٧٨م.
- نور القبس: اليغموري- تح: رودلف زها يم- ١٩٦٤م.

الدوريات والحوليات

- (مقدمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث): ٢٩- ٤٤. مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت – المجلد ١٦ – العدد ٤- يناير – فبراير – مارس – ١٩٨٦م، احمد محمد قدور.

دور الاستثمار السياحي العربي والاجنبي في دعم الاقتصاد العراقي

دراسة تطبيقية في محافظة كربلاء

أ.د. حاكم محسن محمد

دور الاستثمار السياحي العربي والاجنبي في دعم الاقتصاد العراقي

دراسة تطبيقية في محافظة كربلاء

أ.د. حاكم محسن محمد

مقدمة:

يكتسب قطاع السياحة اهمية لاتقل عن أهمية بقية القطاعات الاقتصادية الاخرى وقد يتبوأ هذا القطاع المرتبة الاولى بين القطاعات الاخرى في بعض الدول ومن هذه الدول عربية كتونس ولبنان واخرى اجنبية كأسبانيا وفرنسا , ورغم وجود بعض المقومات لهذا القطاع في العراق الاانه لم يحظى بالأهتمام اسوة ببقية قطاعات الاقتصاد الوطني وان كانت هي لم تحظى بالاهتمام ايضا ويرجع هذا الامر وبشكل شمولي الى ماعاناه العراق من حروب متعددة ادت الى عسكرة الاقتصاد العراقي وانفقت الثروة الوطنية الاتية من النفط كمصدر اساسي ورئيس للثروة على هذه الحروب والصناعات العسكرية , وفي النهاية خرج العراق من هذه الحروب بمديونية بلغت (١٢٠) مليون دولار وتعويضات جائرة بمبلغ (٣٥٠) مليار دولار (قبرصي وقادري , ٢٠٠٣) هي كما وصفت بانها رهن لأجيال لم تولد بعد , وخرج العراق ايضا بأحتلال امريكي وبريطاني مقيت اغرق العراق بأنفلات امني وفوضى مريرة وتلويح بالحرب الاهلية والطائفية وربما القومية ولكن اذا ماأحسن الاداء من قبل القوى الخيرة في الساحة العراقية , والتي نأمل ان تسفر الجهود عن تشكيل حكومة وحدة وطنية لاتغيب احدا من اجل ان يستتب الامن والاستقرار والطمأنينة عوامل اساسية للمستثمر العربي و الاجنبي الذي يريد الاستثمار في مختلف القطاعات الاقتصادية ومنها قطاع السياحة , اذ ان العراق فيه مواقع سياحية ودينية واثرية وتاريخية يمكن ان تكون مجالا لهذا الاستثمار اذا مااحسن اتخاذ القرار من قبل اصحاب القرار في الحكومة الوطنية بالتوجه نحو هذا القطاع وينصب هذا البحث على تناول الاستثمار السياحي عربيا أو اجنبيا كان برؤية

مستقبلية متواضعة والاثار التي ستترتب على هذا الاستثمار في دعم الاقتصاد الوطني اسوة بالقطاعين الزراعي والصناعي وخرج البحث بمجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

اولا: منهجية البحث:

أ- **مشكلة البحث**: بالرغم من توفر المواقع الدينية والأثارية التاريخية في بلاد وادي الرافدين الذي ترجع حضارته الى مايزيد عن ثمانية الآف سنة , اذ توجد مثل هذه المواقع في مختلف مناطق العراق من الشمال حتى الجنوب ومنها محافظة كربلاء , الا ان هذه المواقع مهملة ولم يجري الاهتمام بها من قبل المخطط الاقتصادي العراقي خلال السنين الماضية رغم وجود هيئة للسياحة , الا انها لم تكن فعالة بما يفي بالغرض المطلوب وان عدم الاهتمام هذا افقد البلد المنافع الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن الحصول عليها من الاستثمار في قطاع السياحة.

ب- **هدف البحث**: يهدف البحث الى تحقيق مايأتي:

١. التعرف على المواقع السياحية الدينية والاثارية والتاريخية في محافظة كربلاء.
٢. التعرف على امكانية الاستثمار العربي والاجنبي فيها.
٣. التعرف على الاثار الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن ان تتحقق للاقتصاد العراقي وتحديدا في الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء.
٤. التعرف على مجالات الاستثمار التي يمكن للمستثمر العربي والاجنبي الاستثمار فيها.
٥. معرفة المقومات الاخرى لدعم التوجه الاستثماري.

ج- **فرضية البحث**: يقوم البحث على فرضية اساسية مفادها:

(ان الاستثمار السياحي العربي والاجنبي يؤدي الى دعم الاقتصاد العراقي اذا ماتوفرت له المقومات الداعمة لهذا الاستثمار في القطاع السياحي)

د- الحدود الزمانية والمكانية للبحث:

يتوجه البحث نحو الافاق المستقبلية للاستثمار السياحي , وتحديدا للمدة الزمنية القادمة والتي تعقب تشكيل اول حكومة وطنية منتخبة , اما الحدود المكانية فقد جرى البحث على محافظة كربلاء والاقضية التابعة لها تحديدا.

ثانيا: النشاط السياحي , المفهوم والطبيعة:

أ- مفهوم وطبيعة النشاط السياحي:

النشاط السياحي هو مجموعة من الاجراءات والخطوات التي تقوم بها جهة مسؤولة او يقوم بها المستثمر وبهدف جذب السياح وتنشيط السياحة – وتعرف السياحة بانها عبارة عن ترحال الناس من اماكن سكناهم الى اماكن اخرى , فاذا كانت هذه الاماكن داخل البلد الذي ينتمون اليه , فهي سياحة داخلية واذا كانت خارج بلدهم فهي سياحة خارجية وفي أي النوعين من السياحة سواء كانت داخليه او خارجية هي عملية انتقال من اجل تحقيق اهداف معينة من هذه الاهداف المتعة والترويح النفسي من

ضغوطات العمل والاجواء والظروف الضاغطة على الفرد الامر الذي دفعه للسفر والسياحة , رغم ان السياحة تحدد حسب اهدافها واغراضها , فمثلا لايسري تعريف السائح على اعضاء الوفود والهيئات الدبلوماسية والعسكريون في دورات تدريبية والحضور الى المؤتمرات , اذا السياحة هي السفر بهدف التمتع بالمناظر الطبيعية اوالصناعية والتعرف على طبائع وتقاليد الغير ويرتبط ذلك بالمقدرة المالية للسائح وعوامل الجذب السياحي في بلد السياحة ويترتب على ذلك الانفاق في بلد السياحة من قبل الافراد السياح , أي ان السائح ينفق مما جلبه معه من اموال من بلده ولذلك اصبحت بل ؤساهمت بشكل واضح السياحة في تمويل ميزانيات كثير من الدول التي اهتمت بالسياحة ومن الدول التي تعتمد بشكل كبير على السياحة دول مثل فرنسا واسبانيا واستراليا ولبنان وسوريا والاردن...الخ , لاسيما في بعض هذه الدول عوامل جذب سياحي لاتقتصر على الاثار الدينية او الحضارية بل الطقس اذا ماعرف ان بعض اسباب السفر هو جو الطبيعة بحرارتها في بعض الدول كما في العراق لذلك يذهب العراقيون الى خارج القطر للتمتع باجواء معتدلة او باردة في البلدان التي يذهبوا اليها لاغراض السياحة والبعض الاخر لاغراض الاطلاع على المعالم الحضارية والدينية والتراثية والتاريخة وماكثرها في العراق ولكنها تحتاج الى من يتخذ القرار المناسب لجعلها مواقع جذب سياحي.

ب- **انواع الخدمات السياحية** : تصنف الخدمات السياحية الى عدة انواع ومن ابرزها :

١- **النقل والمواصلات** : يحتاج السائح الى وسائط النقل , لنقل امتعته الى مقر السكن او للتنقل الى المواقع السياحية التي يروم زيارتها ولذلك فان الاهتمام بالسياحة يوجب تهيئة مثل هذه الوسائل المطلوبة وذلك بتأسيس شركات نقل سياحية سواء داخل بلد السياحة او منه الى بلدان اخرى , وهذا يشير الى ان السياحة قطاع يؤدي الى خلق تكامل عمودي وافقي.

٢- **السكن (الايواء)** : وتعد هذه الخدمة من الخدمات الاساسية التي لايستغني عنها السائح لكي يشعر بالاستقرار والامان ويأخذ قسطا من الراحة بعد ان انهى يومه في جوله سياحية في مختلف المواقع السياحية المتوفرة وعليه يجب الاهتمام بأماكن الايواء سواء كانت فنادق سياحية تخضع للرقابة المستمرة لتوفير الخدمة الفندقية الصحية للسياح وتجعل من هذه الفنادق او اماكن السكن الاخرى جاذبة للسياح سنويا.

٣- **الخدمات العامة** : من متطلبات الانسان الاساسية ولاسيما السائح الذي ابتعد عن سكنه او ذويه , خدمات سياحية عامة كخدمات المياه والكهرباء والاتصالات , وكذلك توفير الامان للسائح واية خدمات اخرى صحية وامنية.

٤- **الخدمات الارشادية والسياحية** : في مختلف دول العالم تقوم الجهات المسؤولة عن السياحة بتهيئة دليل سياحي توضح فيه بشكل مختصر اسماء المواقع السياحية بمختلف انواعها دينية او اثارية او تاريخية واماكن تواجدها ووفقا لهذا الدليل يطلب السائح الانتقال الى الموقع السياحي الذي يريد وينقل وهذه مسؤولية المسؤولين عن قطاع السياحة ان تتم مرافقته لمرشد او دليل سياحي من الاطر المؤهلة او المتخصصة بالنشاط السياحي.

ثالثا: الاستثمار السياحي العربي والاجنبي , المفهوم والاهمية

أ- مفهوم الاستثمار السياحي العربي والاجنبي:

الاستثمار كمصطلح يعني توظيف الاموال او تخصيصها في المجالات او الفرص الاستثمارية التي يعتقد المستثمر بانها فرص ذات جدوى تحقق افضل عائد في اقل مستوى من المخاطر وان احد مجالات الاستثمار هي الاستثمار السياحي , ويقصد بهذا النوع من الاستثمار ان يوجه المستثمر ايا كان عربيا او اجنبيا جزء أو كلا من امواله التي بحوزته في الفرص الاستثمارية السياحية المتوفرة في العراق , ومما يشجع على الاستثمار ان الحركة السياحية العالمية تطورات بشكل واسع فخلال العشرين سنة الاخيرة تضاعف عدد المسافرين والسياح في العالم من ٧٠٠ مليون فرد الى ١,٦ مليار فرد سنويا وقد ازداد هذا النشاط السياحي نموا بنسبة ٤٪ قبل احداث ١١ ايلول في الولايات المتحدة الامريكية والردة السريعة التي حصلت ازاء هذا الهجوم وان ماأنفقه هؤلاء السياح ٤٦٣ مليار دولار لغاية نهاية ٢٠٠١ ويوفر فرص عمل للجنسين (رجال ونساء) حوالي ٢٠٠ مليون يشكلون ٨٪ من العمالة العالمية. الاان نسبة النساء تشكل ٧٠٪ ونصف هذا العدد اعمارهم ٢٥سنة فأقل (ILO,٢٠٠٦) هذه المؤشرات تدل على ان الحركة السياحية ناشطة في العالم ويمكن ان تنشط في المنطقة العربية لما لها من سمات وخصائص تاريخية وحضارية تشجع على اقامة مرافق سياحية تخلق الطلب السياحي لدى الافراد , ولذلك فان المستثمر العربي او الاجنبي هو ذلك المستثمر الذي يطلب استثمار امواله في تنشيط السياحة في العراق كمجال وكفرصة استثمارية لتشغيل مالديه من موارد وفي مختلف المناطق والمواقع الاثارية والتاريخية او الدينية.

ب- انواع الاستثمار السياحي العربي والاجنبي:

يمكن ان ياخذ الاستثمار السياحي العربي والاجنبي الانواع الاتية :

١- **الاستثمار السياحي المباشر:** يشير الاستثمار السياحي المباشر الى عملية توظيف اموال غير وطنية يملكها افراد من جنسيات عربية او اجنبية وفق قوانين الاستثمار السائدة في الدول التي يتحقق فيها الاستثمار وحسب الاتفاقيات التي تجري بين طرفي الاتفاق وهم الدولة المضيفة والمستثمر العربي او الاجنبي وربما تسمح له هذه الاتفاقيات بادارة استثمارته من بلده بواسطة وكلاء او مديرين يختارهم بنفسه , اما عن كون الاستثمار سياحي فهو ان يكون توظيف الاموال في قطاع السياحة فالمستثمر يقدم راس المال وتقدم الدولة المضيفة التسهيلات اللازمة الاخرى لهذا الاستثمار في المواقع السياحية والاثارية والتاريخية والدينية , وطالما هو استثمار فهو ينطوي على افق زمني طويل لانه استثمار في موجودات ثابته ذات عمر اقتصادي طويل الاجل وقد لعبت الشركات متعددة الجنسية دورا واضحا وكبيرا في هذا النوع من الاستثمار, وللاستثمار الاجنبي مكونات ثلاث هي الاتي (عبد الغفار / ٢٠٠٢).

١- **راس المال الممتلك :** (Equaity capital)

وهو مبلغ راس المال الذي يستثمره المستثمر الاجنبي المباشر لشراء حصة في مشروع في دولة اخرى هي غير الدولة التي ينتمي اليها , وقد عرف صندوق النقد الدولي الاستثمار الاجنبي المباشر بانه مباشر عندما يمتلك المستثمر ما نسبه (١٠٪) او اكثر من راس مال الشركة المساهمة او مايساوي النسبة في الشركة غير المساهمة الاان بعض الدول المضيفة للاستثمار تحدد هذه النسبة كما هو في فرنسا التي

حددتها نسبة ٢٠٪ تخوفا من تحرر راس المال الاجنبي داخل فرنسا في حين خلت قوانين الكثير من الدول من تحديد لهذه النسبة كما هو الحال بالنسبة للقانون المغربي وهذا يتيح لراس المال الاجنبي التحكم بادارة المنشآت التي يملكها على حساب المصلحة الوطنية (العلج,١٩٩٩) وفي بعض الدول العربية تسمح قوانينها للعربي الاستثمار والتملك في اراضيها كالمملكة الاردنية الهاشمية التي ارتفعت استثمارات العراقيين فيها الى حوالي (٥٠) مليون دولار شهريا ومن الدول العربية التي تسمح بالتملك سوريا ايضا , رغم عدم ميلنا بالسماح لغير العراقي بالتملك على ارض الرافدين.

٢- اعادة استثمار الارباح (Reinvested earning)

أي ان الارباح التي تتحقق يتم توزيع جزء منها على المساهمين وتسمى (Dividens) يتم توزيعها على عدد الاسهم فيحصل كل مساهم على مقسوم ارباح بعدد الاسهم التي يمتلكها مضروبا بحصة السهم الواحد ويسمى (DPS)أي مقسوم ارباح للسهم الواحد اما الجزء المتبقي فيسمى ارباح محتجزة او غير موزعة (Retained earning) وهذا الجزء هو الذي يسمح باعادة استثماره وحسب ماتسمح به التشريعات القانونية ومنها قوانين الاستثمار.

٣- المديونية (Debt)

وهو ماتقوم به الشركة من استدانه أي الحصول على التمويل من مصادر تمويل خارجية من غير الدولة المضيفة للاستثمار وكذلك الاقراض الذي يجري بين الشركة الام وفروعها.

٢- الاستثمار السياحي غير المباشر:

يمكن للمستثمر ايا كان عربيا او اجنبيا ان يشارك في توظيفات امواله في البلد المضيف , كأن يكون في الاوراق المالية (الاسهم والسندات) او قروض لشركات دون ان يكون له حق ادارة موجودات الشركة ويسمى هذا النوع من الاستثمار استثمار غير مباشر او استثمار عربي او اجنبي محفظي (Arabic or Foreign Portfolio Investment) (كوكب , ٢٠٠٢).

ويتم ذلك من خلال تاسيس شركات سياحية تتولى اقامة المنشآت السياحية في المواقع الاثارية والتاريخية والدينية من قبل القطاع الخاص العراقي وطرح اسهم وسندات في سوق الاوراق المالية داخل العراق او خارجه وبالتالي تمكين المستثمر العربي او الاجنبي المساهمة في استثمارات هذه الشركات من اجل دعم قطاع السياحة العراقي وذلك بامتلاك الاوراق المالية التي تمكنه من المشاركة في الاستثمار ويشار الى ان هذا الاستثمار قصير الاجل لان المستثمر باستطاعته بيع مايملكه خلال ايام او اسابيع لكن ذلك يعني دخول مالك جديد هو المستثمر الذي اشترى ماباعه المستثمر السابق وغالبا مايتم ذلك من قبل مؤسسات التمويل كالبنوك وصناديق التقاعد وشركات التأمين والمصارف الاستثمارية (عبد الغفار ,٢٠٠٢)

ج- مقومات الاستثمار السياحي العربي والاجنبي:

لدعم واسناد الاستثمار السياحي عربيا او اجنبيا يتطلب مناخ استثماري – بيئة استثمارية - ويقصد بذلك مجمل الاوضاع والظروف المكونة للمحيط الذي تتم فيه العملية الاستثمارية وتتأثر بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية (غانم,المسيبلي – ٢٠٠٣) والامنية والقانونية والادارية ويمكن التعرض لمكونات المناخ الاستثماري كماياتي:

١- البيئة السياسية : Poltical environment

يقصد بالبيئة السياسية وجود نظام سياسي مستقر وموقف القوى السياسية من المشروعات الاقتصادية , فالبعض منها يعد محددا لاسيما اذا كانت تدخلاتها واسعة وليس لها حدود ولذلك اعتبرت دولا غير مستقرة وفيها مخاطر سياسية تواجة الاستثمارات.

٢- الاستقرار الامني : Security static

يحتاج المستثمر الى بيئة آمنة ذات ذات استقرار امني واضح وبعكسه فان عدم الاستقرار الامني يعد عامل دفع لهروب راس المال الى خارج الوطن والبحث عن بيئة مستقره كما تحصل الآن اذ دفع عدم الاستقرار الامني في العراق الى هروب رؤوس الاموال والاستثمار الى بعض الدول العربية المجاورة.

٣- البيئة الضريبة المناسبة : (Relevant Tax environment)

بالنظر لما تشكله التشريعات الضريبية من محدد امام اتساع وانتشار الاستثمارات الضريبية قد تشكل نسبة مرتفعة يتم حسمها من التدفقات النقدية المتوقعة من المشروعات الاقتصادية المقترحة , لذا فأن البيئة الضريبية المناسبة , هي اما تشجيع هذه الاستثمارات بأعفاءات ضريبية محددة بزمن معين او تقليل نسبة الضريبة التي تستوفي من اصحاب الاستثمارات وتشجيعا للتنمية الصناعية في العراق صدر اعفاء ضريبي لمدة عشر سنوات للمشروعات الصناعية واعتبارا من ١٩٨٩/١/١.

٤- البيئة الاقتصادية : (Eeonomics environment)

البيئة الاقتصادية هي وجود اقتصاد مستقر لاتوجد فيه مشكلات اقتصادية كأنخفاض الانتاج وارتفاع التكاليف وزيادة الطلب دون وجود انتاج مقابل هذا الطلب او وجود عرض او زيادة العرض دون وجود طلب.. الخ من مشكلات غير محسوبة , وجود مثل هذه المشكلات يخلق امام المستثمر بيئة غير آمنة اقتصاديا.

٥- وجود مدخرات : (Saving)

المدخرات هي مايفيض عن حاجة المستهلك او هو تنازله عن استهلاك آني آملا في الحصول على عائد جيد عن استثمار مدخراته في المستقبل ويحتاج ذلك الى دعم واسناد من السياسة المالية للدولة بشكل عام (Laws).٦- تشريعات قانونية ومالية تساهم في تسهيل مهمة المستثمر كالسماح بالاستيراد لتلبية احتياجات ومتطلبات المشروع الاستثماري المقترح او تصدير ماينتج الى الاسواق التي يراها المستثمر واية تسهيلات مالية ومصرفية .

٧- الاسواق المالية : (Financial Markets)

الاسواق المالية هي الموقع التي يتم التعامل فيها بالاوراق المالية سواء كانت هذه الاوراق اسهم او سندات او اوراق تجارية تصدرها كبرى الشركات الصناعية وهي على عدة انواع منها اولية يتم التعامل فيها بالاوراق الصادرة لاول مرة وثانوية يتم التعامل فيها بالاوراق المالية التي صدرت في الماضي ولازالت قائمة , وتحتاج الاسواق المالية التي تكون مناسبة للاستثمار العربي او الاجنبي ان تتوفر لها كل مقومات السوق المالية لتسهل للمستثمر تحقيق غاياته ومتطلباته.

رابعا: المواقع السياحية في كربلاء

أ- المواقع السياحية الدينية: (Tourism locations)

١- **الروضة الحسينية:** يمتاز الصحن الشريف بسعته وكثرة اواوينه المزخرفة ويبلغ طوله ٩٥م وعرضه ٩٢م وفي وسط الصحن ضريح الامام الحسين بن علي عليهما السلام اضافة الى ضريح حبيب بن مظاهر والصحابة الذين استشهدوا مع الحسين عليه السلام في واقعة الطف اضافة الى مرقد ابراهيم المجاب (عليه السلام) وهذه الروضة هي قبلة المسلمين من مختلف بقاع العالم الذين يأتون الى مدينة كربلاء بهدف زيارة مرقد الامام عليه السلام وبالتالي فان هذه الروضة المطهرة تعد واحدا من مواقع الجذب السياحي للسياحة الدينية , اضافة الى فن الزخرفة والابداع الفني.

٢- **الروضة العباسية:** تبعد هذه الروضة حوالي (٣٥٠)م عن الروضة الحسينية وهي لاتختلف عنها من حيث التخطيط والابداع في العمارة والفن الاسلامي وطولها ٨٦,٥م وعرضها ٧٣م وفي الوسط ضريح سيدنا العباس عليه السلام في هاتين الروضتين مايشير الى البداعة العربية والاسلامية في الفن والابداع الاسلامي واواوين مؤدية الى غرف لطلبة العلوم الدينية فهي اذا مجالا واماكن لطلب العلم والثقافة الاسلامية , وقد اصبحت المسافة بين الروضتين الحسينية والعباسية مفتوحة لتسهيل حركة الزوار بين الروضتين وقد تم زرعها بالاشجار وفسائل النخيل.

٣- **المخيم:** هو المكان الذي اقام فيه الحسين عليه السلام عند نزوله مدينة كربلاء سنة ٦١هـ اما البناء في هذا المخيم فقد شيد سنة ١٢٧٠هـ ويمكن ان يكون هذا المخيم موقفا سياحيا دينيا اذا ماتخذت الدوائر السياحية قرارات بتطوير هذه المواقع وتهيئة عوامل الجذب السياحي فيها كالخدمات التي يحتاجها السائح.

٤- **مرقد الحر بن يزيد الرياحي:** يقع ضريح الحر على بعد (٩)كم وهو واحد من المقاتلين الذي منع الحسين عليه السلام من العودة الى الحجاز عند مواجهته في منطقة الكوفة ولكنه تراجع واصبح من المقاتلين تحت ادارة الحسين عليه السلام واستشهد في واقعة الطف. (جمال وحسن, ٢٠٠٢).

ب- المواقع السياحية الاثارية

من ابرز المواقع السياحية الاثارية هي:

١- **بحيرة الرزازة:** تقع بحيرة الرزازة على بعد ١٥كم غرب مدينة كربلاء وتزود البحيرة بالمياه من بحيرة الحبانية عن طريق جدول المجرة الذي يربط بحيرة الرزازة ببحيرة الحبانية ويبلغ طوله (٨)كم وتصل مساحة البحيرة تبعا لاختلاف مناسيب المياه بين (١٥٠٠- ١٨١٠)كم٢ اما الجزء الواقع ضمن حدود محافظة كربلاء (٨٤٤)كم٢الان هذه المساحة كما اشير تزداد او تنخفض حسب مناسيب المياه وهي حاليا تراجعت بمقدار (٤٠٠)م عن الجرف او الساحل وهذا يؤثر في انخفاض مساحة البحيرة وكانت تعرف بمنخفض هور ابي دبس وهو منخفض قديم التكوين وكانت منطقة سياحية يقصدها السياح لاغراض السياحة وصيد الاسماك ولكن في السنوات الاخيرة اصبحت تعاني من النقص في المياه افقدها جاذبيتها الاولى.

٢- **حصن الاخيضر:** يقع حصن الاخيضر جنوب غربي بغداد بنحو (١٥٢)كم والى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء على بعد (٥٠)كم على الطريق الذي يربط كربلاء بعين التمر وهو حصن فيه

نوع من فخامة في البناء وروعة في التصميم والهندسة والزخرفة ويعد من المباني الشاخصة التي تستهوي السياح , وكان قد شيد في العصر العباسي الاول زمن الوالي على الكوفة (عيسى بن موسى) خلال خلافة عمه جعفر المنصور في القرن الثامن الميلادي وتنتشر ضمن منطقة حصن الاخيضر عيون طبيعية تقع ضمن الحدود الادارية لقضاء عين التمر ولهذا الحصن اهمية تاريخية و تلتقي فيه طرق القوافل التجارية التي تربط جنوب العراق بأعالي الفرات ويصل بين حلب والبصرة (مخير وامين , ١٩٨٨) ويتألف القصر من قصر كبير مبني ملاصقا للسور من الجهة الشمالية وهو مستطيل ابعاده (١٢٢×٨٢)م روعي في تصميمه التحصين الكافي ضد اعتداءات العدو ويضم القصر (١٦٥) غرفة بهو كبير ومسجد واقسام للحرس , وبرزت في حصن او قصر الاخيضر فنون واساليب الريادة الساسانية والبيزنطية واساليب اخرى لم تكن معروفة قبل الاسلام. (جمال وحسن , ٢٠٠٢).

٣- **قلعة الهندية**: تقع هذه القلعة شرق مدينة كربلاء على مسافة ٤كم شيدت سنة ١٢٩٦هـ والقلعة بناية ضخمة تحتوي على (٢٥)دارا.

٤- **كهوف الطار**: تقع كهوف الطار الاثرية فوق تل صخري في منتصف الطريق الى الاخيضر على بعد (٣٠)كم جنوب غرب كربلاء و(١٥)كم شمال شرق قصر الاخيضر وعدد هذه الكهوف (٤٠٠) كهف وقد كشفت احدى بعثات التنقيب اكثر من (٢٠٠٠) قطعة يعود تاريخها الى العصور الاسلامية القديمة وهي منسوجة بخيوط ملونة مصنوعة من الوبر وشعر الماعز , وبعض القطع مطرزة بوجوه نسائية وبزخارف شبيهة بشغل اليد السائد في المدينة وقد اجريت عليها صيانه في اليابان واعيدت الى القطر في صناديق , زجاجية او معبأة بالنتروجين.

٥- **موقع الاقيصر**: يقع هذا الموقع شمال غرب حصن الاخيضر بمسافة (١٠)كم وبحدود كم عن المنطقة السياحية في بحيرة الحبانية , وهي عبارة عن تلال اثرية ومقابر مسيحية قديمة. وجراء التنقيب في السبعينيات تم العثور على كنيسة شرقية تعود الى القرن الاول الميلادي.

٦- **قصر شمعون**: يقع هذا القصر في قضاء عين التمر ومشيد على تله ترابية سكنية ريفية تعود للفلاحين ضمن ضواحي عين التمر في الطريق الذي يربط عين التمر ببحيرة الرزازة وقد شيد من الحجر والطابوق والجص ويتكون من اطلال مبان سقوفها مقباة ويحيط بها سور خارجي مدعم بابراج , ولم يكن القصر الوحيد وانما هناك قصور مثل قصور ال حدران وقصر الهوى وقصر العين (جمال وحسن ,٢٠٠٢).

٧- **مرافق آثارية اخرى**: من المرافق الاثارية الاخرى خان النخيلة اوخان الربع على بعد ١٨كم على طريق كربلاء- نجف وهناك العين الكبرى وعين الحمره وعين مرزا وعين السبب وام الكواني وعين الضباط وهي عيون طبيعية كبريتية في قضاء عين التمر تتدفق منها المياه خلال ايام السنة.

خامسا: فرص وجدوى الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء:

تتناول هذه الفقرة الفرص الاستثمارية في محافظة كربلاء , والتي بامكان المستثمر العربي او الاجنبي ان يوظف امواله فيها وفي ضوء الدراسات والتحليلات للاستثمار يتخذ المستثمر قراره بالاستثمار أو رفضه مع دراسة جدوى هذا الاستثمار الذي ينتهي بنتائج في ضوئها يتخذ المستثمر قراره بالاستثمار او رفضه وسيتم معالجة ذلك في فقرتين:

أ- فرص الاستثمار السياحي : - يمكن ان يختار المستثمر العربي او الاجنبي واحدة من فرص استثمارية عديدة ومن ابرز هذه الفرص :

١- الفنادق السياحية : من الاساسيات والضروريات التي يحتاج اليها السائح هي الايواء (السكن) وعندما يزداد عدد السياح يشير ذلك الى زيادة عدد الفنادق السياحية المطلوبة للايواء , مع مراعاة رغبات ومتطلبات السائح من حيث الخدمة الفندقية السياحية , فلربما لايكتفي بتهيئة مكان الايواء وانما يحتاج الى ان يكون مكان الايواء بمواصفات مقبولة وعالية المستوى وهذا يختلف حسب مداخل السياح , فالبعض يوافق على الايواء في اماكن عادية وآخر يرفض هذه الاماكن ويبحث عن اماكن إيواء بمستويات اعلى , وفي جميع الاماكن الاثارية التي اشير الى وجودها في المحافظة لاتوجد مثل هذه الفنادق لان المواقع السياحية هي اصلا لم يجري الاهتمام بها ولايوجد حافز لاقامة مثل هذه الفنادق التي تتركز الان في مدينة كربلاء , ويبين الجدول رقم (١) اعداد هذه الفنادق وحسب درجة ومستوى كل منها حسب التصنيف السياحي. ويتضح من الجدول الزيادة المستمرة في اعداد هذه الفنادق ولغاية سنة ٢٠٠٤ ويعود ذلك الى زيادة السياح القادمون من الدول الاسلامية وفي مقدمتها ايران وذلك لزيارة المراقد المقدسة في المدينة.

جدول (١)
عدد الفنادق والاسرة حسب التصنيف السياحي
للسنوات ١٩٩٦ — ٢٠٠٤

السنة	٥ نجوم	٤ نجوم	٣ نجوم	نجمتان	نجمة	عدد الاسرة	عدد الفنادق
١٩٩٦	-	٣	-	-	٣	٢٠٠	٦
١٩٩٧	-	٣	-	-	٣	٢٠٠	٦
١٩٩٨	-	٣	١٠	١٥	١٥	١٩٨٠	٤٣
١٩٩٩	-	٤	٢٠	٣٠	٣٤	٢٥٠٠	٨٨
٢٠٠٠	-	٤	٢٥	٤٠	٥٠	٣٠٠٠	١١٩
٢٠٠١	-	٤	٣٠	٤٤	٦٠	٤٦٠٠	١٣٨
٢٠٠٢	-	٤	٣٤	٥٠	٧٠	٦٥٠٠	١٥٨
٢٠٠٣	-	٤	٣٤	٥٤	٨٠	٩١٨٥	١٧٢
٢٠٠٤	-	٤	٧٤	٤٢	١١٠	١٥٢٦٣	٢٣٠

المصدر : بيانات هيئة السياحة فرع كربلاء

٢- شركات النقل السياحية : يحتاج السائح الى خدمات النقل للانتقال من موقع سياحي الى اخر ومن اجل كسب السياح يجب تهيئة هذه الخدمات وذلك من خلال توفر وسائط نقل حديثة ومريحة ومكيفة , ومثل هذه الشركات غير موجودة حاليا وهي لايمكن ان تتوفر مالم يكن هناك تكامل في الخدمة السياحية , أي ان يكون هناك موقع سياحي جاذب وهذه هي مهمة هيئة السياحة ووجود اماكن ايواء

بخدمة سياحية مقبولة ومحفزة , الى جانب ذلك تظهر الحاجة الى شركات النقل السياحية وهي تهيئة وسائط النقل الحديثة التي تتوفر فيها خدمة النقل المريحة.

٣- **المطاعم السياحية :** يذكر بعض الكتاب والباحثين في مجال السياحة ان المطاعم السياحية بسياقاتها وتقاليدها وجودة الطعام فيها من حيث النوعية او الطهي عامل جذب للسياح , فيشعر السائح بان حاجته للطعام ممكن تلبيتها وبالنوعية والكمية المطلوبة وفي اجواء مريحة ومثل هذه المطاعم ليست موجودة بالعدد الذي يكفي لسد حاجة السياح على افتراض ان حركة السياسة ستكون ناشطة بعد الاستقرار السياسي والامني وتنشيط حركة الاعمار , والجدول رقم (٢) يبين اعداد المطاعم السياحية الموجودة في مدينة كربلاء اذ ان مثل هذه المطاعم معدومة في المواقع السياحية للاسباب التي اشير اليها ولذلك فان الاستثمار في المطاعم السياحية واحدة من الفرص الاستثمارية التي يمكن استغلالها بالنسبة للمستثمرين ورجال الاعمال.

جدول (٢)

اعداد المطاعم السياحية والطاقة الاستيعابية

الفندق	الطاقة الاستيعابية (فرد)
مطعم الحسين العائلي	١٠٠ — ١٥٠
ركن البستان	٦٠ — ٨٠
در النجف	٥٠ — ٧٠
الشمس	٥٠ - ٦٠
زاد وملح	٥٠ - ٦٠

٤- **المقاهي والكازينوات سياحية :** مدينة كربلاء مدينة دينية مقدسة يؤمها السياح بدوافع دينية لاداء مناسك الزيارة للعتبات المقدسة , اما النوع الاخر من السياح الذين يدخلون المدينة والمدن التابعة للمحافظة لاغراض سياحية يحتاجون الى مثل هذه المرافق السياحية رغم انها لاتقتصر على السياح الآتين بدوافع السياحة الاثارية والتاريخية بل يمكن ان يحتاج اليها الجميع حتى ابناء المحافظة , مثل هذه المقاهي والكازينوات السياحية غير متوفرة وعلية هي ايضا فرصة استثمارية اخرى يمكن ان تستثمر من قبل المستثمرين ورجال الاعمال.

٥- **مدن الالعاب والملاعب الرياضية :** في محافظة كربلاء , ملعب رياضي واحد ويفتقر الى المستلزمات التي تجعل منه ملعبا رياضيا جاذبا ولذلك فان وجود مدن العاب او ملاعب رياضية ستجذب الشباب سواء كانوا من السكان المحليين اومن السياح الاجانب والعرب , ولايقتصر الامر على الشباب بل سيتعداه الى الاعمار فوق سن الشباب طالما ان هذه الاماكن ترفيهية يحتاج اليها الناس باختلاف جنسياتهم او قومياتهم او دياناتهم.

سادسا: الاثار الاقتصادية والاجتماعية للاستثمار السياحي في كربلاء

بالنظر لاهتمام العديد من دول العالم اوربية وغير اوربية ومنها بعض الدول العربية بقطاع السياحة لذا اصبح لهذا القطاع دور مؤثر في تمويل الميزانية العامة للدولة بل في بعض الدول يعد اول مصدر لتمويل الميزانية – لذلك فان اهتمام الدوائر السياحية في وزارة السياحة ومديرياتها في المحافظات وتحديدا في محافظة كربلاء. ومن خلال الاستثمارفي الفرص التي اشير اليها او أي فرصة يراها المستثمر او رجل الاعمال ستكون لها انعكاسات ايجابية في المجالات الاتية :

١- زيادة الدخل المتآتي من السياحة لازدياد عدد السياح الذين يدخلون المحافظة للتمتع بالمنشآت السياحية التي سيتم اقامتها من قبل المستثمرون وذلك بفرض رسوم التمتع في هذه المنشآت او دخول اراضي المحافظة اضافة الى مايدره الاستثمار على المستثمرين والمحافظة من دخل . وتشير الاحصائيات المبينة في الجدول (٣) ان عدد الفنادق السياحية بأتجاه الزيادة فقد وصل الى(٢٣٠) فندق سنة (٢٠٠٤)وبعدد (١٥٤٦٣) سرير وبعدد ليالي اقامة (٨٦٤٩٩٣١) وبأجره يوميه (٣٠) الف دينار فان اجمالي الايراد سيكون (٢٥٩٤٩٨) مليون دينار ومن خلال مطالعة الجدول يتضح حجم الايراد السنوي رغم عدم الاهتمام بالسياحة نتيجة الظروف التي مر ويمر بها العراق من ذلك يتضح ان السياحة يمكن ان تكون مصدرا رئيسيا لتمويل الموازنة العامة عند توفر مقوماتها الضرورية وتهيئة كل المستلزمات السياحية المطلوبة.

جدول (٣)
الايرادات المتحققة من الفنادق السياحية
للسنوات ١٩٩٦- ٢٠٠٣

السنة	عدد الفنادق	عدد الاسرة	عدد ليالي الاقامة	اجرة الليلة الواحدة(الف دينار)	المبلغ الكلي (مليون دينار)
١٩٩٦	٦	٢٠٠	٢٠١٦٠٠	١٠	٢٠١٦
١٩٩٧	٦	٢٠٠	٢١٣٢١١	١٢	٢٥٥٨,٥
١٩٩٨	٤٣	١٩٨٠	٢٢٧٤٩٨	١٥	٣٤١٢,٥
١٩٩٩	٨٨	٢٥٠٠	٢٢٢٣١٨	١٨	٤٠٠١,٧
٢٠٠٠	١١٩	٣٠٠٠	٢٤٧٥٢٨	١٨	٤٤٥٥,٥
٢٠٠١	١٣٨	٤٦٠٠	٢٤٧٥٢٨	٢٠	٤٩٥٠,٦
٢٠٠٢	١٥٨	٦٥٠٠	٢٣٥٩٥٨	٢٠	٤٧١٩,٢
٢٠٠٣	١٧٢	٩١٨٥	٥٣١٨٠٤٧	٢٥	١٣٢٩٥١,٢
٢٠٠٤	٢٣٠	١٥٤٦٣	٨٦٤٩٩٣١	٣٠	٢٥٩٤٩٨

ولايقتصر اتساع حركة السياحة وتطورها على الاثار الاقتصادية أي من حيث الايراد فقط وانما سيكون لذلك اثر واضح في التنمية الاجتماعية وسيتضح ذلك من خلال الاختلاط الاجتماعي بين

الشعوب وتبادل الثقافات والاطلاع على مالدى الغير من سير وحضارة وثقافات تنمي العلاقات الاجتماعية , وربما ايضا سيكون لها اثرها على السلام العالمي وذلك بحل المشكلات بين الدول من خلال هذه العلاقات الاجتماعية.

الاستنتاجات والتوصيات:

أ: الاستنتاجات:

١. حظيت السياحة بالاهتمام المتميز في اغلب الدول التي تتوفر فيها مقومات السياحة ولذلك حصل تطور في عدد السياح في العالم وزادت مداخيل السياحة تبعا لذلك, كما ازداد عدد العاملين في قطاع السياحة وكانت الغالبية في سن الشباب ومن الجنس الآخر.

٢. عدم إبلاء السياحة الاهتمام المطلوب في العراق رغم وجود مقومات السياحة من المواقع الاثارية الدينية والتاريخية.

٣. انخفاض مساهمة قطاع السياحة في الدخل الوطني نتيجة عدم الاهتمام بالسياحة اضافة الى الظروف التي مر بها العراق خلال الفترات السابقة.

٤. كان ومايزال انعدام الامن والاستقرار اثر واضح في انعدام السياحة خلال السنوات الثلاث التي اعقبت سنة ٢٠٠٣ وان كانت السنوات التي سبقت هذا التاريخ لم تكن افضل من حيث النشاط السياحي , اذ كان للحصار عبر ثلاث عشر سنة اثر واضح في انعدام السياحة.

٥. لم تكن لهيئة السياحة العامة او فروعها في المحافظات اية فاعلية اذ لم تبرز نشاطها كما يجب ويتضح ذلك من خلال عدم معرفة الهيئة باعداد الداخلين الى البلاد ونوع مهماتهم التي جاءو من اجلها.

٦. لم تتح الفرصة للاستثمار العربي والاجنبي للاطلاع على الفرص الاستثمارية المتاحة التي يمكن ان تتاح.

٧. عدم وجود مناخ استثماري مناسب ومشجع للمستثمر العربي والاجنبي للقدوم واتخاذ قرار بالاستثمار السياحي.

ب: التوصيات:

في ضوء الاستنتاجات التي تم التوصل اليها يوصي الباحث بالاتي :

١. تشكيل وزارة للسياحة وتفعيل هيئات السياحة في المحافظات واسناد مسؤولياتها الى موظفين متخصصين في السياحة وتفعيل نشاطاتها واعادة هيكلية هذه الادارات.

٢. خلق مناخ استثماري ملائم ومناسب يبرز في مقدمة ذلك الاستقرار الامني ويرتبط ذلك بالامن والاستقرار العام في العراق ونأمل ان يتحقق ذلك بعد تشكيل الحكومة الوطنية.

٣. اصدار تشريعات قانونية مشجعة ومحفزة للاستثمار العربي والاجنبي ولكن يجب عدم التفريط بسيادة البلد واستقلاله وثرواته أي وفق شروط تحفظ للعراق سيادته وادارته على المشروعات الاستثمارية داخل البلد.

٤. تهيئة وتوفير المقومات السياحية المفقودة وذلك بالعمل على توفير التسهيلات اللازمة لتوفير هذه المقومات.

٥. تشغيل العاطلين عن العمل من المتخصصين والمؤهلين في الاختصاصات السياحية.

٦. تهيئة وخلق عوامل الجذب السياحي اذ ان الطلب السياحي يخلق.

مراجع البحث:

١- عادل قبرصي وعلي قادري , اعادة بناء العراق , استراتيجيات التنمية في ظروف الازمات , مجلة المستقبل العربي – ٢٩٥ , ايلول , ٢٠٠٣.

٢- Facts on the Hotel catering and Tourism Lndustry Key , Statistics,٢٠٠١,ILo.

٣- الحلج , محمد ,حصيلة وافاق عملية الخوصصة في المغرب (١٩٨٩- ١٩٩٦) , ندوة الاصلاحات الاقتصادية وسياسات الخوصصة في البلدان العربية , اصدار مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ,١٩٩٩.

٤- عبد الغفار , هناء – الاستثمار الاجنبي المباشر والتجارة الدولية الصين أنموذجا , دار الحكمة , بغداد , ٢٠٠٢.

٥- كوكب , سرمد , التمويل الدولي , مدخل في الهياكل والعمليات والادوات جامعة الموصل , الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة – ٢٠٠٢.

٦- غانم والمسيبلي , عدنان , لبنى حسين صالح , دور الاستثمارات الاجنبية المباشرة في التنمية الاقتصادية (في الجمهورية اليمنية) – مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد ١٩ – العدد الثاني – دمشق ٢٠٠٣.

٧- جمال وحسن , دنيا حامد , تغريد سعيد , دراسة ميدانية للامكانات السياحية في محافظة كربلاء- مجلة كلية الادارة والاقتصاد الجامعة المستنصرية – العدد ٤٠/اكتوبر/٢٠٠٢.

٨- مخير وامين , محفوظ صالح , نضال عبد العال – مبادئ الاثار السياحية , بغداد ١٩٨٨.

آفاق السياحة الدينية في كربلاء وآثارها الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة؛

أ.د. لطفي حميد جودة

آفاق السياحة الدينية في كربلاء وآثارها الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة؛

أ.د. لطفي حميد جودة

المقدمة

السياحة تمثل المرتكز الرئيس للتنمية المستدامة , فالدول كافة تسعى لتحقيق تنمية نظيفة خالية من تلوث البيئة وهذا ما تحققه السياحة والتي هي في جوهرها نشاط بضاعتها الخدمة واسواقها الناس والعراق بلد سياحي تتوفر فيه كل مقومات السياحة الطبيعية والبشرية لكن السياحة الدينية اليوم تمثل المرتكز الرئيس للسياحة في العراق من حيث رواجها لدى المسلمين في العالم ٠ وتمثل مدينة كربلاء المقدسة

المقصد الاول للجذب السياحي الديني ٠ حيث يزور ملايين المسلمين سنويا العتبات المقدسة ٠ يتناول هذا البحث افاق السياحة الدينية في مدينة كربلاء واثارها المباشرة وغير المباشرة وتتمثل بـ

١. زيادة الدخل
٢. توسيع فرص العمل من خلال مضاعف الاستخدام
٣. مضاعف الاستثمار السياحي
٤. اثر السياحة في تنمية مشاريع البنى التحتية
٥. اثر السياحة على المستوى العام للاسعار

١. السياحة الدينية في كربلاء :

السياحة عموما" تعرف بأنها نشاط ينطوي على تغيير في المكان والخطوة الزمنية (١)٠

ومن الوجهة الاقتصادية يركز القسم الاكبر من التعاريف على المفهوم المكاني للسياحة اذ يعتبر الشخص سائحا" اذا انتقل من مكان سكناه الى اخر بعد قطع مسافة محدودة ٠ فالعديد من الهيئات

السياحية المبكرة اتخذت قطع الفرد لمسافة ٥٠ ميلا" (بأستثناء الذهاب الى موقع العمل) معيارا" لتحديد كون النشاط سياحيا" غير ان هيئات اخرى تزيد المسافة المقطوعة الى مئة ميل على ان يمكث على الاقل ليلة واحدة بعيدا" عن مسكنه ٠

اما السياحة الدينية فتعرف بأنها السفر من دولة الى اخرى او الانتقال داخل حدود دولة بعينيها لزيارة الاماكن المقدسة ٠ فهي سياحة تهتم بالجانب الروحي للانسان كذلك هي مزيج من التأمل الديني والتراثي من اجل الدعوة والتقرب الى الله ٠

وتعتبر مدينة كربلاء مقصدا" رئيسا" للزيارة الدينية يقدم اليها ملايين الزائرون من داخل العراق وخارجه لذا تصبح مرتكزا اساسيا للسياحة الدينية في العراق ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال بعض مؤشرات الفنادق في كربلاء ٠

بعض مؤشرات الفنادق في كربلاء نسبة الى مجموع العراق لعام ٢٠٠٤

ت	الفقرة	النسبة من مجموع العراق
١	عدد الفنادق	٪٢٥
٢	عدد المشتغلين في الفنادق	٪٤٠
٣	مجموع الاجور والمزايا المدفوعة	٪٢٠
٤	مجموع الايردات	٪٧٠
٥	المصروفات	٪٣٥
٦	عدد النزلاء	٪٣٥

المصدر : وزارة التخطيط/المجموعة الاحصائية ص ١٥١/١٥٢

(١) د٠ حميد الطائي , اصول صناعة السياحة , مؤسسة الوراق , عمان ٢٠٠١ ص ٢١ ٠

(٢)

وان مدينة كربلاء تحتل المرتبة الاولى في المؤشرات اعلاه بين جميع المدن العراقية بأستثناء بغداد ومن المؤكد فأن النسب في الجدول اعلاه هي في الان اعلى مما كانت عليه عام ٢٠٠٤ لان العراق اصبح بلدا" منفتحا" على العالم يضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية ٠

الطلب السياحي الديني في مدينة كربلاء

نحن نعلم ان الطلب بشكل عام هو الكميات من السلعة التي يستعد المستهلك لشرائها بسعر معين ووقت معين ٠ اما الطلب السياحي الديني فهو المجموع الاجمالي من زوار العتبات المقدسة الوافدين الى كربلاء العراقيين منهم والاجانب من البلدان المجاورة او البعيدة ٠ ويقاس طلب السياحة الدينية بأعداد الزوار وعلى وجه الدقة يقاس بعدد ليالي المبيت ٠ ويقدر عدد الزوار الاجانب بحدود ١٥٠٠- ٢٠٠٠ زائرا يوميا معظمهم من ايران غير ان هذا الرقم قد يرتفع عند تحقق الامن والاستقرار ليصل الى ٧٠٠٠- ١٠٠٠٠ زائرا يوميا ٠ اما الطلب السياحي المحلي فهو موجود على مدار السنة لكن تصل

ذروته الى ٣- ٤ مليون زائرا ايام عاشوراء وزيارة الاربعين ولقد ارتفع الطلب السياحي في مدينة كربلاء للاسباب التالية :

١. وجود الحرية الكاملة لممارسةا لشعائر الحسينية
٢. ارتفاع مستوى الدخل
٣. توفر وقت الفراغ المتمثل بزيادة الاجازات والعطل والمناسبات
٤. توفر الدافع الروحي العميق لزيارة العتبات المقدسة حتى بدون توفر وسائل التسويق السياحي
٥. تأثير التكنلوجيا على وسائل المواصلات تجعلها مريحة وامينة ومنخفضة التكاليف نسبيا
٦. انخفاض سعر صرف الدينار العراقي مما يجذب الزوار من الدول المجاورة والبعيدة

ويمكن ان تكون هذه العوامل وغيرها معادلة تستخدم في بناء نموذج رياضي احصائي للتنبؤ لحجم الطلب للسياحة في مدينة كربلاء ٠

العرض السياحي الديني

يعرف العرض بمفهومه العام بانه الكميات التي يستعد المنتج في طرحها في السوق بسعر معين ووقت معين

اما العرض السياحي الديني فهو كل المستلزمات من السلع والتجهيزات والخدمات التي يجب ان توفرها اماكن القصد السياحي للزوار أي انه منتوج السياحة الدينية من خدمات النقل والايواء والطعام والشراب, الخدمات الدينية, مجموع خدمات وسلع اخرى يقتنيها الزوار كخدمات المعلوماتية,الصحافة المتخصصة، نوادي السفر والتجوال، الخدمات التوضحية ,الارشادية، المعارض التاريخية والدينية ٠٠ الخ

٣

ويتحدد العرض السياحي في مدينة كربلاء بالعوامل التالية :

١. العامل التاريخي المتمثل بوجود مرقد الامام الحسين (ع) واخيه العباس (ع) وقدوم الزوار لتأدية مراسيم الزيارة لها من الداخل والخارج وهذا يشكل عامل جذب لرؤوس الاموال لأنشاء المرافق السياحية وبالتالي توسع العرض السياحي
٢. اسعار المنتوج السياحي فكلما ارتفعت اسعار المنتوج السياحي زاد العرض السياحي
٣. تكاليف الانتاج والعلاقة العكسية
٤. استخدام وسائل التكنيك الحديث رغم ان السياحة بالاساس تعتمد على عنصر العمل

ومن المعروف ان العرض السياحي الديني في مدينة كربلاء يختلف عن العرض السياحي العام كونه لايخضع للمنافسة من قبل المعالم السياحية الاخرى داخل وخارج العراق

الاثار الاقتصادية والاجمالية للسياحة الدينية في كربلاء

للسياحة دور كبير يؤثر في حياة مدينة كربلاء من اوجه مختلفة وهي كما يأتي :

١. اثر السياحة في المجال الاقتصادي
٢. اثر السياحة في المجال الثقافي والحضاري

اثر السياحة في المجال الاقتصادي وذلك من خلال مأياتي

زيادة الدخل المحلي للمدينة : السياحة تشكل قطاعا"" مهما" من قطاعات الاقتصاد الوطني يساهم في الناتج المحلي الاجمالي من خلال الدخل السياحي المكتسب وهو مجموع الدخول المتحققة للافراد العاملين في القطاع السياحي من ريوع وفوائد واجور وارباح مقابل تقديم عوامل الانتاج السياحي من مواد اولية وعمل ورأس مال وتنظيم في المنشأت السياحية ٠ لذا فهو جزء من الدخل المحلي للمدينة يمكن احتساب اهميته من خلال المعادلة التالية :

$$\text{اهمية السياحة للمدينة} = \frac{\text{الدخل السياحي المتحقق}}{\text{الدخل المحلي}} \times ١٠٠$$

(٤)

ان التعرف على حجم الدخل السياحي للمدينة امر صعب جدا" ذلك ان احصاءات الجهاز المركزي للاحصاء لاتعتبر قطاع السياحة قطاعا مستقلا ضمن تطبيقات الحسابات القومية بل تم دمجه ضمن قطاع تجارة الجملة والمفرد مما يجعل امر الفصل بينهما في غاية الصعوبة ٠ ويمكن تقدير اهمية الدخل السياحي للمدينة بحوالي ٣٠- ٤٠ ٪ من اجمالي الدخل المحلي للمدينة خلال سنة ١٩٨٩ - ١٩٩٣ لكن على نطاق العراق فهي لاتتعدى ٠,٣٠ ٪ (٢) وذلك بسبب اهمال السياحة في زمن النظام السابق ولكن للسياحةالدينية مستقبلا واعدا خلال السنوات القليلة القادمة ٠ ان مستوى الدخل الاول المتولد عن النشاط السياحي المباشر سيولد سلسلة من الدخول الجديدة تظهر من خلال مضاعف الاستثمار ٠

(٢) عبد المطلب محمود الخوام, دراسة في الاستثمار السياحي وابعاده الاقتصادية مع اشارة خاصة للعراق , رسالة ماجستير , جامعة بغداد , بغداد , ١٩٩٦

(٥)

السياحي ٠ وبسبب الترابط الخلفية مابين قطاع السياحة والانشطة الاخرى تحقق دورات اضافية جديدة

في الانتاج والاستثمارات في كل الصناعات والفروع الواقعة في المستويات الثانية والثالثة ٠٠٠ الخ

وهكذا يتضاعف الدخل الكلي الناتج عن النشاط السياحي حسب قانون مضاعف الاستثمار وتقدر قيمة المضاعف السياحي في العراق خلال فترة التسعينات ب ٢,٥ مرة (٣)

ب- للسياحة الدينية دور في تكوين فرص للعمل وزيادة الاستخدام لاسيما السياحة الدينية تعتمد على تقديم الخدمة المباشرة ٠ وبما ان قطاع السياحة الدينية متشابك مع القطاعات الاخرى فأن الاثر في توليد فرص العمل يمتد ابعد من القطاع السياحي ويمكن الاشارة بهذا الخصوص الى احصائية عالمية تذكر (٤)

- كل غرفة فندقية تولد ما نسبته ١٠٠٪ فرص عمل في الفنادق
- وتولد مانسبته ٧٥٪ في الانشطة السياحية الاخرى

وتولد مانسبته ١٠٠٪ في القطاعات الاخرى

ء- السياحة تساعد على تطوير البنى التحتية ذلك لأنها تلبي حاجات ورغبات الاعداد المتزايدة من السياح يتطلب بضرورة تطوير واضافة بنى تحتية جديدة ٠ ويمكن ان يتم ذلك عن طريق

الاستثمارات الخارجية عندما تقدمت ايران لانشاء بنى تحتية في مدينتي كربلاء وتوسيع قاعدة الاستثمار فيهما وتفعيل نشاطات اقتصادية كالاسواق والخدمة الفندقية والسكن ووسائل النقل ومصنعيين في كربلاء لاعادة تدوير النفايات وانشاء مطارات ٠٠٠ الخ

هـ- أن توسع السياحة الدينية يؤثر على الاسعار برفعها الى مستويات اعلى كون ان الاعداد االمتزايدة

من السياح تمثل قوة شرائية نضغط على المتاح من السلع والخدمات واولى المؤشرات هو ميل اسعار الاراضي والعقارات في مدينة كربلاء نحو الارتفاع المستمر مقارنة بالمدن العراقية الاخرى ٠

و- ان التطوير السياحي في مدينة كربلاء يؤدي الى رفع حصيلة الضريبة لان السياحة تشكل عاملا مولدا للضرائب والرسوم ولكي تكون السياحة في خدمة مجتمع المدينة ينبغي استخدام جزء من هذه الايرادات المالية في تطوير المرافق السياحية وجزءا اخر في تطوير المستوى المعاشي للمواطنين

(٣) مثنى طه الحوري , اسماعيل محمد علي الدباغ , اقتصاديات السفر والسياحة , عمان مؤسسة الوراق , ٢٠٠١ , ص ١٩٣

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٥٣

(٦)

٢- الاثر الثقافي والحضاري للسياحة في كربلاء وتشمل ذلك :

أ - الاثر في تطوير الاماكن المقدسة الاسلامية التاريخية والحضارية وتشمل هذه الاماكن مرقدي الامام الحسين والعباس عليهما السلام والاماكن التاريخية الاخرى كالجوامع والحسينيات والمراقد الدينية للصحابة والاسواق التراثية والمعالم الاسلامية القديمة ٠٠٠ الخ ويأتي دور السياحة في كونها عاملا يحفز الجهات المعنية مثل وزارة الوقف الشيعي , البلدية ٠٠٠ لتطوير هذه الاماكن المقدسة والحضارية من خلال التنقيب

عن الاثار الاسلامية صيانة وترميم واعادة بناء مراقد الائمة والمواقع والاسواق التراثية وانشاء المعارض والمناسبات الدينية والثقافية التي تخلد معركة الطف بشكل حضاري وتذكر بأصالة المدينة

تحقق السياحة الدينية في كربلاء هدفا" انسانيا" مهما" هو تمازج حضارة الشعوب الاسلامية والتقاءها ٠

٧: الاستنتاجات والتوصيات

حين يتحقق الامن والاستقرار يمكن للسياحة الدينية في كربلاء ان تحقق مستقبلا واعدا يدعم اقتصاد المدينة خصوصا والعراق عموما ولكي يتحقق ذلك نضع التوصيات التالية :

١. وضع استراتيجية علمية لتطوير التنمية السياحية في المدينة
٢. وضع هذه الا ستراتيجية موضع التطبيق لابد من تهيئة بيئة اقتصادية تقوم الية اقتصاد السوق
٣. تفعيل دور القطاع الخاص في هذا النشاط
٤. اعادة النظر في الاطر المؤسساتية والقانونية بما يضمن تطوير الاستثمار الاجنبي والمحلي

٥. في قطاع السياحة الدينية في المدينة
٦. تطوير البنى التحتية في المدينة
٧. التاكيد على تبني برامج شاملة للتدريب السياحي وادخال التكنلوجيا الحديثة ونظم المعلوماتية في المرافقة السياحية
٨. ادخال اللغة الفارسية باعتبارها الاداة الرئيسية للنهوض بالسياحة الدينية في المدينة وبالتالي وسيلة لزيادة دخول ابناء المدينة
٩. التاكيد على تبني مشروع لدراسة ووضع رمز سياحي لمدينة كربلاء توسيع التعاون مابين المؤسسات السياحية من جهة وجامعة كربلاء والمؤسسات العلمية الاخرى لوضع اسس رصينة لتنمية مستديمة للسياحة الدينية
١٠. ١٠- وضع مركز للمعلومات الاحصائية للسياحة الدينية يوفر البيانات للباحثين والمهتمين في شؤون تطوير السياحة الدينية

تقويم جودة الخدمات السياحية الدينية من وجهة نظر الزائرين

دراسة ميدانية في محافظة كربلاء المقدسة

أ. د. علاء فرحان طالب

تقويم جودة الخدمات السياحية الدينية من وجهة نظر الزائرين

دراسة ميدانية في محافظة كربلاء المقدسة

أ د. علاء فرحان طالب

تعد الجودة إحدى الاستراتيجيات التنافسية التي تستخدمها المنظمات ومنها السياحية في عالمنا المعاصر لتحافظ على استمرارها وبقائها في خضم بيئة الأعمال التنافسية التي تخطت الحدود المحلية إلى العالمية في ظل العولمة ومرتكزاتها حتى أصبحت المنظمات والمدن السياحية تستمد شهرتها من مستوى جودة خدماتها السياحية وتقديمها بالشكل الذي يلبي حاجات وأذواق وتوقعات الزبائن (الزائرين) الحالين والمستقبليين، وبعد أن أصبحت الجودة هي جزء أساسي لإرضاء الزائر والرضى المتعاقب للزائرين يقود إلى الولاء والإخلاص والاستمرار في طلبها ونتيجة لذلك أصبحت جودة الخدمات السياحية لا يمكن تعريفها وتقويم أبعادها من المنظمات وإدارة المدن السياحية فحسب بل يقومها الزبون وفقاً لإدراكه وتوقعاته.

مشكلة البحث:

شهد قطاع الخدمات بشكل عام والخدمات السياحية بخاصة توسعاً كبيراً في مختلف بلدان العالم حتى احتل موقعاً متميزاً في الدخل القومي لتلك البلدان لما يدر عليها من إيرادات كبيرة، رغم تلك الأهمية إلا إن منظمات السياحية وإدارة مدننا السياحية الدينية لا زالت تعاني من ضعف إدراكها لأهمية جودة الخدمة السياحية المقدمة وبالذات من منظور الزائر باعتبارها المرتكز الأساسي لتحقيق أهدافها في النمو والشهرة فضلاً عن تحقيق العوائد التي تدعم ميزانيتها وتحقيق التفوق التنافسي على الآخرين.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من أهمية الخدمات السياحية الدينية في ربط الإنسان بعقائده ورموزه الدينية التي يتقرب من خلالها إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، فان تقويم هذه الخدمات وتحسينها يصب في شقين الأول معنوي في تسهيل ربط الإنسان برموزه الدينية ومادي بما تدره من عوائد على تلك المنظمات والمدن.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تقويم جودة الخدمات السياحية الدينية في محافظة كربلاء المقدسة من منظور الزائرين وتقديم المقترحات والتوصيات التي تسهم في تطوير هذه الخدمات وتحقيق رضا الزائرين.

فرضيات البحث:

تماشياً مع مشكلة وأهداف البحث اعتمدت فرضيتين رئيسيتين هما:

الفرضية الرئيسية الأولى:

فرضية العدم (HO): ضعف توافر أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية في محافظة كربلاء من وجهة نظر الزائرين.

الفرضية البديلة (H١): توافر أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية في محافظة كربلاء من وجهة نظر الزائرين.

الفرضية الرئيسية الثانية:

فرضية العدم (HO) ليس هناك تباين في توفير أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية المقدمة في مدينة كربلاء من وجهة نظر الزائرين.

الفرضية البدلية (H١) هناك تباين في توافر أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية المقدمة في مدينة كرلاء من وجهة نظر الزائرين.

مجتمع البحث وعينته:

اختيرت مدينة كربلاء كمجتمع للبحث وذلك للأهمية التي تحتلها في السياحة الدينية لضمها مرقدي الإمامين الحسين والعباس عليهما السلام وبعض المراقد والمزارات الأخرى.

واعتمد البحث عينة من الزائرين لهذه المدينة لأداء مراسم الزيارة والتبرك بالأئمة الأطهار وبالذات من الإيرانيين والهنود وتكونت العينة العشوائية من (٦٥) فرد ولو وصف العينة (انظر جدول (١)) فنجد إن أغلب العينة من حملة الجنسية الإيرانية بنسبة (٦٩٪) والهنود بنسبة (٣١٪) وان أغلب أفراد العينة من الفئة العمرية أكثر من ٣٠ سنة بنسبة (٧٧٪).

كما إن أغلب الزائرين ممن يحضرون لأول مرة إلى مدينة كربلاء وبنسبة (٧٧٪) ومن حيث الجنس كان أغلب أفراد العينة من الذكور حيث بلغت نسبتهم (٦٩٪) والباقي من الإناث.

حدود البحث:

١- الحدود المكانية: تمثلت العينة من الزائرين إلى مدينة كربلاء المقدسة.

٢- الحدود الزمانية: تمثلت بالمدة المحصورة من ٢٠٠٦/٢/١ – ٢٠٠٦/٣/١ التي وزعت فيها استمارات الاستبانة وتم جمعها.

أساليب جمع المعلومات والوسائل الإحصائية:

استند البحث في جانبه النظري على المعلومات المتحصلة من الأدبيات الإدارية المتخصصة والأقراص المكتنزة على الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت)، أما الجانب الميداني اعتمدت الاستبانة كأداة رئيسية لبحث (ملحق ١) والتي تم تصميمها في ضوء الإطار النظري للبحث إضافة إلى السمات الديمغرافية وأبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية (الاعتمادية، الاستجابية، الثقة والتوكيد، التعاطف، الملموسية).

وأجري عليها اختباري الصدق والثبات(ملحقي ٢ـ٣) واجتازت ذلك إذ بلغ معامل الثبات لها (٩٠٪) وهي نسبة عالية ومقبولة.

كما استخدمت عدة أساليب إحصائية لاستخراج النتائج هي (النسب المئوية، الوسط الحسابي الموزون، الانحراف المعياري، نسبة الاتفاق) وفق برنامج spps.

جدول(١)

السمات الديمغرافية لعينة البحث (الزائرين = ١٥٥ فرد)

السمة	العدد	النسبة٪
بلد الزائر		
إيران	٤٥	٦٩
الهند	٢٠	٣١
المجموع	٦٥	١٠٠٪
العمر		
٢٠ فأقل	٥	٨
٢١- ٣٠	١٠	١٥
٣١ - ٤٠	١٥	٢٣
٤١ - ٥٠	٢٠	٣١
أكثر من ٥٠	١٥	٢٣
المجموع	٦٥	١٠٠٪
تكرار الزيارة		
لأول مرة	٥٠	٧٧

أكثر من مرة	١٥	٢٣
المجموع	٦٥	١٠٠٪
الجنس		
ذكر	٤٥	٦٩
أنثى	٢٠	٣١
المجموع	٦٥	١٠٠٪

دراسات سابقة:

من أجل استكمال المتطلبات العلمية لمنهجية البحث، تم الرجوع لبعض الدراسات التي توفرت للباحث والتي ركزت على جودة الخدمات حيث لم يحصل الباحث على دراسات سابقة عن جودة الخدمات السياحية الدينية لندرتها ومنها:

١- دراسة الحيدري ٢٠٠١

عنوان الدراسة (تقويم جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المرضى) وقد أجريت في مستشفى الكندي التعليمي متناولة مشكلة صيغت على شكل تساؤلات للاستفهام عن توقعات رضا المرضى عن الخدمات الصحية المقدمة وتوصلت إلى عدة استنتاجات منها رضا واضح لدى المرضى عن مستوى الخدمات المقدمة وتحسين مستواها.

٢- دراسة حاتم (٢٠٠٢)

عنوان الدراسة (تسويق الخدمات الصحية باعتماد إبعاد جودة الخدمة). تناولت الدراسة عينة مكونة من عدد من الأطباء لبيان كيفية تسويق الخدمات الصحية من خلال اعتماد أبعاد جودة الخدمة من منظورهم وتوصلت إلى عدة نتائج منها تباين أبعاد جودة الخدمة المقدمة فضلاً عن الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه توافر إبعاد الجودة في تسويقها.

٣- دراسة Priceton Baptist ١٩٩٤.

عنوان الدراسة (تحسين جودة الخدمة) أجريت الدراسة على أحد المنتجات السياحية واختيرت عينة من روادها لمعرفة آراءها في أساليب تحسين جودة الخدمات ومستوى تلك الخدمات التي تقدمها هذه المنظمة السياحية وتوصلت إلى نتائج منها المستوى الجيد للخدمات المقدمة فضلاً عن مقترحات لتحسينها.

٤- دراسة (Bank Austria, ٢٠٠١)

عنوان الدراسة (تأثير جودة الخدمة على الزبون) واعتمدت السجلات الرسمية في تحديد اثر الجودة على الزبون فضلاً عن الاستبانة وتوصلت إلى نتائج منها إن هناك أثر واضح لجودة الخدمة المقدمة في تحقيق رضا الزبون.

٥- دراسة الزويني، ٢٠٠٥

تناولت واقع وآفاق السياحة الدينية في محافظة كربلاء مركزه على تحديد أنواع الاستثمارات السياحية بعامة والسياحة الدينية بخاصة وتوصلت إلى ضعف توافر البنى التحتية التي تساهم في تطوير السياحة الدينية في المحافظة وقدمت توصيات لتطوير واقع الحال.

أولاً: جودة الخدمات السياحية الدينية – مدخل مفاهيمي

مفهوم الجودة:

إن مصطلح الجودة هو ليس ابتكار العصر الحالي بل له جذور تاريخية امتددت إلى مرحلة ما قبل الميلاد، حيث تنسب أقدم الاهتمامات بالجودة إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد في الحضارة البابلية وبالذات في زمن الملك حمورابي حيث نظمتها مسلته الشهيرة وأكد فيها على جودة الخدمة الصحية حيث لو تجاوزها الطبيب سوف يعاقب بالمثل أي لو اخطأ في أدائه وتسبب في ضرر المريض، وهي أيضاً نالت الاهتمام بعد الميلاد وظهرت لدى الرومان كقوانين مكتوبة لممارسة مهنة الطب وإلزامهم في جودة الخدمة المقدمة، وفي عهد الإسلام ركز على الجودة وأوصى بتطبيقها عن طريق مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حيث وردت ليس تحت مفهوم الجودة وإن مصطلح الإتقان كما في قوله تعالى (صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خير بما تعملون) النحل/٨٨ والإتقان هنا الكمال في العمل وإتقان الأمر أحكام الشيء.

كما ورد الإتقان في السنة النبوية الشريفة (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) كما نهى الإسلام عن الغش (من غشنا فليس منا).

واستمر تداولها والاهتمام بها حتى العصر الحديث، حيث شملت اهتماماته في إنشاء الإدارة المتخصصة والدراسات والبحوث لتطويرها وتحسينها ثم العلماء المتخصصين فيها والشهادات التي تمنح لأحسنها حتى أصبحت إحدى الاستراتيجيات التنافسية في عالم اليوم.

إذن لكلمة الجودة معاني عديدة إضافة غلى ما سبق منهم من يعتبرها التفوق superiority أو التميز excellence وهنالك من يرى إنها خلو الخدمة أو المنتج من العيوب وآخرون يفكرون بأنها المظهر الخارجي لسلعة والسعر المناسب.

ومن علماء الإدارة (Holy) حيث حددها بالآتي (Holy, ٢٠٠٠: ١١٩).

- المطابقة للمتطلبات.
- جميع الخصائص التي لها القدرة على إشباع الحاجات.
- الخلو من العيوب.

وآخرون (Rusell and Tayor) نظر إليها محدداً مفهومها من منظور الزبون والمنتج وفق الآتي (Russell & Taylor, ٢٠٠٠: ٧٩ ٨٢).

١- من منظور الزبون Customer perspectives.

تعني ملائمة المنتوج أو الخدمة للاستعمال.

٢- من منظور المنتج Preducer Perspectives تعني بعدين هما:

- مدى استجابة خصائص أو مواصفات المنتج أو الخدمة لتحقيق الجودة المرغوبة وتسمى جودة التصميم (design quality).
- قدرة العملية في تحقيق مواصفات تصميم الجودة المطابقة.

وهي من وجهة نظر (Dilworth) تقديم احتياجات الزبون أو ما يدركه الزبون (Delworth, ٢٠٠٠: ٨١). ويحددها (Evans) بموضوعية ودقة عالية بأنها (مقابلة أو تجاوز توقعات الزبون) (Evans & Dean, ٢٠٠٣:١٠). إذن هي من منظور الزبون تعني الجودة الأعلى والأداء الأفضل والخصائص الأجمل في ظل انطباعاته النفسية.

أما جودة الخدمة ومنها الخدمة السياحية الدينية تعني (خلوها من أي عيب) (Zero defect) كما يرى اليابانيون في أثناء انجازها وهو حكم يصدره الزبون الزائر بعد إدراكه الأداء الفعلي للخدمة. كما ينظر إليها بأنها (أي عمل أو فكرة تتعلق بمدى امتياز الخدمة) حتى ربطوا مفاهيم جودة الخدمة بالادراكات والتوقعات، حيث إن الادراكات تعني (درجة الاتفاق والاختلاف بين ادراكات الزائرين و توقعاتهم).

إما التوقعات فتمثل (رغبات أو حاجات الزائرين أي شعورهم بما يتوجب على مقدم الخدمة تقديمه وليس ما يقدمه) وهناك ثلاث أنواع من التوقعات (السامرائي: ٢٠٠٢:٤١) هي:

- الخدمة المحتملة Predicted service وهي الخدمة التي يعتقد الزبون بوجودها والتي على المنظمة تقديمها.
- الخدمة المرغوبة Desired service وهي التوقعات المثالية التي تعكس رغبة الزبون في الحصول عليها والتي يجب أن توردها المنظمة.
- الخدمة الملائمة Adequate service وهي الحد الأدنى المقبول من مستوى جودة الخدمة التي يقبلها الزائر أو يرضى بها من دون أن تسبب عدم رضاه.

أهمية جودة الخدمة السياحية الدينية:

إن لجودة الخدمة السياحية الدينية أهمية إستراتيجية كبيرة على مستوى المنظمة السياحية والمجتمع بشكل عام لأنها تمثل أهم العوامل الأساسية التي تحدد حجم الطلب على الخدمة وتحقق للمنظمة والمدينة الشهرة والعوائد حيث تعد استثمارات مدرة لعوائد وغير قابلة للنضوب وتوفير فرص عماله للمواطنين وتطوير الخدمات الأخرى في المدينة السياحية كما إنها تحقق للزائر حاجاته ورغباته المعنوي والمادي (Kin & others, ٢٠٠١,٢١٢) (شعبان ٢٠٠٥, ٦).

لأن السياحة الدينية هي زيارة الأماكن الدينية للتبرك أو الأماكن المقدسة للحج بهدف أداء واجب ديني أو التعرف على التراث الديني لدولة ما (عبد الوهاب، ١٩٨٧, ٥٩).

وتحتل أهمية في العراق حيث تشكل حوالي ٧٠٪ من حركة السياحة و ٩٥٪ من السياحة في كربلاء (الزويني ٢٠٠٥, ١٣٢).

كما إن قطاع السياحة يساهم في نسبة كبيرة بإجمالي الناتج المحلي للدول لعام ٢٠٠٠ كما يأتي (المجلس العالمي، ٢٠٠٠,٢٥).

الدولة	مساهمة قطاع السياحة
مالطا	٣٤,١
مصر	١٩,١
اسبانيا	١٩,١
تونس	١٦,١
أمريكا	١١,٥
السعودية	٧,٣

أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية:

تمتلك الخدمة بشكل عام أبعاداً كما هو الحال بالنسبة للسعة التي يمكن من خلالها تحديد قدرة إشباعها للحاجات، وقد اثرى الباحثون بطون الكتب بتلك الأبعاد واختلفوا بعددها حتى تراوحت بين الخمسة إلى عشرة أبعاد ومن يرغب التبحر فيها فليتصفح مؤلفات (Evans, Slack, Russell) وغيرهم من المتخصصين في إدارة الإنتاج والعمليات والتسويق، إلا إن الباحث يتفق مع الأبعاد الخمسة للخدمة التي حددها (Russell) المتمثلة في الجدول التالي (٢) إلا أنها اتسمت بالشمولية لمعظم الأبعاد التي ذكرها الآخرون.

جدول (٢)

إبعاد جودة الخدمة من منظور (Russell)

ت	البعد	مفهومه
١	الاعتمادية Reliability	الالتزام بتقديم الخدمة حسب الموعد الذي قطع للزائر.
٢	الاستجابية Responsiveness	يقصد بها وجود الرغبة في المساعدة الفورية للزائر وتزويده بالخدمة.
٣	الثقة والتوكيد Assurance	القدرة على خلق وكسب ثقة الزائر.
٤	التعاطف Empathy	تشير إلى الأدب والاحترام والمودة عند الاتصال الشخصي بالزائر.
٥	الملموسية Tangibility	تعني الدليل المادي لخدمة السياحية الدينية.

Source: Russell, Wiher, ٢٠٠٠,٣٩٣

ثانياً: عرض وتحليل نتائج البحث

تشير هذه الفقرة إلى تشخيص إجمالي وتفصيلي لأبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية وفقاً لما أسفرت عنه نتائج الاستبيان الميداني ومن منظور الزائرين وعلى النحو الآتي:

أ- تقويم أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية من منظور الزائرين إجمالاً يظهر الجدول (٣) نتائج التحليل الإحصائي لاستجابات الزائرين وتقويمهم لمستوى جودة الخدمات السياحية الدينية في محافظة كربلاء.

جدول (٣)

إجابات أفراد عينة البحث حول أبعاد جودة الخدمة السياحية الدينية.

مقياس الإجابة / أبعاد جودةالخدمة	رقم الفقرة	أتفق تماما		أتفق		لحد ما		لا أتفق		لا أتفق إطلاقاً		الوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	نسبة الإتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪			
الاعتمادية	X١-X٥	٧٣	٢٢,٢٥	٥٠	١٥,٣٨	٥٠	١٥,٣٨	٩٢	٢٨,٣٠	٦٠	١٨,٤٦	٣,٠٤	١,٣٦	٥٣,٠١
الاستجابية	X٦-X١٠	٨٥	٢٦,٢	٩٠	٢٧,٦٩	٥٥	١٦,٩٢	٥٠	١٥,٤	٤٥	١٣,٨٤	٣,٤٩	١,٤٢	٧٠,٨١
الثقة والتوكيد	X١١-X١٥	٧٠	٢١,٥٤	٧٠	٢١,٥٤	٦٠	١٨,٤٦	٦٥	٢٠	٦٠	١٨,٤٦	٣,٠٨	١,٣٩	٦١,٤٥
التعاطف	X١٦-X٢٠	٨٠	٢٤,٦	٦٠	١٨,٤٦	٥٠	١٥,٣٩	٧٣	٢٣,١	٦٠	١٨,٤٦	٣,٠٧	١,٤٤	٦٠,٤٥
الملموسية	X٢١-X٢٥	٦٣	١٩,٣٩	٥٥	١٥,٩٢	٢٧	٨,٣١	١٠٣	٣١,٦٩	٧٧	٢٣,٦٩	٢,٦٦	١,٣٢	٤٤,٦٢
المعدل العام		٣٧١	٢٢,٨٤	٣٢٥	٢٠	٢٤٢	١٤,٨٦	٣٨٥	٢٣,٦٩	٣٠٢	١٨,٨٥	٣,٠٤	١,٣٩	٥٧,٧٣

ويتضح من خلاله ما يأتي:

١- إن جودة الخدمات السياحية الدينية قد جاءت بمستوى مقبول إذ بلغ المتوسط الحسابي الموزون العام لها (٣,٠٤) وهو أعلى من الوسط الفرضي (٣) بقليل وبنسبة اتفاق بلغت (٥٧,٧٣٪) وهي في مدى درجة المقبول، ما يعني إن هناك بعض الإخفاق في تحقيق المستوى المطلوب في نظر الزائرين جعلها بهذا المستوى.

٢- إن أكثر الأبعاد إسهاماً في تحقيق هذا المستوى المقبول هي الأبعاد (الاستجابية، الثقة والتوكيد، التعاطف) إذ جاءت بأوساط حسابية (٣,٤٩، ٣,٠٨، ٣,٠٧) وبنسب اتفاق (٧٠,٨١،

٦١,٤٥ ، ٦٠,٤٥) على التوالي ، ثم البعد الاعتمادي الذي جاء بوسط حسابي موزون (٢,٦٦) أقل من الوسط الفرضي وبنسبة اتفاق متدنية (٤٤,٦٢٪).

٣- تشير النتائج السابقة إلى صحة فرضية البحث البديلة (H١) توافر أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية في محافظة كربلاء وترفض فرضية العدم (Ho).

ب- تقويم أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية تفصيلاً :

تتناول هذه الفقرة تقويم لأبعاد جودة الخدمات السياحية في محافظة كربلاء من منظور الزائرين تفصيلاً على النحو الآتي :

١- بعد الاعتمادية

يظهر الجدول (٤) أجاب أفراد العينة حول مدى توافر الاهتمام بهذا البعد في الخدمات السياحية المقدمة من لدن المنظمات السياحية في محافظة كربلاء.

جدول (٤)

إجابات أفراد العينة حول بعد الاعتمادية (العينة ٦٥)

مقياس الإجابة / البعد		أتفق تماما		أتفق		لحد ما		لا أتفق		لا أتفق إطلاقاً		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪			
الاعتمادية	X١	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	٥	٧,٧	٣,٩٦	١,٣٥	٦٩,٢
	X٢	٥	٧,٧	٥	٧,٧	١٠	١٥,٤	٢٥	٣٨,٥	٢٠	٣٠,٨	٢,٢٣	١,٢٠	٣٠,٨
	X٣	٢٥	٣٨,٥	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٣,٤٦	١,٥٤	٦٩,٣
	X٤	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	٢,٩٥	١,٣٨	٥٣,٨
	X٥	٨	١٢,٣	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٢٢	٣٣,٩	١٥	٢٣	٢,٦	١,٣٣	٤٣,١
المعدل		٣٧	٢٢,٢٥	٥٠	١٥,٣٨	٥٠	١٥,٣٨	٢٢	٢٨,٣٨	٦٠	١٨,٤٦	٣,٠٤	١,٣٦	٥٣,٠١

ويتضح منه ما يأتي :

١- إن (٥٣,٠١٪) من إجابات أفراد العينة متفقون على إن المنظمات تعتمد على هذا البعد وبوسط حسابي موزون (٣,٠٤) وانحراف معياري (١,٣٦)، مما يدل على إن الاهتمام بهذا البعد جاء بمستوى درجة القبول في سلم الدرجات الاعتيادية ، ويعني إن الالتزام بتقديم الخدمة حسب الموعد الذي قطع للزائر لازال يحتاج إلى عناية.

أما أفضل الفقرات التي ساهمت في اغناء هذا البعد وتحسين مستواه هي (تحرص الإدارة المسؤولة عن إنجاز الخدمة بشكل صحيح من أول مرة) و(نعتقد إن مصلحة الزائر وخدمته هي الهدف الرئيسي

للإدارة المسؤولة عن الخدمات السياحية في المحافظة)، إذ جاء بنسبة اتفاق (٦٩,٢٪، ٦٩,٣) وأوساط حسابية (٣,٩٦، ٣,٤٦) على التوالي.

والفقرة التي أسهمت في انخفاض مستوى هذا البعد هي (توفير الإدارة المسؤولة عن الخدمات مساحة لوقوف السيارات لنقل الزائرين فضلاً عن ساعات عمل مناسبة) إذ داءت بنسبة اتفاق (٤٣,١٪) وسط حسابي (٣,٠٤) وانحراف معياري (١,٣٦).

٢- بعد الاستجابية

يبين الجدول (٥)نتائج التحليل الإحصائي لبعد (الاستجابية) ومتغيراته ويؤشر الارتفاع في إجابات أفراد العينة حول وجوده إذ بلغت نسبة الاتفاق (٧٠,٨١) وبوسط حسابي (٣,٤٩) وانحراف معياري (١,٤٢).

جدول (٥)

إجابات أفراد العينة حول بعد الاستجابية

البعد	مقياس الإجابة	أتفق تماما		أتفق		لحد ما		لا أتفق		لا أتفق إطلاقاً		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪			
الاعتمادية	X٦	٢٠	٣٠,٨	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٥	٧,٧	٣,٩٥	١,٣٠	٧٧
	X٧	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	٥	٧,٧	٣,٩٢	١,٣٥	٦٩,٣
	X٨	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٣,٣٨	١,٤٥	٦٩,٢
	X٩	١٠	١٥,٤	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	٥	٧,٧	٢٠	٣٠,٨	٣	١,٦٨	٦١,٦
	X١٠	١٥	٢٣	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	٥	٧,٧	٣,٩٤	١,٣٥	٧٦,٨
المعدل		٨٥	٢٦,٢	٩٠	٢٧,٦٩	٥٥	١٦,٩٢	٥٠	١٥,٤	٤٥	١٣,٨٤	٣,٤٩	١,٤٢	٧٠,٨١

كما يؤشر الارتفاع النسبي لنسبة الاتفاق والوسط الحسابي لمتغيراته إذ جاءت بين (٧٧٪، ٦١,٦٪) وأوساط حسابية بين (٣، ٣,٩٥) مما يدل على اهتمام المنظمات السياحية في المحافظة على توافر هذا البعد في خدماتها المقدمة إلى الزائرين.

٣- الثقة والتوكيد

يشير الجدول (٦) إلى إجابات أفراد العينة وجود درجة متوسطة لهذا البعد الذي يمثل كسب ولاء الزائر ورضاه من خلال الخدمات التي تقدم، إذ بلغ الوسط الحسابي الموزون العام له (٣,٠٧) وهو أعلى من الوسط الفرضي وبنسبة اتفاق (٦١,٤٥٪). مما يدل على الاهتمام بوجوده في خدماتها.

جدول (٦)

إجابات أفراد العينة حول بعد الثقة والتوكيد

مقياس الإجابة / البعد		أتفق تماما		أتفق		لحد ما		لا أتفق		لا أتفق إطلاقاً		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪			
الثقة والتوكيد	X١١	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٤,٣٠	١,٤٥	٦٩,٢
	X١٢	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	٣,٠٧	١,٣٠	٦١,٦
	X١٣	٥	٧,٧	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	١٥	٢٣	٢,٧٦	١,٤٥	٥٣,٩
	X١٤	٥	٧,٧	١٥	١٣	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	٢,٦٢	١,٤٥	٦١,٥
	X١٥	٢٠	٣٠,٨	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	٣,٢٣	١,٣٠	٦١,٦
المعدل		٧٠	٢١,٥٤	٧٠	٢١,٥٤	٦٠	١٨,٤٦	٦٥	٢٠	٦٠	١٨,٤٦	٣,٠٧	١,٣٩	٦١,٤٥

كما يشير إلى إن جميع متغيراته قد أسهمت بتعزيز مستواه في الخدمات المقدمة إن أعلاها فقرة (تميز إدارة المنظمات السياحية بدقة معاملاتها المالية وكشوفاتها المقدمة للزائر)، إذ جاءت بوسط حسابي بلغ (٤,٣٠) وبنسبة اتفاق (٦٩,٢٪) وأقل الفقرات إسهاما هي الفقرة (يتمتع العاملون في المنظمات السياحية بمهارة وكفاءة عالية في تقديم الخدمات التي نحتاجها) إذ جاءت بوسط حسابي موزون (٢,٧٦) أقل من الوسط الفرضي (٣) ونسبة اتفاق (٥٣,٩٪).

٤- بعد التعاطف

توضح نتائج التحليل الإحصائي الواردة في جدول (٧) إجابات أفراد العينة حول وجود بعد التعاطف في الخدمات المقدمة إذ جاء بوسط حسابي موزون (٣,٠٧) ونسبة اتفاق بلغت (٦٠,٤٥) وانحراف معياري (١,٤٤)، مما يعني الاهتمام المتميز ومستوى عناية موظفي المنظمات السياحية بالمحافظة بالزائر كان على درجة متوسطة.

جدول (٧)

إجابات أفراد العينة حول بعد التعاطف

مقياس الإجابة / البعد		أتفق تماما		أتفق		لحد ما		لا أتفق		لا أتفق إطلاقاً		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪			
التعاطف	X١٦	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣,١	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣,١	٥	٧,٧	٣,٤٦	١,٣٥	٦٩,٣
	X١٧	١٥	٢٣,١	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣,١	١٥	٢٣	١٠	١٥,٤	٢,٤٦	١,٤٦	٦١,٥
	X١٨	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣	٢٠	٣٠,٨	٢,٦١	١,٤٥	٤٦,٢
	X١٩	١٥	٢٣,١	١٠	١٥,٤	٥	٧,٧	١٥	١٥,٤	٢٠	٣٠,٨	٢,٧٦	١,٥٩	٤٦,٢
	X٢٠	٢٠	٣٠,٨	١٥	٢٣,١	١٠	١٥,٤	١٥	٢٣,١	٥	٧,٧	٣,٤٦	١,٣٥	٦٩,٣
المعدل		٨٠	٢٤,٦	٦٠	١٨,٤٦	٥٠	١٥,٣٩	٧٥	٢٣,١	٦٠	١٨,٤٦	٣,٠٧	١,٤٤	٦٠,٤٥

كما يشير إلى أفضل الفقرات التي أسهمت في وجود هذا البعد هي (هناك علاقة طيبة بيننا كزائرين والعاملين في المنظمات السياحية في المحافظة) و (تعمل إدارة المنظمات السياحية على توطيد العلاقات الجيدة مع الزائرين)، (يتمتع العاملين في المنظمات السياحية بمستوى عالي من اللطف والاحترام) إذ جاءت بأوساط حسابية (٣,٤٦، ٣,٤٦، ٢,٤٦) وبنسب اتفاق (٦٩,٣٪، ٦٩,٣٪، ٦١,٥٪) على التوالي.

وأقل الفقرات اسهاماً في بقية الفقرات التي جاءت بنسب اتفاق (٤٦,٢، ٤٦,٢).

٥- بعد الملموسية:

تشير نتائج الجدول (٨) إلى إجابات أفراد العينة الخاصة ببعد الملموسية وتظهر ضعف وجود هذا البعد أي عدم تميز العاملون على المنظمات السياحية في المحافظة بالإناقة والمظهر اللائق إذ جاء بوسط حسابي (٢,٦٦) أقل من الوسط الفرضي (٣) وبنسبة اتفاق على جودة الخدمات المقدمة بلغت (٤٤,٦٢٪) وانحراف معياري (١,٣٢) مما يدل على تجانس إجابات أفراد العينة.

جدول (٨)

إجابات أفراد العينة حول بعد الملموسية

مقياس الإجابة	أتفق تماما		أتفق		لحد ما		لا أتفق		لا أتفق إطلاقاً		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪			

البعد														
الملموسية	X٢١	١٠	١٥,٤	٥	٧,٧	٥	٧,٧	٢٠	٣٠,٨	٢٥	٣٨,٥	٢,٣٠	١,٤٥	٣٠,٨
	X٢٢	٢٥	٣٨,٥	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	١٠	١٥,٤	٣,٤٦	١,٥٤	٦٩,٣
	X٢٣	١٠	١٥,٤	٢٥	٣٨,٥	٥	٧,٧	١٨	٢٧,٦	٧	١٠,٨	٣,٢	١,٠٣	٦١,٦
	X٢٤	٣	٤,٧	٥	٧,٧	٢	٣,١	٤٠	١١,٥	١٥	٢٣,١	٢,٠٩	١	١٥,٥
	X٢٥	١٥	٢٣,١	١٠	١٥,٤	٥	٧,٧	١٥	٢٣,١	٢٠	٣٠,٨	٢,٧٨	١,٥٩	٤٦,٢
المعدل		٦٣	١٩,٣٩	٥٥	١٦,٩٢	٢٧	٨,٣١	١٠٣	٣١,٦٩	٧٧	٢٣,٦٩	٢,٦٦	١,٣٢	٤٤,٦٢

كما يشير إلى إن أفضل الفقرات التي أسهمت في توافر هذا البعد (يسعى العاملون في المنظمات السياحية إلى توفير وسائل الراحة للزائرين)، و(المظهر العام والأثاث في المنظمات السياحية جذاب ولائق) إذ جاءت بأوساط حسابية (٣,٤٦، ٣,٢) وبنسب اتفاق (٦١,٦٪، ٦٩,٣٪) على التوالي.

والفقرات التي أسهمت في ضعف توافره هي (التجهيزات والمستلزمات في المنظمات السياحية بمستوى يفوق المنظمات في الدول الأخرى)، و (يتميز العاملون في المنظمات السياحية بالإناقة والمظهر اللائق)، إذ جاء بأوساط حسابية أقل من الوسط الحسابي وبنسب اتفاق منخفضة (١٥,٥٪، ٣٠,٦).

ج- التحليل الإحصائي لتباين تبني المنظمات السياحية لأبعاد جودة الخدمة:

تتضمن هذه الفقرة اختبار الفرضية الرئيسية الثانية وهي:

فرضية العدم (HO): ليس هناك تباين في توافر أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية المقدمة في مدينة كربلاء المقدسة من وجهة نظرا الزائرين.

فرضية البدلية (H١): هناك تباين في توافر أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية المقدمة في مدينة كربلاء المقدسة من وجهة نظر الزائرين،

ومن أجل قبول الفرية أعلاه من عدمه، استخدم الباحث لهذا الغرض الوسط الحسابي الموزون ونسبة الاتفاق كما مبين في الجدول (٩).

جدول (٩)

تباين توافر جودة الخدمات السياحية من منظور الزائرين

أبعاد جودةالخدمة	الوسط الحساب الموزون	نسبة الاتفاق٪	الترتيب
الاستجابية	٣,٤٩	٧٠,٨١	الأول
الثقة والتوكيد	٣,٠٨	٦١,٤٥	الثاني
التعاطف	٣,٠٧	٦٠,٤٥	الثالث
الاعتمادية	٣,٠٤	٥٣,٠١	الرابع
الملموسية	٢,٦٦	٤٤,٦٢	الخامس

المصدر: إعداد الباحث.

يتضح من خلال النتائج الواردة في جدول (٩) إن بعد الاستجابية قد جاء بالمرتبة الأولى من حيث الاهتمام به في الخدمات السياحية الدينية في محافظة كربلاء إذ جاء بوسط حسابي موزون قدره (٣,٤٩) وهو أعلى من الوسط الفرضي (٣) ونسبة اتفاق بلغت (٧٠,٨١٪). وجاءت بالمرتبة الثانية بعد الثقة والتوكيد إذ جاء بوسط حسابي موزون قدره (٣,٠٨) أعلى من الوسط الفرضي (٣) بقليل وبنسبة اتفاق بلغت (٦١,٤٥٪).

أما بعد التعاطف فقد جاء بالمرتبة الثالثة بوسط حسابي موزون (٣,٠٧) وبنسبة اتفاق (٦٠,٤٥٪). وبالمرتبة الرابعة بعد الاعتمادية إذ جاء بوسط حسابي موزون قدره (٣,٠٤) وبنسبة اتفاق (٥٣,٠١٪).

وأخيراً بعد الملموسية إذ جاء بوسط حسابي موزون قدره (٢,٦٦) أقل من الوسط الفرضي (٣) وبنسبة اتفاق (٤٤,٦٢٪) أقل من المقبول.

وعليه يتضح من النتائج أعلاه إن المنظمات السياحية في محافظة كربلاء تتباين من حيث اهتمامها وتوفير أبعاد جودة الخدمات السياحية الدينية، مما تدل على رفض فرضية العدم (HO) وقبول الفرضية البدلية بمعنى إن هناك تباين في توافر أبعاد جودة الخدمة.

ثالثاً: الاستنتاجات والتوصيات

أ. الاستنتاجات

توصل البحث إلى جملة من الاستنتاجات هي:

١- تباين وجهات النظر الباحثين والأكاديميين المتخصصين حول ماهية جودة الخدمة وأبعادها بسبب تباين توجهاتهم الفكرية ومنظوراتهم للجودة.

٢- يعد الزبون أفضل من يقيم جودة الخدمة كونه يحدد المعايير التي يعتمدها في تقييم الجودة بما يحقق له من توقعاته وإدراكاته.

٣- لم تلق جودة الخدمة السياحية الاهتمام الكافي من لدن المنظمات السياحية وإدارة المحافظة.

٤- قبول فرضيتي البحث على وفق نتائج التحليل الإحصائي لإجابات أفراد العينة.

٥- وجود تباين من وجهة نظر الزائرين في الاهتمام بأبعاد الجودة الاستجابية بالمرتبة الأولى، والثقة والتوكيد بالمرتبة الثانية، والتعاطف بالمرتبة الثالثة والاعتمادية بالمرتبة الرابعة: أما الملموسية فقد جاء الاهتمام بها بالمرتبة الأخيرة.

٦- هناك تباين في توافر متغيرات الأبعاد، حيث توافر بعضها بشكل عالي واسهم في تحسين جودة الخدمة السياحية والبعض أسهم في ضعف الجودة منها المظهر الغير لائق للعاملين ومقارنة التجهيزات والمستلزمات في المنظار مقارنة بالدول الأخرى.

ب. التوصيات:

١- آن الأوان لتهتم المنظمات السياحية في المحافظة بجودة الخدمة من خلال:

- اختيار الكوادر البشرية المتخصصة في السياحة الدينية.
- إدخال الكوادر الحالية في دورات تدريبية لرفع كفاءة أدائهم سواء كانت دورات داخل العراق مقامة من الجامعات والمعاهد\ أو خارج العراق لاكتساب خبرات جديدة.
- إرسال كوادرها في زيارات قصيرة للبلدان المجاورة للإطلاع على كيفية تقديم الخدمات السياحية ومنها الدينية كإيران وسوريا ولبنان وتونس والبلدان الغربية إن أمكن.

٢- الاهتمام بمظهر العاملين وجعله لائقاً ومناسباً للعمل من خلال:

- تزويد العاملين ببدلات عمل صيفية وشتوية تلاءم طبيعة العمل.
- إخضاع العاملين للفحص الصحي الدوري لمعرفة سلامتهم من الأمراض.

٣- يتوجب على الإدارات الفندقية والسياحية الأخرى وإدارة المحافظة استخدام تكنولوجيا المعلومات ومنها شبكة الانترنت للتعرف على الخدمات السياحية الدينية والمواقع الدينية.

٤- إنشاء المعامل الإنتاجية لتصنيع المنتجات ذات الطابع الذي يحتاج إليها الزائر كالهدايا عند عودته وتطوير نوعيتها بالاعتماد على خبرات بعض الاختصاصين في هذا المجال.

٥- تشجيع الاستثمار لإنشاء المنظمات السياحية لخدمة الزائرين سواء من خلال منح القروض الميسرة من المصارف أو تخفيض الضرائب عليها ومنح الأراضي بأسعار ميسرة من لدن إدارة المحافظة، واعتماد الاستثمار المشترك الحكومي والخاص.

٦- تأليف لجنة تضم ممثلين عن الفنادق والمطاعم والمعامل الإنتاجية وشركات السياحية وبعض المتخصصين في السياحة الدينية لوضع إستراتيجية تحت إشراف المجلس المحلي للمحافظة لتطوير الخدمات السياحية الدينية والمراقد الدينية.

٧- إنشاء مؤسسة تحت تسمية مؤسسة الإمامين لإدارة العتبات المقدسة تضم رجالات من الحوزة العلمية الشريفة وبعض المتخصصين تحت تشكيلات إدارية محددة لإدارة واستثمار عوائد المراقد الدينية في المحافظة كما هو الحال في جمهورية إيران الإسلامية.

٨- الاشتراط على من يرغب إنشاء منظمة سياحية في المحافظة سواء كانت فندق أو شركة نقل أو مطاعم سياحية أما إبراز مستمسك الدخول في دورة متخصصة أو تعيين متخصص لإدارة منظمته لضمان كفاءة الكوادر البشرية المؤهلة للعمل في هذا المجال.

٩- استخدام الانترنت في الترويج للخدمات السياحية والتعريف بالمزارات الدينية وتاريخها وشخوصها للآخرين حتى لغير المسلمين.

المصادر

القرآن الكريم.

أ. المصادر العربية

١. حاتم سعدي عبد الرضا، تسويق الخدمة الصحية باعتماد أبعاد جودة الخدمة، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٢. الجبدري، عصام محدين، تقويم جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المرضى، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة بغداد، ٢٠٠١.

٣. السامرائي، حفصة عطا الله، المنتج التسويقي وجودة الخدمة الصحية وأثرها في تحقيق رضا المرضى، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة بغداد ٢٠٠٢.

٤. شعبان، عبد الكريم، تسويق الخدمات السياحية عبر الانترنت، مجلة جامعة الكوفة، المجلد٦، العدد ٢٠٠٥، ١.

٥. الزويني، محمد حسن نصار، واقع وآفاق السياحة الدينية في العراق، رسالة ماجستير فقدمه إلى كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء ٢٠٠٥.

ب. المصادر الأجنبية

١. Dilwarth, James, "Operations Management" Providing value in Goods and services, ٣ed Ed, USA, ٢٠٠٠.

٢. Evans, James & Dean, James, Total Quality "Management organization and strategy, ٣ rd Ed, Thomason, south-western, ٢٠٠٣".

٣. Holy, David, Automotive Quality system, Handbooks, ١st Ed, prentice-Hon Lee, Marketing for the travel and Tourism industing, ٢٠٠١.

٤. Kin, L.n. Kam-Hon lee, Marketing for the travel and Tourism industing, ٢٠٠١.

٥. Slack, Nigel, chambers, Stuart, Harland, Christine, H,Alan & sounston, R." operations Management", ٢nd Ed, pttman pub, ١٩٩٨.

٦. Russell, robert & Taylor, Bernard, "operations management", Multimedia version, ٣rd Ed, prentice-Hall, Inc, ٢٠٠٠.

٧. Princeton, http://www.qon.edu

٨. Bank Austrio, http://www.maktoob.com

الملحقات

ملحق(١)

استمارة استبانة

أخي الزائر الكريم

الاستبانة التي بين أيديكم معدة لأغراض البحث العلمي وهي جزء ممن مشروع بحث موسوم (تقويم جودة الخدمات السياحية الدينية من وجهة نظر الزائرين) والتي نسعى من خلالها لاستطلاع آرائكم حول الفقرات التي تتضمنها، وبالتأكيد تنعكس الدقة والموضوعية في إجاباتكم على وصولنا إلى النتائج الدقيقة المنشودة والتي تساهم في تطوير مدينتكم المقدسة.

يرجى اختيار الإجابة المناسبة لكل فقرة وإن المعلومات لا تستخدم إلا لغرض البحث العلمي فقط، ونحن في أتم الاستعداد للإجابة على استفساراتكم عن أي فقرة.

خالص شكرنا لتعاونكم وحسن استجابتكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أولاً: معلومات عامة عن الزائر:

أ. الجنس ذكر☐ أنثى☐

ب. العمر ٢٠ فأقل☐ ٢١- ٣٠☐ ٣١- ٤٠☐ ٥٠- ٤١☐ ٥٠فأكثر☐

ج. بلد الزائر.....

د. تكرار الزيارة لأول مرة☐ أكثر من مرة☐

ثانياً: أبعاد جودة الخدمة السياحية الدينية:

أ- الاعتمادية

ت	الفقرة / مقياس الإجابة	أتفق تماما	أتفق	إلى حد ما	لا أتفق	لا أتفق إطلاقاً
١	تحرص الإدارة المسؤولة على إنجاز الخدمة بشكل صحيح من أول مرة.					
٢	توفر الإدارة المسؤولة عن تقديم الخدمة على معلومات وسجلات عن الزائرين يمكن الرجوع إليها لمعرفة أي شيء عنهم.					
٣	نعتقد إن مصلحة الزائر وخدمته هي الهدف الرئيس للإدارة المسؤولة عن الخدمات السياحية في المحافظة.					
٤	تلتزم الإدارة المسؤولة عن تقديم الخدمات بحل المشكلات من أجل حصول الزائر على الخدمة.					
٥	توفر الإدارة المسؤولة عن الخدمات ساحة لوقوف سيارات نقل الزائرين فضلاً عن ساعات عمل مناسبة.					

ب. الاستجابية: قصد بها رغبة الإدارة المسؤولة عن تقديم الخدمات بمساعدة الزائرين وتزويدهم بالخدمة.

٦	تهتم الإدارة المسؤولة عن تقديم الخدمات بالطالبات الفورية للزائرين وإنجازها في الوقت المحدد.					
٧	هناك سرعة استجابة الإدارة المسؤولة عن الخدمات عند طلب الخدمة من الزائر.					
٨	انتشار المنظمات (فنادق، مطاعم، شركات سياحية) في المحافظة بشكل يغطي حاجة الزائر.					
٩	أحصل على دعم العاملين في إدارة هذه المنظمات في حصولي على الخدمات.					
١٠	تتسم خدمات المنظمات السياحية بالتكامل ولا أفكر في الانتقال إلى محافظة أخرى.					

ج. الثقة والتوكيد: وتشير إلى كسب أمان وولاء الزائر ورضاه

ت	مقياس الإجابة / الفقرة	أتفق تماما	أتفق	إلى حد ما	لا أتفق	لا أتفق إطلاقاً
١١	تتميز إدارة المنظمات السياحية بدقة معاملاتها المالية وكشوفاتها المقدمة للزائر.					
١٢	يتحلى العاملون في المنظمات السياحية التي تتعامل معها بالأمانة الشخصية.					
١٣	يتمتع العاملون في المنظمات السياحية بمهارة وكفاءة عالية في تقديم الخدمات التي نحتاجها.					
١٤	تتميز المنظمات السياحية في المحافظة بدقة الإنجاز وعدم ارتكاب الأخطاء.					
١٥	تتحلى المنظمات السياحية في المحافظات بمستوى من الأمان في تعاملاتها معنا.					

د. التعاطفية: يعني الاهتمام المتميز ومستوى عناية موظفي المنظمات السياحية بالزائر.

ت	مقياس الإجابة / الفقرة	أتفق تماما	أتفق	إلى حد ما	لا أتفق	لا أتفق إطلاقاً

١٦	هناك علاقة طيبة بيننا كزائرين وعاملين في المنظمات السياحية في المحافظة					
١٧	يتمتع العاملون في المنظمات السياحية بمستوى عالي من اللطف والاحترام.					
١٨	لدى العاملين في المنظمات السياحية معرفة بالزائرين عند الدخول لهم أو حتى عن طريق الهاتف.					
١٩	يتوفر لدى المنظمات السياحية التجهيزات والتقنيات الحديثة لتقديم الخدمة.					
٢٠	تعمل إدارة المنظمات السياحية على توطيد العلاقات مع الزائرين.					

هـ. الملموسية: تشير إلى وجود تسهيلات المادية من عاملين ووسائط نقل وأجهزة اتصالات.

ت	الفقرة / مقياس الإجابة	أتفق تماما	أتفق	إلى حد ما	لا أتفق	لا أتفق إطلاقاً
٢١	يميز العاملون في المنظمات السياحية بالأناقة والمظهر اللائق.					
٢٢	يسعى العاملون في المنظمات السياحية إلى توفير وسائل الراحة للزائرين.					
٢٣	المظهر العام والأثاث في المنظمات السياحية جذاب ولائق.					
٢٤	التجهيزات والمستلزمات في المنظمات السياحية هي بمستوى يفوق المنظمات في الدول الأخرى.					
٢٥	أرى إن إدارة المنظمات السياحية توفر وسائل الراحة لعامليها من أجل تقديم الخدمات للزائرين.					

ملحق (٢)

اسم الخبير	الجامعة	الاختصاص
أ.م.د. سمير الخطيب	الكلية التقنية	إدارة أعمال

أ.م.د. علي كريم	كربلاء	إدارة أعمال
أ.م.د. حسين الجبوري	بابل	إدارة
أ.م.د. محمد الخطيب	كربلاء	عربي

الملحق(٣)

المتغيرات	الاعتمادية X١ ١ ٥	الاستجابية X٢ ٦ ١٠	الثقة والتوكيد X٣ ١١ ١٥	التعاطف X٤ ١٦ ٢٠	الملموسية X٥
الاعتمادية X١ ١ ٥	١				
الاستجابية X٢ ٦ ١٠	٠,٩٩	١			
الثقة والتوكيد X٣ ١١ ١٥	٠,٩٢	٠,٨٩	١		
التعاطف X٤ ١٦ ٢٠	٠,٩١	٠,٩٣	٠,٩٠	١	
الملموسية X٥	٠,٩٠	٠,٨٨	٠,٩٢	٠,٩٠	١

تحليل دالة الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء

د .كاظم احمد البطاط
محمد حسن علي الزويني

تحليل دالة الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء

د.كاظم احمد البطاط
محمد حسن علي الزويني

المقدمة

تمارس السياحة تأثيرا مباشرا على القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وعلى العلاقات الدولية، ولم تعد السياحة مجرد انتقال الأفراد من بلد إلى آخر كما كانت عليه في الماضي, بل هي ظاهرة إنسانية وحاجة اجتماعية أساسية في ضوء تعدد ظروف الحياة بالإضافة إلى إنها يمكن أن تكون مورداً هاماً للعملة الصعبة لتحسين وضع ميزان المدفوعات وزيادة الدخل القومي وزيادة حجم العمالة وتوسيع القاعدة الإنتاجية,عليه فباستطاعة نشاط السياحة أن يوازي أي نشاط في أي قطاع آخر من حيث السرعة والمرونة.

إن الاستثمار الذي حظي بأهمية فائقة من كل المدارس والمذاهب الاقتصادية هو العملية الرئيسة التي لولاها لا تأخذ كل مفردات الحياة بالتطور والتنمية. لذلك فان مقومات العرض السياحي من مكونات تاريخية وطبيعية وبشرية لأي بلد لا معنى لها إلا بوجود أداة فعالة وهي الاستثمار السياحي, الذي يعني استغلال هذه الموارد السياحية النادرة بشكل أمثل وبأقل كلفةٍ لتحقيق أقصى إشباع منها.

وتتسم محافظة كربلاء بمميزات السياحة الدينية[1] الإسلامية إذ تضم العديد من مقاصد السياحة الدينية لاسيما الحضرتين العباسية والحسينية ولذلك فأن الاستثمارات السياحية لتلك المعالم بإمكانها أن تساهم بالارتقاء في بناء الاقتصاد المحلي للمحافظة فضلا عن مساهمتها في بناء الاقتصاد الوطني.

مشكلة البحث: رغم امتلاك محافظة كربلاء لإمكانيات واسعة في السياحة الدينية وما يؤديه استثمار هذه الإمكانيات بتحقيق نقله متقدمه في الاقتصاد المحلي للمحافظة وللاقتصاد الوطني عموما لكن واقع الاستثمار السياحي الديني لم ينجح في الارتقاء باستغلال هذه المعالم السياحية إلى المستوى المطلوب

فرضية البحث: إن توفير البيئة الملائمة لتشجيع الاستثمار السياحي الديني كالحوافز الحكومية وزيادة الإيراد وشيوع الأمن والاستقرار وتطوير الخدمات السياحية والإدارية في محافظة كربلاء سيؤدي إلى تعظيم المنافع الاقتصادية والاجتماعية من وجود معالم السياحة الدينية

أهداف البحث: يهدف البحث إلى ما يلي:

أ- التعرف على طبيعة وأهمية مجالات الاستثمار السياحي الديني في محافظة كربلاء.

ب- الوقوف على أهمية العوامل التي تتحكم بالاستثمار السياحي الديني في محافظة كربلاء.

ج- دراسة توجهات القطاع الخاص بالعوامل المحددة للاستثمار السياحي الديني في كربلاء.

أسلوب البحث: تم اعتماد أساليب متنوعة للوصول إلى أهداف البحث حيث استخدم الأسلوب الوصفي التحليلي والاستنباطي والكمي علاوة على الدراسة الميدانية ألاستبيانيه للوقوف على طبيعة العوامل المحددة للاستثمار السياحي في كربلاء.

٥- هيكلية البحث: لتأكيد صحة الفرضية أعلاه من عدمها و للوصول إلى أهداف البحث تمّ تقسيمه إلى ثلاثة فقرات إضافة إلى الاستنتاجات والتوصيات ,إذ تضمنت الفقرة الأولى طبيعة وأهمية الاستثمارات السياحية أما الثانية قياس دالة الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء والثالثة تضمنت العوامل المؤثرة في الاستثمار السياحي الخاص في كربلاء.

أولاً: طبيعة وأهمية الاستثمارات السياحية

١- ماهية الاستثمار السياحي: يمثل الاستثمار السياحي القدرة الإنتاجية الهادفة إلى تكوين رأس المال المادي وإعداد رأس المال البشري في مجال صناعة السياحة، وزيادة تحسين طاقاته الإنتاجية والتشغيلية وتقديم أفضل الخدمات في المجالات المختلفة لهذا النشاط[2]، وهناك من يرى إن الاستثمار السياحي (هو ذلك الجزء من القابلية الإنتاجية الآتية الموجهة إلى تكوين رأس المال السياحي (المادي والبشري) بغية زيادة طاقة البلد السياحية كالفنادق والمدن السياحية... الخ[3].

١ – السياحة الدينية: زيارة الأماكن الدينية للتبرك أو الأماكن المقدسة للحج لأداء واجب ديني أو التعرف على التراث الديني لدولة ما. وتشمل السياحة المناسبات الدينية ومشاهدة المهرجانات الدينية والطقوس العبادية وتقتصر على المناطق ذات التاريخ الديني القديم الذي يجذب السياح إليه من إنحاء العالم كافه. انظر:

٢ – عامرعوديش بولص: قرارات الاستثمار وأثرها بالتنمية المالية لنشاط قطاع السياحة المختلط ,رسالة ماجستير ,كلية الإدارة والاقتصاد ,الجامعة المستنصرية, ١٩٨٩,ص٤٠.

٣ – إسماعيل محمد هاشم: المدخل الى علم الاقتصاد,دار الجامعات المصرية ,الإسكندرية ,١٩٧٢,ص٧٠.

٢- **أهمية الاستثمارات السياحية:** تعد صناعة السياحة قطاعاً إنتاجياً مهماً في اقتصاديات البلدان المتقدمة والنامية على السواء.كما إنها أسرع القطاعات الاقتصادية نموا , لطبيعتها المعقدة والمركبة وتبدو أهميتها أكثر وضوحا في الاقتصاديات أحادية الجانب حيث تعمل على تنويع مصادر الدخل القومي.وتشير إحصاءات منظمة السياحة العالمية إلى إن عوائد السياحة على المستوى العالمي زادت بمعدل بلغ ٩٪ خلال الستة عشر سنة الماضية لتصل إلى ٤٧٦ بليون دولار عام ٢٠٠٠ وفي تلك المدة زاد عدد السياح بمعدل سنوي بلغ ٤,٦٪ ليصل إلى ٦٩٨ مليون سائح[٤]. والسياحة قطاع تصديري له أهمية عالية في خدمات العالم التصديرية إذ تشكل حصتها الثلث من هذه الخدمات.

٣- **مجالات الاستثمار السياحي:** تتألف صناعة السياحة من فروع تسهم وتساعد على قيام صناعات ثانوية جانبية إذ تزيد على مئة وأربعين صناعة مرتبطة بعضها بالبعض الأخر وتؤثر في الدخل القومي وتتولد عنها استثمارات إضافية[٥]. وكلما سعى المستثمر باتجاه تحقيق الكفاءة النوعية ورسم سياسة تغير أذواق المستهلكين(السياح)، وتوجيها نحو المجالات والفرص الاستثمارية التي يتبناها أو يقوم باستغلالها مهّد له ذلك في تحقيق الكفاءة وبناء استثمارات مناسبة لطبيعة الطلب الديناميكي الذي يتسم والطلب السياحي.وبشكل عام نستطيع أن نصف مجالات الاستثمار السياحي في الأتي:

أ- **مجال الإيواء السياحي:** ويضم الفنادق Hotels والموتيلات Motels والدور السياحية الجاهزة ودور الاستراحة والمجمعات والمدن والقرى السياحية والشقق والكرفانات وغيرها من أماكن الإيواء المساعدة والتكميلية. إن صناعة الفنادق إلى جانب أهميتها من الناحية السياحية وما تقدمه للدولة من مورد هام للنقد الأجنبي هي أيضاً صناعة مهمة للقضاء على البطالة ,فهي تستثمر رأس مال واسع وأيدي عاملة كثيفة، إذ تستخدم أكثر من ١١مليون عامل على نطاق العالم.ولقد كشف بحث لمنظمة الفنادق العالمية إن هناك نسبة ١,١٦عامل لكل غرفة فندقية واحدة.

ب- **مجالات اللهو وقضاء الفراغ:** ويضم الكازينوهات والمقاهي والمطاعم والمسابح السياحية ومحطات الاستراحة السياحية وحمامات المياه المعدنية العلاجية... الخ.

ج- **مجالات النقل والمواصلات:** وتشمل الأنواع الآتية التي تكون من صميم الاستثمارات السياحية العامة والخاصة وهي:

(١)- استثمارات حكومية لإقامة مطارات مدنية وموانئ وأرصفة نهرية ومحطات للزوارق النهرية وأماكن وقوف العبارات والمراكب.

(٣)- استثمارات مخصصة لإقامة الطرق البرية المخصصة لإغراض سياحية.

(٤)- استثمارات مخصصة لإقامة نقاط بريدية واتصالات خدمية ضمن المرافق السياحية.

د- **مجال التعليم والبحث العلمي:** وتشمل الكليات والمعاهد ومراكز الدراسة السياحية والدراسات المهنية لإعداد كوادر سياحية تستهدف من ورائها تكوين كادر سياحي متقدم، إضافة إلى

---

٤ – W-T-O- World Tourism Organization Report, ٢٠٠٠

٥ – عبد المطلب محمود الخوام: العلاقة بين الاستثمارات السياحية والتأثيرات البيئية,أطروحة دكتوراه,كلية الإدارة والاقتصاد,الجامعة المستنصرية,٢٠٠١,ص٥.

البعثات والزمالات الدراسية، والتعاقد مع المنظمات السياحية لغرض تدريب الكوادر واستضافة الخبراء السياحيين للإفادة من خبراتهم السياحية.

هـ- مجال الإدارة السياحية التكميلية[٦] : ويشمل إنشاء البنايات والعمارات والدوائر المخصصة للمرافق السياحية وصيانة هذه البنايات و مستلزمات العمل الإداري كافة من أجهزة ومعدات وحاسبات وشبكات اتصال ولوازم أخرى...الخ.

و- مجال الترويج والإعلام السياحي: ويضم مراكز الاستعلامات والخدمات السياحية ومكاتب الحجز السياحي وكل النفقات المخصصة لطبع الكراسات والبوسترات السياحية عن الدول وعن معالمها السياحية وما يستلزم خدمة الإعلام السياحي.

ز- مجال المسح السياحي: ويعني كل النفقات التي تخصص لأغراض عمليات المسح السياحي وما يرافقها من أنفاق أخر لنجاح الإحصاء السياحي سواء كان للمشاريع السياحية أو للسياح القادمين ولبيان أرائهم ودراسة مقترحاتهم.

٤- تمويل الاستثمارات السياحية: يتم تمويل الاستثمارات السياحية من المصادر التالية:

أ- المجموعة الأولى: وتضم الاستثمار المحلي و ما ترصده الحكومة من تخصيصات مالية أضافه إلى استثمارات الهيئات الاجتماعية وجمعيات العمال والجمعيات التعاونية والنقابات المهنية وعلى استثمارات القطاع الخاص السياحية.

ب- المجموعة الثانية: وهي المصادر المتعددة الأطراف كالبنك الدولي وهيأة التمويل الدولية.

ج- المجموعة الثالثة: وتتمثل بالاتفاقيات الثنائية وتكون على شكل قروض طويلة الآجل وبفائدة منخفضةٍ وترتبط بشرط استخدام القرض لشراء بضاعة بقيمة القرض من البلد المقرض.

د- المجموعة الرابعة: وهم المستثمرون الأجانب ومن أمثلتهم شركات الفنادق العالمية فمنها ما يساهم في رأس المال أو في الإدارة والتشغيل.

٥- حوافز الاستثمار في المشروعات السياحية

تحظى السياحة في دول العالم باهتمام الحكومات سواءاً لجذب المزيد من السائحين أو توفير فرص عمل للأفراد. وقد تضمنت قوانين تحفيز الاستثمار المتعاقبة نصوصاً صريحة لتشجيع الاستثمار في مجالات السياحة كذلك فإن الحكومة توفر حوافز أخرى جاذبة للمستثمرين في مجالات السياحة والفندقة من خلال توفير الأراضي في المناطق السياحية للبلاد بأسعار مغرية مخّفضة. ناهيك عن الخدمات في المرافق العامة التي تمثل حافز إيجابي، ولا شك إن مثل هذه الحوافز تمثل عبأً على ميزانية الدولة لكنها عامل مشجع للاستثمار[٧]. ومن هذه الحوافز:

أ- الإعفاءات الضريبية: تقدم بعض الدول إعفاءات ضريبية بشكل كامل لمدة معينة وبعدها تقرر إعفاءات ضريبية جزئية في السنوات اللاحقة. ففي سوريا مثلاً تعفى الفنادق ومنشآت المدن

٦- إسماعيل الدباغ: الاستثمار السياحي وأثره على التنمية الاقتصادية في العراق ,رسالة ماجستير ,كلية الإدارة والاقتصاد ,١٩٧٩,ص١٢٠.

٧- د. محمد البناء: اقتصاديات السياحة , القاهرة , الطبعة الأولى , ١٩٩٨ , ص١٢٢.

السياحية والمطاعم والخدمات السياحية الأخرى من ضرائب الترخيص الواجبة عليها لمدة سبع سنوات اعتباراً من بدء الاستثمار كذلك تعفى ضريبة الدخل بنسبة ٥٠٪ من الأرباح الصافية[٨(٣)].

ب- الإعفاءات الجمركية: تقوم عدد من الدول بمنح إعفاءات جمركية للمواد المستوردة لإنشاء وتجهيز المنشآت السياحية والفندقية إذ نجد مثلاً القرار ١٨٦ الصادر من المجلس الأعلى للسياحة في سوريا سمح باستيراد المواد وإعفائها من جميع الرسوم.

ج- تقديم مزايا للاستثمار في القطاع السياحي: تحاول الدول اجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار في مجال السياحة فتقوم بتقديم حوافز متنوعة للمستثمرين، وأكثر ما يحرك رؤوس الأموال الأجنبية هو الأمان، السيولة، والعائد. إذ لا يمكن أن يأتي مستثمر إلى دولة قبل دراستها وإسقاط هذه العوامل عليها فيدرس الوضع ويحدد المكان الملائم للاستثمار. وهل يتمتع بعوامل الاستقرار السياسي لاستثماره من المصادرة أو التأميم المفاجئ!. وتؤثر الإجراءات والقوانين والقواعد المنظمة لعمل القطاع السياحي في قرار المستثمر بشكل كبير. كذلك يعد وجود البنى التحتية الجيدة من العوامل المساعدة في جذب الاستثمارات ويمكن إحداث قاعدة بيانات حول الاستثمار السياحي في دولة ما تبين القوانين والتسهيلات اللازمة للاستثمار في المجال السياحي وتلعب دوراً مهماً في جذب الاستثمارات إذ أن التسهيلات يمكن أن لا تكون معروفة عند المستثمرين، ويمكن أن تحتوي قاعدة البيانات على خارطة الاستثمار السياحي وتحدد له مواقع وجدوى تلك المنشآت.

ثانيا:قياس دالة الاستثمار السياحي وتحليلها في محافظة كربلاء

١- تحديد المؤشر الأساس لقياس تطور الاستثمار السياحي في كربلاء

من المعتاد أن يتم استخدام المقياس النقدي أي مقدار المبالغ المنفقة على الاستثمار لقياس دالة الاستثمار إلا أن عدم وجود أرقام عن بيانات الاستثمار الحكومي لاسيما بعد إلغاء المؤسسة العامة للسياحة عام ١٩٨٧ الأمر الذي اضطر إلى استعمال مؤشر الطاقة الإيوائية أو ما يسمى بالطاقة الاستيعابية إذ يستخدم السرير كمؤشر رئيسي لقياس تلك الطاقة.

٢- الاتجاه العام لأعداد الأسرة في فنادق كربلاء:

سيتم استخدام النموذج اللوغارتمي في التحليل ومن بيانات الجدول(١)ومعادلة الأنموذج يتضح الآتي:

$$Y = a + bx$$

إذ إن:

Y: تمثل أعداد الأسرة (المتغير التابع)

a: الحد الثابت

b: معامل الانحدار

٨- وزارة السياحة والآثار السورية: قرار المجلس الأعلى رقم ٨٦ لسنة ١٩٨٥.

x: السنة (المتغير المستقل)

و بتعاملنا مع السلسلة الزمنية بأرقام متسلسلة حصلنا على المعادلة الآتية:

$$Y = 4.28 + 1.62\ X$$

وبناء على ذلك فان أعداد الأسرة لعام ٢٠٠٥ يكون:

$$Y = 19054.6 + 3645.4 = 22700$$

ولغرض الحصول على تقدير لسنة (٢٠٠٥) يكون الآتي:

$$Y = 19054.6 + 5905.6 = 24960$$

وهذا الرقم منطقي وينسجم مع السلسة الزمنية لتطور أعداد الأسرة في محافظة كربلاء.

وبعد إخضاع ألا نموذج إلى الاختبارات أتضح إن قيمة (F) المحسوبة تبلغ (١١,٥٦) والذي يدل على إن للعامل الزمني تأثير واضح في عدد الأسرة.

جدول (١)

تطور أعداد أسرة الفنادق السياحية في كربلاء للمدة (١٩٨٩- ٢٠٠٤) (سرير)

السنة	العامل الزمني X	أعداد الأسرة Y
١٩٨٩	١	٩١٩
١٩٩٠	٢	٧٣٨
١٩٩١	٣	١١٥
١٩٩٢	٤	١٧٥
١٩٩٣	٥	١٩٩
١٩٩٤	٦	٢٧٧
١٩٩٥	٧	٣٩٠
١٩٩٦	٨	٦٨٩
١٩٩٧	٩	٨٦٥
١٩٩٨	١٠	١٣١٥
١٩٩٩	١١	٥١٦٣
٢٠٠٠	١٢	١١٨٧٤
٢٠٠١	١٣	١٣٦٢٢
٢٠٠٢	١٤	٢٠٣٣٣
٢٠٠٣	١٥	٢٢٧٠١
٢٠٠٤	١٦	٢٤٢٦٣

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على البيانات المقدمة من الجهاز المركزي للإحصاء للأعوام ١٩٨٩ – ٢٠٠٤ بواسطة شعبة سياحة كربلاء.

٣- تحليل بعض مؤشرات الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء

للوقوف على المؤشرات المتوافرة عن صناعة السياحة في محافظة كربلاء وبيان تحليل أسباب الارتفاع والانخفاض , وفي ضوء عدم توافر معلومات إحصائية وبيانات عن العوامل المحددة للاستثمار تم بناء دالة الاستثمار في محافظة كربلاء على أحد مخرجات الاستثمار السياحي وهو عدد الأسرة.

أما المتغيرات المؤثرة في هذا العامل فهي عدد ليالي المبيت وأعداد السياح والإيرادات للصناعة الفندقية مع الأخذ بنظر الاعتبار متغيراً مهماً وهو سعر الصرف للدينار العراقي مقابل الدولار لقياس مدى تأثيره على زيادة رغبة المستثمر بالاستثمار.

كذلك تم استخدام متغير نوعي من المتغيرات الوهمية متمثلاً بالوضع الأمني , وفيما يأتي تحليل لبعض العوامل الداخلة في بناء النموذج القياسي وقد جعلنا مدة الدراسة من عام ١٩٨٩ إلى عام ٢٠٠٤ على شكل مدد بحسب مجريات الارتفاع والانخفاض لكي تسهل عملية المراقبة , لبيان حالات الخلل والنجاح وأسباب كل منهم وتأثيراته على الاستثمار السياحي

أ- عدد الأسرة: يلاحظ إن أعداد الأسرة قد مرت بحالة تذبذب , إذ اتسمت خلال المدة من ١٩٨٩ – ١٩٩٣ بالانخفاض وكان نموها سالباً وبلغ النمو المركب(٢٦,٣٦ ٪) وبتغير مطلق (٧٢٠)سرير وبنسبة تغير (٧٨,٣ ٪) ويعود هذا إلى إن هذه السنوات جاءت بعد حرب الخليج الثانية وما تلاها من أحداث انعكست في تهديم الأبنية والفنادق المحيطة بالحرمين الشريفين يضاف إليها الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق الأمر الذي جعل من الانخفاض حالة طبيعية وفق هذه الظروف.

أما المدة الواقعة بين عام ١٩٩٤ إلى عام ١٩٩٧ شهدت ارتفاعا ويعود السبب إلى إن الحكومة العراقية من بداية شهر نيسان عام ١٩٩٤ أصدرت قرارات إلى السفارات في الخارج بتسهيل إعطاء تأشيرات الدخول للسياح وكانت الجنسية اللبنانية سباقة في السياحة الوافدة إلى كربلاء أعقبتها زيارة سلطان البهرة إلى كربلاء الذي التحق به أكثر من ١٤٠٠٠ سائح في شهر آب / ١٩٩٤ , وهو ما شجع أصحاب الصناعة الفندقية على الاستثمار وترميم المتضرر منها. و تزامن هذا مع صدور قرار تأسيس هيأة السياحة لسنة ١٩٩٦ وانعكس ذلك على نمو مركب بلغ (٣٢,٩٣ ٪) وبتغير مطلق (٥٨٨) سرير وبنسبة تغير (٢١٢,٢٧ ٪) وهي أعلى نسبه قياساً بسنوات الدراسة جميعاً.

أما المدة من ١٩٩٨ – ٢٠٠٢ وهي التي تميزت بأعلى نسبة نمو مركب خلال مدة الدراسة إذ بلغ (٧٢,٩٢ ٪) وبتغير مطلق بلغ (١٩٠٨١) سرير وبنسبة تغير(١٤٤٦,٢٪) وكان هذا الارتفاع بداية عمل شركة الهدى للسياحة الدينية وكانت هذه المدة الذهبية لمحافظة كربلاء إذ تمثلت بإبرام شركة الهدى عقود مع شركة نسيم الصباح الإيرانية على استقدام مجاميع سياحية إيرانية إلى العراق وبمبلغ ٥٥٠ دولار لكل فرد ولمدة سبعة أيام.

أما المدة من ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ تميزت بأعلى أعداد للأسرة بلغ أعدادها لسنة ٢٠٠٣ , ٢٠٠٤ وفق الأرقام الصادرة من هيأة السياحة / شعبة سياحة كربلاء نحو (٢٢٧٠١ , ٢٤٢٦٣) سرير على التوالي وكان بمعدل نمو مركب (٣,٣٨ ٪) وبتغير مطلق بلغ(١٥٦٢)سرير وبنسبة تغير بلغت (٦,٨٪) وهذا ناتج عن ظروف الانفتاح التي تميزت بها السياحة الدينية بعد ٩ / ٤ /٢٠٠٣وهذه الزيادات جاءت نتيجة لتوافد السياح ولا ينكر إن الأسلوب الذي توافد به السياح لا يخلو من الفوضى والتدابير الغير مبرمجة لكنه عكس الواقع الحقيقي للطلب السياحي ولولا أحداث عاشوراء في نيسان / ٢٠٠٤ لما توقفت هذه

السيولة السياحية. وبالمقابل كانت هناك رغبة كبيره بالاستثمار السياحي سواء بإنشاء الفنادق او الشقق وأماكن تقديم الخدمة السياحية. ولقد كان معدل النمو الإجمالي لعدد الأسرة خلال مدة الدراسة (١٩٨٩ – ٢٠٠٤)هو (٢٢,٧٠ ٪).

جدول (٢)

أعداد الأسرة في فنادق محافظة كربلاء لسنوات مختارة

المدة من – إلى	أعداد الأسرة من – إلى	النمو المركب* ٪	التغير المطلق (سرير)	نسبة التغير** ٪	الزمن t
١٩٨٩ – ١٩٩٣	٩١٩ – ١٩٩	(٢٦,٣٦)***	(٧٢٠)	(٧٨,٣)	٥ سنة
١٩٩٤ – ١٩٩٧	٢٧٧ – ٨٦٥	٣٢,٩٣	٥٨٨	٢١٢,٢٧	٤ سنة
١٩٩٨ – ٢٠٠٢	١٣١٥ – ٢٠٣٣٣	٧٢,٩٢	١٩٠١٨	١٤٤٦,٢	٥ سنة
٢٠٠٢ – ٢٠٠٤	٢٢٧٠١ - ٢٤٢٦٣	٣,٣٨	١٥٦٢	٦,٨٨	٢ سنة
معدل النمو الإجمالي = ٢٢,٧٠					

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على بيانات وزارة التخطيط – دائرة إحصاء كربلاء.

❖ تم حساب معدل النمو المركب بحسب القانون الآتي: $r = \left[\left(\frac{Y1}{Y0}\right)^{\frac{1}{t}} - 1\right] \times 100$

❖❖ تم حساب نسبة التغير على النحو الآتي:

$$N = \frac{Y_t - Y_o}{Y_o} \times 100$$

❖❖❖ القيم التي بين الأقواس هي قيم سالبة.

ب- عدد ليالي المبيت: يعد عدد ليالي مبيت السياح في الفنادق احد المؤشرات لحجم الإيرادات المتحصلة وهو الحافز الحقيقي للاستثمار السياحي. فالجدول (٣) يشير إلى تذبذب عدد ليالي المبيت وهو مرهون بمدة الإقامة ورغبة السائح بالبقاء ومرتبط مباشرة بعوامل تخص السائح شخصياً ومستواه الاقتصادي أو بالظروف الأمنية السياسية للبلد وأسلوب تعامل الشارع العراقي مع السائح وعلاقته به.

ففي المدة من ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣ عدت سنة ٨٩ ـ ٩٠ مدة استقرار أمني واقتصادي وشهدت زيادة في أعداد السياح والإيرادات وليالي المبيت حتى بداية حرب الخليج الثانية في ١٩٩١/١/١٧.إذ بدأ مسلسل انخفاض قدوم السياح للظروف الأمنية من جهة وانغلاق العراق سياسياً واقتصادياً من جهة ثانية , هذا بالنسبة للسياح الوافدين من الخارج , أما بالنسبة للسياح العراقيين فكان العامل الاقتصادي

وظروف المعيشة الصعبة وانخفاض مستوى دخل الفرد نتيجة الحصار الاقتصادي إضافة إلى الظروف الأمنية التي تعيشها مدينة كربلاء قللت القادمين من السياح العراقيين للسياحة الدينية في كربلاء.

ولذلك فإن النمو المركب لهذه المدة كان سالباً إذ بلغ (٣٦,٦٩ ٪) وبتغير مطلق وصل (-٨٣٦٤٥) ليله ونسبة تغير بلغت (- ٨٩,٨٣ ٪).

أما المدة المحصورة بين ١٩٩٤ – ١٩٩٦ شكلت نسبة ارتفاع قياساً إلى المدة السابقة في الدراسة بلغت (٦٦ ٪) وبتغير مطلق وصل(٣١٠٩٠)ليله وبنسبة تغير(٣٥٨ ٪) , وقد بدأت خلالها حركة السياحة الدينية وتم تأسيس هيأة السياحة وتحسّن مستوى الأفراد الاقتصادي عن طريق قبول العراق بمذكرة التفاهم وازدادت الرغبة لدى السياح العراقيين على السياحة الداخلية , إضافة إلى السماح للسائحين السعوديين بدخول العراق وبذلك زادت خلال هذه المدة عدد ليالي المبيت.

أما ا لمدة (١٩٩٧- ٢٠٠٢) فتسمى بعنفوان السياحة الذهبية في كربلاء بالنسبة للإيرانيين وفيها اقترنت أعداد ليالي المبيت مع أعداد السياح الوافدين من الجنسية الإيرانية بالأخص, حيث كانت مدة الإقامة في كربلاء مقررة بحسب جدول الاتفاق لشركة الهدى (٢) ليلة.

وقد شكلت هذه المدة نسبة نمو مركب بلغت (٧٧,٧٢ ٪) وبتغير مطلق بلغ(٩٤٨٨٨٢) ليلة وبنسبة تغير بلغت (٣٠٩٤ ٪).أما المدة الأخيرة من الدراسة وهي التي تلت سقوط النظام وفتح الحدود على مصارعها بدون ضوابط فقد بلغت عدد ليالي المبيت لسنة ٢٠٠٣ ولستة أشهر الأخيرة (٣٩٦٧٥٢٦) ليلة. وإذا ما قورنت بسنة ٢٠٠٢ البالغة (٩٧٩٥٤٢) ليلة فنجد إن هناك نمواً مركباً بلغ (٣٠٥ ٪) وبتغير مطلق وصل(٢٩٨٧٩٨٤) ليلة.ألا أن الظروف الأمنية التي عاشتها محافظة كربلاء وسميت بأحداث عاشوراء/ ٢٠٠٤ , أدت إلى انقطاع السياح وانخفاض عدد ليالي المبيت لسنة ٢٠٠٤ والذي بلغ (٢٩٩١٥٥٩)ليله ليشكل نسبة نمو مركب سالب بلغ (١٣,١٦٪) مع تغير مطلق وصل إلى (٩٧٥٩٦٧)ليله ونسبة تغير بلغت (٢٤,٥٩ ٪)، أما معدل النمو الإجمالي لمجمل المدة فقد بلغ نحو (٢٤,٢١ ٪)

جدول (٣)

تطور عدد ليالي مبيت السياح في كربلاء للمدة (١٩٨٩- ٢٠٠٤)

السنوات	عدد ليالي المبيت (ليلة)		النمو	التغير المطلق (ليلة)	نسبة التغير ٪	الزمن t
	من	إلى				
١٩٨٩-١٩٩٣	٩٣١٠٩	٩٤٦٤	(٣٦,٦٩) (*)	(٨٣٦٤٥)	(٨٩,٨٣)	٥ سنة
١٩٩٤-١٩٩٦	٨٦٨٠	٣٩٧٧٠	٦٦,٠٠	٣١٠٩٠	٣٥٨	٣ سنة
١٩٩٧-٢٠٠٢	٣٠٦٦٠	٩٧٩٥٤٢	٧٧,٧٢	٩٤٨٨٨٢	٣٠٩٤	٦ سنة
٢٠٠٣-	٣٩٦٧٥٢٦	٢٩٩١٥٥٩	(١٣,١٦)	(٩٧٥٩٦٧)	(٢٤,٥٩)	٢

٢٠٠٤						سنة
معدل النمو الإجمالي	٢٤,٢١					

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على بيانات وزارة التخطيط / إحصاء الفنادق وبيانات هيأة السياحة / شعبة سياحة كربلاء.

(*) الأرقام التي بين الأقواس هي قيم سالبة.

ج- سعر صرف الدينار العراقي: استخدم هذا المؤشر لحساسية المستثمر والسائح تجاهه. فتحسن قيمة الدينار يزيد الرغبة لدى المستثمر المحلي في الاستثمار رغم انه قد يؤدي إلى عزوف جمهور السياح الخارجيين على تمديد مدة إقاماتهم.

ويتبين في الجدول (٤) إن معدل النمو المركب لسعر الصرف للدينار العراقي إزاء الدولار في قسم من المدد قد اتسم بالانخفاض ولم يأخذ بالارتفاع أو الثبات إلا بعد سقوط النظام , ففي المدة من ١٩٨٩ – ١٩٩٥ بلغ معدل النمو المركب (٦٥, ١٣٥٪) وهو أعلى مستويات النمو المركب خلال مدة الدراسة وبتغير مطلق بلغ ١٦٧٠ دينار والذي يعني إن هذه المدة هي من أحلك وأصعب الفترات التي مر بها الدينار العراقي , وبنسبة تغير بلغت(٤١٤٥٠ ٪).

أما المدة المحصورة بين أعوام (١٩٩٦ – ١٩٩٩) والتي أعقبت توقيع العراق لمذكرة التفاهم فقد تحسن الدينار العراقي بعض الشيء لكن زيادة الكميات المعروضة من الدينار سارعت في تراجعه مرة أخرى. إذ وصلت الأسعار إلى (٩٧٢) دينار للدولار الواحد لسنة ١٩٩٩ وبنمو مركب بلغ (١٣,٩٤ ٪) وبتغير مطلق بلغ ٨٠٢ وبنسبة تغير بلغت (٦٨,٥٤ ٪). أما المدة المحصورة بين ٢٠٠٠ – ٢٠٠٢ والتي وصل فيها الدولار بين (٩٣٠ – ١٩٥٧) دينار للدولار الواحد فلم تكن أحسن حال من السنوات التي سبقتها وحاول الدينار الإبقاء على هذا المعدل فبلغ النمو المركب (٠,٤٦ ٪) وبتغير مطلق بلغ (٢٧) ديناراً وبنسبة تغير بلغت (١,٣٩ ٪).وخلال المدة ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ وصل سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار لشهر نيسان / ٢٠٠٣ إلى (٣٥٠٠) دينار للدولار الواحد وتراجع في مايس / حزيران إلى(١٤٤٣) بعد إعلان انتهاء الحرب وكان هناك نمو مركب سلبي بين هاتين السنتين بنسبة(٦,٧ ٪ وبتغير مطلق بلغ (- ٤٧٠)دينار وبنسبة تغير بلغت(٢٤,٣٥ ٪) ليصبح سعر الصرف للدينار العراقي شبه مستقر بناء على سياسات البيع بالمزاد العلني التي يستخدمها البنك المركزي العراقي للمحافظة على الأسعار.

كما بلغ معدل النمو المركب الإجمالي لسعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي طوال مدة الدراسة نحو (٤٤,٥٩ ٪).

جدول(٤)
معدلات أسعار صرف الدينار إزاء الدولار
للمدة (١٩٨٩ – ٢٠٠٤)

السنوات	سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي		النمو المركب ٪	التغير المطلق (دينار)	نسبة التغير ٪	الزمن t
٨٩ – ١٩٩٥	٤	١٦٧٤	١٣٥,٦٥	١٦٧٠	٤١٧٥٠	٧ سنة
٩٦ – ١٩٩٩	١١٧٠	١٩٧٢	١٣,٩٤	٨٠٢	٦٨,٥٤	٤ سنة
-٢٠٠٠ ٢٠٠٢	١٩٣٠	١٩٥٧	٠,٤٦	٢٧	١,٣٩	٣ سنة
-٢٠٠٣ ٢٠٠٤	١٩٣٠	١٤٦٠	(٦,٧)(*)	(٤٧٠)	(٢٤,٣٥)	٢ سنة
معدل النمو الإجمالي			٤٤,٥٩			

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على بيانات البنك المركزي العراقي , نشرة مستلة من الانترنيت في موقع البنك المركزي. ((www.cbiraq.org.

(*) القيم التي بين الأقواس هي قيم سالبة.

د- عدد السياح: يبين الجدول(٥) إن تقسيم المدد المبينة فيه جاء بناءاً على حركات الارتفاع والانخفاض في عدد السياح وهذه الحركات جاءت نتيجة الظروف التي أحاطت بسنوات الدراسة.

فالسائح هو المادة الحقيقية لصناعة السياحة ولولا رغبة السائح لما كانت هناك صناعة سياحة , ففي المدة من ١٩٨٩ – ١٩٩٠ التي تميزت باستقرار امني وسياسي ازداد عدد السياح قياساً إلى أعداد الأسرة المتوافرة وقد وصل أعداد السياح لسنة ١٩٩٠حولي (٢١٨٦١) سائحاً وبنمو مركب بلغ (٦,٣ ٪) وبتغير مطلق (٢٥٦٧)سائح وبنسبة تغير بلغت (١٣,٣٠ ٪). الا إن المدة التي تلت حرب الخليج الثانية والحصار الاقتصادي على العراق وضعف الحالة الاقتصادية للمواطن العراقي وانقطاع العراق سياسياً واقتصادياً خلال المدة من ١٩٩١ – ١٩٩٤ , أدت إلى انخفاض عدد السياح قياساً بالمدة التي سبقتها إلى (٢١٦٠)سائح ليعاود الصعود مرة أخرى بحركة بطيئة وصلت إلى (٢٨٠٠)سائح وليسجل معدل نمو مركب (٦,٧ ٪) وبتغير مطلق (٦٤٠) سائح وبنسبة تغير (٢٩,٦٢ ٪)

اما المدة من (١٩٩٥ – ١٩٩٧) يلاحظ فيها جانبان مهمان هما إن أدنى سعر صرف للدينار العراقي مقابل الدولار وصل إليه كان عام ١٩٩٥ و كان هذا عاملاً مساعداً للسائحين الخليجيين بالتحديد على القدوم وزيادة مدة الإقامة.

أما الجانب الثاني فهو تحسن الظروف المعيشية لقبول العراق بمذكرة التفاهم وانخفاض مستوى الأسعار عموماً انعكس في ذلك زيادة أعداد السائحين من (١٤٣٤٤) سائحاً لسنة ١٩٩٥ عنه في عام ١٩٩٤ والبالغ (٢٨٠٠) سائحاً ولينخفض مرة أخرى لسنة ١٩٩٧ حيث شكل نسبة نمو مركب سالب بلغت (٣,٧ ٪) وبتغير مطلق بلغ (- ١٥٦٩) ونسبة تغير بلغت (- ١٠,٩٣ ٪).

أما المدة من ١٩٩٨ – ٢٠٠٢ وهي فترة رواج السياحة الدينية والصناعة الفندقية تمثلت باستيراد المجاميع السياحية عن طريق شركة الهدى للسياحة الدينية وببرامج سياحية لمدة سبعة أيام كانت حصة كربلاء منها(٢) ليلة وبواقع (٨٥٠) سائحاً يومياً لمدة(٣٥٠) يوم سنوياً وللسنوات من ٢٠٠١ – ٢٠٠٢.

ولقد بلغت نسبة النمو المركب لهذه المدة (٤٩,٤٣ ٪) وهي أعلى نمو لطول مدة الدراسة قدر تعلق الأمر بهذا المؤشر وبتغير مطلق بلغ (٢٩٨١٠٦) سائح وبنسبة تغير (٠,٦٤٥,٢ ٪) وقد توقفت هذه المجاميع نهاية كانون الثاني / ٢٠٠٢ , اما المدة المحصورة بين (٢٠٠٣ – ٢٠٠٤) تميزت بالفوضى السياحية في نظر السياحيين التخصصين لأنها لم تكن تعتمد على آلية سياحية منظمه. إذ تميزت بدخول أعداد كبيرة من السياح وخاصة من الجنسية الإيرانية الذين يعدون احد الأسواق المستهدفة للسياحة الدينية إذ بلغ أعدادهم (٥٣٨٢١٨) سائح أي بزيادة مطلقة وصلت (١٩٣٩١٢) سائح عام ٢٠٠٣ قياساً بعام ٢٠٠٢ البالغة (٣٤٤٣٠٦) سائح وبنمو مركب بلغ (٥٦ ٪). أما المدة بين ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ فكانت أعداد السياح تتراوح من (٥٣٨٢١٨ – ٤١٥٩٣٧) سائح ثم انخفضت الأعداد للظروف غير الطبيعية التي مرت بها كربلاء بسبب تفجيرات عاشوراء / ٢٠٠٤ وكانت سبباً للانخفاض وبذلك كان معدل النمو سالب (١٢,٠٩ ٪) وبتغير مطلق وصل(١٢٢٢٨١)سائح وبنسبة تغير (- ٢٢,٧ ٪).

جدول (٥)

تطور أعداد السائحين الوافدين إلى كربلاء للمدة (١٩٨٩- ٢٠٠٤)

السنوات	عدد السياح (سائح)		النمو المركب ٪	التغير المطلق (سائح)	نسبة التغير ٪	الزمن t
٨٩- ١٩٩٠	١٩٢٩٤	٢١٨٦١	٦,٣	٢٥٦٧	١٣,٣٠	٢ سنة
٩١- ١٩٩٤	٢١٦٠	٢٨٠٠	٦,٧	٦٤٠	٢٩,٦٢	٤ سنة
٩٥- ١٩٩٧	١٤٣٤٤	١٢٧٧٥	(٣,٧)(*)	(١٥٦٩)	(١٠,٩٣)	٣ سنة
٩٨- ٢٠٠٢	٤٦٢٠٠	٣٤٤٣٠٦	٤٩,٤٣	٢٩٨١٠٦	٦٤٥,٢٥	٥ سنة
٢٠٠٣- ٢٠٠٤	٥٣٨٢١٨	٤١٥٩٣٧	(١٢,٠٩)	(١٢٢٢٨١)	(٢٢,٧١)	٣ سنة
معدل النمو الإجمالي		٢١,١٥				

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على بيانات وزارة التخطيط / دائرة إحصاء الفنادق وبيانات / هيأة السياحة / شعبة سياحة كربلاء.

(*) القيم السالبة تم حصرها بين قوسين.

هـ- الإيرادات: إن الإيرادات وما يسمى بالمردود المادي المرتقب من الاستثمار يعد احد العوامل المهمة والمحددة للاستثمار السياحي.

ومن ملاحظة بيانات الجدول (٦) تظهر الإيرادات بالأسعار الثابتة لسنة ١٩٨٨ لأبعاد اثر ظاهرة التضخم على قيم الإيرادات وخاصة للمدد التالية لعام ١٩٩١ , ففي المدة المحصورة بين ١٩٨٩ – ١٩٩٣ نرى إن هناك نمواً مركباً سالباً بلغ (٤٦,٩٢ ٪) وبتغير مطلق بلغ (- ٣٩٠) ألف دينار وبنسبة تغير بلغت (- ٩٥,٥ ٪),نتيجة لحرب الخليج الثانية وما لحق بالعراق من حصار اقتصادي وسياسي أسهم في عدم مجيء السياح إلى العراق وانخفاض الإيرادات.

اما المدة من ١٩٩٤ – ١٩٩٨ شهدت نمواً مركباً وصل إلى (٤٨,٧٥ ٪) وبتغير مطلق بقيمة (٤٦٥) ألف دينار وبنسبة تغير بلغت (٦٢٨,٣ ٪) نتيجة لبدء حركة سياحية دينية في كربلاء مع قدوم اللبنانيين والسعوديين وطائفة البهرة ثم أعقبها تأسيس هيأة السياحة وتأسيس شركة الهدى لتأخذ حصة كبيرة في توريد المجاميع السياحية إلى كربلاء.

أما المدة الممتدة من ١٩٩٩ – ٢٠٠٢ يلاحظ إنها مثلت العصر الذهبي للصناعة الفندقية , إذ كانت الإيرادات (١,١١٩) مليون دينار سنة ١٩٩٩ ثم ارتفعت إلى(٨,٤٠٩)مليون دينار بالأسعار الثابتة ليشكل أعلى نسبة نمو مركب على طول مدة الدراسة لهذا المؤشر إذ بلغ (٦٥,٥٦ ٪) وبتغير مطلق وصل إلى (٧٢٩٠٠٠٠) دينار وبنسبة تغير بلغت (٦٥١,٤ ٪). وخلال المدة من ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ والمبتدئة بعد ٩\٤\٢٠٠٣ فأن أرقام الإيرادات قد أثرت على موازين السلع في كربلاء ومنها العقارات التي أصبحت توازي أرقام الإيرادات المتحصلة من الصناعة الفندقية لتكون خلال ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ ما مجموعه بالأسعار الثابتة نحو (١٠٥٨٨٠٠٠٠) دينار و ٦٠٠٤٢٠٠٠) دينار على التوالي. وبنمو مركب سلبي بلغ (٢٤,٦٩ ٪) وبتغير مطلق بلغ(٤٥٨٣٨٠٠٠) دينار وبنسبة تغير بلغت (٤٣,٣٢ ٪) والسبب في هذا الانخفاض هو التفجيرات في كربلاء التي حصلت في شهر عاشوراء / ٢٠٠٤.

جدول (٦)

تطور إيرادات الفنادق السياحية في كربلاء للمدة (١٩٨٩ – ٢٠٠٤)

السنوات	الإيرادات بالأسعار الثابتة (ألف دينار)		النمو المركب ٪	التغير المطلق ألف دينار	نسبة التغير ٪	الزمن t
٨٩ – ١٩٩٣	٤٠٨	١٨	٤٦,٩٢(*)	(٣٩٠)	(٩٥,٥٨)	٥ سنة
٩٤ – ١٩٩٨	٧٤	٥٣٩	٤٨,٧٥	٤٦٥	٦٢٨,٣	٥ سنة
٩٩ – ٢٠٠٢	١١١٩	٨٤٠٩	٦٥,٥٦	٧٢٩٠	٦٥١,٤	٤ سنة
٢٠٠٣-٢٠٠٤	١٠٥٨٨٠	٦٠٠٤٢	(٢٤,٦٩)	(٤٥٨٣٨)	(٤٣,٣٢)	٢ سنة
معدل النمو الإجمالي		٣٦,٦١				

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على بيانات وزارة التخطيط للسنوات ١٩٨٩ – ١٩٩٥ وهيأة ضرائب كربلاء للسنوات من ١٩٩٦ – ٢٠٠٣ وشعبة سياحة كربلاء للسنة ٢٠٠٤.

(*) القيم التي بين الأقواس هي قيم سالبة.

٤- توصيف النماذج القياسية: إن عملية تحديد المتغيرات الأساسية المؤثرة في الظاهرة المدروسة تعد خطوة مهمة لإعداد النماذج القياسية وتكوينها، ونظراً لتعذر الحصول على قيم المتغيرات الخاصة بالعوامل المحددة للاستثمار السياحي تم بناء دالة الاستثمار السياحي في كربلاء على ما يأتي:

أ- المتغيرات الداخلية (المعتمدة): تم اعتماد عدد الأسرة كمتغيراً معتمداً (y) إذ عد احد مخرجات أو ثمرة الاستثمار السياحي في كربلاء.

ب- المتغيرات الخارجية (المستقلة): ويقصد بها المتغيرات التي تؤثر في عملية الاستثمار الذي اتخذ عدد الأسرة Y دلالة له وهي:

(١) متغير الأمن والاستقرار: استخدم هذا المتغير لأن السياحة بشكلٍ عام والاستثمار السياحي بشكلٍ خاص تتأثر مباشرة بالوضع الأمني والاستقرار السياسي للبلد لذلك عدتّ السنوات ١٩٨٩ و ١٩٩٠ سنوات استقرار وأعطيت رقم (١) أما بقية السنوات فقد أعطيت صفراً وعدت سنوات عدم استقرار ويرمز لها (X_1).

(٢) عدد ليالي المبيت: ويرمز له بالرمز (X_2).

(٣) سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار: ويرمز له (X_3).

(٤) عدد السياح: وهو المتغير المستقل الذي يرمز له (X_4).

(٥) الإيرادات: ولقد تم اعتماد هذا المتغير المستقل ويرمز له (X_5) , وتم اعتماد الأسعار الثابتة لسنة ١٩٨٨ بدلاً من الأسعار الجارية لتفادي ظاهرة التضخم التي تظهر على الأرقام الخاصة بالإيرادات للسنوات ما بعد ١٩١٩.

٥- صياغة وتقدير النماذج القياسية وتحليلها: في ضوء البيانات المتاحة عن دالة الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء للمدة من(١٩٨٩ – ٢٠٠٤) والمبينة في الجدول (٧) ومن خلال المتغيرات الداخلة في صناعة السياحة تم تحويل هذه البيانات إلى اللوغاريتمات ليتم بعد ذلك صياغة النموذج والمعادلة الخطية باللوغاريتم وعند تقديرها بواسطة الحاسوب حصلنا على المعادلة الآتية:

$$Y = F(X_1, X_2, X_3, X_4, X_5)$$

$$Y = a + b_1X_1 + b_2X_2 + b_3X_3 + b_4X_4 + b_5X_5$$

$$LnY = ٢,٦٥ + ٠,١٢٢\ X_1 + ٠,٢٢١\ LnX_2 + ٠,٠١٨٧\ LnX_3 + ٠,٦٦٥\ LnX_4 + ٠,٠٤٠\ LnX_5$$

T = ٣,٥٩ ٣,٥٨ ٣,١٩ ٣,٨١ ٤,٢٩

R^2 = ٩٧,٥٪ $\bar{R}^2$ = ٩٦,٢

F = ٧٧,٦٠ D.W = ٢,٥٥

ولغرض اختبار معنوية العلاقة بين المتغيرات المستقلة (X_1, X_2, X_3, X_4, X_5) مع المتغير التابع Y (عدد الأسرة), أجرينا اختبار F لبيان معنوية الدالة ككل فكانت قيمة F المحسوبة (٧٧,٦٠) وهي قيمة معنوية بمستوى (٠,٠١), أي إن المتغيرات المستقلة (X_1, X_2, X_3, X_4, X_5) لها تأثير معنوي على قيمة Y (عدد الأسرة). كذلك أجرينا اختبارT عند مستوى ٥٪ فكانتT الجدولية (٣,١).

ويلاحظ في هذا النموذج الارتفاع الكبير لقيمة معامل التحديد (R^2) والبالغة (٩٧,٥ ٪) ومعامل التحديد المعدل (R^2) والبالغة (٩٦,٢ ٪). إذ يفسر منطقة الانحدار هذا النموذج ما نسبته (٩٧,٥ ٪) من التغيرات الحاصلة بالمتغير المعتمد (إعداد الأسرة) وهذا يدل على قوة النموذج أعلاه في تفسير الظاهرة (٧).

ويتضح من حساب قيمة اختبار داربن وأتسن والبالغة (D.W = ٢,٥٥) فأن هذه القيمة واقعة في منطقة (القرار غير الحاسم) من خلال قياس قيمتها الجدولية والبالغة (dl=٠,٢٤٣ , du=٢,٨٢٢)على مستوى (٥٪) عليه يمكن قبول النموذج وعدم الاكتراث لهذه الحالة.إما بشأن القيمة السالبة للمقطع الصادي (الحد الثابت) والبالغة (- ٢,٦٦) فأنها تدل على عدم كفاءة إدارة العملية السياحية في قطاع السياحة , أو تبرر وجود قيم شاذة أو متطرفة في السلسلة الزمنية , إذ إن تحليل الانحدار يعتمد على الأوساط الحسابية التي تتأثر بالقيم المتطرفة ولأن الانحدار يمر من هذه الأوساط لذلك سوف تسحب إلى الأسفل وتظهر الإشارة سالبة.

جدول (٧)

المتغيرات الاقتصادية المؤثرة في دالة الاستثمار لمحافظة كربلاء بين ١٩٨٩- ٢٠٠٤ مقاسة بالأسعار الثابتة لسنة ١٩٨٨

السنوات	عدد الأسرة (سرير)	الأمن والاستقرار	عدد ليالي المبيت في الفنادق السياحية (ليلة)	سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار	عدد النزلاء (سائح)	الإيرادات (ألف دينار)
	Y	X_1	X_2	X_3	X_4	X_5
١٩٨٩	٩١٩	١	٩٣١٠٩	٤	١٩٢٩٤	٤٠٨
١٩٩٠	٧٣٨	١	٦٩٩٥٩	٦	٢١٨٦١	٢٤١
١٩٩١	١١٥	٠	٧٦٧٦	١٠	٢١٦٠	٢٧
١٩٩٢	١٧٥	٠	٩٠٨٢	٢١	٣١٣٢	٢٣
١٩٩٣	١٩٩	٠	٩٤٦٤	٧٤	٣٠٥٣	١٨
١٩٩٤	٢٧٧	٠	٨٦٨٠	٤٥٨	٢٨٠٠	٧٥
١٩٩٥	٣٩٠	٠	٢٩٢١٧	١٦٧٤	١٤٣٤٤	٢١٠
١٩٩٦	٦٨٩	٠	٣٩٧٧٠	١١٧٠	١٠٤٢٥	٧١
١٩٩٧	٨٦٥	٠	٣٠٦٦٠	١٤٧١	١٢٧٧٥	١٣٢٨
١٩٩٨	١٣١٥	٠	١٠٦٤٦٠	١٦٢٢	٤٦٢٠٠	٥٤٠
١٩٩٩	٥١٦٣	٠	١٩٩٥٠٧	١٩٧٢	٩٠٦٨٥	١١١٩
٢٠٠٠	١١٨٧٤	٠	٤٨١١٨٨	١٩٣٠	١٧٨٢١٨	٣٤٩٢
٢٠٠١	١٣٦٢٢	٠	٧١٩٢٩٦	١٩٢٩	٢٤٣٠٤٣	٧٢٦٣
٢٠٠٢	٢٠٣٣٣	٠	٩٧٩٥٤٢	١٩٥٧	٣٤٤٣٠٦	٩٤٠٩

١٠٥٨٨٠	٥٣٨٢١٨	١٩٣٠	٣٩٦٧٥٢٦	٠	٢٢٧٠١	٢٠٠٣
٦٢٠٤٢	٤١٥٩٣٧	١٤٦٠	٢٩٩١٥٥٩	٠	٢٤٢٦٣	٢٠٠٤

المصدر: (١)- ١٩٨٩ - ١٩٩٦ وزارة التخطيط / إحصاء التجارة الداخلية / إحصاء الفنادق.

(٢)البيانات للسنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠٤ من هيأة السياحة / شعبة سياحة كربلاء.

(٣)بيانات سعر صرف الدينار العراقي / البنك المركزي العراقي.

(٤)أعداد السياح و ليالي المبيت ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ من شعبة سياحة كربلاء.

(٥) إيرادات الفنادق من دائرة ضريبة كربلاء للسنوات من١٩٩٥ – ٢٠٠٢.

(٦) تم اعتماد السنوات (٨٩ - ٩٠) سنوات استقرار وأعطيت (١) بينما أعطيت للسنوات الباقية (٠) لكونها سنوات عدم استقرار.

٦- تحليل نتائج الأنموذج

في ضوء هذا الأنموذج يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

١- بالنسبة للعامل (X_1) الذي يمثل الأمن والاستقرار كانت العلاقة طردية قوية بينه وبين عدد الأسرة. ففي حالة توفر الأمن والاستقرار تزداد إعداد الأسرة بعامل (٠,١٢٢) سرير سنوياً, وفي حالة عدم الاستقرار لا توجد أي زيادة.

٢- بالنسبة للعامل (X_2) وهو عدد ليالي المبيت فالعلاقة بينه وبين إعداد الأسرة علاقة طردية وتعني إن كل زيادة في عدد ليالي المبيت بنسبة (١٪) تعقبها زيادة في عدد الأسرة بنسبة (٠,٣٤٣٪) في حالة توفر الاستقرار والأمن وبثبات العوامل الأخرى وبنسبة (٠,٢٢١٪) في ظل الظروف الاستثنائية (عدم الاستقرار).

٣- بالنسبة للعامل (X_3) وهو سعر الصرف للدينار مقابل الدولار فالعلاقة عكسية بينه وبين (Y) ويعني إن كل انخفاض في سعر صرف الدينار مقابل الدولار تعقبه زيادة في إعداد الأسرة بنسبة (٠,١٠٣٣٪) في ظل توفر الأمن والاستقرار وبنسبة (٠,٠١٨٧٪) في ظل عدم توفر الأمن والاستقرار.

٤- إما بالنسبة للعامل (X_4) وهو عدد السياح فأنه موافق لمنطق النظرية الاقتصادية والعلاقة بينه وبين أعداد الأسرة علاقة طردية وتعني إن كل زيادة بنسبة (١٪) في عدد السياح سوف تقود إلى زيادة في أعداد الأسرة بنسبة (٠,٩٩٧٪) في ظل توفر الأمن والاستقرار وعند ثبات العوامل الأخرى وبنسبة (٠,٦٦٦٪) في ظل الظروف الاستثنائية.

٥- إما بالنسبة للعامل (X_5) وهو إيرادات الفنادق فيمثل المردود المادي المرتقب من وراء الاستثمار السياحي , ويعد من أهم العوامل المحددة للاستثمار السياحي والعلاقة بينه وبين إعداد الأسرة علاقة طردية وتعني إن زيادة الإيرادات الفندقية بنسبة (١٪) في السنة تعقبها زيادة في أعداد الأسرة بنسبة (٠,٢٦١٪) في حالة توفر الأمن والاستقرار في ظل ثبات العوامل الأخرى وبنسبة (٠,٠٤٠٪) في ظل الظروف الاستثنائية.

إذن يتضح إن العامل (X_4) والذي يمثل عدد السياح كان من أهم العوامل المتحكمة في الاستثمار السياحي المتمثل بأعداد الأسرة, كونه من اكبر معاملات المرونة في النموذج وبناءً على ذلك قمنا بعزل هذا العامل وتتبعنا تأثيره في (Y) كما في النموذج اللوغارتمي الأتي:

$$Y = a + bX_4$$

وباستخدام الحاسوب حصلنا على النتيجة الآتية :

$$Y = 4.28 + 1.62 X_4$$

R^2 =٧٥,٢٨ R^2 = ٧٤,٣٨ T=٤,٣٦.....T=٣,٤٠

F = ١١,٥٦

وقد كانت (F) المحسوبة (٤٣٨,٧٩) وهي معنوية عالية وقد كان (R^2) (٩٦,٩ ٪) , وهذا يعني لو استمر الوضع في كربلاء على ما هو عليه فأن كل زيادة في إعداد السياح بنسبة (١٪) يعمل على تحقيق زيادة بنسبة (١,٦٢)٪ في إعداد الأسرة.

ثالثا: العوامل المؤثرة بالاستثمار السياحي الخاص في كربلاء

أ - وصف وتشخيص المتغيرات : ركزت استمارة الاستبيان الموزعة على المستثمرين ورجال الأعمال وأصحاب الصناعة الفندقية لبيان تأثير المتغيرات الاقتصادية في الاستثمار السياحي. إذ تشير نتائج جدول (٩) إلى ردود أفراد العينة بشأن عناصر المتغيرات المبينة في الاستمارة وهي : العامل الإداري - العامل الديني – نوع الاستثمارات السياحية – حوافز الاستثمار السياحي – إدارة العتبات المقدسة – الأمن والاستقرار السياسي. وعن مدى تأثير هذه المتغيرات في الاستثمار السياحي ورغبة المستثمرين وباستخدام معدلات التوزيعات التكرارية وقيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف وقيمة τ المحسوبة لعناصر هذه الاستمارة (X٢٢-X١) تبين أن ٦٠,٧٪ من أفراد العينة متفقين تماماً مع تأثير هذه المتغيرات يقابلها عدم اتفاق بنسبة ٢٢,٦٪ في حين كان ١٦,٧٪ من أفراد العينة محايدين.

وجاءت المعدلات بوسط حسابي ٢,٤٥٨ أكبر من الوسط الفرضي ٢ وبانحراف معياري ٠,٧١٢ وبمعامل اختلاف معياري ٣٢,٧٣٪ في حين كانت قيمة τ المحسوبة ٨,٤٣٣ أكبر من τ الجدولية ١,٩٨١ عند درجة حرية ٠,٠٥ ودرجة ثقة ٠,٩٥ وهذا يدل على إن عناصر هذه المتغيرات ذات دلالة إحصائية معنوية أي لها تأثيراً في الاستثمار السياحي.

وأبرز عناصر المتغيرات هو المتغير الخاص بحوافز الاستثمار الذي يتصدر تأثيره في الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء إذ تتضمن العناصر من (X١٣-X٧) التي جاءت بمعدل أتفاق ٦٠,٨٪ يقابلها عدم أتفاق ٢٧,٤٪ في حين كان ١١,٨٪ محايدين من مجموع أفراد العينة.

جدول (٨) نتائج استمارة الاستبيان الموزعة على رجال الأعمال والمستثمرين في محافظة كربلاء وعددهم ١٠٥

أسم المتغير	ت	نعم	٪	أحياناً	٪	لا	٪	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	معدل الاختلاف المعياري ٪
العامل الإداري	X١	٦٣	٦٠	٣٣	٣١	٩	٩	٢,٥١٤	٠,٦٥٢	٨,٠٨٠	١,٩٨٣	٢٥,٩٤
العامل الإداري	X٢	٣٩	٣٧	١٥	١٤	٥١	٤٩	١,٨٨٥	٠,٩٢٣	٩,٨٣١	١,٩٨٣	٤٨,٩٥

المعدل			٤٨,٥		٢٢,٥		٢٩	٢,٢٣٥	٠,٧٨٧	٨,٩٥٦	١,٩٨٣	٣٧,٤٩
العامل الديني	X٣	٧٢	٦٨,٥	٢١	٢٠	١٢	١١,٥	٢,٥٧١	٠,٦٩١	٨,٤٦٩	١,٩٨٣	٢٦,٨٩
العامل الديني	X٤	٥١	٤٨,٥	١٥	١٣,٥	٣٩	٣٧	٢,١١٤	٠,٩٢٣	١,٢٦٨	١,٩٨٣	٤٣,٦٦
المعدل			٥٨,٥		١٧,٤		٢٤	٢,٣٤٢	٠,٦١٩	٤,٨٦٨	١,٩٨٣	٣٥,٢٧
نوع الاستثمار السياحي	X٥	٦٩	٦٥,٧	٣	٢,٨	٣٣	٣١,٥	٢,٣٤٢	٠,٩٢٨	٣,٧٨٣	١,٩٨٣	٣٩,٦٣
نوع الاستثمار السياحي	X٦	٧٨	٧٤,٣	٢٤	٢٢,٨	٣	٢,٩	٢,٧١٤	٠,٥١٣	١٤,٢٥٢	١,٩٨٣	١٨,٩٢
المعدل			٧٠		١٢,٨		١٧,٢	٢,٥١٨	٠,٧٢١	٢,٠١٨	١,٩٨٣	٣٠,٢٦
حوافز الاستثمار	X٧	١٨	١٧,١	١٢	١١,٤	٧٥	٧١,٤	١,٤٥٧	٠,٧٧٢	٦,٠٦٤	١,٩٨٣	٥٣,٠١
حوافز الاستثمار	X٨	٩٠	٨٥,٧	٠	٠	١٥	١٤,٣	٢,٧١٤	٠,٧٠٣	١٠,٤٠٨	١,٩٨٣	٢٥,٩١
حوافز الاستثمار	X٩	٥٤	٥١,٤	٢١	٢٠	٣٠	٢٨,٦	٢,٢٢٨	٠,٨٦٨	٢,٦٩٥	١,٩٨٣	٣٨,٩٩
حوافز الاستثمار	X١٠	٨١	٧٧,١	٣	٢,٨	٢١	٢٠,١	٢,٥٧١	٠,٨٠٦	٧,٢٥٦	١,٩٨٣	٣١,٣٨
حوافز الاستثمار	X١١	٦٣	٦٠	٢١	٢٠	٢١	٢٠	٢,٤٠٠	٠,٨٠٣	٥,٠٩٩	١,٩٨٣	٣٣,٤٩
حوافز الاستثمار	X١٢	٨٧	٨٢,٨	٩	٨,٥	٩	٨,٥	٢,٧٤٢	٠,٦٠٤	١٢,٥٨٣	١,٩٨٣	٢٢,٠٥
حوافز الاستثمار	X١٣	٥٤	٥١,٥	٢١	٢٠	٣٠	٢٨,٥	٢,٢٢٨	٠,٨٦٨	٢,٦٩٥	١,٩٨٣	٣٨,٩٩
المعدل			٦٠,٨		١١,٨		٢٧,٤	٢,٣٣٤	٠,٧٧٥	٦,٦٨٦	١,٩٨٣	٣٤,٨٣
الطلب على الخدمة السياحية	X١٤	٢٤	٢٢,٨	١٨	١٧,١	٦٣	٦٠	١,٦٢٨	٠,٨٣٥	٧,٧١٣	١,٩٨٣	٥١,٢٧
الطلب	X١٥	٥١	٤٨,٦	٤٢	٤٠	١٢	١١,٤	٢,٣٧١	٠,٦٨٢	٢,٥٧٢	١,٩٨٣	٢٨,٨٠

على الخدمة السياحية												
الطلب على الخدمة السياحية	X١٦	٧٢	٦٨,٦	٢٤	٢٢,٨	٩	٨,٦	٢,٦٠٠	٠,٦٤٤	٩,٥٣٩	١,٩٨٣	٢٤,٧٩
المعدل			٤٦,٧		٢٦,٦		٢٦,٧	٢,٧٤٢	٠,٧٢٠	٧,٦٠٨	١,٩٨٣	٣٤,٩٥
إدارة العتبات المقدسة	X١٧	٨٤	٨٠	٩	٨,٥	١٢	١١,٥	٢,٦٨٥	٠,٦٩٦	١٠,٤٩٣	١,٩٨٣	٢٤,٩٣
إدارة العتبات المقدسة	X١٨	٦٣	٦٠	٣٣	٣١,٥	٩	٨,٥	٢,٥١٤	٠,٦٥٢	٨,٠٨٠	١,٩٨٣	٢٥,٩٤
إدارة العتبات المقدسة	X١٩	٨٧	٨٢,٨	١٥	١٤,٤	٣	٢,٨	٢,٨٠٠	٠,٤٦٨	١٧,٥٠٧	١,٩٨٣	١٦,٧٢
المعدل			٧٤,٣		١٨,١		٧,٦	٢,٦٦٦	٠,٥٩٥	١٢,٢٥٧	١,٩٨٣	٢٢,٥٣
الأمن والاستقرار	X٢٠	٧٢	٦٨,٦	١٨	١٧,١	١٥	١٤,٣	٢,٥٤٢	٠,٧٣٤	٧,٥٧٦	١,٩٨٣	٢٨,٨٧
الأمن والاستقرار	X٢١	٤٥	٤٢,٩	٣	٢,٨	٢٧	٥١,٣	١,٨٨٥	٠,٩٨٣	٩,٢٢٦	١,٩٨٣	٥٢,١٦
الأمن والاستقرار	X٢٢	٩٣	٨٨,٦	٣	٢,٨	٩	٨,٦	٢,٨٠٠	٠,٥٧٨	١٤,١٧١	١,٩٨٣	٢٠,٦٦
المعدل			٦٦,٧		٧,٦		٢٥,٨	٢,٤٠٩	٠,٧٦٦	١٠,٢٩٤	١,٩٨٣	٣٣,٨٩
المعدل العام			٦٠,٧		١٦,٧		٢٢,٦	٢,٤٥٨	٠,٧١٢	٨,٥٣٣	١,٩٨٣	٣٣,٧٣

جدول (٩)

اتجاهات عينة رجال الأعمال والمستثمرين إلى العوامل المؤثرة في الاستثمار السياحي في كربلاء.

أسم المتغير	ت العناصر	تأثير العامل في الاستثمار السياحي						المتوسط	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف المعياري	قيمة ت المحسوبة	قيمة ت الجدولية	عدد المبحوثين
		نعم	النسبة	أحياناً	النسبة	لا	النسبة						
العامل الإداري	X١-X٨	١٥	٤٨,٥	٢٤	٢٢,٥	٣٠	٢٩	٢,٢	٠,٧٨٧٦	٣٧,٤٤	٨,٩٥٦	١,٩٨٣	١٠٥
العامل الديني	X٣-X٤	٥١,٦	٥٨,٥	١٨	١٧,٣	٢٥,٥	٢٤	٣,٣٤٢	٠,٦١٩	٣٥,٢٧	٤,٨٦٨	١,٩٨٣	١٠٥
نوع الأستثمارات السياحية	X٥-X٦	٧٣,٥	٧٠	١٣,٥	١٢,٨	١٨	١٧,٧	٢,٥١٨	٠,٧٢١	٣٠,٢٦	٢,٠١٨	١,٩٨٣	١٠٥
حوافز الأستثمارات السياحية	X٧-X٨	٦٣,٨	٦٠,٨	١٢,٤	١١,٨	٣٠	٢٧,٤	٢,٣٣٤	٠,٧٧٥	٢٢,٥٣	٦,٦٨٦	١,٩٨٣	١٠٥
الطلب على الخدمة السياحية	X١٣-X١٦	٤٩	٤٨,٧	٢٨	٢٦,٦	٢٨	٢٦,٧	٢,٧٤٢	٠,٧٢٠	٣٤,٩٥	٧,٦٠٨	١,٩٨٣	١٠٥
إدارة العتبات المقدسة	X١٧-X١٩	٧٨	٧٤,٣	١٩	١٨,١	٨	٧,٦	٢,٦٦٦	٠,٥٩٥	٢٨,٢٩	١٢,٢٧٥	١,٩٨٣	١٠٥
الأمن والأستقرار السياسي	X٢٠-X٢٢	٧٠	٦٦,٧	٨	٧,٦	٢٧	٢٥,٨	٢,٤٠٩	٠,٧٦٦	٣٠,٢١	١٠,٢٤٩	١,٩٨٣	١٠٥

المعدل العام لجميع المتغيرات	X١-X٢٢	٦٣,٨	٦٠,٧	١٧,٥	١٦,٧	٢٣,٧	٢٢,٦	٢,٤٥٨	٠,٧١٢	٣١,٢٨	٨,٥٣٣	١,٩٨٣	١٠٥

المصدر: تم أعداد القيم من جدول (٨)

وبلغ الوسط الحسابي ٢,٣٣٤ وكان أعلى من الوسط الفرضي ٢ الذي يدل على تأثير هذا المتغير. ولقد كانت قيم الانحراف المعياري ٠,٧٧٥ ومعامل الاختلاف المعياري ٢٢,٥٣ وأخيراً كانت قيمة τ المحسوبة ٦,٦٨٦ أكبر من τ المجدولة ١,٩٨٣ عند مستوى معنوي ٠,٠٥ و يدل على إن المتغير ذو دلالة إحصائية وتأثير معنوي.

ب - تحليل نتائج العوامل المؤثرة في الاستثمار السياحي الخاص في كربلاء.

يتضح من بيانات الجدول (١٠) أبرز العناصر المؤثرة في المتغيرات التي تؤثر في الاستثمار السياحي الديني لمحافظة كربلاء. وندرج في أدناه المتغيرات حسب تسلسل تأثيرها في الاستثمار السياحي.

(١) حوافز الاستثمارات السياحية

تبين نتائج الجدول (١٠) أهمية هذا المتغير وهو الأول في التأثير المتحصل من الاستبيان.إذ إن أبرز العناصر تأثيراً في زيادة رغبة المستثمرين يتمثل بتسهيلات الدولة في نواحي عدة مثل إعطاء أراضي بأسعار رمزية أو إيجار رمزي إضافة إلى منح المستثمرين تسهيلات مجانية وإعفاءات الضريبة لمدة معينة ولقد أجاب ٨٧ مبحوثاً بنسبة ٨٢,٨٪ من مجموع العينة وكانوا متفقين تماماً وبوسط حسابي ٢,٨١ أكبر من الوسط الفرضي ٢ ، كذلك كان الانحراف المعياري ٠,٤٨٨٢ وبمعامل اختلاف ١٦,٧٢ وقد بلغت τ المحسوبة ١٧,٥٠٧ وهي أكبر من τ المجدولة البالغة ١,٩٨١ عند مستوى معنوية ٠,٠٥ ويكون بذلك هذا العنصر له دلالة إحصائية وذا تأثير واضح في مجموع المتغير وبالتالي في عينة المستثمرين لزيادة الاستثمار السياحي.

(٢) نوع الاستثمارات السياحية

لقد بين الجدول (١٠) أن المتغير وعنصره المؤثر في الاستثمار X٦ يتضمن رأي المستثمرين في إمكانية تنمية استثمارات صناعية متعلقة بالصناعة السياحية مثل صناعة الترب والسبح ولوازم الصلاة ومكملاتها فلقد أجابوا باتفاق ٧٨ بنسبة ٧٤,٣٪ من أفراد العينة وبوسط حسابي ٢,٧١٤ أكبر من الوسط الفرضي ٢ وبانحراف معياري ٠,٥١٣٥ وبمعامل اختلاف ١٨,٩٢ ولقد بلغت τ المحسوبة ١٤,٢٥٢ وهي أكبر من τ المجدولة ١,٩٨١ عند مستوى ٠,٠٥ ويدل هذا على إن العنصر من هذا المتغير ذو دلالة إحصائية معنوية.

(٣)- الأمن والاستقرار

من الجدول (١٠) يعد الأمن والاستقرار(x٢) من المتغيرات المؤثرة في الاستثمار السياحي إذ أن عدم توفر الأمن والاستقرار يشكل قيداً حقيقياً على الاستثمار، فلقد وافق على ذلك ٩٣ مبحوثا وبنسبة

٨٨,٦٪ وبمتوسط حسابي ٢,٨ أكبر من الوسط الفرضي وبانحراف معياري ٠,٥٧٨٤ وبمعامل اختلاف ٢٠,٦٦٪ ولقد بلغت τ المحسوبة ١٤,١٧١ أكبر من τ المجدولة ١,٩٨١ عند مستوى معنوية ٠,٠٥ وهذا يدل على أن هذا المتغير وعنصره له دلالة إحصائية وتأثير في الاستثمار السياحي.

(٤)- إدارة العتبات المقدسة

ويتمثل بالعنصر X١٩ إذ يتضمن الرأي في أن تؤول إدارة العتبات المقدسة في كربلاء إلى الجهات الوقفية الحكومية لتوجيه العوائد المتحصلة إلى الاستثمارات السياحية عن طريق الاستثمار السياحي المباشر أو أن تستخدم في التمويل والإقراض للمشاريع السياحية الدينية، فلقد أجاب ٨٧ مبحوثا بالإيجاب بنسبة ٨٢,٨٪ من أفراد العينة وبوسط حسابي ٢,٧٤٢ أكبر من الوسط الفرضي ٢ وكان الانحراف المعياري ٠,٦٠٤٩ في حين بلغ معامل الاختلاف ٢٢,٠٥٪ وبلغت τ المحسوبة ٢,٥٨٣ أكبر من τ الجدولية ١,٩٨١ عند مستوى معنوية ٠,٠٥ وهذا يدل أن هذا المتغير ذو دلالة إحصائية.

(٥)- العامل الديني

ويتمثل بالمتغيرx٣ المتعلق بالطابع الديني الإسلامي الخاص بمدينة كربلاء وهو أساسي لتحديد نوع الاستثمارات السياحية ولا يشجع الآخرين على الاستثمار السياحي الديني فلقد أجاب بذلك ٧٢ مبحوثا وبنسبة ٧٤,٣٪ من أفراد العينة وبمتوسط حسابي ٢,٥٧١ أكبر من الوسط الفرضي ٢ وبانحراف معياري ٠,٦٩١٣ وبمعامل اختلاف معياري ٢٦,٨١٪ ولقد بلغت τ المحسوبة ٩,٨٣١ أكبر من τ الجدولية ١,٩٨١ عند مستوى معنوية ٠,٠٥ وهذا يدل على إنه ذو دلالة إحصائية وتأثير في الاستثمار السياحي.

(٦)- الطلب على الخدمة السياحية

تشير نتائج الجدول (١٠) إلى أن المتغير X١٦ والمتضمن الرأي بضرورة وجود مطار خاص قرب كربلاء والمدن السياحية الدينية القريبة يرقى بالخدمة السياحية المقدمة وخاصة للسياح الوافدين، فلقد أجاب بالموافقة ٧٢ مبحوثا منهم ويشكلون نسبة ٦٨,٦٪ وبوسط حسابي ٢,٦ أكبر من الوسط الفرضي ٢ وبانحراف معياري ٠,٦٤٤٥ وبمعامل اختلاف ٢٤,٧٩ ولقد بلغت τ المحسوبة ٩,٥٣٩ أكبر من τ الجدولة ١,٩٨١ عند مستوى معنوية ٠,٠٥ ويشير إلى إن هذا المتغير ذو دلالة إحصائية.

(٧)- العامل الإداري

ويتمثل بالمتغير X١ الذي يتضمن الإجراءات الإدارية التي تنتهجها الدوائر ذات العلاقة مثل البلديات أو التخطيط العمراني، فقد أجاب ٦٣ منهم بأنهم متفقون بنسبة ٦٠٪ وبمتوسط حسابي ٢,٥١٤ أعلى من الوسط الفرضي ٢ وبانحراف معياري ٠,٦٥٢١ وبمعامل اختلاف معياري ٢٥,٩٤٪ ولقد بلغت τ المحسوبة ٨,٨٠٩ أكبر من τ الجدولية ١,٩٨١ عند مستوى معنوية ٠,٠٥ ويدل على إن هذا العنصر والمتغير له دلالة وتأثير في الاستثمار السياحي.

جدول(١٠)

يبين أهم عناصر المتغيرات الاقتصادية في عينة رجال الأعمال والمستثمرين في كربلاء

ت	أسم المتغير	ت العنصر	العدد	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الانحراف المعياري ٪	قيمة τ المحسوبة
	العامل الإداري	X١	٦٣	٦٠	٢,٥١٤	٠,٦٥٢١	٢٥٩٤ ٦	٨,٠٨٠٩
	العامل الديني	X٣	٧٢	٦٨,٥	٢,٥٧١	٠,٦٩١٣	٢٦,٨٩	٩,٨٣١
	نوع الاستثمارات السياحية	X٦	٧٨	٧٤,٣	٢,٧١٤	٠,٥١٣٥	١٨,٩٢	١٤,٢٥٢
	حوافز الاستثمارات السياحية	X١٢	٨٧	٨٢,٨	٢,٨١	٠,٤٦٨٢	١٦,٧٢	١٧,٥٠٧
	الطلب على الخدمة السياحية	X١٦	٧٢	٦٨,٦	٢,٦	٠,٦٤٤٥	٢٤,٧٩	٩,٥٣٩
	إدارة العتبات المقدسة	X١٩	٨٧	٨٢,٨	٢,٧٤٢	٠,٦٠٤٩	٢٢,٠٥	١٢,٥٨٣
	الأمن والاستقرار السياسي	X٢٢	٩٣	٨٨,٦	٢,٨	٠,٥٧٨٤	٢٠,٦٦	١٤,١٧١

المصدر: تم إعداد البيانات من الجدول رقم(٩).

الاستنتاجات والتوصيات

أولا- ألاستنتاجات

١- إن الخصوصية الدينية لمحافظة كربلاء وامتلاكها لمكونات العرض السياحي يوفر لها فرصه متميزة للارتقاء بالاقتصاد المحلي للمحافظة عبر تطوير الاستثمار السياحي.

٢- لعامل الأمن والاستقرار دورا كبيرا في تحديد رغبة المستثمرين في التوجه نحو الاستثمار السياحي الديني في كربلاء وهو ما ينسجم مع طبيعة حركة رأس المال التي تبحث دائما عن البيئة الآمنة والمستقرة للقيام بعملية الاستثمار السياحي.

٣- أن عدد ليالي المبيت تعد إحدى العناصر المهمة في تقرير حركة الاستثمار السياحي الديني في كربلاء التي تتحدد بمستويات دخل السائح وتوفر البيئة الملائمة للسياحة إذ سيزداد الأنفاق مع ازدياد ليالي المبيت وهو ما يشجع الاندفاع على الاستثمار السياحي.

٤- ينظر لسعر صرف الدينار العراقي إزاء العملات الأجنبية الأخرى كأحد العوامل المهمة أيضا في تقرير حركة الاستثمار السياحي الديني فعند انخفاض سعر صرف الدينار تعقبه زيادة في أعداد الأسرة ومن ثم سيزداد الدافع لدى المستثمرين في القيام بالاستثمارات السياحية الدينية.

٥- يلعب عدد السياح القادمين لأغراض السياحة الدينية في كربلاء أهميه في تحديد الاستثمارات السياحية الدينية والذي يرتبط بتوافر الأمن والاستقرار ومستويات دخول السائحين ولذلك فأن ازدياد عدد السائحين معناه ازدياد العوائد المتوقعة من السياحة الدينية في كربلاء والذي سينعكس لاحقا في تقديم الحافز للقيام بالاستثمارات السياحية الدينية.

٦- يشكل متغير الإيراد المالي للفنادق أهميه كبيره في تقرير اندفاع المستثمرين في مجال السياحة الدينية في كربلاء وهو يرتبط بعدد الأسرة وعدد ليالي المبيت.

٧- للإجراءات الإدارية و الحكومية موقعا متميزا في تثبيط أو تشجيع الاستثمار السياحي الحكومي والخاص التي تتضمن إجراءات تسعير الخدمات والإعفاءات الكمركية و منح القروض والأراضي اللازمة لإقامة مكونات السياحة الدينية.

٨- أن ارتباط إدارة العتبات المقدسة بالجهات الحكومية الوقفية يؤدي إلى توجيه العوائد المستحصلة نحو الاستثمارات السياحية من خلال الاستثمار السياحي المباشر أو استخدامها في التمويل أو الإقراض للمشاريع السياحية الدينية.

٩- أن توسيع الاستثمارات المكملة للاستثمارات السياحة الدينية كالمطارات والمدن السياحية الدينية سيؤدي بدوره إلى تشجيع الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء.

١٠- يؤدي نشاط الدوائر ذات العلاقة بالاستثمار كالبلديات والتخطيط العمراني إلى توفير حوافز مشجعه للاندفاع نحو الاستثمارات السياحية الدينية في ضوء ما تقدمه الجهات السابقة من تصورات حول أعادة تخطيط المدينة وخدمات دعم الاستثمار السياحي في كربلاء.

١١- أن الطابع الديني الإسلامي الخاص بمدينة كربلاء قد انعكس بتكثيف الاستثمار بذلك النوع الذي يخدم السياحة الدينية قياسا بحالة توفير البيئة الملائمة للقيام بالاستثمارات التي لأتمت بصله مباشرة إلى أهداف السياحة الدينية.

ثانيا- التوصيات

١- العمل على إشاعة الأمن والاستقرار في المحافظة لكونه عاملا أساسيا في تحديد الاستثمارات الدينية وذلك بزيادة مراكز حفظ الأمن التي تتناسب مع إعداد السكان ووفقا للمعايير العالمية والعمل على شاعة البيئة الآمنة والمستقرة في المحافظة.

٢- توفير مقومات الاستثمار الديني في كربلاء وفي المحافظات الأخرى التي تمتلك فرص التوسع بالسياحة الدينية كالإعفاء الضريبي على الدخول و تشجيع التمويل ودعم أسعار الخدمات من المياه والكهرباء وأسعار الأراضي التي تقام عليها منشآت السياحة الدينية.....الخ.

٣- تولي الجهات الحكومية مهمة تنفيذ الخدمات السياحية الترفيهية المكملة للسياحة الدينية في كربلاء من المنتزهات والشاليهات لاسيما في بحيرة الرزازة إضافة لإقامة مدن العاب متطورة وإتباع أساليب جديدة من شأنها أن تشجع السائح إلى رفع معدلات ليالي المبيت أو الإقامة في كربلاء.

٤- دعم المستثمرين لإقامة الصناعات المرتبطة بالسياحة الدينية والتي تتميز بها محافظة كربلاء لاسيما صناعة مكملات الصلاة ومعدات إنتاج المعجنات والحلويات وصناعة الكاشي الكربلائي والصناعات الفلكلورية والعمل على تطوير أساليب تقديمها وتغليفها بذلك الشكل الذي يدفع السائح إلى زيادة الأنفاق ومن ثم زيادة الاندفاع نحو الاستثمار السياحي في المحافظة.

٥- بناء مؤسسه لإدارة أموال العتبات المقدسة بشكل استثماري وتكون إما عن طريق تمويل المشاريع السياحية أو إقامة مشاريع سياحية مباشره وذلك بزيادة رأس المال من المؤسسة علاوة على دورها في تشغيل الأيدي العاملة في المحافظة.

٦- تفعيل نشاط دوائر التخطيط العمراني والبلديات ودائرة السياحة بإعادة تخطيط المحافظة وتشخيص المواقع السياحية الدينية التي يمكن أن تكون مستقبلا حقلا مناسبا للقيام بالاستثمارات السياحية الدينية أو الاستثمارات الداعمة للسياحة الدينية علاوة على القيام بالمهام الإدارية الأخرى التي تشجع السياحة الدينية في المحافظة وبما ينسجم مع اتجاهات اللامركزية الإدارية.

٧- تكثيف الجانب الإعلامي الذي يهدف إلى تطوير السياحة الدينية في كربلاء وبيان الفرص الاستثمارية التي يمكن للمستثمرين أن يستثمروا رؤوس أموالهم فيها وتهيئة قاعدة بيانات شامله للبيئة التي تحيط بتلك الفرص الاستثمارية.

المصادر

١- بيانات هيأة الضرائب ,كربلاء ١٩٩٦- ٢٠٠٣

٢- بولص,عامر عوديش: قرارات الاستثمار وأثرها في التنمية المالية لنشاط قطاع السياحية المختلط,رسالة ماجستير ,كلية الإدارة والاقتصاد- الجامعة المستنصرية ١٩٨٩

٣- د.البناء ,محمد: اقتصاديات السياحة,القاهرة ,ط١,عمان ١٩٩٨

٤- الجهاز المركزي للأحصاء- بيانات ١٩٨٩- ٢٠٠٤

٥- الخوام,عبد المطلب محمد: العلاقة بين الاستثمارات السياحية والتأثيرات البيئية ,أطروحة دكتوراه,كلية الإدارة والاقتصاد,الجامعة المستنصرية ٢٠٠١

٦- دائرة إحصاء كربلاء: إحصاء التجارة الداخلية/قسم إحصاء الفنادق

٧- الدباغ, إسماعيل: الاستثمار السياحي وأثره بالتنمية الاقتصادية في العراق ١٩٦٨- ١٩٧٩٨ رسالة ماجستير- كلية الإدارة والاقتصاد- جامعة بغداد ١٩٧٩

٨- د.عبد الوهاب, صلاح الدين: السياحة الدولية,دار الهنا للطباعة,القاهرة.١٩٨٧

٩- هاشم, إسماعيل محمد: المدخل إلى علم الاقتصاد- دار الجامعات المصرية- الإسكندرية ١٩٧٢
١٠- هيأة السياحة: دليل السياحة الدينية في العراق,مطبعة الوفاق ١٩٩٢
١١- الهيأة العليا للسياحة: المملكة العربية السعودية التقرير السنوي لسنة ٢٠٠١
١٢- وزارة التخطيط: إحصاء الفنادق
١٣- وزارة السياحة والآثار السورية: قرار المجلس الأعلى رقم ١٩٨٥/٨٦
١٤- نشرة الأخبار المستلة من الأنترنت في موقع البنك المركزي العراقي www.cbiraq_org
١٥- W.O.T: world tourism organization report,٢٠٠٠

أثر تكنولوجيا المعلومات في جودة الخدمة الفندقية

دراسة ميدانية على عينة من الفنادق السياحية في محافظة كربلاء

م.م بشارعباس الحميري
م.م احمد كاظم بريس

أثر تكنولوجيا المعلومات في جودة الخدمة الفندقية

دراسة ميدانية على عينة من الفنادق السياحية في محافظة كربلاء

م.م بشارعباس الحميري م.م احمد كاظم بريس

المقدمة

أحدثت التطورات التقنية التي شهدها العالم خلال العقود الأربعة من القرن الماضي تغيّرات مهمة في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إذ أصبح أهم ما يميز بيئة العمل المحيطة بالمنظمات المعاصرة هي التقلب والتغيير السريع والانفتاح وتجاوز الحدود بين الدول والمجتمعات. ومن بين أهم هذه التطورات ما يسمى اليوم (تكنولوجيا المعلومات)، فقد أحدثت تغيرات مهمة في بنية المنظمات، فمن خلال استخدام أدواتها وعلى وجه الخصوص الحاسوب وشبكة المعلومات العالمية ووسائل الاتصال المختلفة، أصبح بإمكان العاملين تجميع وخزن وإرسال ومعالجة واسترجاع البيانات والمعلومات مما ولد دافعاً لعدد كبير من المنظمات على استخدام تكنولوجيا المعلومات كأصول ستيراتيجية لتحقيق ميزة تنافسية على مستوى الأسواق المحلية والعالمية.

وقد شهدت القطاعات الخدمية , ولاسيما القطاع الفندقي اهتماماً بالغاً في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة , بهدف الارتقاء بجودة الخدمات الفندقية ؛ لتلبية حاجات ورغبات السائحين.

واستشعاراً من الباحثين بأهمية استخدام تكنولوجيا المعلومات في المنظمات بصورة عامة، والمنظمات الفندقية بصورة خاصة، جاء هذا البحث ليسلط الضوء على طبيعة العلاقة القائمة بين تكنولوجيا المعلومات وأثرها في جودة الخدمة الفندقية من خلال إطار نظري وآخر تطبيقي على عينه واحدة من الفنادق السياحية وأخرى من زوار محافظة كربلاء المقدسة.

وبناءً على ما تقدم، فقد جاء البحث بأربعة مباحث، خصص الأول منها للإطار العام للبحث، في حين تناول الثاني منهجية البحث , واختص الثالث بالدراسة الميدانية، فيما كرس المبحث الرابع للاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار النظري

أولاً : تكنولوجيا المعلومات :

أ- مفهوم تكنولوجيا المعلومات وأهميتها :

إن موضوع تكنولوجيا المعلومات لا يختلف عن بقية حقول علم الإدارة الأخرى التي ظلت تفتقد إلى وجود تعريف جامع متفق عليه. فالتعاريف التي عرضت عن تكنولوجيا المعلومات كثيرة ومتعددة وسنستعرض بعضاً منها :

عرّف (Haag & Peter, ١٩٩٦:٨) تكنولوجيا المعلومات بانها ((مجموعة من الادوات تساعد مستخدميها على التعامل بالمعلومات وانجاز الفعاليات أو الأنشطة ذات العلاقة بمعالجة المعلومات)) في حين يرى (Powell & Micallef,١٩٩٧:٣٧٦) إن تكنولوجيا المعلومات ما هي ((إلا نوع من أنواع نظم المعلومات المستند إلى الحاسوب وتطبيقاته)) ويرى (O.Brein,٢٠٠٣:٨) أن تكنولوجيا المعلومات عبارة عن (أجهزة ومعدات وبرامجيات الحاسوب وشبكة الانترنت ووسائل الاتصال البعدية الأخرى) وعرّفها((بلقاسم وعلي، ٢٠٠٣ : ٧٠)) إنها (حصيلة التزاوج بين التكنولوجيا الرقمية أو الرمزية والمعلومات , وهو يعد من أهم وابرز التطورات التي عرفها الاقتصاد العالمي).

وإذا أردنا أن نقدم وصفاً لما اشتملت عليه تلك التعريفات يمكن القول إن تكنولوجيا المعلومات هي الأجهزة والمعدات والبرامجيات وشبكات الاتصالات البعدية وقواعد البيانات وغيرها من أدوات التكنولوجيا التي تستخدم في الحصول على البيانات والمعلومات ومعالجتها وخزنها واسترجاعها.

ومن الجدير بالذكر إن لثورة المعلومات تأثير مهم في المنظمات , فمن خلال استخدام هذه التكنولوجيا أصبح بإمكان العاملين والمسؤولين الحصول على مايحتاجون إليه من معلومات بسهولة وبالوقت المحدد والمناسب إذ أن التقدم الذي أحرزته تكنولوجيا الاتصالات وشبكة المعلومات العالمية (الانترنت) خلال القرن الماضي سهل من عملية تبادل المعلومات على مستوى الإفراد والمنظمات فضلا عن أن تكنولوجيا المعلومات أحدثت تغييرات مهمة في بنية المنظمات من بينها تقليص حجم المعلومات بالشكل الذي يسهل على العاملين والمسؤولين التعامل معها والاستفادة منها دون أن تمر تلك المعلومات والمقترحات عبر المستويات التنظيمية , قبل اتخاذ القرارات من قبل المعنيين في المنظمة , مما مكن هؤلاء من اتخاذ القرارات في الوقت المناسب.

لقد سهّلت شبكة الاتصالات انسيابية القرارات وتدفق المعلومات، إذ يمكن القول إن تكنولوجيا المعلومات البعدية تعد من أهم خيارات إعادة التصميم التنظيمي، فالمدراء الذين تنحصر مهمتهم الأساسية بتجميع المعلومات وتصنيفها تنتفي الحاجة إليهم في ظل التكنولوجيا الحديثة , أضف إلى ذلك، وبسبب ما أحدثته تكنولوجيا المعلومات من انسياب في عمل العديد من الوظائف المهمة كالاتصالات

والتنسيق والرقابة وغيرها من الوظائف تحرر المدراء العاملين في المنظمات من عدد كبير من المهام الروتينية وخصصوا وقتاً واهتماماً اكبر لمهمة التخطيط واتخاذ القرار.

إن استخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة يزيد من فاعلية العاملين، إذ إنها تزودهم بمختلف أنواع البيانات والمعلومات ذات العلاقة بالزبائن والمنافسين والأسواق والخدمات وغيرها , علاوة على ذلك، فهي تسهل عملية تبادل المعلومات فيما بينهم وتحررهم من قيود المكان والوقت وتزيد من سرعة العمليات التشغيلية، وتقلل التكاليف , وبعبارة أخرى، أن استخدام تكنولوجيا المعلومات يساعد المدراء والعاملين على التكييف والانسجام مع ما يحصل من مستجدات في بيئة العمل وتقليص وقت أداء المهام المكلفين بها واكتشاف فرص جديدة بما يضمن تحقيق مزايا تنافسية.

ب- مكونات تكنولوجيا المعلومات :

تباينت آراء الباحثين والمختصين حول مكونات تكنولوجيا المعلومات وربما يعود هذا التباين إلى اختلاف هؤلاء في خلفياتهم النظرية أو في اهتمامهم ببعض الجوانب دون غيرها.فهناك من يعتقد إن مكونات تكنولوجيا المعلومات (Haag & Peter,١٩٩٦:٩) هي ((وحدات الإدخال والإخراج، البرامجيات، وسائل الاتصال، محرك المعالجة، المعلومات، وحدات الخزن، الأفراد))

ويرى (Williams,etal ,١٩٩٧:٩) إن تكنولوجيا المعلومات ما هي إلا (نظام من الحاسوب والاتصال وان هذا النظام يضم ستة عناصر أساسية هي الإجراءات، البيانات والمعلومات، الأجهزة، المعدات، والبرامجيات، والاتصالات)) وبالنسبة إلى (Seen,١٩٩٨:١٤) فأن مكونات تكنولوجيا المعلومات هي الحاسوب والاتصالات والكادر البشري في حين يرى (Turban,١٩٩٩ :٢٧) إن مكونات تكنولوجيا المعلومات تتمثل بالأجهزة والمعدات والبرامجيات وشبكات الاتصال.وبالنسبة لـ (kennth & Jane,٢٠٠٠:٥٥) فأن مكونات تكنولوجيا المعلومات هي الأجهزة والمعدات والبرامجيات والاتصالات والموارد البشرية.

من هنا يتضح إن المكونات التي حظيت باتفاق اغلب الباحثين هي الحاسوب وشبكة الانترنت والاتصالات والكادر البشري وهي التي تم اعتمادها في هذه الدراسة.

ثانياً : جودة الخدمة الفندقية :

١. المفهوم والأهمية :

يعتمد تطور الصناعة الفندقية في الوقوف على حاجات ورغبات الزبائن والعمل على إشباعها بالشكل الذي يحقق رضاهم . وبما إن الخدمة الفندقية تعد محوراً أساسياً في عملية المنافسة حيث يتنافس هذا النوع من ألمنشآت السياحية على أساس جودة الخدمة المقدمة للزبون ، وان قياس كفاءة أدائها في السوق يتحدد بحسب مستوى هذه الجودة .

إن مفهوم جودة الخدمة لايختلف عن بقية المفاهيم الأخرى ، إذ تعددت وتباينت وجهات نظر الباحثين حول هذا المفهوم فقد حدد (Garvin ,١٩٨٨ p:٤٠ ٦٠) خمس وجهات نظر مختلفة حول مفهوم الجودة . فوجهة النظر الأولى تستند إلى التفوق (Transcendent) ووفقاً لوجهة النظر هذه يستطيع الزبون أن يميز بين الجودة العالية والجودة الرديئة للسلعة أو الخدمة ، إلا انه من الصعب وضع تعريف محدد لجودة السلعة أو الخدمة قبل أن يراها ذلك الزبون أما وجهة النظر الثانية ، فتقوم على أساس الإنتاج (Product-based) ، حيث تحدد بعض الصفات أو الخصائص التي يمكن قياسها لتحديد

مستوى جودة السلعة أو الخدمة في حين تستند وجهة النظر الثالثة إلى المستخدم النهائي (user-based) أي إن رضا الزبون عن السلع والخدمات يعد مقياسا لجودة السلعة أو الخدمة ، فهي تركز على تلبية المتطلبات الظاهرية أو الضمنية التي يرغب الزبون في توافرها في السلع والخدمات التي يسعى إلى الحصول عليها. أما وجهة النظر الرابعة ، فأنها تستند إلى أساس التصنيع (manufacturing-based)، أي مدى مطابقة السلع والخدمات للمتطلبات والمواصفات المحددة مسبقاً ، فالجودة تتحقق إذا أشبعت جميع المتطلبات المحددة من قبل المجهز. وأخيراً تستند وجهة النظر الخامسة إلى أساس القيمة (value-based)، فالسلعة أو الخدمة تكون ذات جودة إذا حققت رضا الزبون في الاداء والسعر .

وعلى العموم فإن هناك تعاريف عديدة عرضت لمفهوم الجودة فقد عرفّها ، (Evans,١٩٩٧:٤٨) بأنها تلبية ما يتوقعه الزبون أو التفوق على هذه التوقعات في حين عرفّها (Ivancevich,etal ,١٩٩٧: ٤٥٥) بأنها ((مدى تلبية السلعة أو الخدمة لما يتوقعه الزبون منها)) أما الجمعية الأمريكية فقد عرفت الجودة بأنها ((مجموعة صفات وخصائص معينه تتسم بها السلعة يمكن من خلالها إشباع الحاجات المحددة أو المعلنة)) (Haksever,etal , ٢٠٠٠:٣٣) .

وبناءً على ما تقدم يمكن تعريف جودة الخدمة الفندقية بأنها قابلية الخدمة الفندقية على إشباع حاجات وتوقعات المستفيدين منها .

وتأسيساً على ماتقدم فقد أصبحت الجودة تحتل أهمية خاصة في الصناعة الفندقية إذ إن توافرها أو وجودها يعد من الشروط الأساسية لبقاء ونمو المنشآت الفندقية في دنيا الأعمال ، إن أهميتها تكمن في إنها تحقق رضا الزبون ، إذ أن هذا الرضا يولد ولاءً يجعل من الصعوبة بمكان أن يفضل الزبون خدمة غير منظورة إليه الآن على الخدمة التي جربها وتأكد من جودتها ، مما يضمن للمنشأة التي تعامل معها حصة سوقية اكبر ، وعوائد مالية أعلى .

إن النجاح الذي حققته المنشآت السياحية وعلى وجه الخصوص الفندقية منها في دول العالم المتقدم وبعض دول العالم النامي يعزى للدور الستراتيجي الذي احتلته الجودة عند مدراء هذه المنشآت , لذا لقي موضوع الجودة اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين والمختصين , إذ تعد اليوم مدخلاً مهما تتبناه المنظمات المعاصرة كفلسفة إدارية ومنهج علمي في ظل بيئة يسودها التنافس ويغلب عليها التغيير السريع.

٢. أبعاد جودة الخدمة الفندقية :

تباينت آراء الباحثين ، المختصين حول إبعاد جودة الخدمة ومن هنا يرى الباحثين من الأهمية بمكان عرض آراء بعض هؤلاء الباحثين بهدف تحديد الإبعاد الأساسية لجودة الخدمة الفندقية .

فبالنسبة لـ (Heizer &Rander ,٢٠٠١ :١٨٧) تتمثل أبعاد جودة الخدمة ب(المعولية ، القدرة على الاستجابة ،اللياقة والأهلية ، سهولة الوصول ،الكياسة ،والمجاملة ، الاتصال ،الأخلاقية والأمانة ،معرفة وتفهم الزبون ، والملموسات)

في حين حدد (Chase, etal ,٢٠٠١:٢٦٦) أبعاد الجودة بـ (سرعة ودقة التسليم ،الإتمام ، التعامل ،التناسق ، سهولة الاتصال ، الدقة ، والاستجابة) أما (Haksever, etal ,٢٠٠٠:٣٣١ ٣٣٢) فقد حدد أبعاد جودة الخدمة بـ (المعولية ، الاستجابة ، الدقة، العناية ، الاشياء الملموسة) ويرى (Colin & Stephen,١٩٩٤:١٢٥) إن أبعاد جودة الخدمة هي (المعولية ،الاستجابة ، الأهلية ،الوصول ،اللياقة

،الاتصال ،المصداقية، الأمان، تفهم الزبون، المظهر) , يتضح من هذا إن أبعاد جودة الخدمة التي حظيت باتفاق اغلب الباحثين هي الاعتمادية ، الاستجابة ، الضمان ، التقمص العاطفي ،والملموسات وهي التي تم اعتمادها في هذا البحث .

المبحث الثاني: منهجية البحث

تناول هذا المبحث منهجية البحث متمثلة بالمشكلة والأهمية والأهداف، ومن ثم الفرضيات والأنموذج الفرضي وعينة البحث والأدوات , كالآتي :

أولاً : مشكلة البحث :

تواجه المنشات الفندقية المعاصرة تحديات كبيرة نتيجة للمستجدات التي تطرأ على بيئتها، ومن بين أهم هذه المستجدات هو التطور المستمر في تكنولوجيا المعلومات. ولأهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه هذا العنصر في مجمل أبعاد العملية الإدارية , لاسيما جودة الخدمة الفندقية، فقد بات من الضروري قيام هذا النوع من المنشآت السياحية بإجراء مراجعة مستمرة لما تحتاج إليه من مكونات تكنولوجيا المعلومات الحديثة، إذ أكدت البحوث والدراسات النظرية والميدانية أهمية تكنولوجيا المعلومات باعتبارها عنصراً مهماً في تحسين جودة الخدمة الفندقية.

وانطلاقاً من ذلك، فأن مشكلة البحث تتجسد في ضعف إدراك إدارات المنشأت الفندقية في محافظة كربلاء لعلاقة وتأثير تكنولوجيا المعلومات في جودة الخدمات التي تقدمها للزبائن خصوصاً زوار العتبات المقدسة , وما لذلك من تأثير في حركة النشاط السياحي في مدينة كربلاء المقدسة.

ثانياً : أهمية البحث :

تنبع أهمية البحث من خلال مايأتي :

١. تناول البحث قطاع الصناعة الفندقية في مدينة كربلاء المقدسة اذ تكتسب المنشآت الفندقية أهمية خاصة في هذه المدينة التي تعد من المدن السياحية المهمة على مستوى العالم الإسلامي، حيث يقصدها سنويا أعداد كبيرة من الناس لزيارة مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) وبما إن تكنولوجيا المعلومات يمكن أن تؤدي دوراً مهما في جودة الخدمات التي تقدم من قبل المنشات الفندقية للزبائن بما يزيد من إقبالهم على الإقامة فيها مدة أطول , لذا فأن اطلاع المعنيين في هذا القطاع الحيوي على أهمية تكنولوجيا المعلومات الحديثة يسهم في تشجيع هؤلاء على استخدامها بشكل يعزز من دورها في تنشيط الحركة السياحية.

٢. وفي حدود استقصاء البحث، لم يسبق أن تناول احد الباحثين متغيري البحث على مستوى المنشآت الفندقية الموجودة في محافظة كربلاء، مما يكسب البحث أهمية في تأصيل الجانب الميداني من البحث.

ثالثاً : أهداف البحث:

تتجسد أهداف البحث بالاتي :

١. دراسة مكونات تكنولوجيا المعلومات ومدى استخدامها من قبل المنشات الفندقية عينة البحث.

٢. بيان مدى تأثير مكونات تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في جودة الخدمات التي تقدمها المنشأت عينة البحث.

٣. بلورة مشكلة البحث أمام المعنيين في المنشات الفندقية بغية اطلاعهم على نقاط القوة للعمل على تعزيزها والحد من جوانب الضعف أو التخلص منها.

رابعاً :حدود الدراسة :

١. الحدود المكانية : تضمن البحث عينة من الفنادق السياحية في كربلاء.

٢. الحدود الزمانية : إن الحدود الزمانية للبحث تحددت بالمدة من ٢٠٠٥/١٠/١ ولغاية ٢٠٠٦/٤/٢٠.

٣. الحدود البشرية : تضمين البحث مديري الفنادق في الفنادق عينة البحث ومجموعة من الزبائن (زوار العتبات المقدسة).

خامسا: فرضيات الدراسة :

يتبنى البحث الفرضيات الآتية :

- الفرضية الرئيسة الأولى :

لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية , وتشتق منها الفرضيات الآتية :

١. لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحاسوب وجودة الخدمة الفندقية.
٢. لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية.
٣. لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الاتصالات وجودة الخدمة الفندقية.
٤. لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الكادر البشري وجودة الخدمة البشرية.

- الفرضية الرئيسية الثانية :

لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية وتشتق منها الفرضيات الفرعية الآتية :

١. لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الحاسوب وجودة الخدمة الفندقية.
٢. لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية.
٣. لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الاتصالات وجودة الخدمة الفندقية.
٤. لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الكادر البشري وجودة الخدمة الفندقية.

سادساً: أنموذج البحث الفرضي:

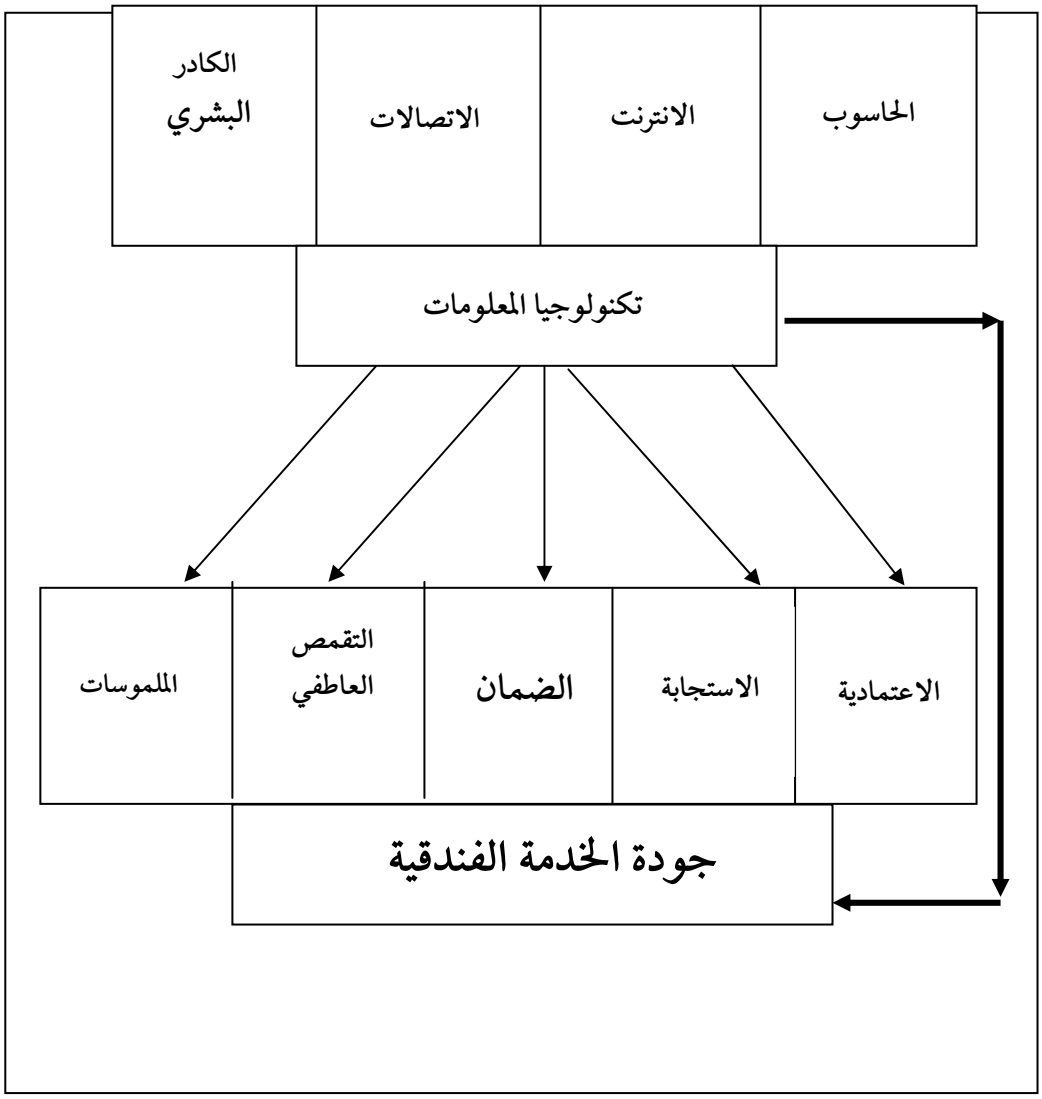

سابعاً: التعاريف الإجرائية :

١. تكنولوجيا المعلومات : هي الأجهزة والمعدات والبرامجيات وشبكات الاتصال البعدية وقواعد البيانات وغيرها من أدوات تكنولوجيا المعلومات التي تستخدم في الحصول على البيانات والمعلومات ومعالجتها وخزنها واسترجاعها.

أ - **الحاسوب :** نظام يتكون من مجموعة مترابطة من المكونات التي تؤدي مشتركة مع بعضها بعضاً الوظائف الأساسية للنظام من إدخال ومعالجة وإخراج وتخزين ورقابة , وبالتالي توفر للمستخدم النهائي أداة قوية لمعالجة البيانات (غراب وحجازي، ١٩٩٩ : ١٦١).

ب- **الانترنت :** وهي شبكة تضم مجموعة كبيرة من شبكات الكومبيوتر تنتشر في مختلف أنحاء العالم، وهي ذات أغراض متعددة وتدخل في مختلف مجالات الحياة من علوم وتجارة وصناعة واتصالات وغيرها. وتخضع لقواعد معينة تحكم عملية تبادل المعلومات وتضبط عملية التراسل بين المستفيدين منها(John,etal,١٩٩٧:١٤٣)(Mclean,١٩٩٩:١٦٩).

ج- **الاتصالات :** وهي مجموعة من الوسائل تستخدم لأغراض الاتصالات البعدية وتبادل البيانات والمعلومات من قبل الفندق وزبائنه ومن أهم هذه الوسائل هي التلفون، التلكس، الفاكس والبريد الالكتروني.

د- **الكادر البشري :** مجموعة من العاملين المتخصصين في مجال المعلوماتية يتمتعون بالخبرة والمهارة اللازمة لإدارة معدات تكنولوجيا المعلومات وعلى وجه الخصوص إدارة وتشغيل نظم المعلوماتية , وبالرغم من أهمية توافر المستلزمات المادية المتمثلة بالحاسوب ووسائل الاتصال المختلفة والبرامجيات إلا إن هذه المستلزمات لايمكن الاستفادة منها ما لم يتوافر كادر بشري يمتلك المؤهلات اللازمة في التعامل معها.

٢. جودة الخدمة الفندقية : تعد جودة الخدمة الفندقية محور أساس في عملية المنافسة , إذ تتنافس المنشآت الفندقية مع بعضها على أساسها , وان قياس كفاءة أدائها في السوق يتحدد بحسب مستوى هذه الجودة فهي تعني مدى تلبية الخدمة الفندقية لحاجات وتوقعات المستفيدين منها.

أ- **الاعتمادية :** يقصد بها في مجال الخدمة الفندقية مدى إمكانية المنشآت الفندقية على انجاز الخدمة التي وعدت الزبون بها بالدقة والموثوقية , أي انجاز الخدمة بشكل صحيح , وبالوقت الذي يطلب منه الزبون الخدمة.

ب- **الاستجابة :** تعني مدى رغبة العاملين على تقديم الخدمة المطلوبة , أي انجاز الخدمة في الوقت المناسب , أو حين الطلب عليها بما يضمن تحقيق رغبات وحاجات الزبائن.

ج- **الضمان :** ويقصد به مدى امتلاك العاملين في المنشأة الفندقية للمعرفة والخبرة اللازمة لانجاز الخدمة المطلوبة. فضلاً عن تحلّيهم بالأدب والصدق والنزاهة ومراعاتهم لمشاعر الزبائن عند التعامل معهم.

د- **التقمص العاطفي :** يعرف بأنه العناية بالزبائن ورعايتهم بشكل خاص والعمل على فهم ومعرفة حاجاتهم وتسهيل الاتصال بينهم وبين القائمين على الخدمة في الفندق.

هـ- **الملموسات :** تتمثل بالتسهيلات أو العناصر المادية ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بتقديم الخدمة ومن بينها المعدات ووسائل الاتصال المستخدمة والديكور وترتيب الأثاث والمظهر الخارجي للعاملين في الفندق.

تاسعاً : عينة البحث :

بما إن المنشات الفندقية تحتل أهمية خاصة في القطاع السياحي باعتباره من عناصر الجذب المهمة وعلى وجه الخصوص في محافظة كربلاء المقدسة لكثرة عدد الوافدين ممن يقصدون زيارة العتبات

المقدسة الموجودة فيها فقد تم اختيار عينتين إحداهما من مدراء الفنادق السياحية والأخرى من زوار العتبات المقدسة وقد بلغ حجم عينة مدراء الفنادق ٣٠ مديراً في حين بلغت عينة البحث من الزوار ٦٠ زائراً .

وقد استخدم الباحثين عدداً من الأساليب في جمع البيانات والمعلومات منها : المصادر العلمية والمقابلات الشخصية والمشاهد الميدانية ، وعلاوةً على ذلك فقد اعتمدت استمارة الاستبيان في هذا البحث بشكل أساس , لأهميتها في جمع البيانات , فقد تم تصميم الاستمارتين الأولى تخص مدراء الفنادق عينة البحث والثانية مختصة بالزبائن المتعاملين مع هذه المنشات الفندقية ، وقد تكونت استمارة المدراء من خمس عشرة فقرة تركزت على مكونات تكنولوجيا المعلومات وصيغت على المقياس ذي الإحدى عشرة درجة تنحصر بين (اتفق بنسبة ١٠٠٪ واتفق بنسبة ٠ ٪) بينما ضمت استمارة الزبائن خمس عشرة فقرة , تركزت على أبعاد جودة الخدمة الفندقية , وصيغت أيضاً على المقياس ذي الإحدى عشرة درجة تنحصر بين (اتفق بنسبة ١٠٠٪ واتفق بنسبة ٠ ٪).

وبهدف التأكد من الصدق الظاهري فقد تم عرض فقرات المقياس على مجموعة من الأساتذة المختصين في كليات جامعتي كربلاء وأهل البيت بهدف الحكم على مدى صلاحيتها في قياس الخاصية المراد قياسها , وقد أعيدت صياغة بعض الفقرات وفقاً لملاحظات هؤلاء الخبراء , من اجل تحقيق الدقة والوضوح في عملية جمع البيانات ، أضف إلى ذلك تم استخدام (الفاكرومباخ) للتحقق من الاتساق الداخلي (ألفا) للمقياس وقد بلغت متغيرات تكنولوجيا المعلومات (٩٧ .٠) ولأبعاد جودة الخدمة الفندقية (٠,٩٩) مما يدل على إن مقياس البحث يتسم بدرجة عالية من الاستقلالية في قياسه للمتغيرات المصمم من اجلها.

علاوة على ذلك فقد بلغ معامل الثبات لمقياس تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية (٠,٩٧ ، ٠,٩٩) على التوالي , مما يدل على إن استمارتي البحث لمتغيراتها المذكورة ذات ثبات عالي.

المبحث الثالث: نتائج التحليل الميداني

تم تحويل الإجابات على المقياس ذي الإحدى عشرة درجة بهدف قياس مستوى إجابة أفراد عينة البحث ، واعتمد الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) معياراً لقياس وتقييم الدرجة المستحصل عليها من خلال استجابات أفراد العينة ، علما أن الوسط الفرضي هو عبارة عن الوسط الحسابي لأوزان المقياس أي أن

$$٠,٥ = \frac{١+٠,٩+٠,٨+٠,٧+٠,٦+٠,٥+٠,٤+٠,٣+٠,٢+٠,١+٠}{١١}$$

وبناءً على ذلك سيتم إعطاء الوصف التفصيلي لاستجابات أفراد العينة كالآتي :

الجدول رقم (١)

التوزيعات التكرارية والأوساط الحسابية لمتغيرات تكنولوجيا المعلومات

أبعاد تكنولوجيا المعلومات	التوزيعات التكرارية												
الحاسوب	١	٠,٩	٠,٨	٠,٧	٠,٦	٠,٥	٠,٤	٠,٣	٠,٢	٠,١	٠	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
X١	٤	٥	٥	٤	٢	٢	٢	٣	١	١	١	٠,٦٥	٠,٢٨
X٢	٣	٣	٦	٢	٧	٢	١	٠	٤	٢	٠	٠,٦٢	٠,٢٧
X٣	٥	٢	٤	٦	٥	٣	٠	١	٢	٢	٠	٠,٦٥	٠,٢٦
X٤	٨	٢	٢	٢	٦	٥	١	٠	٢	٠	٢	٠,٦٥	٠,٢٩
المجموع	٢٠	١٢	١٧	١٤	٢٠	١٢	٤	٤	٩	٥	٣	٢,٥٧	١,١
المعدل												٠,٦٤	٠,٢٨
الانترنت													
X٥	٥	٣	٥	٣	٦	٣	١	٠	٢	٢	٠	٠,٦٦	٠,٢٦
X٦	٠	١	١	٣	٤	٥	٦	٥	٠	٢	٣	٠,٤٣	٠,٢٣
X٧	٠	١	٠	٢	٣	٤	٥	٤	٤	٢	٥	٠,٣٤	٠,٣
X٨	٩	٢	٣	٥	٥	٢	٠	٣	٠	١	٠	٠,٧٢	٠,٢٥
المجموع	١٤	٧	٩	١٣	١٨	١٤	١٢	١٢	٦	٧	٨	٢,١٥	١,٠٤
المعدل												٠,٥٤	٠,٢٦
الاتصالات													
X٩	٧	٢	٢	٧	٥	٤	٠	٣	٠	١	٠	٠,٧١	٠,٢١
X١٠	٧	٥	٦	٤	٣	٢	٠	٢	١	٠	٠	٠,٧٦	٠,٢٢
X١١	٨	٢	٣	٥	٤	٤	١	٢	٠	٠	١	٠,٧	٠,٢٥
X١٢	٨	٦	٦	٤	٢	٢	١	٠	١	٠	٠	٠,٨	٠,٢
المجموع	٣٠	١٥	١٧	٢٠	١٤	١٢	٢	٧	٢	١	١	٢,٩٧	٠,٨٨
المعدل												٠,٧٤	٠,٢٢
الكادر البشري													
X١٣	١	١	٢	٣	٢	٠	٢	٤	٥	٤	٦	٠,٣٤	٠,٣

X١٤	١	١	١	٠	١	٢	٧	٤	٢	٦	٥	٠,٣١	٠,٢٦
X١٥	٠	٢	٠	٣	٥	٠	٠	٦	٤	٣	٧	٠,٣٣	٠,٢٨
المجموع	٢	٤	٣	٦	٨	٢	٩	١٤	١١	١٣	١٨	٠,٩٨	٠,٨٤
المعدل												٠,٣٣	٠,٢٨
المعدل العام												٠,٦	٠,٢٦

أولاً : وصف متغيرات تكنولوجيا المعلومات بحسب استمارة الاستبيان:

يظهر الجدول (١) نتائج التحليل الإحصائي لإجابات مدراء الفنادق حول متغيرات تكنولوجيا المعلومات إذ يتضمن الأوساط الحسابية الموزونة والانحرافات المعيارية , ومن خلال استعراض النتائج الواردة في الجدول المذكور يتضح الآتي :

- ان تكنولوجيا المعلومات قد جاءت بمتوسط اعلى من الوسط الفرضي بقليل , اذ بلغ المتوسط الحسابي الموزون العام لها (٠,٦) وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) بشكل ملحوظ , وبأنحراف معياري (٠,٢٦) , مما يعني ان هناك استخدام لابأس به لادوات تكنولوجيا المعلومات من قبل الفنادق عينة البحث في ادارة الانشطة والفعاليات المختلفة.

❖ وعند ملاحظة الناتج الخاصة لكل بعد من ابعاد تكنولوجيا المعلومات تبين الاتي :

- إن الوسط الحسابي العام لمتغير الحاسوب بلغ (٠,٦٤) وهو في ارتفاع ملحوظ عن الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) وبانحراف معياري عام مقداره (٠,٢٨) مما يعني أن هناك استخدام لا بأس به لأجهزة الحاسوب والبرامجيات المتقدمة من قبل الفنادق عينة البحث في إدارة الأنشطة والفعاليات المختلفة.

وعند ملاحظة نتائج الفقرات الخاصة بمتغيرات الحاسوب ,نجد أن جميع فقراته قد ساهمت بدرجات متفاوته نسبياً في اغنائه وتحسين مستواه وهي (١,٣,٤,٢) ,(تستخدم إدارة الفنادق أجهزة حاسوب متقدمة في ممارسة أعمالها المختلفة) ,(يمكن من خلال أجهزة الحاسوب والبرامجيات تحقيق الاتصال بين إدارة الفندق والزبائن) , (يساهم استخدام الحاسوب في تحقيق وتطوير الخدمة الفندقية المقدمة للزبائن) ,(البرامج المستخدمة حالياً تعمل على تحليل وتبويب وتلخيص البيانات لإعداد المعلومات التي تحتاج إليها إدارة الفندق) , إذ جاءت بأوساط حسابية (٠,٦٥,٠,٦٥,٠,٦٥,٠,٦٢) وبانحرافات معيارية مقدارها (٠,٢٨,٠,٢٦,٠,٢٩,٠,٢٧) على التوالي.

- هناك انخفاض في الوسط الحسابي الموزون العام لمتغير الانترنت اذ جاء هذا المتغير بوسط حسابي موزون عام (٠,٥٤) وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) بقليل وبانحراف معياري عام مقداره (٠,٢٦) مما يدل على ضعف تبني هذا المتغير وعدم اهتمام إدارات الفنادق المبحوثة باستخدام الانترنت في تحسين الخدمة الفندقية.

وعند الدخول في تفاصيل نتائج التحليل الإحصائي لمتغير الانترنت نجد أن أفضل الفقرات التي أسهمت في وجوده هما (٨,٥) (يساعد موقع الفندق على شبكة الانترنت على زيادة إمكانية إدارة الفندق وسرعة استجابتها لطلبات ورغبات الزبائن) (يوجد للفندق موقع على شبكة الانترنت يتيح للزبائن على اختلاف أنواعهم الحصول على المعلومات عن الفندق ونوع الخدمة المقدمة من قبله)، إذ جاءت بأوساط حسابية (٠,٧٢,٠,٦٦) وهي أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥)، وبانحرافات معيارية

(٠,٢٥،٠,٢٦) على التوالي , أما الفقرات التي أسهمت في ضعف مستواه هما (٧,٦) , (تتيح إدارة الفندق للنزلاء استخدام شبكة الانترنت)، (تستخدم إدارة الفندق شبكة الانترنت للحصول على المعلومات عن الفنادق المنافسة) إذ جاءتا بأوساط حسابية موزونة (٠,٣٤،٠,٤٣) وبانحرافات معيارية (٠,٣،٠,٢٣) على التوالي.

وفيما يتعلق ببعد الاتصالات نجد إن هناك ارتفاعاً في الوسط الحسابي الموزون العام لمتغير الاتصالات إذ بلغ (٠,٧٤) وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) وبانحراف معياري عام (٠,٢٢) مما يدل على اهتمام الفنادق المبحوثة بتوفير شبكة للاتصالات الداخلية والخارجية واستخدام البريد الالكتروني لأغراض التراسل واستقبال المعلومات من والى الزبائن.

وعند ملاحظة الفقرات الخاصة بمتغير الاتصالات نجد أن جميع فقراته قد ساهمت في اغنائه وإثراء أدائه وهي (١٢,١٠,٩,١١) (تستخدم إدارة الفندق البريد الالكتروني لأغراض التراسل واستقبال المعلومات من الأشخاص والوكالات والشركات السياحية) , (يتوفر لدى إدارة الفندق منظومة للاتصالات الداخلية لاستقبال طلبات ومقترحات النزلاء وتزويدهم بالمعلومات المطلوبة) , (توفر إدارة الفندق منظومة شبكة للاتصالات الخارجية (هاتف ,تلكس,فاكس,ثريا) لتلبية حاجة الزبائن على اختلاف أنواعهم) (يساعد نظام الاتصالات الحالي للفندق على الاستجابة السريعة للمتغيرات قد تطرأ في البيئتين الداخلية والخارجية) قد بلغت أوساطها الحسابية الموزونة (٠,٨,٠,٧٦,٠,٧١,٠,٧)، وبانحرافات معيارية (٠,٢,٠,٢٢,٠,٢١,٠,٢٥)، على التوالي.

- أما فيما يتعلق بمتغير الكادر البشري فقد حقق أوطأ متوسط موزون عام حيث بلغ (٠,٣٣) وهو اقل من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (٠,٥) بانحراف معياري عام (٠,٢٨) مما يدل على إن الفنادق المبحوثة تفتقر إلى وجود كادر متخصص باستخدام تكنولوجيا المعلومات في العمل الفندقي.

وعند الدخول في تفاصيل نتائج التحليل الإحصائي , نجد إن جميع فقرات هذا المتغير قد أسهمت في تدني مستوى أدائه وهي (١٤,١٥,١٣)، (تهتم إدارة الفندق بإشراك العاملين ضمن دورات تدريبية في مجال العمل على أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات) , (هناك كادر متخصص في صيانة وإدامة أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات) , (تستعين إدارة الفندق بكادر وظيفي متخصص يتمتع بالخبرة اللازمة للعمل على أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات قد حققت أوساط حسابية (٠,٣١,٠,٣٣,٠,٣٤) وهي اقل من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) وبانحرافات معيارية (٠,٢٦,٠,٢٨,٠,٣) على التوالي.

الجدول رقم (٢)

التوزيعات التكرارية والأوساط الحسابية لإبعاد جودة الخدمة

أبعاد جودة الخدمة	التوزيعات التكرارية												
الاعتمادية	١	٠,٩	٠,٨	٠,٧	٠,٦	٠,٥	٠,٤	٠,٣	٠,٢	٠,١	٠	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
X_1	١١	٩	٤	٩	٨	٨	٤	٣	٢	٠	٢	٠,٧	٠,٢٦
X_2	١٠	٨	٨	٩	٧	٨	٤	٣	١	٢	٠	٠,٧	٠,٢٤

$X_{٣}$	٩	٧	٦	٨	٠	٨	٥	١٠	٢	٤	١	٠,٦	٠,٣
المجموع	٣٠	٢٤	١٨	٢٦	١٥	٢٤	١٣	١٦	٥	٦	٣	٢	٠,٨
المعدل												٠,٧	٠,٢٧
الاستجابة													
$X_{٤}$	١٠	٧	٨	٦	٧	٦	٤	٥	٤	٣	٠	٠,٦٣	٠,٢٨
$X_{٥}$	١٠	٩	٧	٩	٥	٨	٣	٣	٢	٤	٠	٠,٦٧	٠,٢٧
$X_{٦}$	٦	٦	١٠	٩	٥	٨	٣	٨	٠	٢	٤	٠,٦١	٠,٢٧
المجموع	٢٦	٢٢	٢٥	٢٤	١٧	٢٢	١٠	١٦	٦	٩	٤	١,٩١	٠,٨٢
المعدل												٠,٦٤	٠,٢٧
الضمان													
$X_{٧}$	٦	٦	٧	٨	٤	٥	٩	٨	٦	٠	١	٠,٦	٠,٢٧
$X_{٨}$	٧	٧	٩	٥	٧	٩	٥	٣	٢	٠	٠	٠,٦	٠,٢٩
$X_{٩}$	١٠	٧	٩	٨	٨	٨	٤	٠	٤	٢	٠	٠,٧	٠,٢٥
المجموع	٢٣	٢٠	٢٥	٢١	١٩	٢٢	١٨	١١	١٢	٢	١	١,٩	٠,٨١
المعدل												٠,٦٣	٠,٢٧
التقمص العاطفي													
$X_{١٠}$	٨	٣	٨	٥	٨	١٠	٥	٦	٥	٢	٠	٠,٦	٠,٢٦
$X_{١١}$	٧	٤	٦	٧	٩	٩	٦	٥	٤	٠	٣	٠,٦	٠,٢٧
$X_{١٢}$	٧	٤	٦	٨	٧	٩	٥	٥	٢	٤	٣	٠,٦	٠,٢٨
المجموع	٢٢	١١	٢٠	٢٠	٢٤	٢٨	١٦	١٦	١١	٦	٦	١,٨	٠,٨١
المعدل												٠,٦	٠,٢٧
الملموسات													
$X_{١٣}$	٩	٨	٨	٩	٨	٨	٥	٢	٠	٠	٣	٠,٧	٠,٢٥
$X_{١٤}$	٩	٧	٨	١٠	٨	٦	٦	٠	٣	٣	٠	٠,٧	٠,٢٥
$X_{١٥}$	٨	٤	٥	٦	٤	٩	٧	٦	٥	٥	١	٠,٦	٠,٢٩
المجموع	٢٦	١٩	٢١	٢٥	٢٠	٢٣	١٨	٨	٨	٨	٤	٢	٠,٧٩
المعدل												٠,٧	٠,٣
المعدل العام												٠,٧	٠,٢٨

ثانياً :وصف أبعاد جودة الخدمة الفندقية بحسب استمارة الاستبيان:

يظهر الجدول رقم (٢) نتائج التحليل الإحصائي لإجابات الزبائن حول أبعاد جودة الخدمة الفندقية ، حيث يتضمن الأوساط الحسابية الموزونة والانحرافات المعيارية ، ومن خلال استعراض النتائج الواردة في الجدول المذكور يتضح الآتي :

- إن جودة الخدمة الفندقية قد جاءت بمستوى جيد , إذ بلغ المتوسط الحسابي الموزون العام لها (٠,٧) وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) وبانحراف معياري (٠,٢٨) مما يدل على أن جودة الخدمة المقدمة من قبل الفنادق المبحوثة قد تحققت بمستوى جيد.

وعند ملاحظة النتائج الخاصة لكل بعد من أبعاد جودة الخدمة يتبين الآتي :

- إن بعد الاعتمادية قد حقق متوسط موزون عام مقداره (٠,٧)، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) بارتفاع ملحوظ وبانحراف معياري (٠,٢٧) مما يدل على أن هذا البعد قد تحقق بمستوى جيد.

وعند الدخول في تفاصيل التحليل الإحصائي لبعد الاعتمادية نجد إن جميع فقرات هذا المتغير قد أسهمت في تحسين مستواه إذ جاء بأوساط حسابية موزونة (٠,٧,٠,٧,٠,٦) هي (١,٢,٣)، وهي أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) وبانحرافات معيارية (٠,٢٦,٠,٢٤,٠,٣) على التوالي.

- وبالنسبة لبعد الاستجابة فقد حقق متوسط موزون عام مقداره (٠,٦٤) وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) بانحراف معياري (٠,٢٧) مما يؤشر الى إن المتحقق من مستوى هذا البعد أعلى بقليل من الوسط الفرضي وهو دون طموح الزبائن أو المستفيدين من الخدمة الفندقية.

وعند إمعان النظر في الفقرات الأساسية لهذا البعد نجد أن جميع فقراته قد أسهمت في تحسين أدائه وهي (٥,٤,٦) (يستجيب العاملون لطلبات الزبائن بسرعة) , (يبادر العاملون في الفندق على تقديم الخدمات) , (تقدم الخدمات التي يحتاج إليها الزبائن بالأوقات التي يرغبون فيها) إذ جاءت بأوساط حسابية موزونة (٠,٦٧,٠,٦٣,٠,٦١) وهي أعلى من الوسط الفرضي (٠,٥) وبانحرافات معيارية (٠,٢٧,٠,٢٨,٠,٢٧) على التوالي.

- وفيما يخص بعد الضمان فقد حقق متوسط موزون عام مقداره (٠,٦٣) بانحراف معياري (٠,٢٧) مما يعني هذا البعد قد جاء بمستوى أعلى بقليل من الحد الأدنى وان هناك حاجة لزيادة الاهتمام والعناية به لتلبية رغبات وحاجات الزبائن.

وعند إرجاع هذا البعد إلى فقراته الأساسية نجد إن جميعها قد أسهمت في تعزيز مستواه (يتصف العاملون في الفندق في الأمانة والصدق) , (يتمتع العاملون في الفندق بالمؤهلات اللازمة لأداء الخدمات الفندقية المطلوبة) , (يعامل الزبائن من قبل العاملون في الفندق باحترام وتقدير) إذ جاء بأوساط حسابية موزونة (٠,٧,٠,٦,٠,٦) وهي أعلى من الوسط الفرضي (٠,٥) وبانحرافات معيارية (٠,٢٥,٠,٢٧,٠,٢٩) على التوالي.

- كذلك حقق بعد التقمص العاطفي متوسط موزون عام مقداره (٠,٦) وهو أعلى بقليل من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) وبانحراف معياري (٠,٢٧) مما يدل على أن هذا البعد قد تحقق بمستوى الحد الأدنى وهو بحاجة إلى المزيد من الاهتمام لتلبية ما يطمح إليه الزبائن ضمن نطاق هذا البعد من أبعاد جودة الخدمة الفندقية.

- وفيما يتعلق ببعد الملموسات فقد جاء بموسط موزون عام مقداره (٠,٧) وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) بارتفاع مناسب وبانحراف معياري (٠,٣) مما يعني إدارات الفنادق المبحوثة تبدي اهتماماً ملحوظاً في هذا البعد.

وعند الدخول في تفاصيل التحليل الإحصائي نجد إن جميع فقرات هذا المتغير قد أسهمت في تحسين مستواه وهي (١٣,١٤,١٥) (يقوم مقدمي الخدمة في الفندق بتنظيف وترتيب الأثاث في غرف وصالات الفندق بصورة مستمرة) , (يوجد في الفندق منظومة اتصال متطورة " هاتف , تلكس , فاكس , ثريا , انترنت ") , (يتوفر في الفندق وسائل الراحة اللازمة لسكن الزبائن) إذ جاءت بأوساط حسابية موزونة (٠,٧,٠,٧,٠,٦) وهي أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٠,٥) بارتفاع ملحوظ وبانحراف معياري قدره (٠,٢٥,٠,٢٥,٠,٢٩) على التوالي مما يعني إن الفنادق المبحوثة قد حققت مستوى حقيقياً من وجهة نظر الزبائن فيما يتعلق في بعد الملموسات.

المبحث الرابع: تحليل علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة

يتناول هذا المبحث تحليل علاقة الارتباط بين تكنولوجيا المعلومات , وجودة الخدمة الفندقية من اجل اختبار مدى صحة الفرضية الرئيسة الأولى والفرضيات الفرعية المنبثقة عنها والتي مفادها (لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية).

الجدول رقم (٣)

نتائج علاقات الارتباط بين متغيرات تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية

المتغير المعتمد	الجودة			
المتغير المستقل	R	المحسوبة t	الجدولية t	مستوى المعنوية
الحاسوب	٠,٩٥	٩,٥	١,٨٣	٠,٠٥
الانترنيت	٠,٩	٦,٣	١,٨٣	٠,٠٥
الاتصالات	٠,٩٥	٩,٢	١,٨٣	٠,٠٥
الكادر البشري	٠,٢٧	٠,٨٣	١,٨٣	٠,٠٥
المؤشر الكلي	٠,٩٧	١١,٣	١,٨٣	٠,٠٥

- يظهر الجدول (٣) نتيجة قياس علاقة الارتباط بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية إذ يتضح وجود علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين هذين المتغيرين المذكورين آنفاً تفصيلاً وإجمالاً إذا بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٩٧) وهي قيمة عالية تعكس وجود علاقة ايجابية ذات دلالة إحصائية بمستوى ثقة (٩٥ ٪) وتفسر هذه العلاقة انه كلما اعتمدت الفنادق على تكنولوجيا المعلومات في عملها , كان هناك تأثير واضح على جودة الخدمة المقدمة من قبلها ومن ثم قدرتها على تحقيق رضا الزبائن , وتؤشر النتيجة السابقة إن العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية هي علاقة

ذات دلالة معنوية إذ بلغت قيمة t المحسوبة (١١,٣) وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (١,٨٣) عند مستوى معنوية (٠,٠٥).

- يتضح من الجدول (٣) إن نتيجة قياس علاقة الارتباط بين الحاسوب وهو احد متغيرات تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية إذ يتضح وجود علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين الحاسوب وجودة الخدمة الفندقية , إذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٩٥) وهي قيمة عالية تعكس وجود علاقة ايجابية ذات دلالة إحصائية بمستوى ثقة (٩٥٪) إذ بلغت قيمة t المحسوبة (٩,٥) وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (١,٨٣) عند مستوى معنوية(٠,٠٥).

وتأسيسا على ذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الأولى (لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الحاسوب وجودة الخدمة الفندقية) لعدم وجود مايثبت صحتها.

- يظهر الجدول (٣) نتيجة قياس علاقة الارتباط بين الانترنت وهو احد متغيرات تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية إذ يتضح وجود علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية. إذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٩) وهي قيمة عالية تعكس وجود علاقة ايجابية ذات دلالة إحصائية بمستوى ثقة (٩٥٪), إذ بلغت قيمة t المحسوبة (٦,٣) وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (١,٨٣) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) وتأسيساً على ذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الثانية (لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية) لعدم وجود مايثبت ذلك.

- يبين الجدول (٣) نتيجة قياس الارتباط بين متغير آخر من متغيرات تكنولوجيا المعلومات (الاتصالات) وجودة الخدمة الفندقية إذ يتضح وجود علاقة دلالة إحصائية موجبة بين الاتصالات وجودة الخدمة الفندقية , إذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينها (٠,٩٥) وهي قيمة عالية تعكس وجود علاقة ايجابية ذات دلاله إحصائية بمستوى ثقة (٩٥٪) , إذ بلغت قيمة tالمحسوبة (٩,٢) وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (١,٨٣) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) وتأسيساً على ذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الثالثة (لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الاتصالات وجودة الخدمة الفندقية) لعدم وجود مايثبت صحتها.

- يظهر الجدول(٣) نتيجة قياس الارتباط بين الكادر البشري وهو احد متغيرات تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية إذ يتضح وجود علاقة ارتباط موجبة بين الكادر البشري وجودة الخدمة الفندقية , إذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٢٧) وهي قيمة ضعيفة , فقد بلغت قيمة t المحسوبة (٠,٨٣) وهي اصغر من قيمة t الجدولية البالغة (١,٨٣) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) وتأسياً على ذلك يتم قبول الفرضية الفرعية الرابعة (لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلاله احصائية بين الكادر البشري وجودة الخدمة الفندقية).

وبناءً على على ماتقدم ترفض الفرضية الرئيسة الأولى (لاتوجد علاقة ارتباط ذات دلاله إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية).

المبحث الخامس: تحليل علاقات التأثير بين متغيرات الدراسة

يتناول هذا المبحث تحليل علاقات التأثير بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية من اجل اختبار مدى صحة الفرضية الرئيسة الثانية والفرضيات الفرعية المنبثقة عنها والتي مفادها (لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية).

تحليل علاقة الأثر بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية :

تشير معطيات الجدول (٤) إلى نتائج علاقات التأثير بين متغيرات تكنولوجيا المعلومات (تفصيلا وإجمالا) وإجمالي جودة الخدمة الفندقية : إذ بلغ معامل التحديد R^2 لإجمالي تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية مانسبته (٩٣٪) وهي نسبة عالية وتعني قدرة المتغير المتمثل بتكنولوجيا المعلومات على تفسير التغير الذي يطرأ على المتغير المعتمد (جودة الخدمة الفندقية) بنحو ماقيمته (٩٣٪) وان النسبة المتبقية (٧٪) تمثل نسبة اسهام متغيرات غير داخلة في انموذج الدراسة الحالي او التي لايمكن السيطرة عليها.

يدعم ذلك اختبار F , فقد بلغت قيمة F المحسوبة (١٢٦.٦) وهي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة (٥,١٢) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) أي بدرجة ثقة (٩٥٪).

الجدول (٤)

نتائج علاقات التأثير بين متغيرات تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية

المتغير المعتمد	الجودة			
المتغير المستقل	R٢	F لمحسوبة	F الجدولية	Sig
الحاسوب	٩١٪	٩٠,٢	٥,١٢	٠,٠١
الانترنت	٨١٪	٣٩,٥	٥,١٢	٠,٠٢
الاتصالات	٩١٪	٨٥,٣	٥,١٢	٠,٠١
الكادر البشري	١٠٪	٠,٦٩	٥,١٢	٠,٤٣
المؤشر الكلي	٩٣٪	١٢٦,٦	٥,١٢	٠,٠٠١

F الجدولية (١,٩,٠,٠٥) = ٥,١٢

تحليل علاقة الأثر بين الحاسوب وجودة الخدمة الفندقية

- تشير معطيات الجدول (٤) الى نتائج علاقة التأثير , اذ بلغ معامل التحديد R^2 لمتغير الحاسوب وهو احد متغيرات تكنولوجيا المعلومات واجمالي جودة الخدمة الفندقية مانسبته (٩١٪) وهي نسبة عالية مما يعني قدرة متغير الحاسوب على تفسير التغير الذي يطرأ على متغير جودة الخدمة الفندقية بنحو ماقيمته (٩١٪) وان النسبة المتبقية (٩٪) تمثل نسبة اسهام متغيرات غير داخله في انموذج الدراسة الحالي او التي لايمكن السيطرة عليها. يدعم ذلك اختبار F فقد بلغت قيمة F المحسوبة (٩٠,٢) وهي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة (٥,١٢) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) أي بدرجة ثقة (٩٥٪) مما يدل على رفض الفرضية الفرعية الأولى (لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الحاسوب وجودة الخدمة الفندقية).

- **تحليل علاقة الأثر بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية :**

من الجدول (٤) يتبين علاقة التأثير بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية , إذ بلغ معامل التحديد R^2 مانسبته (٨١٪) وهي نسبة عالية ممايعني قدرة متغير الانترنت على تفسير التغير الذي يطرأ على متغير جودة الخدمة الفندقية بنحو ماقيمته (٨١٪) وان النسبة المتبقية (١٩٪) تمثل إسهام متغيرات غير داخلة في انموذج الدراسة الحالي أو التي لايمكن السيطرة عليها.

يدعم ذلك اختبار F فقد بلغت قيمة F المحسوبة (٣٩,٥) وهي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة (٥,١٢) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) أي بدرجة ثقة (٩٥٪) , مما يدل على رفض الفرضية الفرعية الثانية (لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الانترنت وجودة الخدمة الفندقية).

- **تحليل علاقة الأثر بين الاتصالات وجودة الخدمة الفندقية :**

تشير معطيات الجدول (٤) إلى نتائج علاقة التأثير , إذ بلغ معامل التحديد R^2 لمتغير الاتصالات وهو احد متغيرات تكنولوجيا المعلومات وإجمالي جودة الخدمة الفندقية مانسبته (٩١٪) وهي نسبة عالية ويعني قدرة متغير الاتصالات على تفسير التغير الذي يطرأ على متغير جودة الخدمة الفندقية بنحو ماقيمته (٩١٪) وان النسبة المتبقية (٩٪) تمثل نسبة إسهام متغيرات غير داخلة في انموذج الدراسة الحالي أو التي لايمكن السيطرة عليها.

يدعم ذلك اختبار F فقد بلغت قيمة F المحسوبة (٨٥,٣) وهي اكبر من قيمة F الجدولية البالغة (٥,١٢) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) أي بدرجة ثقة (٩٥٪) , مما يدل على رفض الفرضية الفرعية الثالثة (لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الاتصالات وجودة الخدمة الفندقية).

- **تحليل علاقة الأثر بين الكادر البشري وجودة الخدمة الفندقية :**

من خلال الجدول (٤) الذي يبين نتائج علاقة التأثير , فقد بلغ معامل التحديد R^2 لمتغير الكادر البشري وهو احد متغيرات تكنولوجيا المعلومات وإجمالي جودة الخدمة الفندقية مانسبته (١٠٪) وهي نسبة ضعيفة جداً ويعني قدرة متغير الكادر البشري (المتغير المستقل) على تفسير التغير الذي يطرأ على متغير جودة الخدمة الفندقية بنحو ماقيمته (١٠٪) وان النسبة المتبقية (٩٠٪) تمثل نسبة إسهام متغيرات غير داخلة في انموذج الدراسة الحالي أو التي لايمكن السيطرة عليها.

يدعم اختيار F فقد بلغت قيمة F المحسوبة (٠,٦٩) وهي اصغر من قيمة F الجدولية البالغة (٥,١٢) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) أي بدرجة ثقة (٩٥٪), مما يدل على قبول الفرضية الفرعية الرابعة (لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الكادر البشري وجودة الخدمة الفندقية).

وبناءا على ماتقدم ترفض الفرضية الرئيسة الثانية بنسبة ٧٥٪(لاتوجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة الفندقية).

المبحث السادس: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات:

١. تأرجحت قيم الأوساط الحسابية لأبعاد تكنولوجيا المعلومات , فقد حقق بعد الاتصالات أعلى متوسط عام موزون إذ بلغ (٠,٧٤) مما يدلل على الأهمية التي يحتلها هذا البعد في تحسين جودة الخدمة

الفندقية. من جانب آخر , حقق بعد الكادر البشري أوطأ متوسط عام موزون , إذ بلغت قيمته (٠,٣٣) , مما يؤشر إلى عدم وجود كادر بشري متخصص في مجال المعلوماتية وتقنياتها.

٢. يتبين من نتائج الإجابة على الفقرات المتعلقة بأبعاد تكنولوجيا المعلومات , إن بعد الانترنت كان الأكثر تقلباً في قيم أوساطه الحسابية للفقرات المتعلقة في هذا البعد , إذ كان الحد الأدنى لهذه الأوساط (٠,٣٤) للفقرة (٧) (تتيح إدارة الفندق للنزلاء استخدام شبكة الانترنت) في حين بلغت قيمة الحد الأعلى لهذه الأوساط (٠,٧٢) للفقرة (٨) (يساعد موقع الفندق على شبكة الانترنت على زيادة إمكانية إدارة الفندق وسرعة استجابتها لطلبات ورغبات الزبائن) مما يعني إن شبكة الانترنت المتوفرة لدى الفنادق المبحوثة كانت مخصصة لخدمة الأعمال الإدارية منها لخدمة الحاجات الشخصية للنزلاء كما هو واضح من قيم نتائج الإجابة.

٣. وفيما يخص أبعاد أو متغيرات جودة الخدمة الفندقية , فأن تأرجح قيم الأوساط الحسابية لفقرات اغلب أبعادها كانت متشابهة , إذ بلغت قيمة الحد الأدنى لهذه الأوساط (٠,٦) وقيمة الحد الأعلى (٠,٧) لأبعاد (الاعتمادية , الضمان , الملموسات) , بينما كان تأرجح قيم الأوساط الحسابية أكثر تقاربا لبعد الاستجابة , أما بعد التقمص العاطفي فقد كانت قيم الأوساط الحسابية لفقراته ثابتة عند قيمة (٠,٦).

٤. كانت علاقات الارتباط بين متغيرات تكنولوجيا المعلومات وإجمالي جودة الخدمة الفندقية معنوية وذات دلالة إحصائية فيما يخص (الحاسوب , الاتصالات , الانترنت) , إذ بلغت قيم معاملات ارتباطاتها (٠,٩,٠,٩٥,٠,٩٥) على التوالي , إذ بلغت قيمة t المحسوبة (٦,٣,٩,٢,٩,٥) على التوالي وهي اكبر من قيمة t الجدولية البالغة (١,٨٣) في حين كانت علاقة الارتباط بين متغير الكادر البشري وإجمالي جودة الخدمة الفندقية غير معنوية إذ بلغت قيمة معامل الارتباط (٠,٢٧) وهي قيمة ضعيفة وبلغت قيمة t المحسوبة (٠,٨٣) وهي اصغر من قيمة t الجدولية (١,٨٣) مما يؤشر على ضعف اهتمام إدارات الفنادق المبحوثة في اختيار وتعيين العاملين من أصحاب المؤهلات اللازمة للعمل في النشاط الفندقي.

٥. أما فيما يتعلق بالعلاقات التأثيرية , فقد اتضح من التحليل الإحصائي , أن أبعاد تكنولوجيا المعلومات (الحاسوب, الاتصالات, الانترنت)كانت لها تأثير واضح في جودة الخدمة الفندقية , إذ بلغت قيم F المحسوبة (٣٩,٥,٨٥,٣,٩٠,٢) على التوالي , عند مستوى معنوية (٠,٠٥) , في حين كانت علاقة تأثير المتغير المستقل (الكادر البشري) بالمتغير المعتمد (جودة الخدمة) ضعيفة إذ بلغت قيمة F المحسوبة (٠,٦٩) عند مستوى معنوية (٠,٠٥) مما يؤشر على إن هناك اهتماماً واضحاً من قبل إدارات الفنادق المبحوثة على اقتناء أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات من جانب آخر , فأن هذه النتائج تؤشر أيضا ضعف إمكانات ومؤهلات الكادر الوظيفي العامل في المنشآت الفندقية.

ثانياً : التوصيات :

١. نظراً لتناول موضوع البحث النشاط الفندقي في مدينة دينية مهمة (مدينة كربلاء المقدسة) , التي تشتهر بكثرة الوافدين إليها , وعلى وجه الخصوص المسلمين من العرب والأجانب , لذا فأن الأمر يستلزم من الجهات الرسمية ذات العلاقة بالقطاع السياحي متابعة النشاط الفندقي وتشجيع الإدارات الفندقية على تبني أدوات تكنولوجيا المعلومات الحديثة ، وذلك لما لها من انعكاسات ايجابية يمكن أن تتجسد في الارتقاء بمستوى الخدمة الفندقية , ومن ثم إعطاء صورة أفضل عن واقع هذا النوع من

الخدمات السياحية , التي يمكن أن يكون لها مردود اقتصادي كبير على المدى البعيد , إذ بات من الممكن أن يشكل قطاع السياحة الدينية في العراق إحدى دعائم الاقتصاد والتنمية المهمة.

٢. بما إن تكنولوجيا المعلومات تتضمن أساليب حديثة ومتطورة يمكن من خلالها تحسين جودة الخدمة الفندقية لذا نجد من الأهمية بمكان تعميق وعي المسؤولين والعاملين في المنشآت الفندقية بأهمية تكنولوجيا المعلومات ودورها في تحسين الأداء الفندقي من خلال قيام الجهات المعنية في القطاع السياحي بتعميم ونشر التجارب العربية والعالمية الرائدة في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات في القطاع الفندقي.

٣. إشراك العاملين في الفنادق المعنية بدورات تدريبية متخصصة في تقانة المعلومات وإدارة جودة الخدمة بغية الارتقاء بمستوى أدائهم بما ينسجم والدور الذي يمكن أن يحتله القطاع السياحي في عملية التنمية الشاملة.

٤. تشجيع المؤسسات العلمية على إقامة مؤتمرات علمية متخصصة لبحث مختلف أبعاد النشاط السياحي وضرورة حث الإدارات الفندقية على الاستفادة من التوصيات المتمخضة عن هذه المؤتمرات من اجل إيجاد أسس وثوابت علمية تكون منطلقا لآفاق مستقبلية تتواصل مع التطورات التي تشهدها مجتمعات عالمنا المعاصر.

٥. بما إن حركة الصناعة الفندقية في مدينة كربلاء تجري إلى حد ما بمعزل عن النشاط الفندقي العالمي , مما اثر على أدائها في مجال التشييد والتعاطي مع الخدمة المقدمة الى الزائرين وتنوعها وفنونها , وافتقارها لكثير من الخبرات والتجارب الناضجة في المضمار السياحي العالمي , لذا نوصي بضرورة منح تراخيص تشييد المشاريع الفندقية وممارسة الخدمة فيها وفق ضوابط محددة وواضحة ترتقي إلى مستوى المعايير الدولية في المجال السياحي , أضف إلى ذلك , ضرورة استخدام كادر بشري متخصص قادر على التعامل مع التقانة المعلوماتية والتكيف مع التطورات الحاصلة فيها , علاوة على إيمانه بأن الخدمة التي يقدمها للزائرين هي من مفردات واجبه الديني.

المصادر باللغة العربية

١. بلقاسم , زابيري , وعلي بلطاش ,"طبيعة التجارة الالكترونية وتطبيقاتها " , مجلة المستقبل العربي , العدد — ٢٨٨ , ٢٠٠٣.

٢. غراب , كامل السيد , وحجازي فادية محمد , " نظم المعلومات الإدارية , مدخل إداري " , ط١ , مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية , ١٩٩٩.

المصادر باللغة الانكليزية

١. Chase B.R and others , "Operation management for competitive advantage",
Mc Graw –Hill co. , ٢٠٠١.

٢.Evans, R.james, "production operation management quality: performance and value ",٥th ed , west pub co. ,١٩٩٧.

٣.Garvin ,D.A , "Managing Quality" , Newyork , ١٩٨٨.
٤.Haag , Stephen and keen , peter , "Information Technology : Tomorrow advantage today" , Mc Graw-Hill co. , ١٩٩٦.
٥.Haksever , Cengiz and others , "Service management and Operation" , Prentice Hall , ٢٠٠٠.
٦.Heizer , J. and Rander , B. , " Operation management" , ٦th ed. , prentice Hall , ٢٠٠١.
٧.Ivancevich and others , " management Quality and competitivness" , ٢th ed. , Mc Graw-Hill co. ,١٩٩٧.
٨. John , M.Ivancevich and Other ,"Management Quality and Competitiveness",٢nd ed,Mc Graw-Hill co.,١٩٩٧.
٩. Kennth , C.L. and Jane,P. , "management information system" , Mc Graw-Hill co. , ٢٠٠٠.
١٠. Mclean, Ephraim,"Information Technology for management, Making connections for strategic advantage" johin wiley and sons,Inc-New York- USA, ١٩٩٩.
١١. Morgan, Colin and Murgatroyd, Stephen ,"Total Quality management in the public sector"An International Perspective, ١٩٩٤.
١٢. O.Brein , J.A , "Introduction to information system" , McGrow-Hill co. , ٢٠٠٣.
١٣. Powell , T.A and Micallef , A.D ," Introduction Technology as competitive advantage – the role of human business and technology resources" , strategic management , journal , vol – ١٨ , no-٥ , ١٩٩٧.
١٤. Seen ,J.A , " Information Technology in business : principles , practice and opportunities" ٢nd ed , prentice hall co. , ١٩٩٨.
١٥. Turban , E. , and mclean , E. ," Information technology in management : making connections for strategic advantegy" ٢nd ed. , ١٩٩٩.

١٦. Williams , Brian ,k. , Sawyer , Staeege , Huthinson , Sarah , E. , "Using
Information Technology : Apractical introduction to computers and
communications" , ٢nd ed. , Mc Graw-Hill co. , ١٩٩٧ .

الملحق (١) بيانات عامة

الجنس: ذكر أنثى

العمر: اقل من ٢٥ ٢٦- ٤٠ ٤١- ٥٥ ٥٦ فأكبر

المؤهل العلمي : يقرأ ويكتب متوسطة ثانوية معهد بكالوريوس ماجستير

عدد سنوات الخدمة ١- ٧ ٤- ١٤ ١- ٢١ ٢٢ فأكثر

❖ الحاسوب :

مجموعة من المكونات الالكترونية التي تساعد في معالجة وتخزين البيانات والمعلومات .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٧٠٪	٨٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	تستخدم إدارة الفندق أجهزة حاسوب متقدمة في ممارسة أعمالها المختلفة											
٢	البرامج المستخدمة حالياً تعمل على تحليل وتبويب وتلخيص البيانات لإعداد المعلومات التي تحتاج إليها إدارة الفندق											
٣	يمكن من خلال أجهزة الحاسوب والبرامجيات تحقيق الاتصال بين إدارة الفندق والزبائن على اختلاف أنواعهم (أشخاص ، وكالات وشركات سياحية)											
٤	يساهم استخدام الحاسوب في تحقيق وتطوير الخدمة الفندقية المقدمة للزبائن											

الانترنت :

شبكة من الحاسبات المتشابهة أو المختلفة الأنواع والأحجام تربطها قواعد عملية المشاركة في تبادل المعلومات وضبط عملية التراسل بين هذه الحاسبات .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٧٠٪	٨٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	يوجد للفندق موقع على شبكة الانترنت يتيح للزبائن											

	على اختلاف أنواعهم (أشخاص ، وكالات وشركات سياحية) الحصول على المعلومات عن الفندق ونوع الخدمة المقدمة من قبله										
٢	تستخدم إدارة الفندق شبكة الانترنت للحصول على المعلومات عن الفنادق المنافسة										
٣	تتيح إدارة الفندق للنزلاء استخدام شبكة الانترنت										
٤	يساعد موقع الفندق على شبكة الانترنت على زيادة إمكانية إدارة الفندق وسرعة استجابتها لطلبات ورغبات الزبائن (أشخاص ، وكالات أو شركات سياحية)										

الاتصالات :

مجموعة من الوسائل تستخدم لأغراض الاتصال لنقل البيانات والمعلومات بين الفندق وزبائنه .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٧٠٪	٨٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	توفر ادارة الفندق منظومة شبكة للاتصالات الخارجية (هاتف ، تلكس ، فاكس ، ثريا) لتلبية حاجة الزبائن على اختلاف انواعهم											
٢	يتوفر لدى إدارة الفندق منظومة للاتصالات الداخلية لاستقبال طلبات ومقترحات النزلاء وتزويدهم بالمعلومات المطلوبة											
٣	يساعد نظام الاتصالات الحالي للفندق على الاستجابة السريعة للمتغيرات التي قد تطرأ في البيئتين الداخلية والخارجية .											
٤	تستخدم إدارة الفندق البريد الالكتروني لأغراض التراسل واستقبال المعلومات من الأشخاص والوكالات والشركات السياحية .											

الكادر البشري :

مجموعة من العاملين الذين يتمتعون بالخبرة والمهارة اللازمة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٨٠٪	٧٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	تستعين إدارة الفندق بكادر وظيفي متخصص يتمتع بالخبرة اللازمة للعمل على أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات											
٢	تهتم إدارة الفندق بإشراك العاملين ضمن دورات تدريبية في مجال العمل على أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات .											
٣	هناك كادر متخصص في صيانة وإدامة أجهزة ومعدات تكنولوجيا المعلومات											

الملحق (٣)

استمارة استبيان للبحث الموسوم

((اثر تكنولوجيا المعلومات في جودة الخدمة الفندقية))

الجنس: ذكر أنثى

العمر: اقل من ٢٥ ٢٦- ٤٠ ٤١- ٥٥ ٥٦ فأكبر

بلد ساكن الفندق

١. الاعتمادية :

تعني إمكانية إدارة الفندق والعاملين على إنجاز الخدمة بالدقة والموثوقية التي وعد بها زبائن الفندق أي إنجاز الخدمة بشكل صحيح وبالوقت الذي يطلب فيه الزبون الخدمة .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٨٠٪	٧٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	تنجز الخدمة المطلوبة بالوقت المناسب											
٢	تؤدي الخدمة وفقاً لما هو متوقع عن سمعة وشهرة الفندق											
٣	الخدمات التي يقدمها الفندق تلبي حاجات ورغبات الزبائن											

٢.الاستجابة :

مدى رغبة واستعداد العاملين على تقديم الخدمة بالشكل الذي يحقق رغبات الزبائن .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٨٠٪	٧٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	يبادر العاملون في الفندق على تقديم الخدمات .											
٢	يستجيب العاملون لطلبات الزبائن بسرعة .											
٣	تقدم الخدمات التي يحتاج إليها الزبائن بالأوقات التي يرغبون فيها .											

٣. المضمونية اوالضمان :

معرفة وكفاءة وكياسة القائمين بالخدمة ومقدرتهم على كسب ثقة الزبائن .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٧٠٪	٨٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	يتمتع العاملون بالمؤهلات اللازمة لأداء الخدمات الفندقية المطلوبة .											
٢	يعامل الزبائن من قبل العاملون في الفندق باحترام وتقدير.											
٣	يتصف العاملون في الفندق بالأمانة والصدق .											

٤. التقمص العاطفي :

يقصد به العناية بالزبائن ورعايتهم بشكل خاص والعمل على فهم ومعرفة حاجاتهم وتسهيل الاتصال بينهم وبين القائمين على الخدمة في الفندق .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٧٠٪	٨٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	يهتم العاملون في الفندق بالزبائن ويصغوا لهم بصورة جيدة											
٢	يسعى العاملون في الفندق إلى التعرف على حاجات ورغبات الزبائن .											
٣	تحرص إدارة الفندق على توثيق العلاقة بين العاملين والزبائن .											

٥. الملموسيات :

تتمثل بالتسهيلات أو العناصر المادية ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بتقديم الخدمة ومن بينها المعدات ووسائل الاتصال المستخدمة والديكور وترتيب الأثاث والمظهر الخارجي للعاملين في الفندق .

ت	الأسئلة / اتفق بنسبة	١٠٠٪	٩٠٪	٨٠٪	٧٠٪	٦٠٪	٥٠٪	٤٠٪	٣٠٪	٢٠٪	١٠٪	٠٪
١	يقوم مقدمي الخدمة في الفندق بتنظيف وترتيب الأثاث في غرف وصالات الفندق بصورة مستمرة											
٢	يوجد في الفندق منظومة اتصال متطورة (هاتف، تلكس، فاكس، ثريا، انترنت)											
٣	يتوفر في الفندق وسائل الراحة اللازمة لسكن الزبائن .											

اثر المزيج الترويجي للخدمات السياحية

في تحقيق رضا الزبون

دراسة ميدانية

على عينة من المنشآت السياحية

في محافظة كربلاء

م.م. احمد كاظم بريس
م.م. بشار عباس الحميري

اثر المزيج الترويجي للخدمات السياحية في تحقيق رضا الزبون

دراسة ميدانية على عينة من المنشآت السياحية في محافظة كربلاء

م.م. احمد كاظم بريس
م.م. بشار عباس الحميري

مقدمة

تلعب السياحة دورا" هاما" وحيويا" في النشاط الاقتصادي للعديد من البلدان فهناك اقتصاديات دول عديدة تعتمد اعتمادا" كبيرا" عليها كمصدر من مصادر الدخل القومي وخير مثال على ذلك اسبانيا وايطاليا وتونس وغيرها إذ أسهمت السياحة في هذه البلدان في تحقيق التوازن في ميزان المدفوعات وحل مشاكل اقتصادية واجتماعية كثيرة منها توفير فرص عمل لشريحة واسعة من أبناء هذه الدول ناهيك عن ارتقائها بالمستوى الثقافي والتراكم المعرفي لتلك الشعوب٠

ولتمتع العراق بالعديد من المواقع الدينية والأثرية والطبيعية فان ذلك من شأنه جعل هذا البلد في مصاف أكثر البلدان جذبا" في المجال السياحي ، وبخاصة في المجال الديني منه لوجود مراقد الأئمة الأطهار والمزارات الشريفة الأخرى التي تهفو لها قلوب المسلمين من كل إرجاء المعمورة ٠

وعلى الرغم من توفر عناصر الجذب السياحي إلا إن القطاع السياحي مايزال يعاني من إهمال المعنيين في القطاع العام والخاص على حد سواء ومن بين جوانب الضعف التي يعاني منها هو عدم اهتمام المعنيين فيه بترويج الخدمات السياحية الناجم عن عدم إدراك البعض مهم لأهميته في تحقيق رضا الزبون ولما لذلك من تأثير بالغ على مستقبل المنشات السياحية ٠

وانطلاقا" من ذلك فقد جاء هذا البحث محاولة لبيان اثر مكونات المزيج الترويجي المعتمدة فيه على تحقيق رضا الزبون ولتحقيق الأهداف التي يصبو إليها البحث فقد تضمن أربعة مباحث تناول الأول التأطيرات النظرية لموضوع البحث ، في حين اختص الثاني بالمنهجية العلمية للبحث ، إما المبحث الثالث

فقد تناول تحليل واختبار علاقات الارتباط والتأثير بين متغيرات البحث ، فيما تم عرض الاستنتاجات والتوصيات في المبحث الرابع .

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث

يتناول هذا المبحث الإطار النظري لموضوعي ترويج الخدمات السياحية ورضا الزبون بشكل مبسط على وفق الفقرات الآتية :-

أولاً:- ترويج الخدمات السياحية

١- مفهوم الترويج والأهمية

يلعب ترويج الخدمات السياحية دورا" مهما" في مجال التعريف بالمنظمة وتعزيز علاقتها بجمهورها المستهدف وذلك لما له من دور فاعل في زيادة ولاء الزبون لخدمات المنظمة والتأثير في سلوكه الشرائي وتوجيهه بما يتفق وأهداف المنظمة .

فقد وردت العديد من التعاريف للترويج (يشار إليه أحيانا" بمزيج الاتصالات) منها (انه عملية الاتصال بالزبائن المحتملين (McCarthy & Perreant-١٩٩٣:٤٤٤) وبحسب رأي (العلاق والعبدلي - ١٩٩٩ : ٢٤٥) فأنه(عملية الاتصال بالآخرين وتعريفهم بأنواع المنتجات التي بحوزة البائع) ويعرفه (Blelch & Blelch ١٩٩٥:٤٠٠) بأنه (تنسيق جهود المنظمة ذات العلاقة ببناء قنوات من المعلومات ومستويات مرغوب بها من الإقناع لغرض بيع المنتج) وعرفه (Etzel etal:٢٠٠١:٤٩٣) بأنه (أي وسيلة تستخدم من اجل التأثير على الآخرين) ، إما (السيسي : ٢٠٠١ : ١٩٥) فيعرف الترويج السياحي بأنه(مجموعة متكاملة من العناصر المستخدمة من اجل التعريف بالمنتج السياحي وإقناع السائحين المحتملين وترغيبهم في شرائه).

يتضح مما سبق إن الترويج عبارة عن مجموعة وسائل تستخدمها المنظمات لغرض الاتصال بالزبائن الحاليين والمحتملين ويكون هدف هذا الاتصال خلق المعرفة لدى الزبائن بالمنظمة و/أو برامجها السياحية ومن ثم التأثير في قرارات الشراء الخاصة بهم وتوجيهها نحو خدمات منظمة سياحية معينة .

ومن الجدير بالذكر إن أهمية الترويج لا تقل إطلاقا" عن أهمية بقية عناصر المزيج التسويقي الأخرى إن لم تكن أكثرها أهمية على الإطلاق ، بل إن نجاح إي برنامج سياحي يتوقف على قدرة الشركة السياحية على الترويج لهذا البرنامج (الخضيري : ١٥٣ : ١٩٨٩) . وتبرز أهمية الترويج من كونه مصدرا" مهما" للمعلومات التي يرغب المستهلك في الحصول عليها قبل اتخاذه قرارا" بالشراء ، كما إن الترويج يعمل على زيادة الطلب على منتجات منظمة معينة وهو ما يعتبر الهدف الأساس لأي برنامج ترويجي وكذلك زيادة قيمة المنتج وتحقيق الاستقرار في المبيعات ، فضلاً عن انه يعمل على تحسين صورة المنظمة لدى المجتمع وهو ما يعد شيئاً مهماً وحيوياً لغرض زيادة إقبال الزبائن على شراء منتجات تلك المنظمة (الصميدعي : ٢٠٠٤ : ٢٦٠) ويشير (Etzel etal:٢٠٠١:٣٩٢) بان أهمية الترويج تبرز من أهمية الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها وهي إعلام الزبائن بوجود السلعة أو الخدمة ومن ثم متابعة أو ملاحقة أولئك الزبائن وحثهم على الشراء وأخيرا" تذكير الزبائن دائما" بالسلعة أو الخدمة .

٢- مكونات المزيج الترويجي :

لغرض تحقيق النجاح للمزيج الترويجي في بلوغ الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها المنظمة السياحية فانه يجب إن يكون هذا البرنامج بعناصره المختلفة معداً إعداد صحيحا" ومتكاملا" مع بقية عناصر المزيج التسويقي الأخرى.

ولقد أشار كل من (الخضيري : ١٩٨٩ : ١٥٣) و(Dibb & Simken:١٩٩٤:٢٢٨) و (عبد النبي : ١٩٩١ : ١٩٢) و(Etzel etal:٢٠٠١ :٤٩٣) و(الصميدعي : ٢٠٠٤ : ٢٦١) إن مكونات المزيج الترويجي هي (الإعلان ، البيع الشخصي ، ترويج المبيعات ، الدعاية والعلاقات العامة) إما (Bolis:٢٠٠٠:٢٨١) و(Armstrong & Kotler:٢٠٠٠:٤٠٣) و(أبو فارة - ٢٠٠١ : ١٢٦) فيشيرون إلى إن عناصر المزيج الترويجي هي (الإعلان ، التسويق المباشر ، ترويج المبيعات البيع الشخصي ، الدعاية والعلاقات العامة) إذ يلحظ إضافتهم التسويق المباشر إلى عناصر المزيج الترويجي ، وهو ما يعد وليد التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات ، إذ يهدف هذا النوع من الترويج إلى توليد سلسلة من الاتصالات والاستجابات مع الزبائن الحاليين والمرتقبين باستخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات (العلاق والساعد : ٢٠٠٣ : ٣) . ولقد اعتمد الباحثان على العناصر الآتية في الجانب الميداني للبحث وهي (الإعلان ، البيع الشخصي ، ترويج المبيعات ، الدعاية والعلاقات العامة) وذلك لاتفاق الكتاب المذكورين عليها أولا" ، فضلاً عن ملائمتها للبيئة العراقية ثانيا" .

٣: مفهوم وخصائص الخدمة السياحية :

وإذا مانظرنا إلى مسألة الخدمات السياحية فأننا نرى أنها لم نقل أي اهتمام من قبل الكتاب والباحثين في مجال التسويق حتى عقد السبعينيات من القرن الماضي ، ولكن في عقد السبعينات وما تلاها برز اهتمام كبير من هؤلاء الكتاب والباحثين بموضوع الخدمات الأمر الذي دفعهم إلى محاولة وضع مفاهيم محددة للخدمات ومن ثم محاولة تمييزها عن السلع ، فلقد أشار(Kotler:١٩٩٧:٤٦٩) إلى إن الخدمة هي (أي فعل أو أداء يمكن إن يقدمه طرف إلى طرف أخر ، ويكون هذا الفعل أو الأداء غير ملموس ولا ينتج عنه تملك) إما (المساعد: ١٩٩٨ : ٢١٩) فيشير إليها بأنها (منتجات غير ملموسة يتم التعامل بها في أسواق معينة تهدف إلى إشباع حاجات ورغبات المستهلك) ، إما (أبو رحمة وآخرون : ٢٠٠١ : ١٣) فيعرف الخدمة السياحية بأنها (الأنشطة غير المادية وغير الملموسة التي يتم تقديمها بشكل منفصل ومستقل وتوفر إشباعاً لرغبات وحاجات المستفيد ولا ترتبط بالضرورة مع بيع سلعة أو خدمة أخرى ولا تتطلب نقل الملكية) .

لذلك نجد أن الخدمة السياحية تتميز بخصائص معينة هي : -

أ- **اللاملموسية :** لا يمكن مشاهدة الخدمة أو لمسها أو تجربتها قبل شرائها .

ب- **التلازمية :** وتعني درجة الترابط بين الخدمة ذاتها وبين الشخص الذي يتولى تقديمها ، وقد يترتب على ذلك في كثير من الأحيان حضور طالب الخدمة في مكان تقديمها (العلاق والطائي : ١٩٩٩ : ٤٣).

ج- **التغاير:** لان الخدمة تعتمد على من يقدمها على مكان تقديمها لذلك يلاحظ إن الخدمات تتميز بمعدل عالي للتغاير (سماره: ٢٠٠١ : ٨).

د- **القابلية على الفناء:** الخدمات السياحية تستهلك بسرعة ولا يمكن خزنها، فمثلا" الغرف الفندقية غير المشغولة تعتبر خسارة للفندق، والمقاعد الفارغة في الرحلات السياحية تعتبر خسارة للشركة (Kotler:١٩٩٧:٤٦٨).

هـ - **متكاملة في ذاتها:** الخدمة السياحية كل متكامل ومترابط الأجزاء والعناصر، فإذا ما أريد للبرنامج السياحي النجاح فيجب التأكد من تكامله وترابطه وانسجام أجزاءه

و- **اعتمادها على عنصر التسويق الشخصي:** يجب إن يتميز العاملون في القطاع السياحي بالتدريب الجيد، القابلية على الإقناع، حسن الهندام، اللياقة، الأمانة.

ز- **احتياجها إلى هوية خاصة ومفهوم خاص :** حتى يمكن تمييزها والتحدث بها وإقناع الزبون بها وبخاصة في الحملات الترويجية للبرامج السياحية (الخضيري : ١٩٨٩ : ٨٧).

ثانياً : رضا الزبون :

لقد أدركت المنظمات حقيقة هامة جدا" وهي إن وجودها واستمرارها في ميدان الإعمال يرتبط ارتباطا" مباشرا" بمدى تقبل الزبائن لها من خلال ما تطرحه من سلع وخدمات أو نشاطات ، فالزبائن لديهم تصورات حول قيمة السلعة أو الخدمة ، وبالتالي فهم يقارنون تلك التوقعات مع القيمة الفعلية للسلعة أو الخدمة ، فإذا كان الأداء اعلى من التوقعات كان الزبون في مرحلة السعادة (كوتر وآخرون: ٢٠٠٢ : ١٩٤).

إن رضا الزبون هو البودقة التي تصب فيها كل جهود المنظمة سواء كانت إنتاجية أم مالية أم تسويقية ، وهي تهدف إلى تحقيق نجاح المنظمة في السوق الأمر الذي لا يمكن تحقيقه دون الفوز برضا الزبون وذلك إن رضا الزبون هو المبرر والسبب الأساس لاستمرار تعامل الزبائن مع هذه المنظمة أو تلك وبالتالي استمرارها في ظل بيئة ديناميكية متغيرة بشكل مستمر .

لقد وردت عدة مفاهيم للرضا ، إذ يرى (Ross:١٩٩٥:٢٠٧) بأنه (ناتج عن تفاعل نظام مكون من ثلاثة أجزاء هي عمليات المنظمة ،توقعات الزبون ،الموارد البشرية) ، إما (Kotler:١٩٩٧:٤٠) فيرى انه (شعور شخصي بالبهجة أو خيبة الأمل ناتج عن موازنة أداء المنتج مع توقعات الزبون) ، إما (Smart:٢٠٠١:١) فيرى انه (قدرة المنظمة على جذب الزبائن والاحتفاظ بهم وتعزيز العلاقة معهم) . إما (البكري : ٢٠٠٢ : ١٥) فيرى انه (درجة إشباع حاجات الزبون ورغباته ودرجة استعداده لإعادة التعامل مع المنظمة مرة أخرى).

لذلك نجد إن هناك عاملين أساسيين يشتركان في تكوين رضا الزبون هما أداء المنتج ومستوى توقعات الزبون لذلك الأداء وعليه يمكن للمنظمة إن تعمل على تحسين مستوى أداء خدماتها أو سلعها وكذلك العمل على تشكيل توقعات الزبائن حول نوعية هذه الخدمات أو السلع ، ومن المعلوم إن توقعات الزبائن تتشكل من خلال الخبرة السابقة أو الأصدقاء أو الأقارب ، أو من خلال المعلومات الترويجية التي تبثها منظمة معينة عن سلعها وخدماتها وبالتالي يمكن استخدام وسائل الترويج المختلفة لتكوين العنصر الثاني من عناصر تحقيق رضا الزبون إلا وهو التوقعات ،ومن خلال تزويد الزبائن بمعلومات عن مستوى الخدمات السياحية ون ثم العمل على تقديم خدمات تفوق في نوعيتها ما تم الترويج عنه .

مشكلة البحث:

يعد الترويج للخدمات السياحية من أهم عناصر المزيج التسويقي الخدمي ، إذ يتولى الترويج مهمة إحداث المعرفة لدى الزبائن حول الشركات السياحية وبرامجها المتنوعة وبالتالي العمل على إحداث تفاعل ايجابي بين الزبون والمنظمة السياحية عن طريق المعلومات المتحصل عليها من الجهود الترويجية .

وبما إن وجود المنظمات واستمرارها يعتمد بصورة مباشرة على تحقيق رضا الزبائن المتعاملين معها لذلك نجد إن الهدف الأول للمنظمات حاليا" هو التركيز على الزبون وجعل خدماتها وسلعها ملائمة لحاجاته ورغباته بهدف الفوز برضاه . ومن هنا تنبع مشكلة البحث التي تتمثل في ضعف وعي المنشات السياحية العاملة في القطاع السياحي في محافظة كربلاء المقدسة بأهمية الترويج واستخدام عناصره المختلفة بأسلوب يؤدي إلى زيادة قدرة هذه المنشات في تحقيق رضا الزبون الذي يعد هدفا" أساسيا" للمنظمات .

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من المتغيرات التي يتطرق لها ، إذ لا يخفى على المختصين إن الترويج يعتبر العملية التي تحقق بها المنظمة اتصالها مع جمهورها الحالي والمرتقب بهدف كسب رضاهم الذي يعد أساسيا" لنمو المنظمة واستمرارها على المدى الطويل ، كما تبرز أهمية البحث من قلة البحوث والدراسات التي تناولت المتغيرين معا" ، فضلاً عن عدم دراسة قطاع السياحة في محافظة كربلاء .

أهداف البحث:

أ- دراسة واقع ترويج الخدمات السياحية التي تقوم به الجهات المعنية في القطاع السياحي في محافظة كربلاء

ب- بلورة مشكلة البحث المتمثلة في ضعف إدراك أهمية استخدام عناصر المزيج الترويجي لتحقيق رضا الزائرين للجهات المعنية في القطاع السياحي .

ج- اقتراح إلية تفعيل استخدام عناصر المزيج الترويجي من قبل المنشات السياحية العاملة في محافظة كربلاء .

د- تحديد طبيعة علاقات التأثير والارتباط بين متغيرات البحث.

٤- أنموذج البحث وفرضياته :

يوضح الشكل (١) أنموذج البحث ،إذ يفترض الأنموذج وجود علاقة ارتباط وتأثير فيها بين متغيرات البحث ، فعند الاهتمام بترويج الخدمات السياحية سيزداد رضا الزبون والعكس صحيح أيضا"

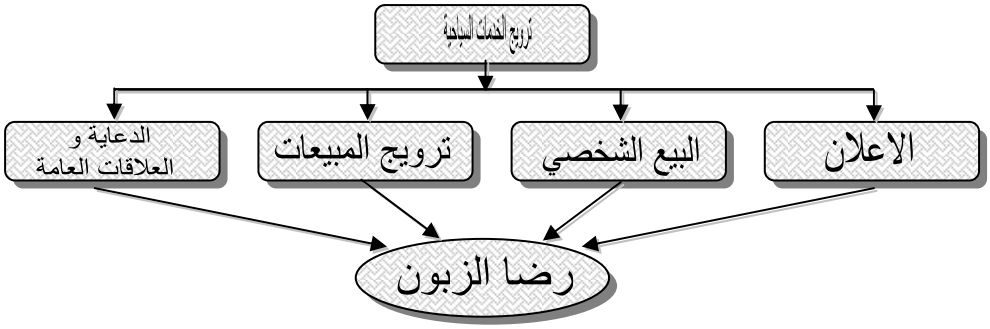

المصدر :- اعدّهُ الباحثان

ولقد انبثقت عن النموذج أعلاه فرضيتان رئيستان هما

عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ترويج الخدمات السياحية وتحقيق رضا الزبون ، اشتقت منهما الفرضيات الفرعية الآتية :-

أ- لا توجد علاقة ارتباط بين الإعلان وتحقيق رضا الزبون .

ب- لا توجد علاقة ارتباط بين البيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون .

ج- لا توجد علاقة ارتباط بين ترويج المبيعات وتحقيق رضا الزبون .

د- لا توجد علاقة ارتباط بين الدعاية والعلاقات العامة وتحقيق رضا الزبون .

هـ- لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين ترويج الخدمات السياحية وتحقيق رضا الزبون ، اشتقت منها الفرضيات الفرعية الآتية :-

و- لا توجد علاقة تأثير بين الإعلان وتحقيق رضا الزبون .

ز- لا توجد علاقة تأثير بين البيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون .

ح- لا توجد علاقة تأثير بين ترويج المبيعات وتحقيق رضا الزبون .

ط- لا توجد علاقة تأثير بين الدعاية والعلاقات العامة وتحقيق رضا الزبون .

ولأجل فهم متغيرات البحث واستيعاب مفهوم كل واحد منها ارتأى الباحثان إن يكون تعريفها تعريفا" إجرائيا" وكما يأتي :-

أ- الترويج :- مجموعة أدوات مسيطر عليها من قبل المنظمة تستخدم لغرض الاتصال مع الزبائن الحاليين والمحتملين.

ب- الإعلان :- وسيلة غير شخصية لتقديم السلع والخدمات من قبل جهة معلومة وبأجر مدفوع.

ج- البيع الشخصي :- العملية المتعلقة بإمداد الزبون أو المستفيد بالمعلومات وإقناعه بشراء السلعة أو الخدمة من خلال الاتصال الشخصي.

د- ترويج المبيعات :- جميع الأنشطة التي تحفز الزبون على شراء السلعة أو الخدمة باستثناء البيع الشخصي والإعلان .

هـ- الدعاية والعلاقات العامة :- مجموعة النشاطات التي تهدف إلى تغيير مواقف ومعتقدات واتجاهات الناس تجاه المنظمة وبناء علاقات سليمة معهم وتدعيم التفاهم المتبادل بين المنظمة وجمهورها.

و- رضا الزبون :- شعور داخلي يتكون لدى الزبون من خلال مطابقة توقعاته لأداء أو منافع سلعة أو خدمة معينة مع ما تحققه تلك السلعة أو الخدمة من أداء أو منافع فعلية .

٥- عينة البحث والأساليب المستخدمة في تحليل البيانات والمعلومات :-

اعترافا" بأهمية محافظة كربلاء من الناحية السياحية وبخاصة في الجانب الديني منها ، فلقد تم اختيارها مجتمعا" للدراسة ، إذ تم اختيار عينة عشوائية قوامها (٤٥) فردا" من العاملين في المنشات السياحية والزائرين ، بلغ عدد الذكور منهم (٣٣) ، والإناث (١٢) وكانت أعمارهم حسب الجدول الأتي :-

جدول (١)

السمات الديمغرافية للعينة

السمة	العدد	
الجنس		
ذكور	٣٣	
اناث	١٢	
العمر		
اقل من ٢٥	٦	
٢٥- ٤٠	١٨	
٤١- ٥٥	١٤	
٥٦ فأكثر	٧	

ولقد استخدم الباحثان عدداً من الأساليب في جمع البيانات والمعلومات منها المصادر التاريخية والاستانه التي اعتمدت بصورة أساسية لغرض جمع البيانات من إفراد العينة المختارة ، إذ تم تصميم استمارة تتكون من (٢٦) سؤالاً ملحق (١) صيغت على أساس المقياس ذي الإحدى عشرة درجة ينحصر بين (اتفق بنسبة ١٠٠٪ إلى اتفق بنسبة ٠٪) وهو من المقاييس الحديثة .

وبهدف قياس الصدق الظاهري لأداة البحث فقد تم عرضها على عدد من المختصين ملحق (٢) في حقل إدارة الإعمال للحكم على مدى صلاحيتها في قياس الخاصية المراد قياسها ،ولقد تم الأخذ بما ورد منهم من تعديلات ، وتعد هذه الطريقة من أفضل الطرق (Ebel:١٩٧٢:٥٥٥).

ولغرض قياس صدق أداة البحث اعتمد الباحثان على معامل ارتباط إلفا(rat) الذي يسمى كذلك (إلفا كرونباخ) وهو يكتب بالشكل الأتي (Anastasi:١٩٨٢:١١٧)

(Rtt= (------

إذ أن : -

Rtt= ارتباط الفاكرونباخ

N=عدد فقرات المقياس

ΣSdi^2 = مجموع مربعات تباينات فقرات المقياس

Sdi^2 = يمثل التباين الكلي للاختبار

وتعد قيمة هذا المعامل مقبولة عندما تكون مساوية أو اكبر من (٧٥٪) وتحديدا" في البحوث الإدارية والسلوكية.

ويبين الجدول (٢) النتائج النهائية لمعاملات الارتباط

جدول(٢)

معاملات ارتباط الفاكرونباخ

متغيرات الدراسة	عدد الفقرات	ΣSdi^2	Sdi^2	Rtt	القرار
الإعلان	٥	٠,٤٩٤٥	٢,٢٢٠١	٠,٩٧	تعد معاملات الثبات للمقياس مقبولة بشكل كبير جدا من الناحيتين الإحصائية والإدارية
البيع الشخصي	٤	٠,٢٧٨١	١,١٠٢٥	٠,٩٩	
ترويج المبيعات	٥	٠,٦٣١٥	٣,١٣٢٩	٠,٩٩	
الدعاية والعلاقات العامة	٤	٠,٤٥٨٥	١,٨٢٢٥	٠,٩٩	
رضا الزبون	٨	٠,٦٦٩٦	٥,١٩٨٠	٠,٩٩	

المبحث الثاني: وصف وتشخيص وتحليل علاقات الارتباط والتأثير بين متغيرات البحث

أولاً:- وصف وتشخيص متغيرات الدراسة:-

يشير الجدول (٣) إلى نتائج التحليل الإحصائي لاستجابات عينة الدراسة حول متغيرات ترويج الخدمات ورضا الزبون ، إذ تضمن الجدول الأوساط الحسابية الموزونة والانحرافات المعيارية ومن خلال ملاحظة النتائج النهائية يتضح الأتي : -

١. هناك ارتفاع في الوسط الحسابي الموزون العام للإعلان إذ بلغ (٥٩٪) وبانحراف معياري (٠,٣٥٠) وهو اعلي من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (٥٠٪) ، وهذا يعني شيوع استخدام الإعلان من قبل المنشات السياحية في محافظة كربلاء ، ووضوح رؤية المستجيبين تجاه عناصره.

٢. هناك ارتفاع في الوسط الحسابي الموزون العام للبيع الشخصي إذ بلغ (٦٩٪) وبانحراف معياري (٠,٢٦) وهو اعلي من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (٥٠٪)، وهذا يعني قوة تبني المنشات السياحية لمتغير البيع الشخصي واستخدامها له في مجال ترويج خدماتها، ووضوح رؤية المستجيبين تجاه عناصره.

٣. هناك انخفاض في الوسط الحسابي الموزون العام لترويج المبيعات إذ بلغ (٤٦٪) وبانحراف معياري (٠,٣٨) وهو اقل من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (٥٠٪) ، ويمثل هذا ضعفاً في استخدامه من قبل المنشآت السياحية له في محافظة كربلاء ، وعدم وضوح رؤية المستجيبين تجاه عناصره . فضلاً عن عدم التنبيه له أو الاهتمام به .

٤. هناك ارتفاع في الوسط الحسابي الموزون العام للدعاية والعلاقات العامة إذ بلغ (٥٥٪) وبانحراف معياري (٠,٣٣) وهو اعلي من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (٥٠٪) ، وهذا يعني تبني استخدام الدعاية والعلاقات العامة من قبل المنشات السياحية في محافظة كربلاء ، عند ترويجها لخدماتها السياحية

٥. هناك ارتفاع في الوسط الحسابي الموزون العام لرضا الزبون إذ بلغ (٧٠٪) وبانحراف معياري (٠,٢٨) وهو اعلي من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (٥٠٪)، وهذا يعني إن الزبائن يتمتعون بمستوى جيد من الرضا عن الخدمات المقدمة لهم.

جدول (٣)

	الفقرات	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠	٤٠	٣٠	٢٠	١٠	٠	WX	S
الإعلان	١	٩	٨	٦	٤	١	١	٤	٠	٣	٤	٥	٠,٦١	٠,٣٧
	٢	١٦	٤	٩	٠	٠	٤	٢	٢	٣	١	٤	٠,٦٩	٠,٣٤
	٣	٦	٣	٦	٣	٠	٨	٠	٦	٦	٣	٤	٠,٥١	٠,١
	٤	٥	٧٨	٣	٦	٣	١	٦	٤	٥	٢	٣	٠,٥٥	٠,٣٢
	٥	١٠	٧	٥	١	٣	٢	٣	٢	٤	٣	٤	٠,٥٩	٠,٣٦
	المتوسط الموزون العام والانحراف المعياري												٠,٥٩	٠,٣٥
	الفقرات	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠	٤٠	٣٠	٢٠	١٠	٠	WX	S
البيع الشخصي	١	٧	٦	١٠	١	٢	٥	٥	٤	٢	٣	٠	٠,٦٤	٠,٢٨
	٢	١٠	٨	٧	٣	٣	١	٤	٥	٢	٢	٠	٠,٦	٠,٢٧
	٣	٤	١١	١٢	٣	١	٣	٢	٣	٣	٢	١	٠,٦٧	٠,٢٨
	٤	١٠	١١	٨	٣	٤	٣	٠	٥	١	٠	٠	٠,٦٧	٠,٢٢
	المتوسط الموزون العام والانحراف المعياري												٠,٦٩	٠,٢٦
	الفقرات	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠	٤٠	٣٠	٢٠	١٠	٠	WX	S
ترويج المبيعات	١	١	٥	٤	٢	١	١	١	١	٠	٢	٢٧	٠,٢٧	٠,٣٧
	٢	١	٢	٧	١	٣	٤	٠	٤	٤	٦	١٣	٠,٣٤	٠,٣٣
	٣	٥	٦	٩	٤	٢	٤	٣	٤	٢	٢	٤	٠,٥٩	٠,٣١
	٤	٣	٦	٥	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠,٣٤	٠,٤
	٥	٢	٦	٥	٧	٣	٤	٠	٢	١	٤	١١	٠,٤٣	٠,٣٦
	المتوسط الموزون العام والانحراف المعياري												٠,٤	٠,٣٥
	الفقرات	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠	٤٠	٣٠	٢٠	١٠	٠	WX	S

الدعاية والعلاقات العامة	١	٤	٤	٧	٢	٠	٤	٣	١	١	٤	١٦	٠,٣٤	٠,٣٨
	٢	٩	٤	٧	٧	٢	٣	٤	٣	٤	٢	١	٠,٦٤	٠,٣١
	٣	١٠	٥	٧	٦	١	٣	١	٢	٨	٠	١	٠,٦٤	٠,٣٢
	٤	٥	٥	١٠	١	٤	٠	١	٦	٦	٣	٤	٠,٥٤	٠,٣٤
	المتوسط الموزون العام والانحراف المعياري												٠,٥٥	٠,٣٣
	الفقرات	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠	٤٠	٣٠	٢٠	١٠	٠	WX	S
رضا الزبون	١	٤	١٠	١١	٤	٢	٧	١	٢	٤	٠	٠	٠,٦٩	٠,٢٤
	٢	١٣	١٢	٨	٥	١	٢	٠	٠	٣	٠	١	٠,٨	٠,٢٣
	٣	٧	٤	١٢	٩	٣	٤	٢	٤	٠	٠	١	٠,٦٥	٠,٣٦
	٤	١٠	٥	٧	٥	٥	١	٥	٢	٣	٠	٢	٠,٦٧	٠,٢٩
	٥	١٥	٣	٥	٥	٠	٦	٢	٣	٠	١	٥	٠,٦٦	٠,٣٥
	٦	١٦	٦	٣	٥	٤	٣	٠	٣	٢	٠	٣	٠,٧٢	٠,٣١
	٧	١٣	٦	٨	٥	٣	٤	٠	٢	١	٠	٣	٠,٧٣	٠,٢٨
	٨	٥	٧	٩	٦	٦	٥	٣	٣	٢	٠	٠	٠,٦٩	٠,٢٢
	المتوسط الموزون العام والانحراف المعياري												٠,٧٠	٠,٢٨

ثانيا" :- تحليل علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة :-

سيتم تناول علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة من اجل اكتشاف طبيعة العلاقات الواردة في الفرضية الرئيسة الأولى التي تنص على عدم وجود علاقة ارتباط بين ترويج الخدمات السياحية وتحقيق رضا الزبون.

جدول (٤)

علاقات الارتباط بين متغيرات البحث(تفصيلا" وإجمالا")

م. معتمد / م. مستقل	رضا الزبون			
	R	T المحسوبة	T الجدولية	مستوى المعنوية
الإعلان	٧٨٪	٣,٧٣٩	١,٨٣٣	٥٪
البيع الشخصي	٨٢٪	٤,٢٩	١,٨٣٣	٥٪
ترويج المبيعات	٢٠٪	٠,٦١٢	١,٨٣٣	٥٪
الدعاية والعلاقات العامة	٦٤٪	٢,٤٩	١,٨٣٣	٥٪
ترويج الخدمات السياحية	٦٦٪	٢,٦٣٥	١,٨٣٣	٥٪

يتضح من الجدول أعلاه ما يأتي :-

١. وجود علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ٥٪ أي بدرجة ثقة ٩٥٪ بين ترويج الخدمات السياحية وتحقيق رضا الزبون ، إذ بلغت قيمة هذه العلاقة (٦٦٪). وتفسير ذلك انه كلما زادت منشات الخدمة السياحية من جهودها الترويجية زادت قدرتها على كسب رضا الزبائن ، وعليه يتم رفض الفرضية الرئيسة الأولى وقبول الفرضية البديلة التي تنص على انه (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ترويج الخدمات السياحية وتحقيق رضا الزبون).

٢. بلغ معامل الارتباط بين الإعلان وتحقيق رضا الزبون (٧٨٪). وتفسير ذلك انه وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين وما يدعم ذلك إن قيمة t المحسوبة كانت أعلى من قيمة t الجدولية عند مستوى معنوية ٥٪ ، وعليه يتم رفض الفرضية الفرعية الأولى وقبول الفرضية البديلة التي تنص على انه (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الإعلان وتحقيق رضا الزبون).

٣. بلغ معامل الارتباط بين البيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون (٨٢٪). وذلك يشير إلى وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين وما يدعم ذلك إن قيمة t المحسوبة كانت أعلى من قيمة t الجدولية عند مستوى معنوية ٥٪ ، واستنادا" إلى ذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الثانية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على انه (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين البيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون).

٤. بلغت قيمة معامل الارتباط بين ترويج المبيعات وتحقيق رضا الزبون (٢٠ ٪). وهي قيمة موجبة ولكنها غير دالة إحصائيا"وهذا يعني ضعف العلاقة بين المتغيرين ،وما يدعم ذلك إن قيمة t المحسوبة كانت اقل من قيمة t الجدولية عند مستوى معنوية ٥٪ ، واستنادا" إلى ذلك يتم رفض الفرضية الفرعية الثالثة وقبول الفرضية البديلة التي تنص على انه (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ترويج المبيعات وتحقيق رضا الزبون).

بلغ معامل الارتباط بين الدعاية والعلاقات العامة وتحقيق رضا الزبون (٦٤٪). وتفسير ذلك انه توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين وما يدعم ذلك إن قيمة t المحسوبة كانت اعلي من قيمة t الجدولية عند مستوى معنوية ٥٪ ،يستدل من ذلك على رفض الفرضية الفرعية الرابعة وقبول الفرضية البديلة التي تنص على انه (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الدعاية والعلاقات العامة وتحقيق رضا الزبون).

ثالثاً: تحليل علاقات التأثير بين متغيرات البحث

تتناول هذه الفقرة تحليل لعلاقات التأثير بين ترويج الخدمات السياحية وتحقيق رضا الزبون ، وذلك من اجل اختبار صحة الفرضية الرئيسة الثانية

جدول(٥)

علاقات التأثير بين متغيرات الدراسة

م. معتمد / م. مستقل	رضا الزبون			
	R^2	F المحسوبة	f الجدولية	مستوى المعنوية
الإعلان	٦١٪	١٤,٠٧	١٠,٦	١٪
البيع الشخصي	٦٧٪	١٨,٢٧	١٠,٦	١٪

ترويج المبيعات	٤٪	٠,٣٧٥	٥,١٢	٥٪
الدعاية والعلاقات العامة	٤٠٪	٦	٥,١٢	٥٪
ترويج الخدمات السياحية	٤٣٪	٧	٥,١٢	٥٪

يتضح من الجدول ما يلي :-

١. إن قيمة f المحسوبة لمعامل الانحدار بين ترويج الخدمات السياحية بشكل عام وتحقيق رضا الزبون بلغت ٧ عند مستوى معنوية ٥٪ ، أي بدرجة ثقة ٩٥٪ وهي اعلي من قيمة f الجدولية البالغة ٥,١٢ ، وهذا يعني ثبوت معنوية نموذج الانحدار المقدر عند المستوى المذكور ، مما يعني إن الترويج يؤثر في تحقيق رضا الزبون

٢. إن قيمة f المحسوبة لمعامل الانحدار بين الإعلان وتحقيق رضا الزبون بلغت ٤,٠٧ وهي اعلى من f الجدولية البالغة ١٠,٦ عند مستوى معنوية ١٪إي بدرجة ثقة ١٪ مما يعني إن الإعلان يؤثر في تحقيق رضا الزبون ، كما إن قيمة معامل التحديد R٢ بلغت ٦١٪ مما يعني إن النموذج فسر ما نسبته ٦١٪ من التغييرات التي تطرأ على رضا الزبون والباقي ٣٩٪ تعود لمساهمة عناصر أخرى غير داخلة في النموذج ، وبالتالي يتم رفض الفرضية الفرعية الأولى وقبول فرضية الوجود بمعنى(توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الإعلان وتحقيق رضا الزبون).

٣. إن قيمة f المحسوبة لمعامل الانحدار بين البيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون بلغت ١٨,٧ وهذا اعلى من f الجدولية البالغة ١٠,٦ عند مستوى معنوية ١٪إي بدرجة ثقة ١٪ مما يعني إن البيع الشخصي يؤثر في تحقيق رضا الزبون ،كما إن قيمة معامل التحديد R٢ بلغت ٦٧٪ مما يعني إن النموذج فسر ما نسبته ٦٧٪ من التغييرات التي تطراء على رضا الزبون والباقي تعود لمساهمة عناصر أخرى غير داخلة في النموذج ، وبالتالي يتم رفض الفرضية الفرعية الثانية وقبول فرضية الوجود بمعنى(توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين البيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون).

٤. إن قيمة f المحسوبة لمعامل الانحدار بين ترويج المبيعات وتحقيق رضا الزبون بلغت ٠,٣٧٥ وهي اقل من f الجدولية البالغة ٥,١٢ عند مستوى معنوية ٥٪إي بدرجة ثقة ٩٥٪ مما يعني إن ترويج المبيعات يؤثر في تحقيق رضا الزبون ،كما إن قيمة معامل التحديد R٢ بلغت ٤٪ وهي نسبة ضعيفة جدا" تعني إن هناك ٩٦٪ من المتغيرات لم يستطع النموذج تفسيرها وبالتالي يتم قبول الفرضية الفرعية الثالثة.

٥. إن قيمة f المحسوبة لمعامل الانحدار بين الدعاية والعلاقات العامة وتحقيق رضا الزبون بلغت ٦ وهي اعلى من f الجدولية البالغة ٥,١٢ عند مستوى معنوية ٥٪إي بدرجة ثقة ٩٥٪ مما يعني إن الدعاية والعلاقات العامة يؤثران في تحقيق رضا الزبون ،كما إن قيمة معامل التحديد R٢ بلغت ٤٠٪ وتعني إن النموذج فسر مناسبته ٤٠٪ من التغييرات التي تتراء على النموذج والنسبة الباقية تعود لمساهمة عوامل أخرى غير داخلة بالنموذج وبالتالي يتم رفض الفرضية الفرعية الرابعة ، وقبول الفرضية البديلة التي تنصص على انه (توجد علاقة تأثير بين الدعاية والعلاقات العامة وتحقيق رضا الزبون)٠

المبحث الثالث : الاستنتاجات والتوصيات

سيتم خلال هذا المبحث استعراض الاستنتاجات والتوصيات وكما يأتي : -

أولاً:- الاستنتاجات:-

١. أظهرت نتائج التحليل الإحصائي إن هناك علاقة ارتباط بين ترويج المبيعات وتحقيق رضا الزبون

٢. أظهرت نتائج وصف وتشخيص متغيرات الدراسة إن الزبائن يتمتعون بمستوى جيد من الرضا.

٣. كانت الأوساط الحسابية لعناصر المزيج الترويجي أعلى من المعدل عدا ترويج المبيعات مما يدل على عدم اهتمام منظمات الخدمة السياحية بهذا الجانب .

٤. ظهر إن أعلى قيمة ارتباط كانت بين البيع الشخصي ورضا الزبون ، إذ بلغت ٨٢٪ ، يليها الإعلان ٧٨٪ ، ثم الدعاية والعلاقات العامة بنسبة ٦٤٪ ، وأخيرا" ترويح المبيعات بنسبة ٢٠٪ ، مما يعني تباين هذه العناصر من حيث درجة علاقة تأثيرها في تحقيق رضا الزبون.

٥. اثبت البحث عدم صحة الفرضية الرئيسة الأولى حيث ظهر إن هناك علاقة ارتباط بين ترويج المبيعات ورضا الزبون سواء أكان على المستوى الإجمالي أو التفصيلي .

٦. هناك علاقة تأثير بين الإعلان والبيع الشخصي وتحقيق رضا الزبون .

٧. إن علاقة التأثير بين ترويج المبيعات ورضا الزبون ضعيفة جدا" وغير دالة إحصائيا"

٨. ظهر إن تأثير ترويج الخدمات على رضا الزبون ضعيف على المستوى الإجمالي .

ثانياً:- التوصيات:-

مما لاشك فيه إن السياحة تعد موردا" اقتصاديا" مهما " للعديد من البلدان وليس أدل على ذلك إن هناك بلدان مثل تونس تعتمد ميزانيتها على قطاع السياحة في توفير ما نسبته ٧٥ ٪ من العملة الأجنبية ، إن هذه النسبة لم تكن لتتحقق لو لم يكن السياح الذين يزورون هذا البلد راضين عن مستوى الخدمات التي تقدم لهم ، لذلك بات من الضروري على قطاع السياحة في العراق إن يولى عناية كبيرة لمهمة التعريف بالمواقع السياحية والأثرية والدينية من خلال أنشطة الترويج المختلفة بهدف تحقيق رضا الزبائن ، وعلى الرغم من إن نتائج البحث أشارت إلى إن هناك اهتماما بترويج الخدمات مما انعكس على تحقيق رضا الزبائن إلا اننا نرى من المناسب تحسين هذا الجانب واعطائه اهمية اكبر لذا يقترح الباحثان مايأتي :

١. ضرورة قيام المنشات السياحية في محافظة كربلاء بإجراء أبحاث السوق وذلك للوقوف على حاجات ورغبات الزبائن والعمل على إشباعها .

٢. تفعيل استخدام عناصر المزيج الترويجي خاصة عنصر ترويج المبيعات اذ تبين وجود علاقة تأثير ضعيفة في تحقيق رضا الزبون ، إن هذا التفعيل يتم من خلال : -

أ- التوسع في عرض البضائع السياحية

ب- منح هدايا وعينات للزائرين

ج- إقامة المعارض التي تظهر الجهود المبذولة في اعمار وتطوير الروضتين المقدستين على وجه الخصوص ومدينة كربلاء بشكل عام.

د- إعداد وطبع كتيبات تتضمن معلومات عن المنشات السياحية وما تقدمه من خدمات

٣. قيام المنشات السياحية بوضع إلية خاصة للتعامل مع مشاكل وشكاوى الزائرين والتعرف على مطالبهم والعمل على تلبيتها.

٤. ضرورة قيام الجهات المعنية في القطاع السياحي على مستوى القطر بمد يد العون للمنشسأت السياحية من خلال :-

أ- إتاحة الفرصة للمنشات السياحية للمشاركة في المعارض الدولية الخاصة بالسياحة .

ب- بث برامج دعائية من خلال القنوات الفضائية المحلية والعربية والأجنبية يمكن من خلالها إعطاء صورة واضحة عن واقع السياحة في العراق.

ج- وضع نظام لإجراء مسابقة بين المنشات السياحية تمنح فيها جوائز للمنشات ذات الأداء الأفضل

٥. أقامة برامج تدريبية لتطوير مهارات العاملين في مجال تسويق الخدمات السياحية بشكل عام وعلى وجه الخصوص الترويج لهذا النوع من الخدمات.

المصادر

أولا :_ المصادر باللغة العربية :-

أ_ الكتب :-

١- أبو فارة، يوسف احمد: " التدقيق التسويقي "، جامعة الخليل، عمان، ٢٠٠١.

٢- البكري ،ثامر ياسر :"إدارة التسويق" المكتبة الوطنية ،الدار الجامعة للطباعة والنشر والترجمة ،الموصل ،٢٠٠٢.

٣- أبو رحمة وآخرون :"تسويق الخدمات السياحية "،عمان ، الأردن ٢٠٠١.

٤- المساعد،زكي خليل :"التسويق في المفهوم الشامل "طبعة مزيدة ومنقحة ،عمان ،الأردن، ١٩٩٩.

٥- السيسي ،ماهر عبد الخالق: "مبادئ السياحة "،المنوفية ،مطابع الولاء الحديثة ،٢٠٠١.

٦- الخضيري ،محسن احمد: "التسويق السياحي –مدخل اقتصادي متكامل "مكتبة مدبولي ،مصر ،١٩٨٩.

٧- سماره، احمد رشيد: "التسويق الشامل "، عمان، الأردن، ٢٠٠١.

٨- الصميدعي ،محمود جاسم احمد: "استراتيجيات التسويق- مدخل كمي وتحليلي " دار الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،١٩٩٩.

٩- الطائي ،حميد عبد النبي :"التسويق السياحي والفندقي "الجامعة المستنصرية ،كلية الإدارة والاقتصاد، ١٩٩١.

١٠- العلاق ،بشير عباس والطائي ،حميد عبد النبي :"تسويق الخدمات – مدخل استراتيجي ،وظيفي ،تطبيقي "، عمان ،الأردن ،١٩٩٩.

١٠- العلاق ،بشير عباس ،والعبدلي ،قحطان :"استراتيجيات التسويق "دار زهران للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،١٩٩٩.

١١- كوتلر وآخرون :"التسويق ،الأساليب الحديثة "ج٣،ترجمة مازن نفاع ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،دمشق ،سوريا، ٢٠٠٢.

ب- البحوث :-

- العلاق ، بشير عباس ، والساعد ، رشاد : "الأثر الاستراتيجي للانترنت على المزيج التسويقي في الألفية الجديدة "المؤتمر العلمي الأول لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية ، جامعة العلوم التطبيقية ، عمان ، الادرن ، ٢٠٠٣ .

ثانياً:- المصادر الأجنبية

١-Anstasi,Anne:"psychological toasting ", New York,١٩٨٢.

٢- Armstrong,jary & Kotler , Philip :"Marketing Introduction"٥th ed., printice hall, New jersey,USA,٢٠٠٢.

٣-Belch,George&Micheal,Belch:"Introducyion to Advisement and Promotion", USA,١٩٩٥.

٤-Blois,Kithe :"the oxford textbook of marketing:" Oxford university press , newyourk ,٢٠٠٠

٥-Dibb,Sally & Simkin :"The marketing case book: cases and concept:"١st ,New Yourk,١٩٩٤.

٦-Ebel, Robert:"Essentioal education measurement:"١٩٧٢.

٧-Ross,Joel:"total quality management – text cases &reading :"٢ed ed., USA,١٩٩٥

٨-Smart:"customer satisafication :"Printice hall,٢٠٠٠.

(الملحق)

استمارة استبيان للبحث الموسوم :

((اثر المزيج الترويجي في تحقيق رضا الزائرين))

دراسة ميدانية في عينه من زوار العتبات المقدسة في محافظة كربلاء المقدسة

بيانات عامة

الجنس : ذكر أنثى

العمر : اقل من ٢٥ ٢٦- ٤٠ ٤١- ٥٥ ٥٦ فأكبر

عدد الزيارات : مرة واحدة مرتين ثلاث مرات فأكثر

بلد الزائر : .....

أولا : المزيج الترويجي :

أ- الإعلان :

ت	الأسئلة	اتفق تماما	اتفق	إلى حدما	لااتفق	لااتفق تماما
١	اتيحت لي فرصة الإطلاع على الحملات الإعلانية عن المواقع السياحية الدينية في العراق تقوم بها جهات سياحية عراقية					
٢	هناك حملات إعلانية عن مواقع السياحة الدينية في العراق تقوم بها جهات سياحية تابعة لبلدي					
٣	تستخدم الحملات الإعلانية عن مواقع السياحة الدينية في العراق وسائل الإعلان المختلفة ، كالإذاعة ، الصحف ، المجلات ، المعارض السياحية ، التلفزيون ، وغيرها					
٤	تتميز وسائل الإعلان المستخدمة للإعلان عن المواقع السياحية الدينية بالشمولية والجاذبية					

البيع الشخصي :

ت	الاسئلة	اتفق تماما	اتفق	إلى حدما	لااتفق	لااتفق تماما
١	يمتع العاملون في المرافق السياحية بالخبرة اللازمة في مجال عملهم .					
٢	يستجيب العاملون في المرافق السياحية التي زرتها بسرعة لطلباتي .					
٣	يتمتع العاملون بإمكانية التأثير على الآخرين وإقامة علاقات جيدة معهم .					
٤	يتسم العاملون في المرافق السياحية بالأناقة واللياقة في التعامل .					

ترويج المبيعات :

ت	الأسئلة	اتفق تماما	اتفق	إلى حدما	لااتفق	لااتفق تماما
١	يقدم مسؤولي مرافق الخدمة السياحية هدايا تذكارية للزلئرين					
٢	هناك تنزيلات ملائمة في أسعار الرحلات والإقامة					
٣	يهتم أصحاب المرافق السياحية بتوفير المستلزمات اللازمة لمساعدة الزائرين على الإطلاع على المواقع الدينية المقدسة					
٤	من خلال زيارتي للمواقع الدينية اطلعت على معارض سياحية متنوعة .					
٥	يتضمن برنامج الزيارة عقد لقاءات وندوات إرشادية وتثقيفية .					

العلاقات العامة والدعاية :

ت	الأسئلة	اتفق تماما	اتفق	إلى حدما	لااتفق	لااتفق تماما
١	تزودني الجهات المعنية في المرافق السياحية بالمعلومات ذات العلاقة بالتعديلات التي تحصل في السياسات الترويجية المعتمدة من قبلها .					
٢	يسعى العاملون في المرافق السياحية إلى إقامة علاقات طيبة مع الزبائن .					
٣	يحرص العاملون في المرافق السياحية على حل المشاكل التي تواجهني .					
٤	يسعى العاملون إلى التعرف على متطلبات الزائرين لغرض العمل على توفيرها.					

ثانياً : رضا الزائرين :

ت	الأسئلة	اتفق تماما	اتفق	إلى حدما	لااتفق	لااتفق تماما
١	يحرص العاملون في القطاع السياحي على تقديم خدمات ذات مستوى عالي من الجودة					
٢	يتسم التزام المسؤولين عن برنامج الزيارة الحالية بالمواعيد المحددة .					
٣	كلفة الخدمات المقدمة لي في هذه الزيارة مناسبة					
٤	يهتم العاملون بآراء ومقترحات الزائرين					
٥	في حال قيامي بزيارة أخرى للمواقع الدينية سأقيم في نفس الفندق الذي اسكنه حالياً					

٦	في حال قيامي بزيارة أخرى للمواقع الدينية سيكون ذلك من خلال نفس الشركة السياحية المنظمة لبرنامج الزيارة الحالية					
٧	سأحث أقاربي وأصدقائي لزيارة المواقع الدينية من خلال الشركة السياحية نفسها والإقامة في الفندق ذاته					
٨	كان مستوى الخدمات المقدمة لي أفضل مما كنت أتوقعه					

Opening issue

This issue of Ahlulbait magazine contained the reseearches of third annual confrence of the university which held under the title Tourism in holly Karbala reality and horrisons we hope it takes its way in office that are concerned with tourism in this holly city wich wittnessed increased in number of visitors came from the different convernorates and from the neighbouring countries to visit the master of the martyrs Imam Hussein and his brother Imam Abbas(peace be upon them).this city suffered fromdelebrate neglection for last decades because it resembles areligions mark of our Islam.

It's time for this city to raise up from the years of suffering and takes its way in the path of civilization and changes in to a modern city in which the tourist finds all means of comfort and entertainment during his touring among religious and historical places in the city of Karbala .

Karbala is not only a religion fortune but an economical fortune as well. If we able to develop it and apply the thoughts ,offered by the specialist in the science of tourist to build a tourist city suit the reputation of this city in Islamic civilization and to fulfill the needs of millions of visitors whom they come from every where and to be like the other well known tourist cities in Islamic world.

Is it possible to achieve that ?!

٩ -The technical picture in the poet of al-kumait bin zaid AL-Asedy..... ١٧٤
By: Dr. Abbas Ubaid AL-Saidi

١٠. Evaluating the public programmes and interprises (theoretical: frame work). ٢٠٢
By: Prof. Abbas Hussein Jewad
Assist.Prof. Ruzuqi Abbas Abid.

١١. From the featuers of the phonetic marks in the Holly Quran ٢٢٢
By: Majid AL-Najar.

١٢. The companion featuers in the illusion of Duret AL-Ghawas.(١٣٥٠ ١٣٢٦ H) (١٩٣١ ١٩٠٨) ٢٥٢
By: Assist .Instructor Ali Abbas Uaiwi AL-Aaraji.

Researches of the third scientific conference for Ahlulbait University: Tourism in Kerbala:Reality and Horizons.

١. The Role of the Foreign and Arabic touristic Investment in enhancing Iraq economics:Applied study in Kerbala Governorate. ٢٧٤
By: Prof. Dr. Hakim Muhseen Muhammed

٢. The Horisons of Religious Tourism in Karbala and its Direct and Indirict Economic effects. ٢٨٨
By: Prof. Dr. Lutfi Hammeed Joad

٣. Evaluating the quality of Religious Tourism Service in view of the visitors.٢٩٦
By: Prof.Dr. Ala Ferhan Talib.

٤. Analysing the function of Touristic Investement in Kerbala Governorate.٣١٨
By: Dr Kadhim Ahmed AL-Betat
Muhammed Hessan Ali AL-Zuwaini

٥. The Effect of Information technology in the quality of Hotel Service:A survey study on a sampls of Touristic Hotels in Kerbala Governorate. ٣٤٥
By: Assist. Instructor Bashar Abbas AL-Humayri
Assist. Instructor Ahmed Kadhim Brees.

٦. The Effect of mixture of touristis servicec in achieving the satisfication of customers :A survey study on a sample of Touristic Institutes in Kerbala Governorate. ٣٧٦
By: Assist. Instructor Bashar Abbas AL-Humayri

Assist. Instructor Ahmed Kadhim Brees.

Contents

Opening Issue..... ٥

١. The beginning of Universal between the science and the Novels of Ahlulbait(Peace be upon them) ٨
By: Dr. Muhsin Baqer AL-Quziwiny.

٢. The Effect of the intellectual Capital in the organizational innovation. ... ٢٠
Analysis study in Babylon University.
By: Prof. Dr.Abbas Hussein Jewad
Assist .Instructor :Khawla Abdul Hameed Muhamme

٣. The Geographical ideal for the provicial Concept ٥٠
By: Prof.Dr.Mahir Yaqub Musa .
Assist . Instructor Huda Khalid Shàban

٤. Views and Notes on Brimer´s modification to the companies Law..... ٦٧
By: Assist .Prof. Dr.Abbas Merzuq AL –Ubeidi

٥. The sources of Islamic History and how to depend on it. ٩٦
By: Assist .Prof. Fadhil Jabir

٦. Devoting Human Rights in the compact of United Nations and the other International compacts ١١٨
By: Dr.Muhammed Salih Amean.

٧. The techniques of Expression in the Semantics by Dr. Mehdi AL-Khezumi١٢٨
By: Dr.Faruq Mehmud AL-Hebubi.

٨. The Holly Quran and Invocation. ١٤٨
By: Dr. Saed Khelil Bastan.

Consultant staff

Prof. Dr.
H.A.Mahfodh.

Prof. Dr.
Nadhim Shiko.

Prof. Dr.
Khadija Al-Hadithy.

Prof. Dr.
Hakim M. Mohammed

Prof. Dr.
Hassan A. Al-Zaal

Prof. Dr.
Subhe N. Hussein

Prof. Dr.
Abdul Amir Al warid

.

In The Name Of God Most Gracious, Most Merciful.

ISSN ١٨١٩ ٢٠٣٣

issue:4

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief Editor
prof.Dr. Abbas Hussein Jawad

Editorial Secretary
Dr. Faroq Mahmood Al_Habboobi

Editors
Dr. Mehdi Dakhel Al-Aobaidi
Dr. Abbas Marzook Flayeh
Dr. Hakmat Aobaid Hassan
Dr. Abod Joody Al-Hlli
Dr. Mohammed A. Al-Khateeb

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 334932
karbala@ahlulbaitonline.com ، www.ahlulbaitonline.com